

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد الأول

# أَهْلُ الْبَيْتِ

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليه السلام

رئيس التحرير: د. عباس حسين جواد  
سكرتير التحرير: د. فاروق محمود الحبوبي

## أعضاء هيئة التحرير

أ. م. د. مهدي داخل العبيدي  
أ. م. د. عباس مرزوك فليح  
أ. م. د. حكمت عبيد حسن

## المقوم اللغوي

السيد صادق جعفر القزويني

كربلاء، شارع فاطمة الزهراء عليها السلام، جامعة أهل البيت عليه السلام  
ص.ب: ١٠١٩، هاتف: ٣٢٧٣١٦

Karbala, Fatimah-al-Zahra street, P.O.Box: 1019, Tel: 327316

www.ahlulbaitonline.com ، karbala@ahlulbaitonline.com

## الهيئة الإستشارية

## محتويات العدد

كلمة هيئة التحرير .....	٥
دور المدارس القديمة في بناء الجامعات الجديدة (د. حسين علي محفوظ) .....	٨
خصائص الإدارة عند الإمام علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small> (د. محسن باقر القزويني) .....	٣٦
أثر نهج البلاغة في مصادر الفكر السياسي الإسلامي (د. محسن باقر القزويني) .....	٨٢
صياغة السياسات العامة: إطار منهجي (أ.د. عباس حسين جواد/ أ.م.د. أرزوقي عباس عبد) .....	١٣٨
اثر التضخم ومعدلات الفائدة في أسعار الصرف (أ.د. حاكم محسن محمد) .....	١٧٠
موازنة الآمدي بين النظرية والتطبيق (د. فاروق محمود الحبوبي) .....	١٨٦
نافذتان نقديتان على النشر العباسي (د. فاروق محمود الحبوبي)	
أحمد بن يوسف (ت ٢١٣هـ) والإعراق في الكتابة	
إبن العميد (ت ٣٦٠هـ) بين التسجيع والمزاوجة .....	٢٤٢
المؤسسة الدينية والمقومات المرجعية والتقليد (د. فيصل عبد الجبار النصيري) .....	٢٦٠
العقد الاجتماعي: الأسس النظرية وأبرز المنظرين (د. مكي عبد مجيد) .....	٢٧٠
العقود المستثناة من التفاضل الربوي في الشريعة الإسلامية (د. فرات شاكر وتوت) .....	٢٩٨
أهمية وكالات الانباء كمصدر من مصادر الاعلام (د. صالح شاكر وتوت) .....	٣٢١
الخبر الصحفي عنصر اساسي من عناصر العملية الاعلامية (د. صالح شاكر وتوت) .....	٣٤٣
أبو البركات البغدادي (الأنباري) أثر عصره عليه وآراؤه النحوية (أ. مجيد حميد البديري) .....	٣٧١



## كلمة هيئة التحرير

لقد عاش العراق خلال العقود الثلاث الماضية فراغا فكريا وثقافيا عانى منه المفكرون ما عانوه من انعزال علمي عن مدخلات ومخرجات العالم وانفجار المعلومات وتطور الأساليب مما أبعدهم عن متطلبات النهوض الفكري وتقييد مساراته وانحرافها وانحسارها بدافع من تسلط الدولة وتحجيم الأفكار وتجفيفها وتعنيف الأقلام وتجريفها وشراء الذمم وتخريفها ورسم سياسية قطع الوصل من الداخل والخارج وإسكات صوت الحق ومنع الكلمة من الإرسال والتلقي.

ثم غرب ذلك العهد، وحل عصر جديد نريد منه أن يتبنى النهضة الفكرية الهادفة التي تلبى طموح المرحلة وتجعل المستقبل مشرقا نابضا بالحياة. وهذا الأمر يستدعي تكاثفا وتعاوننا على البر والتقوى وزرع النماذج الحية التي ستثمر لا محالة..

و نحن من جهتنا في جامعة أهل البيت عليه السلام، تجسد روح العلم وتصعيد وتائر أصالة الفكر الإسلامي وتعزيز سمو لغة القرآن ورسم صممنا على إصدار مجلة علمية فصلية محكمة ؛ تعني بنشر البحوث العلمية، وتعمل على إجراء حوارات مفتوحة، وندوات لتبادل الآراء والأفكار والخبرات، لغرض تعميق المناهج الدراسية وتطوير كفاءات الأساتذة والتدريسين.

و الجامعة اليوم بهيئة تحرير مجلتها تقدم باعتزاز العدد الأول، وهو سفر حافل بالبحوث والدراسات الإنسانية آدابا وشرعية وقانونا.

إن هذا العدد باكورة ثقافية الطريقة الصحيحة للإعلام الهادف الحر؛ في هذه المدينة المقدسة  
(كربلاء) الخالدة قطرنا العزيز.

# دور المدارس القديمة

## في بناء الجامعات الجديدة

وأهمية التراث العربي في وضع تقاليد التعليم العالي ومناهج البحث  
العلمي وأصول الدراسة والتدريس

د. حسين علي محفوظ

## دور المدارس القديمة في بناء الجامعات الجديدة

وأهمية التراث العربي في وضع تقاليد التعليم العالي ومناهج البحث العلمي وأصول الدراسة والتدريس

### عناصر الدراسة:

- قدم (المدرسة) في التراث.
- مواضع الدراسة وأمكنة التعلم والتعليم.
- اتصال تقاليد الجامعة الجديدة بأصول التعليم والتعلم في التراث.
- الكتب الستة الأصول في التربية والتعليم في التراث.
- الكتب العربية في موضوعات التعلم والتعليم.
- ليست النظامية أول مدرسة في الإسلام.
- كلمة (مدارس) كانت واضحة المفهوم في أواخر القرن الثاني للهجرة.
- الخليفة المعتضد يمكن أن يعد من أوائل المفكرين في بناء المدارس الجامعة في أواخر القرن الثالث.

- آداب المعلم والمتعلم وأوصافهما وشروطهما في التراث.
- طرق طلب العلم وروايته وحمله ونقله (أنحاء التحمل) السبعة.
- شروط كتابة العلم.
- بيوت الحكمة ودور العلم في العالم في التراث.



- تعذر إحصاء المدارس.
- أهم المعاهد والمدارس في بلاد الإسلام.
- دائرة المعارف العثمانية في الهند.
- أقسام الكتاب في قواعد العلوم.
- شروط التأليف.
- ما يجب أن لا يخلو منه الكتاب.
- فرائض التأليف العلمي.
- الرؤوس الثمانية في التأليف.
- أنحاء التعليم.
- فنون التأليف في التراث.
- المنعطفات المتميزة في التعليم عند العرب في التراث.
- المصادر والمراجع.

### قدم (المدرسة) في التراث:

المدرسة قديمة في التراث، معروفة في المأثور، تعود أوائلها الى بدايات الحضارات في وادي الرافدين ووادي النيل قبل الوف السنين، وفي بلاد اليونان والرومان من بعد. وهي سلسلة موصولة لم تنقطع في تاريخ السنين منذ عرف البشر العلوم والمعارف، والفنون والصناعات.

وقد كانت الديارات والكنائس، والصوامع والبيع، والصلوات والمعابد، والأسواق والمواسم، والمحال والمجامع، والأندية ودور الندوة، والمعاهد والمنازل، والمغاني والمراجع قبل الإسلام بمنزلة المدارس اليوم.

وأشرق الأرض، وأصطفى الله الإسلام، ودخل الناس في دين الله. وكان غار حراء، وبيت النبي والمسجد أول المدارس في تاريخ الإسلام.

سار العرب في الأرض، ومشوا في مناكبها، ودخلوا المشارق والمغارب، وكانت المساجد والجوامع والحلقات والمجالس، والكتاتيب والمكاتب، وخزائن الحكمة ودور العلم، وبيوت الحكمة والمدارس، والزوايا والتكايا، والربط والخوانق، والبيوت والمساكن، والدور والقصور، والبلاطات والدواوين، والمشاهد والمراقد والتراب والمقابر، والدكاكين والأسواق أهم مواطن التعليم، وأظهر مواضع التعلم، وأشهر أمكنة التدريس والدراسة والتلقين والتلقي والمدارس والتدارس.

تتصل تقاليد الجامعة الجديدة حديثاً بأصول التعليم والعلم، وطرائق التدريس والتلقي والتلقين والإملاء والاستملاء في المدرسة المأثورة قديماً.

والعود إلى مناهج القدامى وما ألفوا في أدب العالم والمتعلم والمفيد والمستفيد، وما صنفوا في طلب العلم والسعي له والرحلة من أجله، وما كتبوا في التأليف والتصنيف والمذاكرة والمحاضرة والمناظرة والمطالعة والمحاورة، وما دونوا في أوصاف الدارس وشروط الدارس، وما سنوا من آداب التدريس والدراسة يوضح الصلة الوثقى بين القديم والجديد، ويبين أثر الماضي في الحاضر.

ولابد - قبل الدخول في أعماق الموضوع - من الإشارة إلى أن كلمة (آداب) و(أدب) و(رسوم) تعني (التقاليد) والشروط، وما يسمى اليوم - أيضاً - بالمواصفات. وقد اشتملت الكتب الستة الأصول في التربية والتعليم وهي:

- ١- آداب المعلمين.
  - ٢- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين، وأحكام المعلمين والمتعلمين.
  - ٣- آداب المتعلمين.
  - ٤- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم.
  - ٥- منية المريد في آداب المفيد والمستفيد.
  - ٦- الدر النضيد في آداب المفيد والمستفيد.
- على كل ما يحتاج إليه من شروط، وكل ما يلزم من أوصاف، وكل ما ينبغي إتباعه من تقاليد في الدراسة والتعليم في القديم.

هذا - وقد ضمت المكتبة العربية جناحيها على أهم التقاليد في العمل العلمي ، واشتملت على كل ما لا بد منه من تعاليم ، ولقد أفرد العلماء عشرات الكتب في موضوعات التعلم والتعليم والبحث العلمي ، منها :

- |                     |                      |
|---------------------|----------------------|
| ١ - آداب الإجازة.   | ٢٢ - آداب الجدل.     |
| ٢ - آداب الاستجازة. | ٢٣ - آداب جمع الكتب. |
| ٣ - آداب الاستعارة. | ٢٤ - آداب خزن الكتب. |
| ٤ - آداب الاستفتاء. | ٢٥ - آداب الخطابة.   |
| ٥ - آداب الاستملاء. | ٢٦ - آداب الدرس.     |
| ٦ - آداب الإعارة.   | ٢٧ - آداب الرحلة.    |
| ٧ - آداب الإفتاء.   | ٢٨ - آداب الرواية.   |
| ٨ - آداب الإلقاء.   | ٢٩ - آداب السلوك.    |
| ٩ - آداب الإملاء.   | ٣٠ - آداب السماع.    |
| ١٠ - آداب البحث.    | ٣١ - آداب الصحة.     |
| ١١ - آداب التأديب.  | ٣٢ - آداب الضبط.     |
| ١٢ - آداب التأليف.  | ٣٣ - آداب الضرب.     |
| ١٣ - آداب التحديث.  | ٣٤ - آداب الطلب.     |
| ١٤ - آداب التحقيق.  | ٣٥ - آداب العلم.     |
| ١٥ - آداب التخريج.  | ٣٦ - آداب الكتابة.   |
| ١٦ - آداب التدريس.  | ٣٧ - آداب الكشط.     |
| ١٧ - آداب التسليك.  | ٣٨ - آداب المحو.     |
| ١٨ - آداب التصحيح.  | ٣٩ - آداب المذاكرة.  |
| ١٩ - آداب التعلم.   | ٤٠ - آداب المطالعة.  |
| ٢٠ - آداب التعليم.  | ٤١ - آداب المعارضة.  |
| ٢١ - آداب التلقين.  | ٤٢ - آداب المعاشرة.  |

- ٤٣ - آداب المقابلة.  
٤٤ - آداب المقال.  
٤٥ - آداب المناظرة.  
٤٦ - آداب النسخ.  
٤٧ - آداب النظر.  
٤٨ - آداب وضع الكتب..

وسائر ما يتصل بالتعلم والتعليم ، والتأليف والبحث من موضوعات .  
لذا تعذر إحصاء ما في التراث من الكتب في التقاليد الجامعية ، والعمل العلمي فان الإشارة إلى أهم ما ألفه جماعة من العلماء بين القرن الثالث والعاشر للهجرة في التعلم والتعليم ، والعدة التي ربما تجاوزت الخمسين من العلماء والمؤلفين في القرون الأربعة عشرة تكفي في بيان اهتمام العلماء العرب والمسلمين بالعلم إضافة إلى معطيات المكتبة العربية في الأخلاق والفضائل والخصال .  
كان الناس يرون أن المدرسة النظامية التي أسسها الوزير نظام الملك في بغداد سنة ٤٥٩ هـ هي أول مدرسة في الإسلام ، ويعتقدون أن نظام الملك " هو أول من أنشأ المدارس فافتدى به الناس " ، وهو زعم ابن خلكان (٦٨١ هـ) وقلده الذهبي (٧٤٨ هـ) .  
وكان بعض المؤرخين يرى أن " أول من حفظ عنه انه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور " (كذا...) .

وقد فسر المقرئزي (٨٤٥ هـ) كون النظامية أول مدرسة كان فيها رواتب ومخصصات ومساكن للطلاب .  
لم يكن نظام الملك مبتدع المدارس ونظام الجامعة في تاريخ الإسلام كما تصور بعض القدامى ومن تابعهم من الجدد ، وإنما يعود تاريخ المدرسة إلى عهد متقدم تقادم كلمة (مدرسة) و(مدارس) في اللغة ، وهو الموضوع الذي يدرس فيه ، وقدم كلمة درس ودارس وتدارس ودراسة ، وقدم الحلقة وهي من ألفاظ الحديث .

وتبدو كلمة (مدارس) واضحة المفهوم والدلالة والمقصود في أواخر القرن الثاني للهجرة في تائية دعبل بن علي الخزاعي المتوفي سنة ٢٤٦ هـ التي نظمها في حدود سنة ٢٠٠ هـ .  
وتفيد كلمة المقرئزي في الخطط إن الخليفة (المعتضد) يمكن أن يعد من أوائل المفكرين في بناء المدارس الجامعة من الخلفاء في تاريخ الإسلام ، في أواخر القرن الثالث الهجري (٢٧٩-٢٨٩ هـ) فقد " استزاد في الزرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد (لما نوى بناء قصره في بغداد) فسئل عن ذلك ،

فذكر انه يريد ان يبين فيه دورا ومساكن ومقاصير يرتب في موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، وتجري عليهم الأرزاق السنوية ليقتصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه".

والقصر الذي تشير إليه حكاية المقرئ هو قصره المعروف بالثريا الذي أنفق عليه أربع مائة ألف دينار (٤٠٠,٠٠٠) وكان طول هذا القصر ثلاثة فراسخ (حوالي ٥,٥٨٠ كم) وفي أخبار المعتضد أنه "لم يكن له رغبة إلا في النساء والبناء"، وكان يسمى (السفاح الثاني) لأنه جدد ملك بني الباس". وإذا تركنا أعددته المؤرخون من سيئات المعتضد فان الخلافة لما افضت اليه "سكنت الفتن وصلحت البلدان، وارتفعت الحروب، ورخصت الأسعار، وهذا الهرج.. وكان مظفرا قد دانت له الأمور، وانفتح له الشرق والغرب..". كما قال المسعودي.

وفي مختصر التاريخ لابن الكازروني (٦٩٧هـ) انه "كان ذا رأي وحزم وشجاعة وسماحة وعدل في الرعية، حتى أنه تقدم إلى كافة أصحابه وخواصه بلزوم الطريقة المثلى..". وحسبه أنه فكر في بناء المدرسة الجامعة في ذلك العصر، ويكفي أن منهجه - لو تم - كان فيه ما يكمل دور (خزانة الحكمة) التي أسسها الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)، والمأمون (١٩٨-٢١٨هـ) في بغداد من قبل.

تقدمت الإشارة إلى الكتب الستة المهمة الأصول من مصادر التربية والتعليم في التراث، وهي كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون (٢٥٦هـ) والرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين للقابسي (٤٠٣هـ)، وكتاب آداب المتعلمين للنصير (٦٧٢هـ)، وكتاب تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة الكنايني (٧٣٣هـ)، وكتاب منية المريد في آداب المفيد والمستفيد لزين الدين بن علي بن أحمد الشامي العاملي الشهيد الثاني (٩٦٦هـ)، وهو من شهداء العلماء في القرن العاشر الهجري، وكتاب الدر النضيد في آداب المفيد والمستفيد لبدر الدين الغزي (٩٨٤هـ).

وقد لاحظت أن في كتاب (منية المريد) الذي اعتز بالانتساب الى مؤلفه من جهة بعض الأمهات، ما في الكتب الأخرى مع الزيادة والبسط والتفصيل.

أوضح المؤلفون في التربية والتعليم آداب المعلم والمتعلم وأوصافهما وشروطهما، وهي ثلاثة أنواع:

١ - **الاداب المشتركة**، وهي آداب اشتركا فيها، وهي آدابهما من انفسهما، وآدابهما في مجلس الدرس.

أما آدابهما في أنفسهما فهي ستة، وأما آدابهما في الدرس فهي ستة كذلك، وهي تؤكد جميعاً الإخلاص والاجتهاد في طلب العلم وتعليمه، ولزوم مكارم الأخلاق وحميد الأفعال والقه، ودوام التعلم، والعمل بالعلم، والمحافظة على الشعائر والأحكام، وترك المراء والملاحاة والجدال والاستكبار وحب الظهور والغلبة والتجميل والتعجيز والطعن، وبطر الحق وغمط الناس. وأهمها الانقياد للحق، والرجوع عند الهفوات، وان لا يبتغي الأستاذ والطالب حب المال والشرف والتعالي والسعي للجاه، والركض إلى الشهوات.

## ٢ - **الآداب التي يختص بها الأستاذ في نفسه، ومع طلبته وفي مجلس درسه.**

أما آدابه في نفسه فهي ثمانية وأما آدابه مع طلبته فهي عشرون، وأما آدابه في مجلس درسه فهي ثلاثون.

وهي تلخص ضرورة الأهلية وتكامل المعرفة، وصون العلم وخدمته وقضاء حقه وتعظيمه، والعمل بالعلم، وحسن الخلق والتواضع، وبذل الوسع في تكميل النفس وإكرام عزتها، وان لا يمنع العلم أهله، والى أن يبذله عند وجود المتعلم المستحق المستفيد، وعدم مخالفة الأفعال للأقوال.

وإظهار الحق، وترغيب الطلبة في العلم، وتعويدهم على خصال الخير، وتعليمهم على التدرج، وان يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، وان يجرهم عن سوء الأخلاق، وينهاهم عن المحرمات والمكروهات، وأن يلين لهم، ولا يتعاضم عليهم، ويسأل عنهم وعن أحوالهم..

وأن يكون سمحا يبذل العلم سهلاً بالقائه، متلطفاً في إفادة طالبيه، حريصاً على تعليمهم، باذلاً وسعه في تفهيمهم وتقريب العلوم الى أفهامهم وأذهانهم، وان ينصفهم في البحث ولا يظهر تفضيل بعضهم على بعض.

وان يخرج إلى الدرس كامل الأهبة، مع السكينة والرفق والتودد والوقار والهيئة في اللباس والهيئة والنظافة، والتواضع والاستقرار. وأن يحسن خلقه مع الجلساء والطلاب، وان يتحرى التفهيم بأيسر الطرق وأعذب الألفاظ.

وأن يقول ما يعلم، ويقف عند ما لا يعلم، و(لا أدري ثلث العلم) و(قول العالم لا أدري لا يضع منزلته، بل يزيدها رفعة، ويزيده في قلوب الناس عظمة).

### ٣- الآداب المختصة بالطالب المتعلم:

وهي ثلاثة أقسام كما مر:

آدابه في نفسه وهي ثمانية، وآدابه مع أستاذه وهي أربعون، وآدابه في مجلس الدرس وهي ثلاثون.

وموجز آداب الطالب، تحيى النية، وتطهير القلب، وتهذيب النفس، والاجتهاد في طلب العلم، والجِد في تحصيله، والحرص على التعلم والمواظبة عليه، والابتداء في التعلم بالأولى والأهم فالأهم.

وتعظيم الأستاذ وتوقيره، والاستماع لليه والإقبال عليه، والاعتراف له، ورعاية حق تابوته والوفاء بحق تربيته فانه (الأب الحقيقي والوالد الروحاني)، والنظر على الأستاذ بعين الاحترام والجلال والإكرام، والتواضع له والانقياد إليه، والإذعان لنصحه، وتحري رضاه، وتبجيله في الحضور والغيبة والخطاب والجواب.

وتعظيم حرمة، ومراعاة هديه، والاقتداء به، والشكر له، والصبر على جفوة تصدر منه. وأن يدخل على الأستاذ نشيطاً منشراح الصدر، فارغ القلب من الشواغل غير الدرس.

وان لا يفوت الطالب على نفسه دروس الأستاذ فان كل درس يفوت لاعوض له.. وان يجلس بين يديه جلسة الأدب بإطراق وتواضع، وان يصغي إليه، ويقبل بكلية عليه، وان لا يرفع صوته في مجلسه، وأن يحسن خطابه مع الأستاذ، وان يتحفظ من مخاطبته بما لا يليق، وان لا يسبقه ولا يقطع عليه كلامه، وأن يصغي لليه إصغاء المستفيد، وان يستوضحه ويغتنم سؤاله، ويتلطف فيه.

وان يكون ذهنه حاضراً، وأن لا يشتغل بما يبدد الفكر ويحير الذهن وأن يحضر معه ما يلزم من الكتب والآلات والأدوات، وأن يرتب الأهم فالأهم في الحفظ والمطالعة والتصحيح، وأن يقسم أوقاته، وأن يبكر بالدرس، ويبالغ في الجِد والطلب، ويغتنم وقت الفراغ وشرح الشباب، وأن يلزم جميع مجالس الأستاذ ما مكن، وأن يتأدب مع رفقته وأصدقائه من الطلاب، وان لا يتكلم في أثناء الدرس، وان يراعي الأدب مع الكبير.

وقد كانت طرق طلب العلم وروايته وحمله ونقله سبعة يسمونها (أنحاء التحمل) وهي:

- ١ - السماع من الأستاذ، وهو على أربعة وجوه.
  - ٢ - القراءة على الأستاذ، ويسمى (العرض) وهو ستة أنواع.
  - ٣ - الأجازه مشافهة وكتابة، وهي خمسة أقسام تشتمل على تسعة انواع.
  - ٤ - المناولة، وهي ضربان.
  - ٥ - الكتابة، بان يكتب الاستاد مرويه للطالب بخطه، أو يأمر بكتابته له، وهي ضربان.
  - ٦ - الإعلام بأن يعلمه أن هذا مرويه.
  - ٧ - الوجدادة، بأن يجد الطالب المروي مكتوباً بخط فلان، أو يخبره فلان أنه خط فلان.
- وقد أضفوا (الوصية) إلى أنحاء التحمل السبعة.
- واشترطوا في كتابة العلم وتقييده:
- ١ - تبيين الخط، والاهتمام بصحته وتصحيحه.
  - ٢ - عدم ادمج بعضه في بعض.
  - ٣ - إعراب ما يخفى وجهه.
  - ٤ - اجتناب التعليق، وهو خلط الحروف التي ينبغي تفريقها.
  - ٥ - اجتناب الكتابة الدقيقة وأجود الخط أبينه.
  - ٦ - تجويد الكتابة.
  - ٧ - اجتناب الكتابة عسرة القراءة مشتبكة الحروف والكلمات.
  - ٨ - عدم قرمطة الحروف والإتيان بها مشتبهة بغيرها.
  - ٩ - إعطاء كل حرف حقه وكل كلمة حقها.



- ١٠ - مقابلة الكتاب بأصل صحيح موثوق به.
  - ١١ - ضبط مواضع الحاجة ، بالقلم وضبط القلم هو وضع الحركة على الحرف ، والضبط هو التعرض للكلمة بكونها بالفتح أو الضم أو الكسر ، والضبط بالحروف.
  - ١٢ - اعجام المعجم المشكل ، وضبط المشتبه.
  - ١٣ - ضبط الملتبس من الأسماء.
  - ١٤ - اجتناب دقة الخط وضيق الأسطر.
  - ١٥ - استعمال علامات الفصل بين الكلام (الترقيم) فان وصل الكتابة كلها على طريقة واحدة فيه ما فيه من عسر استخراج المقصود والمطلوب ، وتضييع الوقت والزمان.
  - وراعوا في صور الحروف خمسة أشياء :
  - ١ - التوفيه.
  - ٢ - الإتمام.
  - ٣ - الإكمال.
  - ٤ - الإشباع.
  - ٥ - الإرسال.
  - كما راعوا في أوضاعه أربعة أشياء :
  - ١ - الترصيف.
  - ٢ - التأليف.
  - ٣ - التفصيل.
  - ٤ - التسطير.
- انتشرت بيوت الحكمة ودور العلم في العالم تدور حول علوم القرآن ، وعلوم الحديث ، وعلوم الدين ، وعلوم الشريعة ، وما يقترن بها من العلوم العربية والأدبية ، وعلوم الأوائل منذ القرن الثاني ، واستمرت وامتد بها الزمان حتى ظهرت (الجامعة الجديدة) في أوروبا.
- وإذا تعذر إحصاء المدارس العربية والإسلامية في الشرق والغرب فقد نستطيع الإشارة إلى جانب من أهم المدن التي خرجت العلماء وذكرت المصادر بعض ما فيها من مدارس ومعاهد ،

ومنها: آبه، أمل، أنوله، اب، اجين، الإحساء، احمد آباد، احمد آباديدير، احمد نكر، آذربيجان، اربل، اردبيل، ارميه، استانبول، ستراباد، اصبهان، الاعظمية، اكلريدور، اكره، اماسيه، اميتهي، اندونسيه، أنصار، انطاليه، اوده، اورنك آباد (كيا)، اورنك آباد (الدكن)، ايدج، ايلجبور، باميان، البحرين، بخارى، بدايون، بركي، برلو، برهان بور، برونه، بروهيلكمند، بريلي، البصرة، بعدان، بعلبك، بغداد، البقاع، بلكرام، بنارس، بنت جيل، ابنجاب، بنكاله، بيجابور، بيروت، بيلي بهيت، تبريز، تستر، تعز، تكريت، تلمسان، تون، جع، جرباذقان، جرجان، جزيرة ابن عمر، جزين، الجند، جنوبور، جوين، جوياء، جيلان، حانين، حران، حلب، الحلة، حماة، حمص، حنويه، الحويزة، حياة نكر، حيدر آباد، خانسار، خلاط، خوارزم، خوزستان، خوين دارانكر، دامغان، دانابور، الدكن، دمشق، دنيسر، دهلي، دوريست، ذوجبله، ذو السفال، رأس العين، رامبور، رانسين، رنكبور، الري، زبيد، زنجان، سارنكبور، ساري (= ساريه)، سبزوار، السحول، سرخس، سكون سمرقند، سمنان، سنجار، السند، سنديله، سورت، سيوستان، شاه آباد، شاهجهان بور، الشحر، شحور، شقراء، شهرستان، شيراز، شيراز، صنعاء، صهبان، صور، صيدا، طالقان، طبرستان، طرابلس، طيردبا، ظفر آباد، عادل بور، عثمان بور، عدن، عظيم آباد، عليكره، العمادية، عيثة الزط، عيناثا، غرناطة، فقعية، قاشان، القاهرة، القدس، قزوين، قعطمونية، قنا، قونية، قيصريه، الكاظمية، كربلاء، كرك نوح، كفرحونا، كفرعيما، كفره، كلاباذ، كلين، الكوثريه، الكوفة، كجرات، كوبامثو، كولكنده، لارنده، لكهنو، ماردين، مالوه، مجدلسليم، مخلاف بني شعيب، مخلاف الشوافي، المدينة، مراغة، مرو، مرو الروذ، مشفرى، مشهد، مصر، ملتان، المنارة، مندو، الموصل، ميبد، ميس، النباطية، النجف، نصيبين، الميرية، نهرواله، نيسابور، هراة، همذان، الهند، هو، واسط، الومص، وصاب، يزد، اليمن.. وغيرها.

واذا تعذر إحصاء المدارس واستحال تعديد أسمائها جميعاً فإن من أهم المعاهد ولمداس في بلاد الإسلام - غير المساجد والجوامع الكبار - خزانة الحكمة، وهي بيت الحكمة ودار الحكمة، في بغداد، وهي خزانة الرشيد والمأمون، ومدارس نيسابور، ودار العلم في الكرخ بين السورين (٣٨١هـ) ودار الحكمة في القاهرة (٣٩٥هـ) ودار العلم في جوار الأزهر، ودار الكتب في القصر،

وبيت الكتب التي تركها صاحب بن عباد (٣٨٥هـ) بالري، ودار الكتب التي أنشأها ابن سوار الكاتب في رامهرمز، والنظاميات في بغداد، وبلخ، ونيسابور، وهراة واصبهان والبصرة ومرو وآمل طبرستان، والموصل، وجزيرة ابن عمر. ولاسيما النظامية في بغداد (٤٥٩هـ) ومدرسة أبي حنيفة (٤٥٩هـ) والمدارس الشراعية في بغداد (٦٢٩هـ) واسط (٦٣٢هـ)، ومكة (٦٤١هـ)، والمدرسة المستنصرية (٦٣٠هـ)، والمدرسة المرجانية (٧٥٨هـ).

ومنهما مدرسة الشيخ في النجف (٤٤٨هـ)، وحلقة الخليفة الناصر في المشهد الكاظمي سنة ٦٠٨هـ، ومدارس الحلة، ومدارس قرطبة، والقبة والمرصد بمراغة (٦٥٦هـ)، والمدارس الثمان في القسطنطينية، التي كان من شرو التدريس فيها حفظ كتاب الصحاح في اللغة للجوهري، والمدرسة المربعة في سمرقند في زمن الوغ بك (٨٥٣هـ)، ومدرسة الرنيق التي بناها السلطان اورخان (٨ق)، وهي أول مدرسة بنيت في الدولة العثمانية، وكان مدرستها الشيخ داود القيصري.. وغيرها مما يستصعب إحصاؤه.

ون أواخر المعاهد المهمة في الهند (بيت العلم) المعروف بدائرة المعارف الذي أسسته جمعية دائرة المعارف العثمانية في الدولة الآصفية في الديار الركنية بالهند، و"أول من اعتنى بتأسيس هذه الجمعية مولانا السيد حسين البلجرامي المخاطب بالنواب عماد الملك ناظر معارف الدولة الآصفية، وكاتب السر لحضرة السلطان النظام السادس (السلطان الأمير محبوب علي خان بهادر نظام الملك آصفجاء السادس، فس سنة ١٣٠٨هـ)، والمولى عبد القيوم.. ومولانا اوار الله خان.. "خدمة العلوم العربية والفنون القديمة والمآثر الاسلامية.. التي دارت على محورها العقول والفهوم والآثار الانسانية من القرون الوسطى الى الاعصار الباقية.."، "وقررت.. أن تطبع الكتب القديمة من العلوم العربية...".

و"لما انفجرت ينابيع العلم في هذا العهد.. بتأسيس الجامعة الكبرى العثمانية، واقامة دار التأليف والترجمة، وافتتاح المدارس الغنية والمعاهد الأدبية بذل (السلطان مير عثمان علي خان نظام الملك آصفجاء السابع المعروف بسلطان العلوم) عنايته الجميلة - إلى هذه الجمعية العلمية وشرفها بالخطاب والمعونة العظيمة، وأشار في توقيعه الملوكي المؤرخ غرة جمادى الآخرة ١٣٣٨هـ إلى مقاصدها الجليلة، وأمر بافتتاح دار تصحيح للكتب القديمة من العلوم العربية.."

ومن المعاهد المهمة في الهند - أيضاً - (ندوة العلماء) التي أسستها (جماعة في قيادة مولانا محمد علي المونكيري.. سنة ١٣١١هـ.. من أهدافها الرئيسية التقريب بين علماء المذاهب.. وتقصير الفجوة بين الطوائف الإسلامية، وتنسيق الجهود في إصلاح التعليم والمسلمين، وتطوير مناهج الدرس..".

ويجربنا الكلام على المدارس إلى الكتاب العلمي والكتاب المدرسي أو الكتاب المنهجي، والتأليف والتصنيف.

يفرق العلماء أحيانا بين التأليف والتصنيف، ولكن الكلمتين - استعمالا واصطلاحاً - بمعنى واحد تقريباً، وقد كان من أغراض التأليف - عندهم - تدوين المعرفة أولاً ثم ألفوا للتعليم التدريس، وهو الكتاب المدرسي والمنهجي الذي يقرب العلم للطلاب، ويهيئ له من مادة العلم ما يحتاج إليه.

وهم يقسمون الكتاب في قواعد العلوم إلى ثلاثة أقسام:

١ - **المختصر**، يجعل تذكراً لرؤوس المسائل تفدي المبتدئ في التعلم، وتنفع المنتهي في استحضار العلم.

٢ - **المتوسط**، وهو كتاب يجمع ما يحتاج إليه من مقاصد العلم بلا تطويل غير نافع، ولا اختصار لا يوصل مادة العلم.

٣ - **المبسوط**، وهو الذي يحوي مادة العلم، وما يتعلق بها من فوائد وضوابط ومسائل ونكات وفروع، وما يتصل بها من معارف وأشياء.

وقد اشترطوا في التأليف:

١ - إتمام الناقص ولكماله.

٢ - شرح المجلد المغلق وتفصيله.

٣ - تعيين المبهم وإيضاحه.

٤ - إصلاح الخطأ وتبيينه.

٥ - ترتيب المختلط.

٦ - اختصار المطول وتهذيبه بلا إخلال بشيء من معانيه ومقاصده وأغراضه.

- ٧ - جمع المتفرق من مادة المعرفة والعلم.
- ٨ - تأليف مخترع جديد لم يسبق.
- ٩ - نظم المنشور لتسهيل الحفظ وتيسير الاستظهار، فان حفظ النثر قد لا يخلو من شعر، وهو من أنواع (العقد) في البديع، ويسمى (الشعر التعليمي).
- ١٠ - نثر المنظوم لتوضيحه، وهو (الحل) في الصنائع البديعة.
- وقد اختار العلماء النظامون (الشعر المزاوج) و(المزدوجات) و(المنظومات) والأراجيز لنظم العلم.
- وأوجب القدامى في المؤلف أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد، هي:
  - ١ - استنباط شيء، كان مفصلاً.
  - ٢ - جمعه إن كان متفرقاً.
  - ٣ - شرحه إن كان غامضاً.
  - ٤ - إحسان نظمه وتأليفه.
  - ٥ - إسقاط حشوه وتطويله.كما فرضوا أشياء:
- ١ - إتمام الغرض الذي وضع الكتاب لأجله، من غير زيادة ولا نقص.
- ٢ - استعمال الألفاظ الواضحة البينة السهلة التي يرتاح إليها السمع.
- ٣ - هجر الألفاظ الغريبة، والكلمات النافرة الوحشية، والكلمة غير المأنوسة التي تنفر منها المسامع، والمجازات غير المفهومة.
- ٤ - عدم إدخال علم في علم لئلا يقع التخليط والتشويش، ويضيع الوقت.
- ٥ - حسن الترتيب، ووضوح الدلالة على المقصود.
- ٦ - الأمانة العلمية، وعزو الفوائد والمسائل والنكت والأشياء إلى أصحابها، وقد كان أولوا الإنصاف لا يذكرون في شيء من تصانيفهم حرفاً إلا معزواً إلى قائله من العلماء، مبينين كتابه الذي ذكر ذلك الأمر فيه.

- ٧ - أن يكون التأليف من البيان والإيضاح والكشف على قدر إدراك من يؤلف له لكتاب من المتعلمين، وبمقدار ما تدعو إليه الحاجة، وبمقتضى ما يوجبه التفهيم والتعليم.
- ٨ - الاحتياط في النقل عن الغير، ومراعاة الأمانة العلمية والدقة والضبط في النقل والإسناد.
- ٩ - لا يقوم الاختصار مقام الإكثار، ولا يغني التلويح عن التصريح إذا دعت الحاجة إلى التفصيل والبيان، ولكل مجال مقال، ولكل مقام كلام.
- وقد وضع العلماء المبادئ في التأليف، وهي (الرؤوس الثمانية) في علم التأليف، "فإنها مما يعين على فهم ما في الكتاب معرفة ليست باليسيرة"، وهم يذكرونها في صدر الكتاب وهي:
  - ١ - الغرض، وهو الغاية من التأليف.
  - ٢ - المنفعة، وهي الفائدة التي ترجى من الكتاب.
  - ٣ - السمة والعنوان، الذي يشير إلى مادة الكتاب، ويدل على موضوعه.
  - ٤ - وجهة التعليم ونحوه المستعمل فيه، وبيان الطريق المسلك في تحصيل الغاية المطلوب والمقصود الذي أُلِّف من أجله.
  - ٥ - نوع العلم وموضوعه.
  - ٦ - اسم الواضع للكتاب وهو المؤلف.
  - ٧ - المرتبة، مرتبة الكتاب، وتعيين موضعه في سلسلة تحصيل العلم.
  - ٨ - قسمة الكتاب بالأجزاء، والمقالات والعلامات، إلى ترتيب الكتاب وتبويه، وبيان أقسامه وفصوله.

وأنحاء التعليم في مصطلح قدماء المؤلفين في المدارس القديمة خمسة:

- ١ - التقسيم.
- ٢ - التركيب.
- ٣ - التحليل.
- ٤ - التحديد.
- ٥ - البرهان.

ومن فنون التأليف عند العلماء العرب:

- ١ - الاختصار والتخليص.
- ٢ - الشرح، وهو عدة أقسام منها:

أ) الشرح بقال أقول.

ب) الشرح بقوله قوله.

ج) الشرح المزجي، وهو الشرح الممزوج.

٣ - الحاشية.

٤ - التعليق.

هذا - وإذا صح استعمال كلم (منعطفات) للدلالة على المنجز البارز، والمعطى الأمل فان من

المنعطفات المتميزة في التعليم في التراث:

- ١ - طلب العلم فريضة وواجب.
- ٢ - طلب العلم في الصغر والكبر، من المهد إلى اللحد، من الميلاد إلى الموت.
- ٣ - الرحلة في طلب العلم والسفر من أجل تحصيله.
- ٤ - طلب العلم في الصحة والمرض.
- ٥ - طلب العلم في الإقامة والسفر، في الحاضرة والبادية.
- ٦ - طلب العلم ولو بالمكان النائي والبلد الشاسع والموضع البعيد السحيق.
- ٧ - احترام الأستاذ وإجلاله، وتوقيره وتعظيمه والتواضع له.
- ٨ - تبجيل الأستاذ في الخطاب والجواب والغية والحضور.
- ٩ - الأستاذ هو (الأب الحقيقي والوالد الروحاني).
- ١٠ - الطلب بمنزلة الولد والابن.
- ١١ - الحنو على الطالب والحرص على تعليمه وتهذيبه.
- ١٢ - الصبر على مشقة التعلم وتعب الدراسة.
- ١٣ - تمجيد العقل، وهو دعامة العلم.
- ١٤ - العلم حياة وعماد.

- ١٥ - أهل العلم اقرب الناس من درجة النبوة ، والعلماء ورثة الأنبياء.
- ١٦ - العلماء مصابيح الأرض وخلفاء الأنبياء.
- ١٧ - الجمع بين العلم والعمل والعلم أساس والعمل بناء.
- ١٨ - مكارم الأخلاق ، والخلق وعاء الدين ، وحسن الخلق نصف الدين.
- ١٩ - وضع قواعد التعليم والتعلم.
- ٢٠ - وضع قواعد التأليف.
- ٢١ - استعمال الرموز والعلامات والاختصارات.
- ٢٢ - احترام الكتاب ، والاهتمام بخزائن الكتب.
- ٢٣ - الاهتمام ببناء دور العلم وتأسيس خزائن الحكمة.
- ٢٤ - بذل العلم وانفاقه.
- ٢٥ - تأسيس المدارس.
- ٢٦ - اهتمام المرأة بتأسيس المدارس.
- ٢٧ - وقف الكتب.
- ٢٨ - الاهتمام بصناعة الكتاب.
- ٢٩ - وضع المعاجم.
- ٣٠ - وضع التعريفات والحدود والمواضع والاصطلاحات.
- ٣١ - نقل العلوم وترجمتها.
- ٣٢ - وضع تقاليد التوقيعات التدريسية.

## المصادر والمراجع

للتوثيق والتوضيح والاستشهاد والمقارنة ومزيد المعلومات

## المصادر:

- ١ - مختصر كتاب العالم والمتعلم ، الترمذي (٢٨٠هـ).
- ٢ - منية المريد في أدب المفيد والمستفيد ، الشهيد الثاني (٩٦٦هـ).



- ٣ - تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، ابن جماعة الكناني (٧٣٣هـ).
- ٤ - كتاب آداب المعلمين ، ابن سحنون (٢٥٦هـ) ، تحقيق د. محمود عبد المولى .
- ٥ - مناظرات فخر الدين الرازي ، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ).
- ٦ - الأدب الوجيز للولد الصغير ، ابن المقفع (١٤٣هـ) ترجمة النصير (٦٧٢هـ).
- ٧ - رسائل اخوان الصفا ، اخوان الصفا (اواسط القرن الرابع).
- ٨ - إحياء علوم الدين ، الغزالي (٥٠٥هـ).
- ٩ - أيها الولد ، الغزالي (٥٠٥هـ).
- ١٠ - آداب المتعلمين ، النصير (٦٧٢هـ).
- ١١ - مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون (٨٠٨هـ).
- ١٢ - تحرير المقال ، ابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ).
- ١٣ - تعليم المتعلم طريق التعلم ، الزرنوجي (القرن ٦هـ).
- ١٤ - شرح تعليم المتعلم للزرنوجي (ق٦هـ) ، ابن إسماعيل (+٩٨٢هـ).
- ١٥ - كشف الظنون ، حاجي خليفة (١٠٦٧هـ).
- ١٦ - مفتاح السعادة ، طاشكبرى زاده (٩٦٨هـ).
- ١٧ - المعيد في أدب المفيد والمستفيد ، العلموي (٩٨١هـ).
- ١٨ - الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد ، بدر الدين الغزي (٩٨٤هـ).
- ١٩ - بيان زغل العلم والطلب ، الذهبي (٧٤٨هـ).
- ٢٠ - الشماريخ في علم التاريخ ، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ).
- ٢١ - إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح ، ابن رشيد السبتي الفهري (٧٢١هـ).
- ٢٢ - قفو الأثر في صفو علم الأثر ، التاذني (٩٦٣هـ).
- ٢٣ - بلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب ، السيد محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ).
- ٢٤ - أدب الفتيا ، السيوطي (٩١١هـ).
- ٢٥ - ما لايسع المحدث جهله ، ابو حفص الميانشي (٥٨٣هـ).
- ٢٦ - الاغتيال لمعرفة من رمى بالاختلاط ، سبط ابن العجمي (٨٤١هـ).

- ٢٧ - أسماء المدلسين، السيوطي (٩١١هـ).
- ٢٨ - الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشكبرى زاده (٩٦٨هـ).
- ٢٩ - العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، طاشكبرى زاده (٩٦٨هـ).
- ٣٠ - الخلاصة في أصول الحديث، الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ).
- ٣١ - مجلسان من مجالس الحافظ ابن عساكر في مسجد دمشق، تحقيق محمد مطيع الحافظ.
- ٣٢ - الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ).
- ٣٣ - علوم الحديث، ابن الصلاح (٦٤٣هـ).
- ٣٤ - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الرامهرمزي (٣٦٠هـ).
- ٣٥ - الاماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، القاضي عياض (٥٤٤هـ).
- ٣٦ - الوجيزة، بهاء الدين العاملي (١٠٣٠هـ).
- ٣٧ - معرفة علوم الحديث، الحاكم ابن البيع (٤٠٥هـ).
- ٣٨ - الرحلة في طلب الحديث، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ).
- ٣٩ - تقييد العلم، الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ).
- ٤٠ - الدراية (شرح مختصر في علم دراية الحديث)، الشهيد الثاني (٩٦٦هـ).
- ٤١ - المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، ابن جماعة (٧٣٣هـ).
- ٤٢ - وصول الأخيار الى أصول الأخبار، حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني (٩٨٤هـ).
- ٤٣ - العقد الفريد، ابن عبد ربه (٣٢٧هـ).
- ٤٤ - مروج الذهب، المسعودي (٣٤٦هـ).
- ٤٥ - الاحتجاج، الطبرسي (القرن ٦هـ).
- ٤٦ - الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعمي الدمشقي (٩٢٧هـ).
- ٤٧ - رسالة في اصول الحديث، السيد الشريف الجرجاني (٨١٦هـ).
- ٤٨ - المختصر في علم الأثر، الكافيه جي (٨٧٩هـ).
- ٤٩ - ادب الاملاء والاستملاء، السمعاني (٥٦٢هـ).
- ٥٠ - معجم البلدان، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ).

- ٥١ - معيد النعم ومبيد النقم ، عبد الوهاب السبكي (٧٧١هـ).
- ٥٢ - مكاتبات رشيدى ، رشيد الدين فضل الله (٧١٨هـ).
- ٥٣ - وفيات الأعيان ، ابن خلكان (٦٨١هـ).
- ٥٤ - كامل الصناعة الطبية ، علي بن العباس المجوسي (٣٨٤هـ).
- ٥٥ - القاموس المحيط ، الفيروز ابادي (٨١٦هـ).
- ٥٦ - لسان العرب ، ابن منظور (٧١١هـ).
- ٥٧ - تاج العروس ، السيد محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ).
- ٥٨ - مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (+٦٩١هـ).
- ٥٩ - المصباح المنير ، الفيومي (٧٧٠هـ).
- ٦٠ - أساس البلاغة ، الزمخشري (٥٣٨هـ).
- ٦١ - الموطأ ، مالك (١٧٩هـ).
- ٦٢ - مسند احمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ).
- ٦٣ - صحيح البخاري ، البخاري (٢٥٦هـ).
- ٦٤ - صحيح مسلم ، مسلم (٢٦٠هـ).
- ٦٥ - سنن ابي داوود ، ابو داوود (٢٧٥هـ).
- ٦٦ - سنن الترمذي ، الترمذي (٢٧٩هـ).
- ٦٧ - سنن ابن ماجه ، ابن ماجه (٢٧٣هـ).
- ٦٨ - سنن النسائي ، النسائي (٣٠٣هـ).
- ٦٩ - الكافي ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي (٣٢٩هـ).
- ٧٠ - الروضة ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (٣٢٩هـ).
- ٧١ - من لا يحضره الفقيه ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى الفقيه (٣٨١هـ).
- ٧٢ - الاستبصار ، الشيخ (٤٦٠هـ).
- ٧٣ - التهذيب ، الشيخ (٤٦٠هـ).
- ٧٤ - تحف العقول عن آل الرسول ، ابن ثعلبة البحراني (ق٤هـ).

- ٧٥ - الوسائل ، محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ).
- ٧٦ - نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، الشريف الرضي (٤٠٦هـ).
- ٧٧ - غرر الحكم ودرر الكلم ، الأمدي (٣٧١هـ).
- ٧٨ - اساس الاقتباس ، اختيار الدين بن غياث الدين الحسيني (+٨٩٧هـ).
- ٧٩ - رسالة الحدود ، ابن سينا (٤٢٨هـ).
- ٨٠ - طبقات الامم ، ابن صاعد الاندلسي (٤٦٢هـ).
- ٨١ - معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي (٦٢٥هـ).

### المراجع:

- ١ - تاريخ التربية الإسلامية ، الدكتور أحمد شلبي .
- ٢ - تاريخ علماء المستنصرية ، ناجي معروف .
- ٣ - في التراث العربي ، مصطفى جواد .
- ٤ - دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً ، مصطفى جواد وأحمد سوسة .
- ٥ - التربية عند العرب ، خليل طوطح .
- ٦ - بيت لحكمة ، سعيد الديوه جي .
- ٧ - المستنصرية في التاريخ ، د. محمد جاسم المشهداني ، واسامة النقشبندي .
- ٨ - تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ، عبد الرزاق الهلالي .
- ٩ - المدرسة المستنصرية ، د. حسين أمين .
- ١٠ - مدارس بغداد في العصر العباسي ، د. عماد عبد السلام رؤوف .
- ١١ - مجلة الأستاذ ، كلية التربية .
- ١٢ - المدرسة العلية في بغداد ، د. عماد عبد السلام رؤوف .
- ١٣ - محمد رؤوف العطار ، د. عماد عبد السلام رؤوف .
- ١٤ - نشاط المدارس المستقلة في الإسلام ، ناجي معروف .
- ١٥ - المدرسة المستنصرية في بغداد ، خالد خليل حمودي الأعظمي .

- ١٦ - التعليم في رأي القاسبي ، د. أحمد فؤاد الاهراني.
- ١٧ - المدرسة المستنصرية ، ناجي معروف.
- ١٨ - إلى ولدي ، احمد أمين.
- ١٩ - حياتي ، أحمد أمين.
- ٢٠ - التربية السلامية ومصادره العربية ، عبد الرحيم محمد علي.
- ٢١ - عرض في التعليم التونسي بين القديم والجديد ، د. ابراهيم السامرائي.
- ٢٢ - التربية والتعليم في الإسلام ، سعيد الديوه جي.
- ٢٣ - مدارس واسط ، ناجي معرف.
- ٢٤ - مدارس مكة ، ناجي معروف.
- ٢٥ - التوقيعات التدريسية ، ناجي معروف.
- ٢٦ - ابن الجوزي ونظراته في التربية والتعليم ، جليل رشيد فالح.
- ٢٧ - التعليم في القرن الرابع الهجري ، د. مليحة رحمة الله.
- ٢٨ - تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم ، د. عبد الله فياض.
- ٢٩ - الشرائع العراقية القديمة ، د. فوزي رشيد.
- ٣٠ - فتح العليم في آداب المعلم والعليم ، الداه الشنقيطي الموريتاني.
- ٣١ - آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الإسلامية ، احمد عبد الغفور عطار.
- ٣٢ - المتنبي وسعدي ، د. حسين علي محفوظ.
- ٣٣ - الذريعة ، الرازي.
- ٣٤ - طبقات الاعلام ، الرازي.
- ٣٥ - هدية العارفين إسماعيل باشا البغدادي.
- ٣٦ - الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، دكتور حسين الباشا.
- ٣٧ - الاجازات العلمية عند المسلمين ، د. عبد الله فياض.
- ٣٨ - القوانين في العراق القديم ، د. فوزي ريد.
- ٣٩ - مسلة حمورابي ، د. بهيجة خليل اسماعيل.

- ٤٠ - مقدمة في أدب العراق القديم ، طه باقرز
- ٤١ - مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، طه باقرز
- ٤٢ - تقدم التعليم العالي في العراق ، حسن الدجيلي .
- ٤٣ - معجم مصطلحات توثيق الحديث ، د. علي زوين .
- ٤٤ - الجوامع التركية المشهورة ، نعمت بيراقدار (ترجمة : خالد النوري).
- ٤٥ - تطور التعليم الوطني في العراق ، د. إبراهيم خليل أحمد .
- ٤٦ - ثلاث رسائل في علوم الحديث ، علي حسن علي عبد الحميد .
- ٤٧ - من قضايا التعليم ، مكتبة التربية العربي لدول الخليج .
- ٤٨ - المدارس اليهودية والايروانية في العراق ، د. فاضل البراك .
- ٤٩ - المساجد ، د. حسين مؤنس .
- ٥٠ - دور العرب في تكوين الفكر الأوربي ، عبد الرحمن بدوي .
- ٥١ - الفكر العربي والعالم الغربي يوجين أ. مايرز (ترجمة : كاظم سعد الدين).
- ٥٢ - مبادئ في مناهج البحث العلمي ، فؤاد الصادق .
- ٥٣ - الهند في العهد الإسلامي ، السيد عبد الحي الحسيني .
- ٥٤ - سير فرهنك... ، دكتور عيسى صديق .
- ٥٥ - تاريخ فرهنك... ، دكتور عيسى صديق .
- ٥٦ - علم الحدث ، كاظم مدير شانه جي .
- ٥٧ - اثر الحديث في نشأة التاريخ عند المسلمين ، د. بشار عواد معروف .
- ٥٨ - رسالتان في مصطلح الحديث ، . علي زوين .
- ٥٩ - ضياء الدراية ، السيد ضياء الدين العلامة .
- ٦٠ - المشيخة ، الرازي .
- ٦١ - نهاية الدراية في شرح الوجيزة ، السيد حسن الصدر .
- ٦٢ - الزهر اللطيف في مسلك التأليف ، الشيخ قاسم القيسي .
- ٦٣ - معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة .

- ٦٤ - الاعلام، الزركلي.
- ٦٥ - شمس العرب تسطع على الغرب، زغيريد هونكه (ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي).
- ٦٦ - المدارس الشراعية ببغداد وواسط ومكة، ناجي معروف.
- ٦٧ - علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ناجي معروف.
- ٦٨ - أصالة الحضارة العربية، ناجي معروف.
- ٦٩ - موجز تاريخ الحضارة العربية، ناجي معروف، وعبد العزيز الدوري.
- ٧٠ - تاريخ نظم ونثر، سعيد نفيسي.
- ٧١ - المدارس الإسلامية في اليمن، إسماعيل بن علي الأكوخ.
- ٧٢ - المكتبات في الإسلام، محمد ماهر حمادة.
- ٧٣ - خزائن الكتب القديمة في العراق، كوكيس عواد.
- ٧٤ - الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دكتور حسن الباشا.
- ٧٥ - تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، أحمد سبن شرف الدين.
- ٧٦ - لكنى والألقاب، الشيخ عباس بن محمد رضا.
- ٧٧ - ربحانة الأدب، محمد علي مدرس.
- ٧٨ - كتاب الأعيان، السيد محسن الأمين الحسيني العاملي.
- ٧٩ - تاريخ الحضارة الإسلامية، ف يار تولد، (ترجمة حمزة طاهر).
- ٨٠ - معجم مطبوعات العربية والمعرية، يوسف البان سر كيس.
- ٨١ - التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، الشيخ منصور علي ناصف.
- ٨٢ - مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية، السيد احمد الهاشمي.
- ٨٣ - فتح الرحمن لطالب آيات القرآن، علي زاده فيض الله الحسيني المقدسي.
- ٨٤ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ونسك.
- ٨٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي.

٨٦ - شعر دعبل بن علي الخزاعي، دعبل بن علي الخزاعي (٢٤٦هـ)، تحقيق د. عبد الكريم الاشتي.

٨٧ - دليل الاغارب على علم الكتب وفن المكاتب، يوسف اسعد داغر.

٨٨ - مقالة تحفظ علوم قديمة، سيد هاشم ندوي.

٨٩ - مقالة تاريخية، دائرة المعارف العثمانية.

٩٠ - تصنيف لعلوم والمعارف، الدكتور يوسف العش.

### من أعمال الدكتور حسين علي محفوظ في الموضوع:

١ - صورة الأستاذ في التراث.

٢ - الأستاذ في التراث.

٣ - الأستاذ الفاضل في التراث.

٤ - التقاليد الجامعية بين الاصاله والاقتباس.

٥ - جامعة بغداد وارثة مدارس بغداد وأم الجامعات في العراق.

٦ - تقويم جامعة بغداد.

٧ - تقويم الجامعة المستنصرية.

٨ - سجل المدارس في العراق.

٩ - سجل المدارس في تاريخ الإسلام.

١٠ - الأستاذ وبغداد بين التراث والمعاصرة.

١١ - الطفل والمعلم والتربية في التراث العربي.

١٢ - مناهج المؤلفات العربية في التربية والتعليم.

١٣ - نظرة الى الطفل في التراث العربي.

١٤ - صورة الأستاذ في التراث وضرورة استلهاه المثل الأعلى من التراث في اعداد الاستاذ

العربي ورسم آداب التعلم والتعليم.

١٥ - مجمع الاجازات.



- ١٦ - مطالعاتي .
- ١٧ - مقالات ودراسات .
- ١٨ - نقول .
- ١٩ - نص مغمور في التحقيق والتعليق والتصحيح والتخريج والكتابة والضبط .
- ٢٠ - فصول في علم المخطوطات .
- ٢١ - التلميذ الوفي صورة حية جديدة للأستاذ .
- ٢٢ - التعليم العالي في مكتبة التراث .
- ٢٣ - الاهتمام بالطالب بين التراث والمعاصرة .
- ٢٤ - التعليم العالي وجامعة بغداد والأستاذ .
- ٢٥ - احترام الأستاذ قصة مكررة معادة ذات بداية .
- ٢٦ - المعلم: العظيم الكريم المعطاء الفياض المتواضع المغمور، ننحني كلنا جميعا في حضرته،  
ونتواضع كلنا جميعا له .
- ٢٧ - صورة الأستاذ .
- ٢٨ - العالم والأستاذ .
- ٢٩ - يوم الجامعة .
- ٣٠ - الألقاب العلمية والثقافية وما يتعلق ويتصل بها .
- ٣١ - آداب التعليم والتعلم في التراث العربي .
- ٣٢ - الطالب في التراث العربي .
- ٣٣ - التعليم في التراث العربي .
- ٣٤ - المدارس والمجالس والحلقات .
- ٣٥ - أصول التعليم في التراث العربي .
- ٣٦ - مكتبة التعليم العالي في التراث العربي .
- ٣٧ - أصول التعليم العالي في التراث العربي .
- ٣٨ - مجالس .

- ٣٩ - المساجد.
- ٤٠ - العمارات والمباني (محاضرات ودراسات وأبحاث ومقالات).
- ٤١ - مدارس بلاد الروم.
- ٤٢ - مدارس بلاد الهند.
- ٤٣ - إحصاء المدارس في التراث.
- ٤٤ - الرحلة في طلب العلم.
- ٤٥ - المنعطفات المتميزة في التعليم عند العرب.

# خصائص الإدارة

عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

د. محسن باقر القزويني

### خصائص الإدارة عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

يمتاز الفكر الإداري عند الإمام علي عليه السلام بمبادئه وتماشكه واستناده إلى قواعد منطقية رصينة ، فجاء هذا الفكر متميزاً بخصائص قد لا يظفر بها أي مفكر إداري غربي . فهو فكر إنساني لأنه ينظر إلى الإدارة بنظرة إنسانية ، فالذي يتحرك في أفق الإدارة هو الإنسان وليس الآلة ، كما وأن نظرة الإمام إلى المؤسسة الإدارية ؛ إنها مجتمع مصغر تتضامن فيه جميع المقومات الاجتماعية ، كما وأن نظره إلى الاداة ؛ أنها جهاز منظم وليس خليطاً من الفوضى ، وأن لهذا الجهاز هدفاً سامياً فالتنظيم لم يوجد عبثاً ، بل من أجل تحقيق أهداف كبيرة في الحياة .

استناداً إلى هذه الرؤية الشمولية عند أمير المؤمنين عليه السلام فإن الإدارة هي كيان حي ينبض بالحياة فهي متصفة بالصفة الانسانية والصفة التنظيمية والصفة الجماعية والصفة الهدفية . فهي إذن كيان إجتماعي حي يعيش في وسط المجتمع يسعى من أجل أهداف كبيرة في الحياة . وسنأتي على توضيح أهم تلك الصفات فيما يأتي :

#### أولاً: الصفة الإنسانية

يمتاز فكر الامام أمير المؤمنين عليه السلام بالتناسق والتعاقد لأن رؤيته للحياة رؤية شاملة لكل أبعادها وأركانها وأجزائها .

فالالاقتصاد متداخل مع السياسة وهما يعتمدان على الإدارة ، فإذا ما تتبعنا حلقات فكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لوجدنا أنها تستمد من رؤيته الثابتة عن الإنسان ، طبيعته ، وأساليب رقيه ،

مشاكله وكيفية مواجهته لها، فكان لأبدٍ من عرض رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الإنسان قبل أن نستعرض نظريته في الإدارة. ذلك لأن الإدارة في المنظور الإسلامي ليست أدوات صماء، بل هي تقوم على أكتاف البشر، والبشر فيهم عوامل قوة وعوامل ضعف. وبقدر تفعيل عوامل الخير وتحريك الطاقات الكامنة في البشر تتقدم المؤسسات والمشاريع وهي بأجمعها رهن الإدارة الجيدة. فالمدبر الجيد هو الذي يعرف طبيعة الناس الذين يتعامل معهم، ويعلم ما الذي يُحركهم؟ وماذا يثبّط عزائمهم؟ يعرف متى يتقدمون ومتى يتأخرون؟ وما من نظرية إدارية إلا وهي قائمة على رؤية أصحاب هذه النظرية إلى الإنسان، فالرأسمالية الاحتكارية التي تنظر إلى الإنسان ككتلة من اللحم الصماء تتعامل معه بطريقة خاصة تقوم على هذه الرؤية، فهي لا تُعير أهمية للمحفزات المعنوية التي تدفع بالإنسان إلى الأمام عشرة أضعاف المحفزات المادية. إذن النظرية الإدارية المتكاملة هي التي تبدأ أولاً بالإنسان.. ماهيته، وممّ يتكون، وكيف يتعامل مع الحياة؟ وماهي مشاكله وكيف يتقدم؟ وماهو السبيل إلى توجيهه الوجهة الصحيحة؟.

### ماهو الإنسان وكيف خلق؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه لخلق الإنسان: ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبّخها ثرية سنّها بالماء حتى خلصت، ولا طها بالبلّة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول: أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت لوقتٍ معدود، وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثّلت إنساناً ذا أذهان يُجيلها، وفكرٍ يتصرفُ بها، وجوارحٍ يَتَدِمُّها، وأدوات يُقَلِّبُها، ومعرفة يفرقُ بها بين الحقِّ والباطل، والأذواق والمشام والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاق المتباينة، من الحرِّ والبرِّ، والبلّة والجُمود<sup>١</sup>.

فالإنسان هو قبضة من طين الأرض من السهل والسهج، ونفخة من روح الله، وهذه النفخة هي التي جعلت منه إنساناً، هي التي منحت القدرة على التفكير والقدرة على الحركة والقدرة على

<sup>١</sup> باب الخطب رقم (١) يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض.

التمييز، فأخذ يُفكر لحياته وحياة أبنائه، وأخذ يتحرك من وحي تلك الفكرة التي توصل إليها، وأخذ يُميز الحق عن الباطل.

ولولا تلك النفخة العلوية لظلت أطرافه بلا حركة، ولظلّ لسانه بلا إحساس للأذواق، ولظلّ أنفه غير قادر على تحسس الروائح، ولظلت عينه غير قادرة على تمييز الألوان.

إذن الإنسان هو روحٌ وجسد، فالروح هي من آثار تلك النفخة العلوية والجسد من الطين الذي صُنِعَ منه كل البشر، وإلى هذا المعنى يُشير أمير المؤمنين عليه السلام في قوله عن أولياء الله: **وَصَحَبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقةٌ بِالْحُلِّ الْأَعْلَى**.<sup>٢</sup>

فهي معلقة بالحل الأعلى لأنها في الأصل مستمدة من تلك النفخة العلوية أما الأبدان فهي ليست إلا أوعية للأرواح.

### الإنسان عقل وهوى

وينشأ عن هذه النفخة نورٌ يهتدي به الإنسان طريقه في الحياة وهذا النور هو العقل.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **الإنسان بعقله**.<sup>٣</sup> ويقول: **العقل فضيلة الإنسان**.<sup>٤</sup>

ومنتهى كمال الإنسان عندما يكتمل عنده العقل، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **كمال الإنسان العقل**.<sup>٥</sup> ويقول أيضاً: **إن أغنى الغنى العقل**.<sup>٦</sup> ويقول أيضاً: **لا غنى كالعقل**.<sup>٧</sup>

وكان من مسؤولية الإنسان أن يُنشِط عقله، ففي وصفه عليه السلام للسالك إلى الله: **قد أحيا عقله، وأمات نفسه**.<sup>٨</sup>

<sup>٢</sup> الغرر ٢١٤/٦.

<sup>٣</sup> الغرر ٦١/١.

<sup>٤</sup> الغرر ٦٧/١.

<sup>٥</sup> الغرر ٦٣١/٤.

<sup>٦</sup> قصار الكلمات رقم ٣٨.

<sup>٧</sup> قصار الكلمات رقم ٥٤.

<sup>٨</sup> باب الخطب رقم ٢٢٠.

وعندما يزول العقل يتحوّل الإنسان إلى جسدٍ ميت : أيها القوم الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم<sup>٩</sup>.

ويضرب الإمام لنا مثلاً مُجسداً عن أهمية العقل في توجيه الإنسان، يقول الإمام لمعاوية بن أبي سفيان ؛ يا معاوية لئن نظرت بعقلك.. لتجدني أبرأ الناس...<sup>١٠</sup>.

وإذا غاب العقل إستولى مكانه الهوى، يقول الإمام: آفة العقل الهوى<sup>١١</sup>. ولا عقل مع الهوى<sup>١٢</sup>.

ويقول عن معاوية: قد دعاه الهوى فأجابه<sup>١٣</sup>. وهذا هو الشقي؛ الشقي في الدنيا، وهي شقيّ لنفسه ولغيره أيضاً: والشقي من الخدع لهواه وغروره<sup>١٤</sup>. وأكثر فتن التاريخ مصدرها إتباع الحكام لأهوائهم. يقول الامام أمير المؤمنين: إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تُبتدع<sup>١٥</sup>. ويُفسّر الإمام الانحراف التاريخي الذي أدى إلى إنحراف الناس: هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى<sup>١٦</sup>.

فأين كانت العقول يوم حكمت الأهواء البلاد؟.. إنها كانت أسيرة مثلما كان الدين أسيراً. وكم من عقل أسير تحت هوى أمير<sup>١٧</sup>.

<sup>٩</sup> باب الخطب رقم ٩٧.

<sup>١٠</sup> باب الكتب والرسائل رقم ٦.

<sup>١١</sup> الغرر ١٠١/٣.

<sup>١٢</sup> الغرر ٣٦٣/٦.

<sup>١٣</sup> باب الكتب و الرسائل رقم ٧.

<sup>١٤</sup> باب الخطب رقم ٨٦.

<sup>١٥</sup> باب الخطب رقم ٥٠.

<sup>١٦</sup> باب الكتب والرسائل رقم ٥٣.

<sup>١٧</sup> الكلمات القصار رقم ٢١١.

وما هو الحل؟؟ الحل أن يتمردّ العقل على الاغلال وأن يقف بقوة بوجه الهوى مقاتلاً صلباً.. يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام: إذا وقع الأمر بفصل القضاء (وخسر هنالك المبطلون) شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى، وسلم من علائق الدنيا<sup>١٨</sup>.

وهنا العقل سيظهر سيف الوعي ضد ظلام الهوى، ويدخل معه في حرب لا هوادة فيها. يقول أمير المؤمنين عليه السلام العقل حُسامٌ قاطع، فاسترخل خُلُقُك بِحِلْمِكَ، وقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ<sup>١٩</sup>. فالعقل سيفٌ.. وهو سيفٌ بتار يقطع كل إنحرافٍ إذا ما استطاع الإنسان حملهُ وشهره. ولابد من مقاتلة الهوى لأنه العدو الأول الذي يمنع الإنسان عن التقدم، ويدفع به إلى الوراء، ويتركه في الظلام الدامس يلقي مصيره المؤلم. وقد مثل أمير المؤمنين عليه السلام صراع العقل والهوى بمعركة وقعت بين جيشين فيقول: الهوى قائد جيش الشيطان<sup>٢٠</sup>.

فامتلاك العقل ينتج عن مخالفة الهوى. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: مخالفة الهوى شفاءُ العقل<sup>٢١</sup>. ويقول أيضاً: ثمرة العقل مقت الدنيا وقمعُ الهوى<sup>٢٢</sup>. فهناك علاقة متينة بين الهوى وحب الدنيا. ومنشأ هذه العلاقة: مَنْ أطاعَ هواه باع آخرته بدنياء<sup>٢٣</sup>. إذن العقل والهوى في حالة معاكسة دائماً. طاعة الهوى تُفسد العقل<sup>٢٤</sup>.

الهوى عدو العقل<sup>٢٥</sup>.

الهوى ضد العقل<sup>٢٦</sup>.

<sup>١٨</sup> كتابه إلى شريح قاضيه رقم ٣.

<sup>١٩</sup> قصار الكلمات رقم ٤٢٤.

<sup>٢٠</sup> الغرر ١٣٧/٢.

<sup>٢١</sup> الغرر ١٣٠/٦.

<sup>٢٢</sup> الغرر ٣٣٤/٣.

<sup>٢٣</sup> الغرر ٢٧٩/٥.

<sup>٢٤</sup> الغرر ٢٤٩/٤.

<sup>٢٥</sup> الغرر ٦٨/١.

<sup>٢٦</sup> الغرر ٢٥٨/١.



فهما لا يجتمعان في إنسان أبداً، بل هما في صراع دائم حتى يتغلب أحدهما على الآخر. لذا خاطب أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه قائلاً لهم:

إياكم وتمكن الهوى منكم<sup>٢٧</sup>.

ويقول أيضاً: إسترشد العقل وخالف الهوى تنج<sup>٢٨</sup>.

وتتري التعليمات والوصايا..

إملك عليك هواك<sup>٢٩</sup>.

إنك إن أطعت هواك أصمك وأعماك<sup>٣٠</sup>.

قاتل هواك بعقلك تملك رشدك<sup>٣١</sup>.

ثم يقول: قاتل هواك بعلمك<sup>٣٢</sup> لأن العلم هو ثمرة العقل، فالإمام يضع الإنسان أمام أقسى عدو لا يمكن السكوت حياله.

هواك أعدى عليك من كل عدو فاغلبه وإلا أهلكك<sup>٣٣</sup>. وأمام دغدغات الهوى التي تسابقه إلى

عمل المنكرات، عليه أن يسوّف الهوى، ولا يتعجل في تنفيذ رغباته لأن فيه الهلاك، يقول الإمام: كن لعقلك مسعفاً ولهواك مسوفاً<sup>٣٤</sup>.

### مصدر الفضائل والردائل

يعتبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العقل مصدر كل الفضائل:

<sup>٢٧</sup> الغرر ٣٢٥/٢.

<sup>٢٨</sup> الغرر ١٨٤/٢.

<sup>٢٩</sup> الغرر ١٩٩/٢.

<sup>٣٠</sup> الغرر ٥٦/٣.

<sup>٣١</sup> الغرر ٤٩٩/٤.

<sup>٣٢</sup> الغرر ٥١٣/٤.

<sup>٣٣</sup> الغرر ٢١٣/٦.

<sup>٣٤</sup> الغرر ٦١٣/٤.

العقل فضيلة الإنسان<sup>٣٥</sup>.

العقل ينبوع الخير<sup>٣٦</sup>.

العلم مصباح العقل وينبوع الفضل<sup>٣٧</sup>.

ولما كان العقل هو أصل العلم كما ورد في كلام الإمام<sup>٣٨</sup> فهو ينبوع الفضل أيضاً.

والأدب أحد الفضائل المهمة في الإنسان وأساسه العقل.

الأدب في الإنسان كشجرة أصلها العقل<sup>٣٩</sup>.

والتواضع أحد الفضائل وهو رأس العقل كما ورد في الغرر<sup>٤٠</sup>.

والسخاء وهو أحد الفضائل أيضاً ثمرة العقل كما في الغرر<sup>٤١</sup>.

والحلم أحد الفضائل وهو الآخر ناتج عن وفور العقل: بوفور العقل يتوفر الحلم<sup>٤٢</sup>.

والعلاقة بين العدل والعقل علاقة وطيدة تُبينها هذه العبارة الرائعة: من علامات العقل العمل

بسنة العدل<sup>٤٣</sup>.

والحكمة هي عصارة الفضائل منبعها العقل يقول أمير المؤمنين عليه السلام: بالعقل يُستخرج غور

الحكمة<sup>٤٤</sup>.

والإعتبار بالأحداث وهو أحد الفضائل أساسه أيضاً العقل: من قوى عقله أكثر الاعتبار<sup>٤٥</sup>.

<sup>٣٥</sup> الغرر ١/٦٥.

<sup>٣٦</sup> الغرر ١/١٧٣.

<sup>٣٧</sup> الغرر ٢/٧.

<sup>٣٨</sup> الغرر ٢/٩١.

<sup>٣٩</sup> الغرر ٢/١٠٩.

<sup>٤٠</sup> الغرر ٢/١٥١.

<sup>٤١</sup> الغرر ٢/١٥١.

<sup>٤٢</sup> الغرر ٣/٢٢١.

<sup>٤٣</sup> الغرر ٦/٢٤.

<sup>٤٤</sup> الغرر ٣/٢٠٤.

<sup>٤٥</sup> الغرر ٥/٢٦٩.

والمروءة هي إحدى الفضائل التي يتبارى على التمسك بها الرجال وهي تستند أيضاً إلى العقل : مروءة الرجل على قدر عقله<sup>٤٦</sup>.

والفكر هو الآخر من مكتسبات العقل يقول الامام : الفكر جلاء العقول<sup>٤٧</sup>.  
فالفكر، الأدب، العلم، التواضع، الحلم، السخاء، العدل، الحكمة، الاعتبار، والمروءة كلها فضائل تجدها عند العاقل.

أما الجاهل الذي يتبع هواه فماذا تجد عنده؟

سبب كل المحن ؛ الهوى أَسُّ المحن<sup>٤٨</sup>.

عامل كل فتنة ؛ الهوى مطية الفتنة<sup>٤٩</sup>.

سبب الارتباك في الحياة ؛ لا تتبع الهوى ؛ فمن تبع هواه إرتبك<sup>٥٠</sup>.

سبب الهلاك ؛ مَنْ أطاع هواه هلك<sup>٥١</sup>.

سبب الزلل ؛ مَنْ ركب هواه زل<sup>٥٢</sup>.

سبب لفساد النفس ؛ فساد النفس الهوى<sup>٥٣</sup>.

سبب عدم الاخلاص ؛ كيف يستطيع الاخلاص مَنْ يغلبه الهوى<sup>٥٤</sup>.

سبب الضلال ؛ مَنْ ملكه هواه ضل<sup>٥٥</sup>.

<sup>٤٦</sup> الغرر ١٢٨/٦.

<sup>٤٧</sup> الغرر ٢٣٢/١.

<sup>٤٨</sup> الغرر ٢٦٢/١.

<sup>٤٩</sup> الغرر ٢٧٦/١.

<sup>٥٠</sup> الغرر ٢٩٦/٦.

<sup>٥١</sup> الغرر ١٤٦/٥.

<sup>٥٢</sup> الغرر ٢٠٢/٥.

<sup>٥٣</sup> الغرر ٤١٧/٤.

<sup>٥٤</sup> الغرر ٤٧٥/٤.

<sup>٥٥</sup> الغرر ١٣٧/٥.

سبب العمى والصمم والذُّل ؛ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ أَعْمَاهُ وَأَصْمَاهُ وَأَذَلَهُ وَأَضْلَهُ<sup>٥٦</sup> .  
سبب الظلم ؛ مَنْ نَظَرَ بَعِينَ هَوَاهُ إِفْتَقَنَ وَجَارَ<sup>٥٧</sup> .

### الدنيا والآخرة

الدنيا هي ميدان الانسان فهو يستطيع أن يحولها إلى منبع للخير، أو مصدر للشر، فعن الذين حولوها إلى ميدان للخير يقول الامام : إنَّ لِلدُّنْيَا رَجَالًا لَدَيْهِمْ كَنُوزٌ مَذْخُورَةٌ مَذْمُومَةٌ عِنْدَكُمْ مَذْخُورَةٌ ، يَكْشِفُ بِهِمُ الدِّينَ كَشْفَ أَحَدِكُمْ رَأْسَ قَدْرِهِ وَيَلْوِذُونَ كَالْجَرَادِ فِيْهِ لَكُونُ جَابِرَةَ الْبِلَادِ<sup>٥٨</sup> .  
فهؤلاء الرجال إستفادوا من الدنيا وصمموا على الجهاد لاقامة حكم المستضعفين في الأرض .  
يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

إنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَّقَهَا ، وَدَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهَمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غَنَى لِمَنْ تَزَوَّدَ فِيْهَا ، وَدَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا<sup>٥٩</sup> .

فخيرها متعلق بالموقف منها ؛ فهي تكون طوع إرادة من حولها إلى الخير ، فمن فهمها يعيش فيها بعافية ، ومن تزود منها أغنته لأنها تكدس نِعَمًا كثيرة يمكن الاستفادة منها . وهي في الوقت ذاته مدرسة لمن أراد الموعظة والعبرة من حوادثها . أما من أرادها للشر فهي طوع يمينه أيضاً .  
يقول الامام : إنَّ الدُّنْيَا يُؤْنَقُ مَنَظَرُهَا وَيُؤَبِّقُ خَبَرُهَا ، قَدْ تَزِينَتْ بِالْغُرُورِ وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا ، دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا ، فَخُلِطَ حَالُهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرُهَا بِشَرِّهَا وَحُلُوهَا بِمُرِّهَا<sup>٦٠</sup> .  
أما مظهرها فهي حلوة نضرة حُفَّتْ بالشهوات ، وهي كالحية لين مسها قاتل سمها .  
فهي إذن ميدان للاختيار ودارٌ يمتحن فيها الإنسان فإن وقفَ منها موقف الخير فاز بها ، وإذا وقف منها موقف الشر خسرها وخسر كل شيء : الدُّنْيَا دَارُ مِحْنٍ ، وَدَارُ الْبَلَاءِ مَعْرُوفَةٌ<sup>٦١</sup> .

<sup>٥٦</sup> الغرر ٥/٤٦٥ .

<sup>٥٧</sup> الغرر ٥/١٣٧ .

<sup>٥٨</sup> الغرر ٢/٦٥٥ .

<sup>٥٩</sup> الغرر ٢/٦٥٢ .

<sup>٦٠</sup> الغرر ٢/٦٥١ .

فعلى الانسان أن لا يرغب فيها رغبة واله، وأن لا يجعلها كل همه وأن لا يصبو إليها كهدف في حياته، لأنها سريعة التحول، كثيرة التقلُّل، شديدة الغدر، دائمة المكر.

لذا جاءت وصية أمير المؤمنين عليه السلام: **خذ من قليل الدنيا ما يكفيك**<sup>٦١</sup>.  
لأنه مخلوقٌ لشيءٍ آخر، ولأنها مخلوقةٌ لأمرٍ آخر أيضاً.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيهم أحسن عملاً، ولنا للدنيا خلقنا**<sup>٦٢</sup>.

ففي هذا النص يُبين لنا أمير المؤمنين عليه السلام الهدف من خلق الدنيا والهدف من خلق الانسان، فالدنيا مخلوقة للآخرة، والانسان مخلوق ليمتحنه الله ليعلم حسن عمله عن سيئه.

ويوضح الإمام ذلك بصورة أكثر في هذا النص: **إن الدنيا لم تُخلق لكم دار مقام ولا محل قرار وإنما جعلت لكم مجازاً لتزودوا منها الأعمال الصالحة لدار القرار، فكونوا فيها على أوفاز ولا تتخذ عنكم منها العاجلة، ولا تغرنكم فيها الفتنة**<sup>٦٣</sup>.

وبعد أن حدّد الله سبحانه وتعالى الهدف من خلق الحياة والانسان ظهر أمامنا موقفان: إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظَرَ الناسُ إلى ظاهرها، واشتغلوا بأجلها إذا اشتغلَ الناس بعاجلها<sup>٦٤</sup>.

فهناك دائماً غطان من البشر؛ نمط يجعل الدنيا هدفاً له، فينغمس فيها حتى يفرق، ونمط يجعل الدنيا وسيلة للآخرة.

فماذا عن الآخرة التي خلقنا من أجلها: **إنكم إنما خلقتُم للآخرة لا للدنيا وللبقاء لا للفناء**<sup>٦٥</sup>.

<sup>٦١</sup> الغر ٢/٢٣٧.

<sup>٦٢</sup> الغر ٣/٢٢٧.

<sup>٦٣</sup> الغر باب الخطب رقم ٥٥.

<sup>٦٤</sup> ٢/٦٦٢.

<sup>٦٥</sup> قصار الكلمات رقم ٤٣٠.

<sup>٦٦</sup> الغر ٣/٦٦.

مرارة الدنيا حلاوة الآخرة<sup>٦٧</sup>.

غاية الآخرة البقاء<sup>٦٨</sup>.

والآخرة فوز السعداء<sup>٦٩</sup>.

الدنيا تضرُّ والآخرة تسرُّ<sup>٧٠</sup>.

الدنيا أمد الآخرة أبد<sup>٧١</sup>.

فإذا كانت الآخرة حلوة وهي باقية، وتسرُّ، وفيها ينال الانسان سعاده، إذا كانت هكذا؟ فلماذا لا يعمل الانسان من أجلها؟ فهو عرضة دائماً لجذب الدنيا التي تحاول أن تشغله عن الآخرة، فالانسان بين الدنيا والآخرة بين جذبٍ وتنافرٍ، وقد مثَّل الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام حيرة الإنسان بين الدنيا والآخرة كحيرة المتزوج بزوجتين، يقول في ذلك: إن مثل الدنيا والآخرة كرجلٍ له امرأتان إذا أرضى إحداهما أسخط الأخرى<sup>٧٢</sup>.  
فكيف السبيل إلى غلبة الآخرة على الدنيا؟

### التقوى

التقوى في تعريفات الشرع: «حِفْظُ النفس عما يُؤْثِم، وذلك بترك المحظور ويتم ذلك بترك بعض المباحات»<sup>٧٣</sup>.  
ولن نتحقق التقوى إلا بخطة تدريجية،

<sup>٦٧</sup> الغرر ٦/١٤٠.

<sup>٦٨</sup> الغرر ٤/٣٧٠.

<sup>٦٩</sup> الغرر ١/١٨٣.

<sup>٧٠</sup> الغرر ١/٤٥.

<sup>٧١</sup> الغرر ١/١٠.

<sup>٧٢</sup> الغرر ٢/٥٣٨.

<sup>٧٣</sup> الراغب الاصفهاني: المفردات، ص ٥٣٠.

الخطوة الأولى: يقلل من يريد التقوى إهتمامه بالدنيا يقول الامام: خذ من قليل الدنيا مايكفيك<sup>٧٤</sup>.

الخطوة الثانية: الإكثار من العمل الصالح؛ والعمل الصالح حرثُ الآخرة<sup>٧٥</sup>.  
ويقول أيضاً: ثقلوا موازينكم بالعمل الصالح<sup>٧٦</sup>.

الخطوة الثالثة: عقد صفقة تجارية بين الدنيا والآخرة، يقول اميرالمؤمنين عليه السلام: الأعمال في الدنيا تجارة الآخرة<sup>٧٧</sup>. أربح الناس من إشتري بالدنيا الآخرة<sup>٧٨</sup>.

وهو يستخدم ما حصل عليه في الدنيا لشراء الآخرة، ومنه المال، يقول الإمام عليه السلام: أزكى المال ما اشتري به الآخرة<sup>٧٩</sup>. وستكون تجارته رابحة لأنه سيربح الدنيا والآخرة معاً.

من ابتاع آخرته بدنياه ربهما<sup>٨٠</sup>

ويقول أيضاً: الرابع من باع الدنيا بالآخرة<sup>٨١</sup>. فهو لن يخسر شيئاً عندما يضع هدفه الأول - الآخرة - يقول في ذلك: من أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه<sup>٨٢</sup>. فالمطلوب منه هو التقوى لأنه لم يخلق عبثاً، يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: أيها الناس إتقوا الله فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو ولا يترك سدىً فيلغو<sup>٨٣</sup>.

فهذا النص يلخص لنا العلاقة بين التقوى وبين الدنيا والآخرة، وبينهما وبين الهدف من الخلقة.

<sup>٧٤</sup> الغرر ٤٤١/٣.

<sup>٧٥</sup> الغرر ٦٢/٢.

<sup>٧٦</sup> الغرر ٣٥٠/٣.

<sup>٧٧</sup> الغرر ٢٧٦/١.

<sup>٧٨</sup> الغرر ٤١٣/٢.

<sup>٧٩</sup> الغرر ٤٠٧/٢.

<sup>٨٠</sup> الغرر ٢٥٧/٥.

<sup>٨١</sup> الغرر ٧٠/٢.

<sup>٨٢</sup> الغرر ٣٧٣/٥.

<sup>٨٣</sup> قصار الكلمات: ٣٤٠.

وهذه النقلة من حُبِّ الدُّنيا إلى حُبِّ الآخرة هي التقوى: فملاك التقى رفض الدُّنيا<sup>٨٤</sup>.  
 فماذا تعني التقوى عند أمير المؤمنين عليه السلام؟  
 يقول الامام: التقوى اجتناب<sup>٨٥</sup>.  
 وماذا يحصل لو أخذ المؤمن بالتقوى؟  
 يعدد الامام نتائج التقوى.  
 التقوى أزكى زراعة<sup>٨٦</sup>.  
 التقوى رأس الحسنات<sup>٨٧</sup>.  
 التقوى رئيس الأخلاق<sup>٨٨</sup>.  
 التقوى مفتاح الصلاح<sup>٨٩</sup>.  
 التقوى ظاهره شرف الدنيا [هذا في الدنيا أما في الآخرة] وباطنه شرف الآخرة<sup>٩٠</sup>.

### المتقون

وصل بنا مسار البحث حول رؤية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الانسان إلى المتقين، فمن هم المتقون؟  
 يتصف المتقون بهذه الصفات:  
 الورع؛ الورع شعار الأتقياء<sup>٩١</sup>.

<sup>٨٤</sup> الغرر / ١١٧.

<sup>٨٥</sup> الغرر / ٥٣.

<sup>٨٦</sup> الغرر / ١٦١.

<sup>٨٧</sup> الغرر / ١٨٨.

<sup>٨٨</sup> الغرر / ١٩٤.

<sup>٨٩</sup> الغرر / ٢٣٣.

<sup>٩٠</sup> الغرر / ١٠٦.

<sup>٩١</sup> الغرر / ١٥٦.



القناعة ؛ القناعة علامة الأتقياء<sup>٩٢</sup> .

السخاء ؛ إن الأتقياء كل سخي متعفف محسن<sup>٩٣</sup> .

لا طريق للحسد ؛ ليس الحسد من خلق الأتقياء<sup>٩٤</sup> .

التزكية ؛ المتقون أعمالهم زاكية<sup>٩٥</sup> .

ذرف الدموع خشية ؛ وأعينهم باكية<sup>٩٦</sup> .

الخوف من الله ؛ وقلوبهم وجللة<sup>٩٧</sup> .

الزهد ؛ الزهد شيمة المتقين<sup>٩٨</sup> .

سهر الليل ؛ سهر الليل شعار المتقين<sup>٩٩</sup> .

ذكر الله ؛ ذكر الله شيمة المتقين<sup>١٠٠</sup> .

### علامات المتقين

للمتقي ثلاث علامات : إخلاصُ العمل ، وقصرُ الأمل ، واغتنامُ المهل<sup>١٠١</sup> .

فأولاً : إخلاصُ العمل .. ومعناه الصدق أثناء العمل .

ثانياً : قصرُ الأمل ، ومعناه ترجمة عمله إلى واقع وإلى برنامج زمني مرحلي .

<sup>٩٢</sup> الغرر ١/١٦٥ .

<sup>٩٣</sup> الغرر ٢/٤٩١ .

<sup>٩٤</sup> الغرر ٥/٧٣ .

<sup>٩٥</sup> الغرر ٢/٩٢ .

<sup>٩٦</sup> الغرر ٢/٣٢ .

<sup>٩٧</sup> الغرر ٢/٩٢ .

<sup>٩٨</sup> الغرر ٢/٣٢ .

<sup>٩٩</sup> الغرر ٤/١٤٠ .

<sup>١٠٠</sup> الغرر ٤/٢٩ .

<sup>١٠١</sup> الغرر ٥/٤٧ .

ثالثاً إغتنام المهل: « والمهل هو التؤدة والسكون »<sup>١٠٢</sup>. وهي حالة في منتهى الفضيلة لا يبلغها إلا من ربي نفسه تربية قاسية بحيث لا ينفعل حين وقوع المشكلة ولا يضطرب ولا يقلق عند وقوع حدث ما يستدعي منه التفكير والحل.

وهنا نلتقي بموضوع هذه الدراسة، هنا يُصافح بحث الانسان مبحث الادارة، فالانسان الذي يترقبه أمير المؤمنين عليه السلام وتترقبه الرسالة الاسلامية هو من يخلص العمل، ويقصر الأمل ويغتنم المهل، وهو الانسان الذي يصلح للعمل الاداري سواء كان مُديراً أو عاملاً.

وهذا الإنسان لم يأت من فراغ، فلو تتبعنا عملية بنائه لوجدنا أنه في بداية أمره كان عقلاً وهوى، فقاتل عقله هواه فانتصر عليه عندما عرف أن الله لم يخلقه للدنيا بل خلقه للآخرة، وأنه تحت الرقابة الدائمة، لأنه في حالة إمتحان متواصل، إمتحان الوعي والارادة. فهل استخدم وعيه بصورة سليمة؟

هل أنه عرف الغاية من خلقه والغاية من خلق الدنيا؟ وهل إنه استخدم إرادته في مكانها؟ هل استخدمه في هدف دنيوي أم أخروي؟ وعندما تغلب عقله على هواه وانتصرت الآخرة على الدنيا (كهدف مطلق) فاضت الفضائل من جوانبه وإنحسرت الرذائل التي هي نبع الهوى.. ماذا كانت نهاية هذا الانسان؟ كانت نهايته كبدايته، عندما خلقه الله وفطره على حب الخير. أصبح لدينا الآن إنسان يغلب العقل على الهوى، ويقدم الآخرة على الدنيا فتظهر عليه الفضائل ولا تُشاهد على سلوكه الرذائل،.. وهذا هو المتقي الذي يعدّه الاسلام من خلال مناجاه التربوي القيم الذي ساهم في إعداد القرآن الكريم من ناحية والسنة النبوية وكلمات الأئمة المعصومين من ناحية أخرى.

هذا هو الانسان الذي يجب أن يعرفه من يريد قيادته وتوجيهه، وهذا هو الانسان الذي تقوم الادارة على أكتافه، فإذا حدث تقدم فمُنشأ هو الانسان نفسه، وإذا حدث تراجع فسيبه هو أيضاً.

<sup>١٠٢</sup> الراغب الاصفهاني: المفردات ص ٤٧٦.

فالإدارة التي يؤسسها أمير المؤمنين عليه السلام هي التي تقوم على سلم عبقرية هذا الإنسان الصاعد نحو سلم الحياة بإمكاناته وكفاءاته.

## ثانياً: الصفة التنظيمية

يبتدأ الفكر الإداري في الإسلام بالتركيز على النظم والنظام، فأكبر مصداق للنظم هو تنظيم شؤون الدولة وأمور المجتمع، وقد جاء الإسلام بهذه الفكرة يوم كانت الفوضى هي الحالة السائدة في البلاد العربية، وتقدم المسلمون لأنهم كانوا أكثر تنظيماً من غيرهم، انتصروا في الحرب لأنهم أوجدوا نظاماً للقتال.. وانهالت عليهم الثروات لأنهم وضعوا نظاماً للاقتصاد يقوم على تحريك الموارد المجردة التي كانت بيد الأغنياء واستطاعوا أن يوجدوا دولتهم لأنهم أقاموها على أساس من التنظيم ونشروا العلم لأنهم وضعوا نظاماً للتعليم.. وهكذا سادت الإدارة المنضبطة سائر أرجاء البلاد الإسلامية بفضل الحث المتواصل على التنظيم والنظام. ويمكننا القول بكل ثقة: بفضل التنظيم استطاع المسلمون أن يكتسحوا العالم ويوصلوا الإسلام إلى آخر بقعة من بقاع الأرض. وعلى هذا النسق أعار أمير المؤمنين عليه السلام إهتماماً كبيراً لنظم الأمور وتنظيم الشؤون حتى أنه لم ينس أن يوصي أولاده وأصحابه وجميع المسلمين في آخر كلمة له قبل أن يرحل إلى الرفيق الأعلى بنظم أمرهم.

فقد جاءت وصيته في النظم بعد وصيته بالتقوى لتأخذ مكان الصدارة في هذه الوثيقة الهامة: أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم<sup>١٠٣</sup>. وفكرة النظم لم تكن وليدة الساعة أو الحاجة فقد امتزجت هذه الفكرة بكلمات أمير المؤمنين عليه السلام وبعقله قبل أن تأتي الخلافة، فهذا عمر بن الخطاب يستشير في الشخوص لقتال الفرس، فيوصيه بأن يلتزم النظام في عمله، فيقول له: ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الحرز - يجمعه ويضمه فإن انقطع النظام وتفرق الحرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً<sup>١٠٤</sup>.

<sup>١٠٣</sup> باب الوصايا رقم ٤٧.

<sup>١٠٤</sup> باب الخطب رقم ١٤٦.

فالمدير هو كالفص الكبير في المسبحة التي تجمع بقية الفصوص ، فإذا انفصل عن المسبحة إنفطرت جميع الفصوص . فبدون النظام لا يمكن أن تقوم لأحد قائمة ، بل ستكون النتيجة الانفراط والتمزق وكيف لا يكون ذلك وقد اتحد المسلمون لأنه أنزل الله إليهم ما يُنظّم شؤونهم وهو القرآن الكريم .

لنستمع إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يُشير إلى ذلك في خطبة يُبين فيها فضل القرآن الكريم : ذلك القرآن فاستنطقوه ، ولن ينطق ، ولكن أخبركم عنه ، ألا إن فيه علم ما يأتي ، والحديث عن الماضي ، ودواء داءكم ونظم ما بينكم<sup>١٠٥</sup> .

يُشير أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا النص إلى عظمة القرآن الكريم ، وإنها تتجلى في هذا الأمر بالذات في نظم أمر الناس وإدارة شؤونهم الحياتية - فالنظم هو أحد أربعة أمور أوجدها القرآن الكريم في الأمة الإسلامية : ١- الحديث عن المستقبل ٢ - الحديث عن الماضي ٣- معالجة المشكلات والمعوقات ٤- تنظيم شؤون الناس .

هذا هو التنظيم ، وهذا مقدار أهميته عند أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو بهذه النصوص يضع أمامنا نطفة الجنين الذي يُراد له أن يُولد من خلال هذه الدراسة حول النظرية الادارية للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وعندما نفتح ملف النظم في فكر الامام سنجد أنفسنا أمام حشد كبير من روائع الكلمات وهي تتناول هذه القيمة الأساسية في الادارة في شعبٍ مختلفة .

ويمكننا تصنيف المجالات التي ورد فيها لفظ النظم إلى الأمور التالية :

كيف ينشأ النظام؟

كيف يقوى النظام؟

كيف ينهار النظام؟

<sup>١٠٥</sup> باب الخطب رقم ١٥٨ .

## أولاً: كيف ينشأ النظام؟

أولاً وقبل كل شيء كان من المفترض أن نتعرف على النبع الذي ينطلق منه النظام، في هذا المضمار يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **عقل المرء نظامه**<sup>١٠٦</sup>.

فالعقل هو الرحم الذي يستقبل نطفة النظم فتلتصق بجداره، وهناك تأخذ بالنمو لتتحول إلى جنين... ومن ثم يخرج الجنين من الرحم إلى الوجود على شكل خطة ونظام.

فالعقل هو المصدر الأول للنظام، وبدونه لا يمكن لأمة أن تكون منظمة في حياتها.

فالعقل هو مصدر الفكر.

والعقل هو مركز التخطيط.

والعقل هو نبع البرامج.

والفكرة والخطة والبرمجة هي ألف باء النظام.

فالعقل يضع بين أيدي البشر النظام قبل التطبيق، يبقى المسؤول عن تطبيقه هو العلائق الحسنة التي تنمو في المجتمع، والتي تقوم على أساس من الحقوق المتبادلة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله - سبحانه - لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم**<sup>١٠٧</sup>.

وعلى مبدأ الحقوق يقوم النظام، ويتحول إلى منهج في الحياة بعد أن كان مجرد فكرة في العقل، أي انه يدخل حيز التطبيق.

وهنا نقف عند مبدأ مهم يضعه أمير المؤمنين عليه السلام بين أيدي الأجيال، وهو أن الحقوق المتبادلة بين الرئيس والمرؤوس هي الأساس في تكوين النظام الإداري. فمثلما للرئيس حق عليه واجب أيضاً إزاء المرؤوسين، وكما أن للمرؤوسين واجباً، لهم حقوق على الرئيس، وعلى أساس هذه الحقوق المتبادلة تنشأ العلاقات الاجتماعية في المجتمع وينشأ من شبكة هذه العلاقات ما نطلق عليه (النظام الإداري). ويجدر بنا أن نذكر هنا أن النظام الإداري الذي لا يقوم على المصالح الفردية الآنية، ولا

<sup>١٠٦</sup> الغرر ٣٦٤.

<sup>١٠٧</sup> باب الخطب رقم ٢١٦.

يقوم على الرابطة العرقية أو القومية ، بل يقوم على مبدأ الحقوق والواجبات لهو النظام الثابت والقوي الذي لا يمكن أن تزحزحه أية قوة جبارة.

من هنا ؛ فقد أرسى أمير المؤمنين (عليه السلام) أقوى نظام إداري تمكن أن يسيطر على شؤون البلاد الإسلامية التي كانت مترامية الأطراف وكانت تموج بالاضطرابات والقلقل ، فعلى رغم هذه الظروف استطاع النظام الإداري ان يفرض الأمن والنظام في طول البلاد وعرضها.

### ثانياً: كيف يقوى النظام؟

النظم الادارية التي يوجدها الاسلام تنظيمات قوية منيعة تقوم على روح الجماعة، وعلى الاستعداد الجمعي للتعاون والتآزر.

ولا ننس دور الأخلاق والفضيلة في إنشاء التنظيمات وتقويتها، لأن التنظيم عمل جماعي، ولما كان الهدف من الخلق الحميد هو الحد من طغيان الفردية فإنه السبيل الأقوى دائماً لتأسيس التنظيمات الاجتماعية.

فالمجتمع الذي تنمو فيه الأخلاق هو الأقدر على تنظيم نفسه وتشكيل أعضائه ولانس هنا أيضاً دور القانون في إرساء النظم الادارية وترسيخها حيث أن القانون يحافظ على العلاقات التي تجمع أفراد التنظيم ويحافظ على ديمومتها وتقويتها. والمجتمعات التي يسود فيها القانون يسودها الضبط الاجتماعي أيضاً.

أما كيف يرى أمير المؤمنين (عليه السلام) سبل تقوية النظام بصورة عامة والنظام الإداري بصورة خاصة؟  
الجواب: عبر هذه الوسائل:

أولاً: العدل؛ العدل بمثابة العصا التي يمسك بها من يريد موازنة جسمه فوق جبل رفيع في ألعاب السيرك. فلو لا هذه العصا لا يستطيع رجل السيرك موازنة نفسه فهو عرضة للسقوط في أية لحظة إذا ما غامر بنفسه ووقف فوق جبل السيرك.

يلعب العدل دور العصا في تنظيم المجتمع فوق جبل الحياة القاسية، فهو السبيل إلى الموازنة، فكلما مال الجسم إلى جهة أسعفه العدل في الجهة المقابلة، وهكذا حتى يستقيم المجتمع.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: العدل نظام الإمرة<sup>١٠٨</sup>. ثم يقول: حسن العدل نظام البرية<sup>١٠٩</sup>. وهذه قاعدة عامة لا تختص بالنظام الإداري وحسب بل تشمل كل نظام حتى لو أُقيم على مبدئ آخر غير الإسلام.

ثانياً: الحلم؛ هدوء الأعصاب عند الإنفعال، وعدم الانفعال عند الاثارات وهو من قواعد الإدارة، بل هو من قواعد التنظيم بصورة عامة ذلك لأن التنظيم يقوم على الأفراد، وكان لابد من وجود علاقات طيبة بين هؤلاء الأفراد، ومن أهم أسس هذه العلاقة، سيادة الحكمة في العلاقات وعدم حدوث ردود فعل إنفعالية أثناء العمل والتي تعود إليها أهم عوامل المشاكل في التنظيمات الإدارية.

ثالثاً: روح التعاون بين الأفراد "كالحسن إلى الآخرين، ومواساة الاخوان والكرم وهي صفات تنم عن روح جماعية، وعن ضمور للروح الفردية التي تهدد التنظيمات الإدارية. لتأمل هذه النصوص التي تحمل هذا المفهوم.

نظام المروءة حسن الأخوة<sup>١١٠</sup>.

نظام الدين خصلتان إنصافك من نفسك ومواساة إخوانك<sup>١١١</sup>.

نظام الكرم مولاة الاحسان ومواساة الاخوان<sup>١١٢</sup>.

نظام الفتوة إحتمال عثرات الاخوان وحسن تعهد الجيران<sup>١١٣</sup>.

<sup>١٠٨</sup> الغرر ١/١٩٨.

<sup>١٠٩</sup> الغرر ٣/٣٨٥.

<sup>١١٠</sup> الغرر ٦/١٧٦.

<sup>١١١</sup> الغرر ٦/١٧٦.

<sup>١١٢</sup> الغرر ٦/١٨٤.

<sup>١١٣</sup> الغرر ٦/١٨٥.

رابعاً: الدعوة إلى الطاعة؛ لأبد من وجود محور تجتمع عليه التنظيمات والمؤسسات الاجتماعية، وهذا المحور هو طاعة الله سبحانه وتعالى فكلما زادت الطاعة إزدادت التنظيم قوة وترابطاً، لأن الطاعة ستركز الالتزام القانوني في التنظيم أو المؤسسة.

خامساً: التواضع؛ التواضع قيمة إجتماعية بدونها لا تقوم للمجتمع أية قائمة، وإذا أردنا أن نتعرف على أثر هذه القيمة الأخلاقية لتصور المجتمع وقد حقت به جماعة من المتكبرين، كيف سيكون حاله.

إن التكبر هو عامل تشتت وتمزق في المجتمع، والمجتمعات التي تنمو فيها مظاهر التكبر عرضة للانهار أكثر من المجتمعات الأخرى.

إذن التواضع هو السبيل لايقاف حالات التداعي والانهار في المجتمعات البشرية، وقد جاء حث الاسلام على التواضع لصيانة المجتمع من الانهيار والحفاظ عليه من السقوط السريع.

من هنا أقر أمير المؤمنين (عليه السلام) قاعدة حيوية للحفاظ على حيوية المجتمع هي: **بخفض الجناح تنظم الأمور**<sup>١١٤</sup>.

وخفض الجناح هو كناية عن التواضع، وهو كناية عن تواضع الكبار من ذوي المسؤوليات لأن التعبير هو خفض الجناح لمن يمتلك القدرة على الطيران، فهؤلاء تقع عليهم مسؤولية التواضع، وهذا هو السبيل الأوفق لتقوية التنظيم والحيلولة دون انهياره وسقوطه.

سادساً: الأمانة؛ عندما يشعر كل فرد في التنظيم الإداري أو أي تنظيم إجتماعي بأنه أمين على مصالح الجماعة فإن التزامه نحو الجماعة ومصلحتها سيكون متيناً للغاية وخلافاً للتنظيمات التي تقوم على التنافس المحموم والذي من شأنه أن يفجر التنظيمات من داخلها في كل لحظة، خلافاً لها أقام الاسلام نظامه الإداري على مبدأ الأمانة، فقد خاطب الله سبحانه وتعالى أفراد المجتمع الذين يتحملون مسؤولية إجتماعية قائلاً لهم: **(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)**<sup>١١٥</sup>.

<sup>١١٤</sup> الغرر ٦/١٨٤.

<sup>١١٥</sup> سورة النساء، آية ٥٨.



فالنظام الإداري الذي يطمح إليه الإسلام هو النظام القائم على الأمانة، الذي يجعل من كل فرد أميناً على مصالح الأمة أميناً على ممتلكاتها، أميناً على قيمها ومثلها، أميناً على أسرارها وأفكارها.

وعلى النسق القرآني استعار أمير المؤمنين عليه السلام فكرة الآية الكريمة حول الأمانة فذكر في إحدى كلماته:

❖ فرض الله... الأمانة نظاماً للأمة<sup>١١٦</sup>.

والسؤال: كيف تصبح الأمانة نظاماً للأمة؟

الجواب: عندما يتحسس المسؤول الكبير سواء كان حاكماً أو والياً أو مُديراً أو رئيساً بأنه أمين على مصالح الأمة، وعلى كل فرد فرد منها، وإنه سيُسأل يوم القيامة عن هذه الأمانة. وعندما يشعر كل فرد من أبناء الأمة بأنه أمين أيضاً على مصالح الأمة فعليه أن يصونها ويذود عن حياضها ويحميها حق حمايتها. وأي ضعف عن أداء هذه المسؤولية سيحاسب عليه وسيواجه بأشدّ العقوبات.

### ثالثاً: كيف ينهار النظام؟

الأنظمة عُرضة للانهار، كما ينهار البناء عندما يتسلل إليه الماء والرطوبة، فالأنظمة تتسوس كما يتسوس الكرسي الموضوع في زاوية من البيت ولا يحصل على الرعاية المطلوبة، وأكبر معول يهدم نظم الجماعة هو الخلاف، وقد قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾<sup>١١٧</sup>.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الأمور المنتظمة يفسدها الخلاف<sup>١١٨</sup>.

<sup>١١٦</sup> قصار الكلمات رقم ٢٥٢.

<sup>١١٧</sup> سورة الأنفال، آية ٤٦.

<sup>١١٨</sup> الغرر ٣٠٧/١.

والخلاف هو جرثومة تبدأ صغيرة ثم تكبر فتنتشر فتهدد كيان المجتمع بأسره، والخلاف يبدأ صغيراً في نفس الانسان ثم ينمو كبيراً في كيان المجتمع.

وأول عملية هدم تتم بمعول الخلاف هو هدم الآراء، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **الخلاف يهدم الآراء**<sup>١١٩</sup>.

فيظهر الخلاف وينتشر إلى كافة الرعية: **آفة الرعية مخالفة الطاعة**<sup>١٢٠</sup>.

ثم يسري إلى قمة المؤسسات الاجتماعية فيصل حتى إلى المقاتلين: **آفة الجند مخالفة القادة**<sup>١٢١</sup>. عندها سينهار المجتمع ويتمزق شراً ممزق، يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن نتائج الاختلاف: **سبب الفرقة الاختلاف**<sup>١٢٢</sup>.

وعندما تبلغ الجرثومة إلى هذا المستوى من التأثير يجب الإسراع في العلاج، وتقع على حكماء المجتمع وعقلائه مسؤولية وضع حد لهذا الانهيار بإيقاف حالة التداعي في المجتمع، وذلك بالعمل وفق هذه الخطوات:

أولاً: **الرفق بالآخرين**، وهو يضع حداً للمخالفات، يقول الامام عليه السلام: **الرفق يغلب حدّ المخالفة**<sup>١٢٣</sup>.

ثانياً: **الانصاف**، وهو نوع من العدل، يظهر فيه تساوي الانسان بين نفسه والآخرين، يقول الامام عليه السلام: **الانصاف يرفع الخلاف ويوجد الائتلاف**<sup>١٢٤</sup>.

<sup>١١٩</sup> الغرر ١/٢٧٠.

<sup>١٢٠</sup> الغرر ٣/١٠٤.

<sup>١٢١</sup> الغرر ٣/١٠٣.

<sup>١٢٢</sup> الغرر ٤/١٢٣.

<sup>١٢٣</sup> الغرر ١/١٥٠.

<sup>١٢٤</sup> الغرر ٢/٣٠.

هذا ما يمكن القيام به عند وقوع الاختلاف في المجتمع وما يتحمله المسؤول أو المدير من أعباء للحفاظ على النظم الاجتماعية. وهذه هي إحدى الخواص التي تمتاز بها النظم الادارية عند أمير المؤمنين عليه السلام فهي إدارة منتظمة متسقة الأجزاء لا مجال فيها للفرقة والاختلاف.

### ثالثاً: الصفة الجماعية

لا تنشأ الإدارة إلا بين جمع من الناس، ولابد لهذا الجمع من روابط تربطهم، وكلما قوي هذا الرابط قويت الجماعة وأصبحت الادارة متيسرة على المدير. فالجماعة هي البيئة التي تنشأ فيها الإدارة، وبدون مراعاة هذا الجانب تصبح الادارة أشبه ماتكون بمعادلة حسابية، وقد وُجّهت إنتقادات إلى المفكر الألماني (ماكس فيبر) عندما لم يهتم بالبيئة الاجتماعية التي تنشأ فيها الإدارة فجاء نموذجه في - البيروقراطية- تنقصه الروابط الانسانية. كذلك يؤخذ على (تيلر) إتجاهه إلى مكننة الانسان في المعمل.

وقد زخرَ فكر الامام أمير المؤمنين عليه السلام بنصوص كثيرة في مجال المجتمع والجماعة، وهي بحد ذاتها تكون لدينا دراسة متكاملة عن المجتمع ودور الفرد في الجماعة، لكن سنقتصر على النصوص التي نحتاجها في تأكيد الصفة الاجتماعية في الادارة.

فالادارة التي نستقي أبعادها من كلام أمير المؤمنين عليه السلام هي التي تنشأ في رحم المجتمع والجماعة. وقد أشرنا سلفاً أن المفردة الاجتماعية تحتل مساحة كبيرة من فكر الامام أمير المؤمنين عليه السلام فكان علينا أن نقطف ما ينفع دراستنا وهو الاشارة إلى ضرورة وجود المجتمع للحياة، وعوامل تكوين الجماعة، وتصنيف المجتمع وما إلى ذلك من الموضوعات التي سنأتي على ذكرها.

### أولاً: ضرورة وجود المجتمع

حاجة الفرد إلى الجماعة كحاجته إلى الهواء فهو لا يستطيع الاستمرار في الحياة بدون الجماعة، لأنّ تعقيدات الحياة تحتمُّ عليه أن يُعاشر الأفراد ويرتبط بهم برباط الأخوة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام

عن ذلك : عاشر أهل الفضل تسعد وتنبل<sup>١٢٥</sup>. فلا سعادة للانسان إلاّ عندما يكون في دائرة المجتمع ، لذا أمر الاسلام أبناءه بحُسن العشرة.

وفائدة العشرة الحسنة هي : بحسن العشرة تدوم المودة<sup>١٢٦</sup>. وبحسن العشرة تأنس الرفاق<sup>١٢٧</sup>. وبحسن العشرة تدوم الصلة<sup>١٢٨</sup>.

ويقول في حثه على كسب الصداقات : مَنْ لَا أَخًا لَهُ لَا خَيْرَ فِيهِ<sup>١٢٩</sup>.

وهو لا يقصد الأخ الحقيقي للانسان لأنه : رَبُّ أَخٍ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ<sup>١٣٠</sup>.

ومن محمل النصوص المتقدمة ، ونصوص أخرى لا مجال لذكرها ندرك ما يوليه الامام أميرالمؤمنين (عليه السلام) من أهمية لوجود الكيان الاجتماعي الذي تقوم العلاقات بين أفرادهِ على أساس الأخوة الصادقة.

فالأخوان زينة في الرخاء وعدة في البلاء<sup>١٣١</sup>.

### ثانياً: الحث على الارتباط بالمجتمع

إذا كان للمجتمع تلك الأهمية حيث لا تستقيم حياة الانسان ولا تصلح أخلاقه إلاّ من خلاله فقد وردت النصوص الكثيرة وهي تحثُّ على الالتزام بالجماعة ، يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام) الزموا الجماعة واجتنبوا الفرقة<sup>١٣٢</sup>.

الزموا السواد الأعظم فإنَّ يد الله مع الجماعة<sup>١٣٣</sup>.

<sup>١٢٥</sup> الغرر ٣٥٦/٤.

<sup>١٢٦</sup> الغرر ٢٠١/٣.

<sup>١٢٧</sup> الغرر ٢١٠/٣.

<sup>١٢٨</sup> الغرر ٢٢٠/٣.

<sup>١٢٩</sup> الغرر ٢٢٤/٥.

<sup>١٣٠</sup> الغرر ٧٦/٤.

<sup>١٣١</sup> الغرر ٣٩٤/١.

<sup>١٣٢</sup> الغرر ٢٤٠/٢.

<sup>١٣٣</sup> باب الخطب رقم ١٢٧.

والزموا ماعقد عليه جبل الجماعة<sup>١٣٤</sup>

وعليكم بهذا السواد الأعظم<sup>١٣٥</sup>.

هنا نجد أنفسنا أمام نصوص تدعو إلى الارتباط بالجماعة حفظاً على وحدتها وكيانها السياسي حتى لا يتسرب إليه الفرقة والاختلاف.

فالحفاظ على وحدة المجتمع مسؤولية شرعية، وهو أمانة في عنق كل مُسلم؛ أما الخروج على هذه الوحدة وشق عصا المسلمين فهو الخيانة لأنه تحوّل إلى معول لهدم مرتكز مهم من مرتكزات التقدم لدى المسلمين وهو وحدة المجتمع الاسلامي.

لذا يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام: أعظم الخيانة خيانة الأمة<sup>١٣٦</sup>.

وخيانة الأمة هي الخروج على وحدتها القائمة على أساس من الحق وليس على الباطل، لأنّ الأمانة التي فرضت على المسلم هي: التعاون على إقامة الحق أمانة وديانة<sup>١٣٧</sup>. فالخروج على هذا المبدأ هو الخيانة، بل هو أعظم خيانة، لأنه خيانة لكل أبناء الأمة الاسلامية.

### ثالثاً: كيفية تكون الجماعة

هذه الجماعة التي دُعينا إلى الارتباط بها لأبد وأن تقوم على أسس متينة، وهي:

الوفاء: الوفاء قوام الأمانة وزين الأخوة<sup>١٣٨</sup>. لأنه يبطن صدق العلاقة، وإخلاص الترابط.

التناصح: لا خير في قوم ليسوا بناصحين ولا يحبون النصيحة<sup>١٣٩</sup>.

ويقول في هذا المضمار: خير الإخوان أنصحهم وشرهم أغشهم<sup>١٤٠</sup>.

<sup>١٣٤</sup> باب الخطب رقم ١٥١.

<sup>١٣٥</sup> باب الخطب رقم ٦٦.

<sup>١٣٦</sup> الغرر ٣٨٨/٢.

<sup>١٣٧</sup> الغرر ٣٥٠/١.

<sup>١٣٨</sup> الغرر ٦٨/٣.

<sup>١٣٩</sup> الغرر ٤٢٧/٦.

<sup>١٤٠</sup> الغرر ٤٣٣/٣.

فالعلاقة القائمة في هذا المجتمع هي علاقة فاعلة تتحرك باتجاه الايجابية، فإذا ظهر الخطأ من أحد الأفراد يُسرّع الآخرون إلى تغييره.

التعاون على إقامة الحق: التعاون على إقامة الحق أمانة وديانة<sup>١٤١</sup>. فوجود الفرد في المجتمع يحمله مسؤولية تحتم عليه العمل من أجل إرساء صرح الحق من أية زاوية كانت. يقول الامام: الزم أهل الحق وأعمل عملهم<sup>١٤٢</sup>.

إقامة العدل: العدل قوام البرية<sup>١٤٣</sup>. فالمجتمع الذي يقوم على العدل هو المجتمع المسلم المعافى من كل مرض، لأنّ العدل هو الذي يحافظ على توازن أطراف المجتمع. ويحافظ عليه من حالة الافراط والتفريط. يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): العدل قوام الرعية<sup>١٤٤</sup>.

الشريعة: وهو العنصر الأهم في بناء المجتمع يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): الشريعة صلاح البرية<sup>١٤٥</sup> فالشريعة هي التي تحدد الاطار القانوني للجماعة، وبدون القانون لا يستطيع المجتمع من الحياة ولا النمو.

فالمجتمعات تتكون من عنصر إنساني تنتج عنه العلاقات الاجتماعية، ومن عنصر قانوني تفرزه الشرائع والأعراف والعلاقات، ولا يبلغ المجتمع حالة السمو إلا عندما تحكمه الشريعة، لأنها قانون صادر عن الله سبحانه وتعالى.

المسؤولية: وجود الفرد في المجتمع يفرض عليه المسؤولية لأنّ العلاقة الاجتماعية هي مسؤولية بحد ذاتها، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): قوام الدنيا بأربع عالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستكف أن

<sup>١٤١</sup> الغرر ١/٣٥٠.

<sup>١٤٢</sup> الغرر ٢/٣٦٦.

<sup>١٤٣</sup> الغرر ١/٢٠٣.

<sup>١٤٤</sup> الغرر ١/١٨٣.

<sup>١٤٥</sup> الغرر ١/١٨٣.

يتعلم وغني يجود بماله على الفقراء، وفقير لا يبيع آخرته بدينه، فإذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدينه<sup>١٤٦</sup>.

فالمجتمع التي يرسمه الامام من خلال هذا النص هو مجتمع التكافل والمسؤولية، يحمل كل فرد فيه مسؤولية إعتبارية، فإذا ما قام كل فرد بأداء مسؤوليته فإن هذا المجتمع سيتقدم أشواطاً إلى الأمام، أما إذا لم يؤد ما عليه من مسؤولية فإنه سينتكس ويتراجع.

#### رابعاً: تصنيف المجتمعات

يصنف الامام أمير المؤمنين عليه السلام المجتمعات البشرية إلى قسمين: مجتمع الأخيار ومجتمع الأشرار. مجتمع الأخيار:

من صفات هذه المجتمع - كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام - الاحسان غريزة الأخيار والإساءة غريزة الأشرار<sup>١٤٧</sup> فهذا المجتمع قائم على صفات ذاتية أصلية. يتصف افراده بهذه الصفات: حسن الطاعة: بحسن الطاعة يُعرف الأخيار<sup>١٤٨</sup>.

لين الكلام وإفشاء السلام: سنة الأخيار لين الكلام وإفشاء السلام<sup>١٤٩</sup>.

الصدق والأمانة: الزم الصدق والأمانة فإنهما سجية الأبرار (الأخيار)<sup>١٥٠</sup>.

الايثار، وهي علاقة مجسدة للروح الجماعية: الايثار سجية الأبرار وشيمة الأخيار<sup>١٥١</sup>.

فهؤلاء الاخيار الذين يبنون مجتمعاً مثالياً، وهو يستقبل أعضاء جُددًا، يقول أمير المؤمنين في حثه للناس على الالتحاق بركب الأخيار: خير الإختيار مادة الأخيار<sup>١٥٢</sup>. ويقول أيضاً: ثمرة العقل

<sup>١٤٦</sup> الغرر ٥١٨/٤.

<sup>١٤٧</sup> الغرر ١١٥/٢.

<sup>١٤٨</sup> الغرر ٥٣٦/٣.

<sup>١٤٩</sup> الغرر ١٣٠/٤.

<sup>١٥٠</sup> الغرر ١٨٧/٢.

<sup>١٥١</sup> الغرر ١٨٧/٢.

<sup>١٥٢</sup> الغرر ٤٢٦/٣.

صحبة الأخيار<sup>١٥٣</sup>. ويقول أيضاً: صحبة الأخيار تكسب الخير<sup>١٥٤</sup>. ويقول: ليس لشيء أدعى لخير وأنجي من شر من صحبة الأخيار<sup>١٥٥</sup>. ويقول: من أحسن الاختيار صحبة الأخيار<sup>١٥٦</sup>.  
مجتمع الأشرار:

صفات هذا المجمع كما ورد في كلمات امير المؤمنين (عليه السلام): الاحتكار شيمة الفجار (شيم الأشرار)<sup>١٥٧</sup>.

من صفاتهم: الحقد من طبائع الأشرار<sup>١٥٨</sup>.  
ومن عاداتهم: عادة الأشرار أذية الرفاق<sup>١٥٩</sup>.  
والأشرار لا يخافون من أحد حتى من الله سبحانه وتعالى: شر الأشرار من لا يستحي من الناس ولا يخاف الله سبحانه<sup>١٦٠</sup>.

والإساءة هي رذيلة ذاتية متأصلة فيهم: والإساءة غريزة الأشرار<sup>١٦١</sup>.  
فهؤلاء الأشرار يجب أن يفر الناس منهم ولا يدنون منهم لأن مصادقتهم تجلب السقوط والهلاك: مصاحبة الأشرار توجب التلف<sup>١٦٢</sup>.

وهم كالنار يحترق من يقترب إليها، يقول الامام: إياك ومعاشرة الأشرار فانهم كالنار مباشرتها تحرق<sup>١٦٣</sup>.

<sup>١٥٣</sup> الغرر ٣/٣٢٧.

<sup>١٥٤</sup> الغرر ٤/٢٠٢.

<sup>١٥٥</sup> الغرر ٥/٨٧.

<sup>١٥٦</sup> الغرر ٦/٢١.

<sup>١٥٧</sup> الغرر ١/٢٢٢.

<sup>١٥٨</sup> الغرر ٢/١٦٣.

<sup>١٥٩</sup> الغرر ٤/٣٣٢.

<sup>١٦٠</sup> الغرر ٦/١٢٦.

<sup>١٦١</sup> الغرر ٢/١١٥.

<sup>١٦٢</sup> الغرر ٦/١٢٦.

<sup>١٦٣</sup> الغرر ٢/١١٥.



وعلى العكس؛ على الانسان أن يختار دائماً مجتمع الأخيار وينفر من الأشرار، يقول الامام: جانبوا الأشرار وجالسوا الأخيار<sup>١٦٤</sup>.

فكان لابد أولاً أن يميز بين الاشرار والأخيار: الاختبار معيار يُفرق بين الأخيار والأشرار<sup>١٦٥</sup>. لأنّ هناك من يحاول أن يزكي الاشرار ويظهرهم بمظهر الأخيار، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: أكبر الأوزار تزكية الأشرار<sup>١٦٦</sup>. فبعد الاختبار يختار المسلم المجتمع الطيب ويفضله على مجتمع الأشرار، يقول الامام: من حُسن الاختيار مقارنة الاخيار ومفارقة الاشرار<sup>١٦٧</sup>. أما الأشرار فلا بُدّ من إعزّالهم والابتعاد عنهم: ينبغي لمن عرف الأشرار أن يعتزلهم<sup>١٦٨</sup>، ذلك لأنّ: مصاحب الأشرار كراكب البحر، إن سلّم من الغرق لم يسلم من الفرق<sup>١٦٩</sup>. فهو بين كماشتين، كماشة السقوط وكماشة الحزن.

#### خامساً: كيفية الانتماء إلى المجتمع الصالح

خطى المسلم خطوات وطيدة للحاق بركب الصالحين فقد اختبر مجتمعه فعرفه بالاختبار العملي ثم اختاره على المجتمع الضال، والآن كيف السبيل إلى اللحاق به. الاقتداء بالمجتمع الصالح، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: الزم أهل الحق واعمل عملهم<sup>١٧٠</sup>. وتكرار عملهم ليس تقليداً أعمى، بل هو الانسجام التام مع أهل الحق يجعلهم يسلكون طريقهم في الحياة، لأنّه الطريق الصائب.

<sup>١٦٤</sup> الغرر ٣/٣٦٢.

<sup>١٦٥</sup> الغرر ٤/٥١٦.

<sup>١٦٦</sup> الغرر ٢/٣٩٢.

<sup>١٦٧</sup> الغرر ٦/٤٧.

<sup>١٦٨</sup> الغرر ٦/٤٤٣.

<sup>١٦٩</sup> الغرر ٦/١٣٨.

<sup>١٧٠</sup> الغرر ٢/٣٦٦.

مشاركة المجتمع الصالح: يقول الامام: شاركوا أهل الدنيا في دنياهم<sup>١٧١</sup> وهي مشاركة الانسان العامل الذي يضع رأسماله إلى جانب رأسمال الآخرين ليسارعوا إلى العمل بجذ وهمة، والمشارك في الدنيا تعبير عن المشاركة في الأمور الاقتصادية والعمرانية.

الضدية مع الشر: يقول الامام: ضادوا الشر بالخير<sup>١٧٢</sup>. فقتل الشر في النفس يمكنها من الاقتراب إلى دائرة الخير.

الأخذ بالصدق والامانة: لأنهما جواز سفر إلى المجتمع الطيب، يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام):

إلزم الصدق والأمانة فإنهما سجية الأخيار<sup>١٧٣</sup>.

الصبر وتحمل الصعاب: يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): إن صبرت أدركت بصبرك منازل الأبرار<sup>١٧٤</sup> لأن الانتماء إلى المجتمع الصالح بحاجة إلى ضريبة، على الانسان أن يدفعها، عليه أن يصبر على ضغط سلطان الشهوة، وعلى ضغط سلطان الزمان، وإذا أردنا أن نلخص الفكرة الاجتماعية نستطيع القول إن المجتمع الذي يطمح إليه الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو:

المجتمع المتزن، الذي يقوم على دعامة العدل.

المجتمع النشط الذي يعمل بدوافع المسؤولية.

المجتمع المفتوح الذي يستقبل في كل يوم جمعاً جديداً من المؤمنين.

المجتمع المقنن، الذي يستند إلى قانون الشريعة الاسلامية.

المجتمع الذي يحتضن أفرادهم ويمنحهم الفرص والأدوار.

المجتمع المتطور الذي لا يعرف التوقف في حياته.

وهذه هي الخصال الضرورية للتنظيم، فأى تنظيم إداري ينشأ في وسط هذا المجتمع سينمو سريعاً، ويطرسخ بقوة لانه سيقام على أعمدة اجتماعية متينة.

<sup>١٧١</sup> الغرر ٢/٧٨٩.

<sup>١٧٢</sup> الغرر ٤/٢٣١.

<sup>١٧٣</sup> الغرر ٢/٣٢٠.

<sup>١٧٤</sup> الغرر ٣/٤.

#### رابعاً: الصفة الهدفية

الحياة لم تُخلق عبثاً، فهي لم تخلق بالصدفة - كما يذهب البعض - ولا خلقتها الطبيعة العمياء - كما يقول آخرون - ولم تخلق الدنيا نفسها - كما هو رأي البعض - بل خلقتها خالق قدير متعال، عالم قادر رازق حكيم عادل، فمن الخطأ أن يعتقد المرء بأن لهذا الوجود خالق ثم يقول باللاهدفية، فأينما رميت ببصرك فثمة دليل قاطع على هدفية الكون والحياة، هذا ما يؤكد لنا القرآن الكريم والسنة النبوية وما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته الرائعة، فتسلسل الفكرة يفرض علينا هذه الخطوات، وأن نسأل هذه الأسئلة.

#### أولاً: هل خلق الله هذا الكون عبثاً؟

أم إن هناك هدفاً واضحاً من خلق الكون والسموات والأرضين، فما هو جواب أمير المؤمنين عليه السلام يقول الامام: ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً<sup>١٧٥</sup>. والعبث (اللاهدفية) هو صنف من أصناف الباطل لأنه إذا قلنا بالعبثية لواجهنا هذا السؤال، ما الفائدة إذن من الخلق هل ليلهو الخالق بخلقه؟ يضع الامام الجواب البين على هذا السؤال وغيره من التساؤلات: ما خلق الله سبحانه أمراً عبثاً فيلهو<sup>١٧٦</sup>.

والبشر هو من هذا (الأمر) الذي لم يخلقه الله عبثاً. وهنا نصل إلى المحطة الثانية.

#### ثانياً: هل خلق الله البشر عبثاً؟

يجيب أمير المؤمنين عليه السلام: لم يخلقكم الله سبحانه عبثاً ولم يترككم سدى<sup>١٧٧</sup>. وعندما يشاهد أمامه أناساً يلهون في هذه الدنيا فيخطبهم خطاباً صارماً: اهجر الله فإنك لم تُخلق عبثاً فتلهو، ولم تُترك سدى فتلغو<sup>١٧٨</sup>.

<sup>١٧٥</sup> الغرر ٢/٦١٣.

<sup>١٧٦</sup> الغرر ٦/٨٠.

<sup>١٧٧</sup> الغرر ٥/١٠٣.

<sup>١٧٨</sup> الغرر ٢/٢٢٢.

فعندما يصنع الصانع آلة يُريد لآلته أن تعمل وفق الهدف المرسوم لها، لا أن تُرمى بعيداً بدون أن يستفاد منها. فالله الذي خلق الانسان أراد له أن يعمل وفق الهدف الذي وضعه له. وأن يكون في دائرة المسؤولية التي ألقاه فيها. فإذا وجده يلهو بغير الهدف المرسوم له، يغضب عليه لأنه عاكسه في اصل الخلقة وهو الهدف من خلقه. وهنا نصل إلى المحطة الثالثة وهي الهدف من خلق الانسان.

### ثالثاً: ما هو الهدف من خلق الإنسان؟

يُجيب امير المؤمنين (عليه السلام) : رضا الله سبحانه أقرب غاية تُدرك<sup>١٧٩</sup>. إذن رضا الله سبحانه هو الهدف الكبير، والسؤال: كيف يتحقق رضا الله سبحانه وتعالى؟  
لقد بعث الله الأنبياء والرسل وأرسل الكتب وبين فيها ما يُريد وما لا يُريد، فالعمل بهذه الكتب، وبما يقوله الانبياء هو تحقيق لمرضاة الله سبحانه وتعالى، يقول الامام في ذلك: **إنَّ للإسلام غاية فانتبهوا إلى غايته وأخرجوا إلى الله مما افترض عليكم من حقوقه**<sup>١٨٠</sup>. فالعمل بالاسلام هو ما يريده الله تبارك وتعالى، وغاية الاسلام هي إخراج الحقوق المفروضة على المسلم حق نفسه عليه، وحق الآخرين عليه، وحق الله عليه، وبذلك تتحقق الغاية الكبرى والهدف الأسمى من الخلقة.  
إذن رضا الله هو الاطار العام للهدف الذي من أجله خلق الله الانسان، أما تفاصيل هذا الاطار فهو العمل بالاسلام بكل جزئياته وتفصيله، فهو الطريق المعبد إلى رضا الله وبالتالي هو الهدف من خلق الانسان في هذه الحياة.

وتبقى هناك قضية تمس حياة الانسان في كل صغيرة وكبيرة وهي: **خلق الله الانسان وخلق معه الدنيا، فكم أخذ من الدنيا وكم يعطيها، وهل الدنيا لذاتها هدف للانسان أم إنها وسيلة لهدف آخر؟** الجواب على ذلك هو الخطوة الرابعة من بحثنا.

<sup>١٧٩</sup> الغرر ٩١/٤.

<sup>١٨٠</sup> الغرر ٥٣٥/٣.

#### رابعاً: الدنيا وسيلة وليست هدفاً

هناك خط رفيع يفصل بين عمل الدنيا الذي فيه رضا الله، وعمل الدنيا الذي ليس فيه رضا الله، والانسان الذي لا يستطيع أن يميز هذا الخط سينغمر في الدنيا وقد يغرق في مياهاها، فكيف نستطيع ان نُميّز هذا الخط؟

هذا هو السؤال الشائك الذي قامت على جوابه المذاهب والفلسفات والأفكار والنظريات من قديم الزمان وحتى يومنا هذا.

فما هو جواب امير المؤمنين عليه السلام يقول الامام مخاطباً الانسان: **إنك لم تُخلق للدنيا فازهد فيها وأعرض عنها**<sup>١٨١</sup>.

وهذا لا يعني أن يترك الانسان الدنيا وشأنها بل معنى ذلك أن الدنيا ليست هدفاً فلا بد أن يزهد فيها الانسان فلا يتعلق بها تعلق الحبيب بمحبوبه، بل يأخذ منها ما يكفيه، والذي يكفيه هو إشباع حاجاته الضرورية وهي ثلاثة:

أولاً: الحاجات الضرورية لبقائه في الحياة وهي الحاجة إلى الطعام والشراب والسكن.

ثانياً: الحاجات الضرورية لبقاء النوع، وهي الحاجة إلى الزواج وما يتعلق بها.

ثالثاً: الحاجات الاجتماعية كالحاجة إلى الاحترام والتقدير، فمن حق الانسان ان يأخذ من الدنيا ما يشبع هذه الحاجات، لكن ان لا يزيد عن ذلك، يقول الامام: **إن الدنيا دار منها لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حلوة خضرة قد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر، فارتحلوا عنها بأحسن ما يحضركم من الزاد ولا تسألوا فيها إلا الكفاف ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ**<sup>١٨٢</sup>.

فإذا لم نُخلق للدنيا فلاي شيء خُلقنا يا ترى؟

<sup>١٨١</sup> الغرر ٥٧/٣.

<sup>١٨٢</sup> الغرر ٦٦٠/٢.

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : إنكم إنما خلقتُم للآخرة لا للدنيا، وللبقاء لا للفناء<sup>١٨٣</sup>. فإذا كان الأمر كذلك إذن : وما يصنع بالدنيا مَنْ خُلِقَ للآخرة<sup>١٨٤</sup>. عليه أن يبتعد عن الدنيا لآخرته : الأعمال في الدنيا تجارة الآخرة<sup>١٨٥</sup>.

وهي تجارة رابحة، لأنها متاجرة بين شيء زائل وشيء باقٍ يقول الامام : الرابح مَنْ باع الدنيا بالآخرة<sup>١٨٦</sup>.

فالدنيا ليست إلا ساحة سباق يتسابق فيها الناس إلى غاية اسمى يقول الامام : المؤمن الدنيا مضماره، والعمل همته والموت تحفته والجنة سبقته<sup>١٨٧</sup>. نص رائع يشتمل على قمم البلاغة.. إذن الدنيا ساحة سباق والهداية يأخذها عند الممات، أما الجائزة التي يسعى مِنْ أجلها فهي (الجنة). هذا هو حال المؤمن أما حال الكافر : الكافر الدنيا جُتُّه، والعاجلة همته والموت شقاوته، والنار غايته<sup>١٨٨</sup>.

صورتان متعاكستان ؛ متسابقان أحدهما إتخذ الدنيا ساحة سباق أما الآخر فاتخذها هدفاً له، فإلى أين إنتهى المتسابقان أحدهما إلى الجنة، والآخر إلى النار. فالغاية إذن هي الجنة يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : غاية المؤمن الجنة<sup>١٨٩</sup>.

### خامساً : لمن الجنة؟

وصلنا إلى ان الهدف الذي خلق الله الانسان له هو الجنة، والجنة ليست المكان وحسب، بل هي متضمنة شروط الوصول إلى هذا المكان. وعندما يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) : غاية المؤمن

<sup>١٨٣</sup> الغرر ٦٦/٣.

<sup>١٨٤</sup> الغرر ٢٣٣/١.

<sup>١٨٥</sup> الغرر ٣٤٥/١.

<sup>١٨٦</sup> الغرر ٧٠/٢.

<sup>١٨٧</sup> الغرر ٨٧/٢.

<sup>١٨٨</sup> الغرر ٨٨/٢.

<sup>١٨٩</sup> الغرر ٣٧٠/٤.

الجنة يختصر كل شيء في هذا النص القصير، فالغاية هنا نقطة النهاية أي المكان الذي سينتهي إليه المؤمن، والغاية هنا أيضاً تحقيق الشروط التي توصل الانسان إلى تلك النقطة النهائية وشروط الوصول هو الايمان المتحقق في المؤمن.

فنحن إذن أمام نصٍّ يجمع بين البداية والنهاية، الايمان البداية والجنة هي النهاية، الايمان شرط للوصول، والجنة مكان وتمكين، فمن حصل على تلك الشروط فهو واصل إلى الجنة لا محالة. ويكرر الامام أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحقيقة قائلاً: الجنة جزاء كل مؤمن محسن<sup>١٩٠</sup>.

إذن الايمان هو الطريق إلى الجنة، وأول خطوة في طريق الايمان هو الجهاد مع النفس، لأنه مَنْ لا يفرغ قلبه من الشر لا يستطيع أن يملأه بالايمان، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: لا يجوز الجنة إلا من جاهد نفسه<sup>١٩١</sup>.

### سادساً: مَنْ هو المؤمن؟

في هذه المحطة نصل إلى المؤمن، أو بعبارة أخرى مَنْ ترجم الايمان في حياته يقول الامام: ثلاث مَنْ كنّ فيه كمل إيمانه: العقل والحلم والعلم<sup>١٩٢</sup>. فالمؤمن على درجات، لأنّ العقل والحلم والعلم على درجات أيضاً، فإذا كملت هذه العناصر الثلاثة كَمَلَ إيمانه أيضاً، وعلى اساس هذه الدرجات تكون درجته في الجنة، فكلما إرتفعت درجة إيمانه إرتقى درجة في الجنة أيضاً. إذن هدف الانسان في الحياة هو كسب الأمور الثلاثة المذكورة: العقل والحلم والعلم، فكان لأبد من التوقف عند كل واحدة منها.

### ١. العقل

للعقل مكانة مرموقة في فكر الامام علي عليه السلام، فهو جزء فاعل ومتفاعل في حياة الانسان، فالعقل عند الامام عليه السلام ليس - كما هو عند أصحاب النظريات الفلسفية المعقدة - فهو يُعرف من خلال آثاره وعبر نتائجه.

<sup>١٩٠</sup> الغرر ٣٨٣/١

<sup>١٩١</sup> الغرر ٦٥/٥

<sup>١٩٢</sup> الغرر ٣٣٥/٣

إذن ماهو العقل ، وماهي فوائده ، وماهو دوره في حياة الانسان ، وكيف يمكن صيانتة؟

سنلمُّ بهذه الاستفهامات الخمسة من خلال النصوص الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام

#### أ. ماهو العقل :

العقل عند أمير المؤمنين عليه السلام : هو السلطة التي تقود الانسان إلى الخير والسعادة. يقول الامام في ذلك : **العقل إنك تقتصد فلا تسرف وتعد فلا تُخلف وإذا غضبت حلّمت**<sup>١٩٣</sup> ويقول : **إنما العقل التجنب من الاثم والنظر في العواقب والأخذ بالحزم**<sup>١٩٤</sup> وهو أداة السلطة التي يستخدمها الانسان في مواجهة حالات الضعف والسقوط التي قد نعتريه ، يقول الامام : **العقل سلاح كل أمر**<sup>١٩٥</sup> .  
وإذا ما دققنا في النصوص الأخرى التي تحكي عن ماهية العقل نجد أنها تتفق على أنَّ العقل قوة وسلطة تساعد الانسان على نقله من دائرة الشر إلى دائرة الخير.

#### ب. فوائد العقل :

عندما يستخدم الانسان سلطة العقل في توجيه حياته فإنه سيكسب كل خير ، وسيجنب كل شر ، سيكسب الحياة وما فيها من خيرات وسيكسب التعالي في بناء شخصيته وما تتحلى به من فضائل.

من هنا : فإن ثمرة العقل : **الاستقامة**<sup>١٩٦</sup> . **لزوم العقل**<sup>١٩٧</sup> **العمل للنجاة**<sup>١٩٨</sup> **مداراة الناس**<sup>١٩٩</sup> ، **الصدق**<sup>٢٠٠</sup> **قمع الهوى**<sup>٢٠١</sup> .

<sup>١٩٣</sup> الغرر ٢/١٤٥ .

<sup>١٩٤</sup> الغرر ٣/٨٤ .

<sup>١٩٥</sup> الغرر ١/٢١٠ .

<sup>١٩٦</sup> الغرر ٣/٣٢٢ .

<sup>١٩٧</sup> الغرر ٣/٣٢٠ .

<sup>١٩٨</sup> الغرر ٣/٣٢٩ .

<sup>١٩٩</sup> الغرر ٣/٣٢٩ .

<sup>٢٠٠</sup> الغرر ٣/٣٣٣ .

<sup>٢٠١</sup> الغرر ٣/٣٣٤ .



يقول الامام: مَنْ عقل... فَهَمَّ<sup>٢٠٢</sup>، عَفَّ<sup>٢٠٣</sup>، إِسْتَقَالَ<sup>٢٠٤</sup>، سَمَحَ<sup>٢٠٥</sup>، قَنَعَ<sup>٢٠٦</sup>، صَمَتَ<sup>٢٠٧</sup>،  
كثُرَ إِعْتَبَارُهُ<sup>٢٠٨</sup>.. اعتبر بأمسه وإستظهر لنفسه<sup>٢٠٩</sup>، يتعظ من غفلته<sup>٢١٠</sup>.

ج. مَنْ هو العاقل:

عرفنا العقل وفائدته وقد آن الأوان لنعرف مَنْ هو العاقل، يستخدم الامام أمير المؤمنين عليه السلام عبارة العاقل للدلالة على مَنْ استخدم عقله، وكأنَّ هذا العقل قد تسرب إلى أنحاء بدنه كما أن الدم ينتشر ويتسرب فيمنح الحياة لأعضاء بدن الانسان.

فالعقل هو الحاكم على أعضاء بدنه، بل كل خلية في كيانه تديره سلطة العقل، فهي خاضعة له خضوع طاعة واعية، مُنصاعة إليه لأنه سلطة تقوده إلى الخير والسعادة، لذا: يستدل على عقل الرجل بالتحلي بالعفة والقناعة<sup>٢١١</sup>... بما يجري على لسانه<sup>٢١٢</sup>... بكثرة وقاره<sup>٢١٣</sup>.

فكل جوارحه وجوانحه وأعضائه منساقة منضبطة لسلطة العقل: فالعاقل لا ينخدع<sup>٢١٤</sup>... يضع نفسه<sup>٢١٥</sup>... من وعظته التجارب<sup>٢١٦</sup>... من أمات شهوته<sup>٢١٧</sup>... من صدق أقواله أفعاله<sup>٢١٨</sup>... مَنْ

٢٠٢ الغرر ٥/١٣٥ ذ.

٢٠٣ الغرر ٥/١٣٥.

٢٠٤ الغرر ٥/١٤٠.

٢٠٥ الغرر ٥/١٤٥.

٢٠٦ الغرر ٥/١٥٠.

٢٠٧ الغرر ٥/١٥٤.

٢٠٨ الغرر ٥/٢٥٨.

٢٠٩ الغرر ٥/٣٥٩.

٢١٠ الغرر ٥/٣٩٧.

٢١١ الغرر ٦/٤٤٨.

٢١٢ الغرر ٦/٤٤٨.

٢١٣ الغرر ٦/٤٥٣.

٢١٤ الغرر ١/١١٦.

٢١٥ الغرر ١/١٧٨.

وقف حيث عُرف<sup>٢١٩</sup>... مَنْ تورّع عن الذنوب<sup>٢٢٠</sup>... إذا سكت فكّر وإذا نطق ذكر وإذا نظر  
إعتبر<sup>٢٢١</sup>... مَنْ وضع الأشياء مواضعها<sup>٢٢٢</sup>... يجتهد في عمله<sup>٢٢٣</sup>... لا يفرط به عنف<sup>٢٢٤</sup>... مَنْ  
يملك نفسه إذا غضب وإذا رغب وإذا رهب<sup>٢٢٥</sup>... مَنْ قمع هواه بعقله<sup>٢٢٦</sup>. الفكرة التي تطرحها  
هذه النصوص هي: أنّ العقل قوة تعمل على تنظيم أجزاء الانسان بما تفرض من قواعد وضوابط،  
ومن ثمّ هو المسؤول عن تفعيل هذه الأجزاء بطريقة متسقة، وينتج عن ذلك إنساناً متزناً منضبطاً  
تتحرك أجزاؤه وفق معايير وقواعد، وتكون الحركة بطبيعة الحال باتجاه أهداف خيرة.

#### د صيانة العقل :

فإذا كان للعقل هذه الأهمية، فكيف يمكن صيانتته والحفاظ عليه؟ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: شرُّ  
آفات العقل الكبير<sup>٢٢٧</sup> فالتكبر يعزل الناس عن المتكبر حتى لو كان عالماً عاقلاً، مِنْ هنا كان: جهاد  
النفس بالعلم عنوان العقل<sup>٢٢٨</sup>. ويقول الامام علي عليه السلام عن معاول العقل: سب فساد العقل  
الهوى<sup>٢٢٩</sup> وأيضاً: سبب فساد العقل حبّ الدنيا<sup>٢٣٠</sup>.

<sup>٢١٦</sup> الغرر ١/٣١٢.

<sup>٢١٧</sup> الغرر ١/٣١٣.

<sup>٢١٨</sup> الغرر ١/٣٦٥.

<sup>٢١٩</sup> الغرر ١/٣٦٦.

<sup>٢٢٠</sup> الغرر ٢/٣٦٦.

<sup>٢٢١</sup> الغرر ٢/٥٥٥.

<sup>٢٢٢</sup> الغرر ٢/٧٩.

<sup>٢٢٣</sup> الغرر ٢/٩٢.

<sup>٢٢٤</sup> الغرر ٢/١٠٧.

<sup>٢٢٥</sup> الغرر ٢/١١١.

<sup>٢٢٦</sup> الغرر ٢/١٦٢.

<sup>٢٢٧</sup> الغرر ٤/١٧٨.

<sup>٢٢٨</sup> الغرر ٣/٣٦٨.

<sup>٢٢٩</sup> الغرر ٤/١٢١.

ويقول أيضاً: ذهاب العقل بين الهوى والشهوة<sup>٢٣١</sup>.

فمنطقه الخطر التي تهدد العقل حدودها الهوى، فكلما اتسعت هذه الدائرة إشتدّ خطرها، لذا كان لأبد من التحفّز الدائم لصيانة العقل من هذه المخاطر.

يقول الامام: ردع النفس عن زخارف الدنيا ثمرة العقل<sup>٢٣٢</sup>.

ويقول أيضاً: كسب العقل الاعتبار والاستظهار<sup>٢٣٣</sup>.

ويقول أيضاً: لا تصحب من لا عقل له<sup>٢٣٤</sup>.

وأفضل وسيلة لصيانة العقل هو مجالسة الحكماء، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: مجالسة الحكماء حياة العقول وشفاء النفوس<sup>٢٣٥</sup>.

## ٢. الحلم:

هدف آخر يسعى من أجله الانسان ليصبح متمكناً من نفسه من شهواته وغضبه، والحلم هو سلطة لارغام النفس على إتخاذ حالة الاعتدال، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: إنما الحلم كظم الغيظ وملك النفس<sup>٢٣٦</sup>. اما فائدته فتعكس على سلوك الانسان فيضعه في مكانة مرموقة داخل المجتمع، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: الحلم عشيرة<sup>٢٣٧</sup> ومن ثمار الحلم الرفق - كما يقول الامام عليه السلام - وهذه الخصال ذات أثر واقعي على حياة البشر لأنها تفتح الطريق أمام التوسع في العلاقات الأخوية الصادقة. أضف إلى ذلك فإن الحلم يسترمعائب الفرد إذا كانت فيه معائب، فسطوع هذه الفضيلة

<sup>٢٣٠</sup> الغرر ٤/١٢٥.

<sup>٢٣١</sup> الغرر ٤/٣٢.

<sup>٢٣٢</sup> الغرر ٤/٨٨.

<sup>٢٣٣</sup> الغرر ٤/٦٢٧.

<sup>٢٣٤</sup> الغرر ٦/٢٦٢.

<sup>٢٣٥</sup> الغرر ٦/١٥١.

<sup>٢٣٦</sup> الغرر ٣/٧٤.

<sup>٢٣٧</sup> قصار الكلمات رقم ٤١٨.

سُيْغَطِي عَلَى الْعُيُوبِ ، لَذَا كَانَ الْحَلَمُ غَطَاءً سَاتِرًا<sup>٢٣٨</sup> يَسْتَرُ عَلَى جَوَانِبِ ضَعْفِهِ الذَّاتِيَةِ الَّتِي لَا دَخَلَ لَهَا فِيهَا كَالْبُكْمِ وَالصَّمِّ . وَحَتَّى لَوْ كَانَتْ فِيهِ رَذِيلَةٌ فَإِنَّ الْحَلَمَ يَسْتَرُ عَلَيْهَا ، وَيَخْفَى مِنْ آثَارِهَا .

### أَمَا كَيْفَ تَصْبِحُ حَلِيمًا؟

يَضَعُ الْإِمَامُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَامَنَا عِدَّةَ طُرُقٍ لِكَسْبِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ ، مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ مَجَالِسَةُ الْحُلَمَاءِ : جَالِسِ الْحُلَمَاءِ تَزِدُ حِلْمًا<sup>٢٣٩</sup> . وَيَقُولُ أَيْضًا : صَاحِبِ الْحُكَمَاءِ وَجَالِسِ الْحُلَمَاءِ<sup>٢٤٠</sup> .

كَمَا لَا بُدَّ مِنْ مَكَافَحَةِ الْآفَاتِ الَّتِي تَقِفُ حَجَرًا عَثْرَةً أَمَامَ الْحَلَمِ مِنْهَا الْمَذَلَّةُ : آفَةُ الْحَلَمِ الذِّلُّ<sup>٢٤١</sup> ، لِأَنَّ الذِّلِيلَ يَفْقِدُ مُوَازِينَ الْقِيَمِ .

### ٣. الْعِلْمُ :

هَدَفُ ثَالِثٍ مِنْ أَهْدَافِ الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ . فَهُوَ يَتَعَلَّمُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْيِيَ حَيَاةً أَفْضَلَ ، فَبِالْعِلْمِ يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَقُودَ مَسِيرَةَ حَيَاتِهِ وَأَنْ يُحَسِّنَ مَعِيشَتَهُ يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع : اِكْتَسِبُوا الْعِلْمَ يَكْسِبُكُمْ الْحَيَاةَ<sup>٢٤٢</sup> . وَالْعِلْمُ عِنْدَمَا يَقْتَرِنُ بِهِ الْعَمَلُ يَتَحَوَّلُ إِلَى حَرَكَةٍ صَحِيحَةٍ فِي الْحَيَاةِ ، يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : الْعِلْمُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ<sup>٢٤٣</sup> . وَيَقُولُ أَيْضًا : الْعِلْمُ حَيَاةٌ وَشِفَاءٌ<sup>٢٤٤</sup> ، الْعِلْمُ خَيْرُ دَلِيلٍ<sup>٢٤٥</sup> فَالْعِلْمُ هُوَ الْوَسِيلَةُ الَّتِي تَنْقُلُ الْإِنْسَانَ مِنَ الطَّرِيقِ الْمَظْلَمِ إِلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِعِ ، وَتَمْنَحُهُ الْقُدْرَةَ عَلَى إِدَارَةِ نَفْسِهِ وَتَخْلِيصِهَا مِنَ الْهَفَوَاتِ وَالنَوَاقِصِ ، يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع : الْعِلْمُ يُنْجِي مِنَ الْارْتِبَاكِ فِي الْخَيْرَةِ<sup>٢٤٦</sup> لِأَنَّهُ يُضِيءُ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْبَشَرِ وَيَجْعَلُهُمْ مُتَبَصِّرِينَ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَقَادِرِينَ عَلَى تَفْهَمِ الظُّرُوفِ

<sup>٢٣٨</sup> قصار الكلمات رقم ٤٢٤ .

<sup>٢٣٩</sup> الغرر ٣/٣٥٧ .

<sup>٢٤٠</sup> الغرر ٤/٣٢٦ .

<sup>٢٤١</sup> الغرر ٣/١٦ .

<sup>٢٤٢</sup> الغرر ٢/٢٤٠ .

<sup>٢٤٣</sup> الغرر ١/٢٠٥ .

<sup>٢٤٤</sup> الغرر ١/١٨٢ .

<sup>٢٤٥</sup> الغرر ١/١٥٦ .

<sup>٢٤٦</sup> الغرر ٢/٣٤ .

- المحيطة بهم، وما الذي يجب فعله، يقول امير المؤمنين: العلم يرشدك إلى ما أمرك الله به<sup>٢٤٧</sup>.
- ولو تعمقنا في النصوص الواردة عن أمير المؤمنين عليه السلام لاستتجنا ما يلي:
- العلم لا يكون نافعاً إلا إذا اقترن بالعمل: علم بلا عمل كشجر بلا ثمر<sup>٢٤٨</sup>.
- لا فائدة من العبادة بدون العلم: المتعبّد بغير علم كحمار الطاحونة<sup>٢٤٩</sup>.
- تجارب الإنسان في الحياة، وهو نوع من العلوم: التجارب علم مستفاد<sup>٢٥٠</sup>.
- وهناك علوم متنوعة، يجب تعلم الأفضل: خذوا من العلم أحسنه<sup>٢٥١</sup>.
- وهناك علوم تؤدي بمن تعلمها إلى الضلال يجب إجتناها: رب علم أدى إلى مضلتك<sup>٢٥٢</sup>.
- بالعلم يسعد الفقير والغني: العلم زين الأغنياء وغنى الفقراء<sup>٢٥٣</sup>.
- وبالعلم يمتلك الانسان المقومات الاجتماعية: تعلموا العلم تُعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله<sup>٢٥٤</sup>.
- من مظاهر العلم الخشية: أعظم الناس علماً أشدهم خوفاً لله سبحانه<sup>٢٥٥</sup>.
- لا بد من أن يُعلّم العالم الجاهل: المال تُنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق<sup>٢٥٦</sup>. ويقول أيضاً: زكاة العلم نشره<sup>٢٥٧</sup>.

٢٤٧ الغرر ٢/٦٠.

٢٤٨ الغرر ٤/٣٥٠.

٢٤٩ الغرر ٢/١٢٥.

٢٥٠ الغرر ١/٢٦٠.

٢٥١ الغرر ٣/٤٥٨.

٢٥٢ الغرر ٢/٧٦.

٢٥٣ الغرر ١/٣٩٤.

٢٥٤ الغرر ٣/٢٩٧.

٢٥٥ الغرر ٢/٤٢٨.

٢٥٦ الغرر ٢/١١٦.

٢٥٧ الغرر ٤/١٠٤.

إذا اقترنت الزعامة بالعلم فستكون زعامة متميزة: سياسة النفس أفضل سياسة ورياسة العلم أشرف رياسة<sup>٢٥٨</sup>.

لأبد من التعب والنصب من أجل تحصيل العلم: لا يُدرك العلم براحة الجسم<sup>٢٥٩</sup>. هذا هو العنصر الثالث عنصر العلم الذي يجب على الانسان أن يسعى للحصول عليه.

وحدة الهدف بين العقل والحلم والعلم

من الشروح السابقة للعقل والحلم والعلم تبين لنا وجود نسق مشترك بين هذه الأركان الثلاثة، فالعقل كما يقول الامام؛ مركب العلم، والعلم - كما يقول - مركب الحلم، وفي نص آخر: العقل أصل العلم وداعية الفهم<sup>٢٦٠</sup>.

ولا خير في عقل لا يُقارنه حلم<sup>٢٦١</sup>.

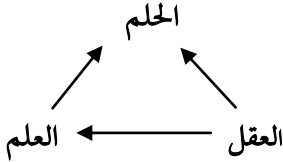
والحلم هو تمام العقل<sup>٢٦٢</sup>.

ومع العقل يتوفر الحلم<sup>٢٦٣</sup>.

والعلم مصباح العقل<sup>٢٦٤</sup>.

والعلم قائد الحلم<sup>٢٦٥</sup>.

مما تقدم نستطيع أن نرسم معادلة الهدفية في الحياة.



<sup>٢٥٨</sup> الغرر ١٣٥/٤.

<sup>٢٥٩</sup> الغرر ٣٨٧/٦.

<sup>٢٦٠</sup> الغرر ٩١/٢.

<sup>٢٦١</sup> الغرر ٣٩٦/٦.

<sup>٢٦٢</sup> الغرر ٢٦٤/١.

<sup>٢٦٣</sup> الغرر ١٢١/٦.

<sup>٢٦٤</sup> الغرر ١٤٤/١.

<sup>٢٦٥</sup> الغرر ٢١١/١.

فالعقل يؤدي إلى العلم وهما معاً يؤديان إلى الحلم. وهذه هي الصفات الأساسية للشخصية المتكاملة التي يسعى من أجلها كل إنسان. وهي بالتالي صفات يجب توفرها في المدير المناسب القادر على إدارة دفة الأمور.

فالعقل والحلم والعلم هي شروط يجب توفرها في المدير الجيد القادر على الإدارة فسلطة العقل تمتد في آثارها منعكسة على الإدارة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: أول شيء يدل على غزارة العقل حسن التدبير<sup>٢٦٦</sup>. لأنّ بالعقل يتمكن الانسان العاقل أن يُدير الناس أفضل إدارة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: عنوان العقل مداراة الناس<sup>٢٦٧</sup>. ومداراة الناس هي إحدى أركان الإدارة الجيدة، وهي معرفة ما يرضيهم وما يزيدهم من فاعليتهم في الحياة.

أما شرط الحلم في المدير، فنذكر هنا ما ورد في عهد أمير المؤمنين إلى مالك الأشتر وهو يذكره بشروط تنصيب القادة العسكريين فيقول له: فول من جنودك.. وأفضلهم حلماً<sup>٢٦٨</sup>. أما العلم فهو أحد أركان الإدارة والقيادة عند الامام أمير المؤمنين عليه السلام: رياسة العلم أشرف رياسة<sup>٢٦٩</sup>. فالإدارة ليست فناً وحسب، بل هي علم أيضاً.

من هنا كان الهدف تنمية قدرات الانسان ليستطيع من تحمّل المسؤولية وإدارة دفة الأمور.

### خلاصة البحث:

مما سبق تبين لنا أن الإدارة عند أمير المؤمنين عليه السلام ليست فعلاً ميكانيكياً بل هي مجموعة صفات وخصال تمتاز فيما بينها للحصول على المدير الجيد والإدارة الجيدة، وهذه الصفات هي التنظيم، فلا إدارة بدون تنظيم ونظام، فإذا حلّ نقص التنظيم حلت محله الفوضى.

<sup>٢٦٦</sup> الغرر ٢/٤٢٩.

<sup>٢٦٧</sup> الغرر ٤/٣١٠.

<sup>٢٦٨</sup> باب الرسائل، رقم ٥٣.

<sup>٢٦٩</sup> الغرر ٤/١٣٥.

والصفة الثانية : الانسانية بمعنى ان الذي يتحرك ويفعل الادارة هو الانسان وليس الآلة ، فكان لا بُد من معرفة الانسان والتعريف على نقاط قوته ونقاط ضعفه ، فالادارة الجيدة هي التي تحاول أن تستثمر نقاط القوة في أعضائها وتعالج نقاط الضعف فيهم.

أما الصفة الثالثة : فهي الحالة الاجتماعية ، أي أن الادارة تشكل بمجموعها مجتمعاً منظماً تنشأ فيه العلاقات الانسانية وتنمو فيه الروح الجماعية. وعندما تتحرك هذه الادارة كأنما المجتمع بأسره قد تحرك وهذه النظرة تخالف أولئك الذين ينظرون إلى الادارة وكأنها متكونة من أجزاء بشرية متناثرة لا يربطها رابط سوى القوانين الصارمة ، كما هي البيروقراطية والتلرية العلمية.

أما الصفة الرابعة : فهي الهدفية ، فلا بد أن يكون للإدارة هدفاً وأن يكون هذا الهدف منسجماً مع أهداف الانسان في الحياة ، وبالتالي يجب أن تكون هذه الأهداف منصبة في بناء الإدارة القوية ، وهنا نجد أنفسنا أمام دائرة متكاملة شاملة وهي المعبرة عن الفضائل الانسانية والساعية أيضاً إلى تحقيقها في الحياة.

#### المصادر:

- القرآن الكريم.
- نهج البلاغة.
- غرر الحكم ودرر الكلم / الأمدي.
- المفردات / الراغب.



**أثر نهج البلاغة**  
**في**  
**مصادر الفكر السياسي**  
**الإسلامي**

**د. محسن القزويني**

## أثر نهج البلاغة في مصادر الفكر السياسي الإسلامي

مصادر الفكر السياسي كثيرة ولا يمكن أن تحصى عدداً، وأول مصدر للفكر السياسي الإسلامي هو القرآن الكريم، ومن بعده كتب الصحاح، ثم كتب العقائد والفقه والتفسير، حيث نجد فيها مباحث الإمامة، الحقوق، الحدود، البغاة وأهل الذمة، القضاء، الخراج إلى آخره من الموضوعات السياسية، ويأتي بعد هذه المصادر في الأهمية، كتب التأريخ والتراجم وكتب الأدب والبلاغة التي تتضمن وصفاً لأحداث سياسية مرت في التاريخ الإسلامي.

وبعد هذه المصادر الرئيسية، تأتي مصادر أخرى كتبها علماء مجتهدون استندوا في دراساتهم على الأصول الأولى من القرآن والسنة. وحاولوا من خلال بحثهم أن يستنبطوا أفكاراً سياسية تحقق لهم أغراضهم التي وضعوا كتبهم من أجلها. فبعضهم حاول أن يستنبط نظرية سياسية من المصادر الأولى والبعض حاول أن يقدم دراسة شافية للسلطان كي يتمكن من إدارة دفة الأمور. والبعض حاول أن يقدم من خلال دراسته رؤية عن المشاكل السياسية التي تعاني منها الأمة، وطرق معالجتها، والبعض الآخر جاء على ذكر المواضيع السياسية عرضاً. ولاريب إن أكثر من كتبوا في هذه الموضوعات تأثروا بخطب الإمام علي عليه السلام، وقسم كبير منهم جاؤوا على ذكر هذه الخطب في مواطن الاستشهاد، والذي يهمنا هو أن نتناول هذه المصادر لاعتبارين، الأول، إن أغلب أصحاب هذه التأليفات هم من المجتهدين القادرين على الاستنباط، وفي موارد الاستنباط كلمات وخطب

الإمام أمير المؤمنين. والإعتبار الثاني ؛ إن هذه الكتب هي المصادر الرئيسية التي بين أيدي الدارسين والباحثين في الفكر السياسي الإسلامي ، والتي لا يمكن لأي كاتب أو باحث في الفكر السياسي الاستغناء عنها.

وستتناول أثر نهج البلاغة على هؤلاء المؤلفين بحسب التسلسل التاريخي.

### عبد الله بن المقفع: متوفى سنة ١٤٢هـ:

من أئمة الكتاب ، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق. ترجم له ، ابن النديم في الفهرست ، ذاكراً اسمه بالفارسية روزبه ، ويكنى قبل إسلامه أبا عمرو ، فلما أسلم اكتنى بأبي محمد ، وكان يكتب لعيسى بن علي الوالي على كرمان ، ويذكر من كتبه الأدب الصغير والأدب الكبير.

عند التفحص في كتابه الشهير ((الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة)) نلاحظ تأثره البالغ بالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، حتى إنه اعتاد على نقل نصوص من خطب الإمام دون أن يذكر اسم الإمام ، وما ذلك إلا تخفيفاً من السلطات العباسية التي كان يعمل موظفاً لديها. وقد أشار إلى ذلك دون أن يدلي بما هو أكثر فذكر في الأدب الصغير.

وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام (الناس) المحفوظ حروفاً<sup>١</sup>.

فمن هم هؤلاء الناس يا ترى؟ يذكر صاحب مقدمة الكتاب وهو يوسف أبو حلقة:

فيرى (أي ابن المقفع) أن البناء الأول في النثر العربي الأدبي الفني كان عند أمير المؤمنين الإمام علي في نهج البلاغة<sup>٢</sup>.

كما ويشير إلى ذلك ، محمد كرد علي في ترجمته لحياة ابن المقفع:

وقيل أنه تخرج في البلاغة بخطب علي بن أبي طالب<sup>٣</sup>.

<sup>١</sup> ابن المقفع: الأدب الصغير، ص ٣٧.

<sup>٢</sup> أبو حلقة: مقدمة الأدب الصغير ص ٦.

<sup>٣</sup> كرد علي: محمد أمراء البيان، ج ٢، ص ١٠٥.

فهل كان الإمام علي عليه السلام هو مثله الأعلى في الحكم والسياسة كما هو في الأدب؟

### الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة ((الدرة اليتيمة))<sup>٤</sup>:

يحاول ابن المقفع ومن خلال كتاباته أن يرسم نظرية سياسية. فالاتجاه السياسي هو الغالب على كتاباته، وحتى القسم الذي ترجمه من الفارسية الغالب عليه الجانب السياسي. ومن كتبه الشهيرة الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة التي طبعت في كتاب واحد، وتضمنت مجموعة نثرية جاءت في صياغتها على نسق رسائل الإمام علي عليه السلام الخاصة في ولاته، ووصاياه إلى أبنائه. وبالرغم من أنه لم يذكر اسم الإمام في كتابه مطلقاً، إلا أنه أخذ من الإمام الكثير من أقواله وخطبه.

وهذه نماذج عما نقله في ((الأدب الصغير والأدب الكبير)).

يقول في ص ٤٩: ومن نصب نفسه للناس إماماً في الدين فعليه بتعليم نفسه وتقديمها في السيرة والطعمة.

وهي مأخوذة من كلمة الإمام علي عليه السلام: من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه<sup>٥</sup>. ويقول ابن المقفع في ص ٥٢: ثم على الملوك بعد ذلك تعهد عمالهم وتفقد أمورهم حتى لا يخفى عليهم إحسان محسن ولا إساءة مسيء... وهذا أيضاً مأخوذ من الإمام علي عليه السلام، من رسالته إلى مالك الأشر: ولا يكن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة<sup>٦</sup>.

ويقول في ص ٥٣: والدنيا دول، فما كان منها لك أتاك على ضعف، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك.

وهي عبارات نقلها ابن المقفع من أمير المؤمنين عليه السلام:

<sup>٤</sup> ذكرها كل من ترجم لابن المقفع، اعتمدنا الطبعة ٣، ص ٧٠، الأدب الصغير، مكتبة البيان، ١٩٦٤، شرح يوسف أبو حلقة، واعتمدنا الدرة اليتيمة تصحيح شبيب أرسلان، طبع بيروت ١٨٩٧، المطبعة الأدبية.

<sup>٥</sup> عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٧٢.

<sup>٦</sup> عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٠٤.

وإن الدنيا دار دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك<sup>٧</sup>.

وجاء في الصفحة ٦٢: العجب آفة العقل، واللجاجة معقود الهوى؛ وهو قريب لكلام أمير المؤمنين عليه السلام:

عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله<sup>٨</sup>.

ويذكر في الصفحة ٨٤: الظفر بالحزم والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتكرار النظر وبتحصين الأسرار.

وهو كلام منقول نصاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار<sup>٩</sup>.

ويقول ابن المقفع في الصفحة ٨٩: سمعت العلماء قالوا: لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالکف، ولا حسب كحسن الخلق، ولا غنى كالرضى.

وهو أيضاً مستمد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

لا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالنقوى، ولا قرين كحسن الخلق. ولا ميراث كالأدب، ولا قائد كالنوفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح.. إلى آخر الخطبة<sup>١٠</sup>.

ويورد على الصفحة ٤٦ من الأدب الصغير؛ وعلى العاقل \_ ما لم يكن مغلوباً على نفسه \_ أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يُفضي فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه، وينصحونه في أمره، وساعة يُخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها مما يحل ويحمل. وقد استوحى هذه الجمل من كلام

<sup>٧</sup> عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٤٨.

<sup>٨</sup> عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٧٠٥.

<sup>٩</sup> عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٦٦٩.

<sup>١٠</sup> عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٨٦٢ - ٨٨٣.

أمير المؤمنين (عليه السلام) ؛ للمؤمن ثلاث ساعات ، ساعة يُناجي فيها ربه ، وساعة يُرمّ معاشه ، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها<sup>١١</sup> . وجاء في نهاية الأدب الكبير أو ((الدرة اليتيمة)) :

إني مخبرك عن صاحب ، كان أعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما أعظمه عندي ، صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه ، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يُكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا يدعو إليه مروءته ، ولا يستحق رأياً ولا بدناً وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يقدم إلا على ثقة أو منفعة ، وكان أكثر دهره صامتاً فإذا قال بذّ القائلين ، كان يُرى متضعفاً مستضعفاً فإذا جاء الجد فهو الليث عادياً . وكان لا يدخل في دعوى ولا يُشرك في رأي ولا يدلي بحجة حتى يجد قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً ، وكان لا يلوم أحداً على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره . وكان لا يشكو وجعاً إلا من يرجو عنده البرء ، ولا يصحب إلا من يرجو عنده النصيحة . وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى فهو لا ينتقم من الولي \_ ولا يغفل عند العدو ، ولا يخص نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته<sup>١٢</sup> .

وهذا الكلام مستوحى أيضاً بكامله من خطبة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) مطلعاً :

كان لي فيما مضى أخ في الله ، وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه .. إلى آخر الخطبة<sup>١٣</sup> . نكتفي بهذا القدر من هذه الاقتباسات التي قام بها ابن المقفع من خطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقد لاحظنا كيف أنه ينقل كلاماً للإمام مع بعض التغيير الطفيف وفي بعض المرات دون أدنى تغيير ، وقد دفع هذا النهج ببعض الكتاب إلى تصورات خاطئة بعيدة عن الواقع . فقد تصور الأستاذ محمد كرد علي إن الشريف الرضي أخذ كلامين لابن المقفع هما (وعلى العاقل .. الخ) و(إني مخبرك عن صاحب .. الخ) إن نسبهما للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) :  
نورد تعليقه على كلام ابن المقفع (إني مخبرك .. الخ).

<sup>١١</sup> الشريف الرضي : نهج البلاغة (الملحق لمعجم ألفاظ نهج البلاغة) ، ص ٢٢٢ .

<sup>١٢</sup> ابن المقفع : الأدب الصغير والأدب الكبير ، ص ١٨٦ .

<sup>١٣</sup> أورده الشريف الرضي ، ص ٢١٢ ، من (الملحق) وذكره السيد عبد الزهراء الحسيني في مصادر نهج البلاغة ، ص ٤ ، ص ٢٢٦ ، وأورد مصادر هذه الخطبة قبل الشريف الرضي وبعده .

وقد أورد الرضي في نهج البلاغة هذا الوصف ونسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بتحريف وزيادة<sup>١٤</sup>.

ثم يستتج بعد ذلك قائلاً:

ونرجح أن عزو هذا الكلام إلى علي بن أي طالب أو إلى الحسن بن علي، هو من فعل من أضافوا على كلام أمير المؤمنين ما ليس منه سبحانه الله<sup>١٥</sup>.

ثم يشير إلى نفس الملاحظة عند تعليقه على الكلمة الثانية لابن المقفع (وعلى العاقل... الخ) فيقول:

ومن ذلك ما نسبته لعلي وهو لابن المقفع ((للمؤمن ثلاث ساعات يناجي بها ربه... الخ))<sup>١٦</sup>. ولمناقشة الأستاذ محمد كرد علي نورد هذه الملاحظات:

١- خلط الأستاذ محمد كرد علي بين ما هو مذكور في نهج البلاغة وما هو مذكور في الأدب الصغير، ف ((للمؤمن ثلاث ساعات يناجي بها ربه...)) هو كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة، أما كلام ابن المقفع فهو ((وعلى العاقل... الخ)).

٢- هناك فرق ملموس بين ما أورده الشريف الرضي وبين ما جاء في الأدب الصغير، والأدب الكبير، فقد بدأ ابن المقفع بعبارة ((إني مخبرك عن صاحب كان أعظم.. الخ)) و((على العاقل...)) وهما في نهج البلاغة بشكل آخر هو ((كان لي فيما مضى أخ في الله...)) و((للمؤمن ثلاث ساعات...)) كما مر سلفاً.

٣- هناك نصوص كثيرة ذكرنا قسماً منها أوردها ابن المقفع وهي من كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يُغير فيها ابن المقفع أي تغيير، فماذا يقول محمد كرد علي في هذه النصوص هل نقلها الشريف الرضي عن ابن المقفع أيضاً.

<sup>١٤</sup> كرد علي: محمد، أمراء البيان، ج ٢، ص ٥٧٣.

<sup>١٥</sup> كرد علي: محمد، أمراء البيان، ج ٢، ص ٥٧٤.

<sup>١٦</sup> كرد علي: محمد، أمراء البيان، ج ٢، ص ٥٧٥.

- ٤- ذكر ابن المقفع في بداية الأدب الصغير، أنه وضع هذا الكتاب من كلام الناس، ولم يذكر اسم الذين نقل عنهم، وطبعاً على رأسهم كما عرفنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.
- ٥- أقر الأستاذ محمد كرد علي بهذه الحقيقة أيضاً عندما ذكر في كتابه أمراء البيان، وقيل إنه تخرج في البلاغة بخطب علي بن أبي طالب.. ثم يقر ذلك في النتيجة النهائية التي ينتهي إليها: وما نخال ذلك كافياً في بلوغ الغرض لقلة الماثور من تلك الخطب يومئذ.
- فالأستاذ محمد كرد علي يقلل من تأثير خطب الإمام علي عليه السلام في ابن المقفع بحجة إنها غير كافية أو متوفرة بشكل كاف حتى يتخرج عليها أديب كبير كابن المقفع.
- ولو كان الأستاذ كرد علي قد اطلع على رأي المسعودي في مروج الذهب حيث أشار إلى حفظ الناس لخطب الإمام<sup>١٧</sup> وقد بلغ عدد الخطب التي حفظها الناس أكثر من أربعمئة وثمانين خطبة. وهذا يكفي للدلالة على صحة نظرية القائلين بأن ابن المقفع تخرج على خطب الإمام عليه السلام.
- ٦- عندما ندقق في كلام أمير المؤمنين (ليس للعاقل.. الخ) نجد أنه ورد في كتاب المحاسن بسنده عن الأصمعي بن نباتة المتوفى سنة ١٠٠ للهجرة<sup>١٨</sup> أي قبل أن يولد ابن المقفع بست سنين، وهذا ما يؤكد لنا أن النص هو للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وليس لابن المقفع أي دور سوى نقل هذا النص كما هو عادته في نقل نصوص أخرى للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

### أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ للهجرة:

كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة<sup>١٩</sup>. مولده ووفاته في البصرة، فلج في آخر عمره، وكان مشوه الخلق ومات والكتاب على صدره، قتلتة مجلدات من الكتب وقعت عليه. له

<sup>١٧</sup> ذكره ابن أبي الحديد عن عبد الحميد الكاتب إنه قال: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصمعي، ففاضت ثم فاضت، وقال ابن نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الإنفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواظ علي بن أبي طالب (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ويبدو إن حفظ خطب الإمام كانت من عادة الأدباء والبلغاء، الجزء ١ / ص ٢٤).

<sup>١٨</sup> البرقي: المحاسن، كتاب السفر، ص ٢٧٤. والأصمعي بن نباتة من خاصة أمير المؤمنين (ع) وعمر بعده، وروى عهد مالك الأشتر الذي عهده إليه أمير المؤمنين لما ولاه مصر وروى الكثير من وصاياه وكلماته (الطوسي: الفهرست، ص ٣٧).

<sup>١٩</sup> الزركلي: خير الدين، الأعلام، ج ٥، ص ٧٤.



تصانيف في كل فن، له مقالة في أصول الدين، ومن أحسن تصانيفه وأمتعها الحيوان، وكذلك البيان والتبيين<sup>٢٠</sup>.

وبحكم اهتمام الجاحظ بالأدب والبلاغة فقد تأثر بخطب وكلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حتى أنه ألف مجموعة اختار فيها مائة كلمة لأمر المؤمنين، اختار الشريف الرضي جملة منها وأثبتها في النهج<sup>٢١</sup>. روى ذلك الخطيب الخوارزمي بسنده عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، قال: قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر صاحب أبي عثمان الجاحظ: كان الجاحظ يقول لنا زماناً: إن لأمر المؤمنين عليه السلام مائة كلمة، كل كلمة منها تعني بألف كلمة من محاسن كلام العرب، قال: وكنت أسأله دهرًا بعيداً أن يجمعها لي، ويمليها علي، وكان يعدني بها، ويتغافل عنها، ظناً بها، قال: فلما كان آخر عمره أخرج جملة مسودات مصنفاته فجمع منها تلك الكلمات وأخرجها إلي بخطه، فكانت الكلمات المائة هذه<sup>٢٢</sup> وقد أورد الجاحظ كلمات الإمام أمير المؤمنين في جميع كتبه، البيان والتبيين، الحيوان، والمحاسن والأضداد، التاج.

#### ١- المحاسن والأضداد<sup>٢٣</sup>:

وهو يشتمل على موضوعات متنوعة تصب في هدف المؤلف من تأليفه، وهو إبراز الفضائل والردائل في كل صنف من صنوف الصناعات، وفي كل طبقة من طبقات المجتمع. يقول الجاحظ عن كتابه في المقدمة:

<sup>٢٠</sup> ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٧١.

<sup>٢١</sup> الخطيب: عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ج ١، ص ٦٠.

<sup>٢٢</sup> الخوارزمي: المناقب، ص ٢٧١، والخوارزمي؛ هو الموفق بن أحمد الملكي الخوارزمي، أبو المؤيد مؤلف (مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة) و (مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) كان فقيهاً، أدبياً له خطب و سفر، أصله من مكة أخذ العربية عن الزمخشري بخوارزم، وتولى الخطابة بجامعها.

(الزركلي: خير الدين، ٣٢٣/٧، وذكر كتاب مناقب أمير المؤمنين حاجي خليفة في كشف الظنون، ص ١٨٤٤).

<sup>٢٣</sup> ذكر المناقب ونسبته إلى الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص ١٦٠٩، و البغدادي في هدية العارفين ٨٠٣/١، و الزركلي الاعلام، ٧٤/٥، وقد اعتمدنا الطبعة الأولى من الكتاب، مطبعة السعادة، سنة الطبع ١٩١٢م بمصر.

وجملة الكتاب وإن كثر ورقه فليس مما يحل، لأنه وإن كان كتاباً واحداً، فإنه كتب كثيره في خطابه والعلم بالشريعة والأحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير<sup>٢٤</sup>.

ويتضمن الكتاب جملة موضوعات أخلاقية منها ما يتعلق بحكام البلاد مثل محاسن المشورة وضده، محاسن الولايات وضده، محاسن الشجاعة وضده، محاسن حب الوطن وضده، محاسن الدهاء والحيل وضده.. إلى آخره.

ولا يُخفي الجاحظ تأثره بخطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سواء ذكر اسمه في طيات في كتبه أو لم يذكره.

وفي فصل محاسن المودة ينقل هذه الوصية للإمام أمير المؤمنين<sup>٢٥</sup>. إلى ولده الحسين عليه السلام: إبدل لصديقك كل المودة ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة، وأعطه كل المواساة ولا تفشي إليه كل الأسرار<sup>٢٦</sup>.

ثم يذكر موقف الإمام علي عليه السلام من معاوية عندما اتصل به مسير معاوية فقال: لا أرشد إليه قائدة، ولا أسعد رائده، ولا أصاب غيثاً، ولا سار إلا ريثاً، ولا رافق إلا ليثاً، أبعد الله وأسحقه وأوقد على أثره وأحرقه، لاحط الله رحله، ولا كشف محله، ولا بشر به أهله، ولا زكي له مطلب، ولا رحب له مذهب، ولا يسر له مراحاً، ولا فرج الله له غمه، ولا سرى همه، لا سقاء الله ماء، ولا حل عقده، ولا أروى زنده، وجعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق<sup>٢٧</sup>. وحول محاسن الدنيا نقل هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام.

الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها إلى آخر الخطبة<sup>٢٨</sup>.

<sup>٢٤</sup> الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص ٧.

<sup>٢٥</sup> الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص ٢٨، وذكر الشريف الرضي كلام أمير المؤمنين بهذا الكشل (إياك و مشاورة ... الخ) ضمن وصاياه إلى ولده الحسن (نهج البلاغة، ص ١٦٢ (الملحق)).

<sup>٢٦</sup> الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص ٤٧.

<sup>٢٧</sup> الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص ٩٦.

<sup>٢٨</sup> الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص ٩٦٠.

ثم يذكر الجاحظ ، عندما دخل علي صلوات الله عليه المدائن ، فنظر إلى إيوان كسرى أنشد بعض أصحابه شعراً (وذكر الشعر) .. فقال علي صلوات الله عليه : أبلغ من ذلك (يعني الشعر) قول الله تعالى : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين ، فما بكت عليهم السماء والارض وماكانوا منظرين ﴾<sup>٢٩</sup>.

## ٢- كتاب الحيوان:<sup>٣٠</sup>

وهو يتناول الحيوانات وما يرتبط بها من أدب ، وأخبار ، وروايات ، ويحاول الجاحظ أن يستنبط من حياة الحيوان العبر التي تنفع الإنسان في مجالات حياته المختلفة.

وذكر الجاحظ في هذا الكتاب الكثير من كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا مجال لذكرها جميعاً لتنوع أبوابه ، لكن نأخذ بعض ما يهمننا في الفكر السياسي . فحول إمارات النباهة ، يذكر ما يلي :

وكان يُقال يُستدل على نباهة الرجل في الماضين بتباين الناس فيه ، وقال : ألا ترى أن علياً رضي الله عنه ، قال : يهلك في فتان ، محب مفرط ، ومبغض مفرط . وهذه صفة أنبه الناس وأبعدهم غاية في مراتب الدين وشرف الدنيا<sup>٣١</sup>.

ومن مشتقات البيضة ، يذكر هذه الكلمة للإمام علي عليه السلام : أنا بيضة البلد<sup>٣٢</sup>.

وحول استعارات اليعسوب ، وهو فحل النحل يستشهد بكلام الإمام قائلاً :

وكما قال علي بن أي طالب رضي الله عنه ، في صلاح الزمان وفساده ، ((ماذا كان ضرب يعسوب الدين بذنبه))<sup>٣٣</sup>.

<sup>٢٩</sup> الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص ١٣٥ ، والآية : الدخان / ٢٩ .

<sup>٣٠</sup> ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون بتفصيل ص ٦٩٦ ، واعتمدنا الطبعة الأولى ، منشورات الحلبي وأولاده سنة ١٩٣٨م ، تحقيق عبد السلام محمد هارون .

<sup>٣١</sup> الجاحظ : الحيوان ، ٩٠/٢ ، و أورده الشريف الرضي بهذا الشكل ؛ و سيهلك في صنفان ، محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق (نهج البلاغة ص ٦٦ الملحق).

<sup>٣٢</sup> الجاحظ : الحيوان ، ٣٢٩/٣ .

<sup>٣٣</sup> الجاحظ : الحيوان ، ٣٢٩/٣ ، وقد أورده الشريف الرضي هكذا ؛ فإذا كان ذكر ضرب يعسوب الدين بذنبه ، فيجتمعون إليه ، كما يجتمع فرع الخريف . نهج البلاغة ص ٢١٠ الملحق.

وللجاحظ بالإضافة إلى هذين الكتابين، كتاب التاج في أخلاق الملوك، وهو كتاب أخلاقي سياسي كتبه على نسق وصايا أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن، وقد جمع فيه جملة أفكار استعارها من كلمات وحكم الأولين ومنهم أمير المؤمنين (عليه السلام).<sup>٣٤</sup>

### أبو جعفر البرقي المتوفى سنة ٢٧٤ أو سنة ٢٨٠:

هو أبو جعفر أحمد بن محمد البرقي، ذكره الطوسي قائلاً:  
أصله كوفي، وكان جده محمد بن علي حبسه يوسف بن عمر، والي العراق بعد قتل زيد ابن علي بن الحسين (عليه السلام)، ثم قتله، وكان خالد صغير السن فهرب مع أبيه عبد الرحمن إلى برقة قم فأقاموا بها، وكان ثقة في نفسه، غير أنه أكثر الرواية عن الضعفاء واعتمد المراسيل، وصنف كتباً كثيرة منها المحاسن وغيرها.<sup>٣٥</sup>  
وذكر ابن النديم، باسم آخر هو أبو عبد الله محمد بن خالد البرقي، وذكر أنه من أصحاب الرضا، وذكر كتبه: كتاب العويس، كتاب التبصرة، كتاب المحاسن، كتاب الرجال، وفيه ذكر من روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام).<sup>٣٦</sup>

### كتاب المحاسن.<sup>٣٧</sup>

الكتاب كما قيّمه المصحح السيد محمد صادق بحر العلوم في المقدمة:  
إن كتابه هذا كان مرجعاً لعلماء التأريخ، والجغرافية والتراجم، كما كان مرجعاً لعلماء الحديث.

والكتاب يتضمن موضوعات سياسية، مثل الغمامة، والولاية، والعدل، ويضم كتاب مصاييح الظلم على موضوعات من قبيل البدع، إظهار الحق، ويضم كتاب الصفوة والنور

<sup>٣٤</sup> راجع كتاب التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي، ط ١، مطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٤م.

<sup>٣٥</sup> الطوسي: الفهرست، ص ٢٠، و ذكر في وفاته روايتين كما جاء في أعيان الشيعة، ٣٩٩/٩.

<sup>٣٦</sup> ابن النديم: الفهرست، ص ٣٢٣.

<sup>٣٧</sup> اعتمدنا النسخة المطبوعة في النجف عام ١٩٦٤م، المطبعة الحيدرية، قدم لها محمد صادق بحر العلوم.

والرحمة على موضوعات من قبيل البدع، إظهار الحق، ويضم كتاب الصفوة والنور والرحمة على موضوعات الولاية، والمؤمن وصفاته الأساسية وهي المعرفة والحب اللتان لهما طابعاً سياسياً. وفي كتاب عقاب الأعمال يُبين بعض الموضوعات المتعلقة بموقف الإنسان مثل عقاب من شك في علي، عقاب من أنكر آل محمد، عقاب من لم يعرف إمامه، عقاب من اتخذ إمام جور، عقاب من نكث صفقة الإمام، والكتاب يتضمن الكثير من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، بل عدّه العلامة عبد الزهراء الخطيب من مصادر نهج البلاغة<sup>٣٨</sup>، حيث اعتمد عليه في الكثير من الكلمات القصار. وأورد البرقي كلمات الإمام في الموضوعات السياسية بالإضافة إلى الموضوعات الأخرى فذكر في الصفحة ٧٢ عن الإمام أنه قال: ثلاث موبقات، نكث الصفقة، وترك السنة، وفراق الجماعة. وأورد في كتاب مصايح الظلم (من المحاسن) كلام أمير المؤمنين عليه السلام :  
أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله، فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل<sup>٣٩</sup>.

نكتفي بهذا القدر القليل لأن ما ورد في الكتاب كثير من كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بل نستطيع أن نجزم أن الكتاب كله تقريباً هو من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام. أو كلمات أبنائه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

#### أبو محمد عبد الله بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ:

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عالم مشارك في أنواع من العلوم، كاللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه، وغريب الحديث، والشعر، والفقه، والأخبار، وأيام الناس، وغير ذلك. سكن بغداد وحدّث بها، وولي القضاء في دنيور. وتعتبر كتب ابن قتيبة من المصادر المهمة لنهج البلاغة. وتتجلى الأغراض السياسية في كتابين للمؤلف هما عيون الأخبار، الإمامة والسياسة.

<sup>٣٨</sup> الخطيب: عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، ص ٤٠.

<sup>٣٩</sup> البرقي: المحاسن، ص ٢٠٨، وأورد الشريف الرضي هذا الكلام في نهج البلاغة، راجع نهج البلاغة، بشرح محمد عبده، ص ٤٥٩.

## ١- عيون أخبار<sup>٤٠</sup>:

حقاً يُعتبر هذا الكتاب من المصادر السياسية، لأنه اشتمل على موضوعات سياسية متنوعة خصص المؤلف الجزء الأول من الكتاب لموضوع السلطان الجزء الثاني للحرب، وذكر المؤلف في الجزئين حكايات وكلمات وحكم لا يمكن أن يستغني عن مراجعتها كل باحث في الفكر السياسي الإسلامي. فحول الإصابة بالظن والرأي يذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق<sup>٤١</sup> وهو في الأصل لله در ابن عباس إنه.. الخ.

وفي فصل خيانات العمال، يذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام عندما كان يدخل بيت المال ويقول يا حمراء ويا بيضاء، أحمرى وأبيضى وغري غيري<sup>٤٢</sup>.

ويواصل كلامه حول خيانة الولاة، فينقل رسالة من الإمام إلى أحد ولاته بعد أن ظهرت منه الخيانة وهي؛

إني أشركتك في أمانتي، ولم يكن رجل من أهلي أوثق منك في نفسي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدو قد حرب قلبت لابن عمك ظهر المحن، فرقه مع المفارقين.. الخ<sup>٤٣</sup>. ويرى ابن قتيبة إن الوالي المقصود هو ابن عباس، بينما يرفض آخرون ذلك منهم ابن أبي الحديد، وستتناول هذا الموضوع في مكان آخر.

<sup>٤٠</sup> كل من ترجم حياة ابن قتيبة ذكر هذا الكتاب، ذكره ابن النديم؛ الفهرست، ١٢١، وذكره ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٢/٣، و ذكره حاج خليفة في كشف الظنون، ص ١١٨٤.

اعتمدنا الطبعة المصرية، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٣م.

<sup>٤١</sup> المصدر نفسه ٣٥/١، وأورده الخوارزمي في المناقب، ص ١٢٧.

<sup>٤٢</sup> ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٥٧/١، وذكره الصدوق هكذا: يا صفراء يا بيضاء لا تغريني غري غيري. الصدوق، الأمالي ١٦٩، و أيضاً المجلي: بحار الأنوار ١٠٢/٤١.

<sup>٤٣</sup> ذكر ابن أبي الحديد الرسالة بهذا الشكل: (أما بعد، فاني كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي، وأداء الأمانة إلى، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، والعدو قد حرب، وأمنة الناس قد خزيت، وهذه الأمة قد فتكت وشغرت، قلبت لابن عمك ظهرا لمحن.. إلى آخره.) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٦٧/١٦، ونقل الرسالة الإمام محمد عبده كما هي في شرح ابن أبي الحديد مع اختلاف في كلمة فتكت فذكر بدلا عنها، كلمة فنكت(أي صارت ماجنة) انظر نهج البلاغة بشرح محمد عبده، ص ٥٨١.

وفي فصل آداب الحرب ومكائدها ينقل رواية طويلة عن ابن عباس يصف بها أمير المؤمنين يوم صفين قائلاً:

ما رأيت رئيساً يوزن به، لرايته يوم صفين وكأن عينيه سراج سليط وهو يحمس أصحابه، إلى أن انتهى إلي وأنا في كثيف، فقال: معشر المسلمين استشعروا الخشية وعنوا الأصوات وتجليبوا السكينة وأكملوا اللوم وأخفوا الخون، وقلقلوا السيوف في أغمارها قبل السلة والخطوا الشزر وأضعنوا النبر، ونافحوا بالضبا وصلوا السيوف بالخطأ والرماح بالنبل، وامشوا إلى الموت مشياً سجعاً، وعليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطنب، فاضربوا شبحه، فإن الشيطان راكد في كسر نافج خصيبة مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يداً وآخر للنكوص رجلاً<sup>٤٤</sup>.

ومن تعاليمه في الحرب يذكر ابن قتيبة، قوله لابنه الحسن:

يا بني لا تدعون أحداً إلى البراز، ولا يدعونك أحد إليه غلا أجبتة فإنه بغي<sup>٤٥</sup>. وفي العدة والسيوف يذكر هذه الكلمة للإمام علي في السيف:

السيف أنمي عدداً وأكثر ولداً<sup>٤٦</sup>.

ثم يذكر إن درع علي (رضي الله عنه) صدرأ لا ظهر لها فليل له في ذلك فقال:

إذا استمكن عدوي من ظهري فلا يُبق<sup>٤٧</sup>.

وفي فصل آداب الفروسية يذكر هذه الكلمة للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

عضواً على النواجد من الاضراس، فإنه أنبى للسيوف عن الهام<sup>٤٨</sup>.

وفي فصل أخبار الجبناء، فيذكر كلمة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في عمرو بن العاص:

<sup>٤٤</sup> ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ١١٠، ذكره محمد عبده، مع بعض الإضافات (نهج البلاغة، ص ١٦٦)، و ذكره صبحي الصالح في الصفحة ٩٧.

<sup>٤٥</sup> ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ١٢٨، و ذكره الشريف الرضي في نهج البلاغة، ص ٢٠٨ (الملحق).

<sup>٤٦</sup> ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ١٣٠، و جاء في نهج البلاغة للشريف الرضي (بقى السيف أبقي عدداً، و أكثر و لداً) نهج البلاغة، ص ١٩٥، (الملحق لمعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة).

<sup>٤٧</sup> ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ١٣١.

<sup>٤٨</sup> ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ١٣٣، و قد أورد الشريف الرضي كلام أمير المؤمنين بهذا الشكل عضواً على النواجد، فإنه أنبى للسيوف (نهج البلاغة: ص ٢٧ (الملحق)).

عجباً لابن النابغة، يزعم أنني تلعبه، أعافس، وأمارس، أما وشر القول أكذبه.. إلى آخر الخطبة<sup>٤٩</sup>.

وفي فصل الحيل في الحروب وغيرها، يذكر ابن قتيبة:  
أرسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال:  
إئت الزبير ولا تأت طلحة، فإن الزبير ألين وأنت تجد طلحة كالثور، عاقصاً قرنه، يركب  
الصعوبة ويقول هي أسهل، فاقرأه السلام وقل له يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز،  
وأنكرتني بالعراق، فما عدا مما بدا<sup>٥٠</sup>.

وفي فصل ذكر الأمصار، ذكر خطبة الإمام علي عليه السلام حين دخل البصرة:  
يا أتباع البهيمة ويا جند المرأة، رَغَا فأجبتكم، وعُقِرَ فانهزمتكم، دينكم نفاق وأخلاقكم رقاق  
وماؤكم زُقاق.. الخ<sup>٥١</sup>. وللإمام كلام آخر في أهل البصرة سنورده في مكانه إن شاء الله تعالى.

## ٢- الإمامة والسياسة<sup>٥٢</sup>:

ويتضمن الكتاب الوقائع التاريخية من بداية الخلافة الراشدة حتى نهاية حكم الرشيد عام  
١٩٥ هـ. ولذا يسمى أيضاً بـ (تاريخ الخلفاء). ويتسم الكتاب بالسمة السياسية لأنه يُركز على  
الأحداث السياسية الهامة وما دار في تلك الحقبة من التاريخ الإسلامي من حوادث وصراعات  
سياسية، فقد ذكر المؤلف في نهاية الجزء الثاني؛ قد تم بعون الله تعالى ما به ابتدأنا، وكمل وصف

<sup>٤٩</sup> ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ١٦٤، أورد الخطبة الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٣٥ (الملحق) كما وأوردها محمد عبده في  
الصفحة ٢٠٠ مشيراً أنها في عمرو بن العاص.

<sup>٥٠</sup> ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ١٩٠، وأورد الشريف الرضي هذا الكلام بهذا الشكل.

<sup>٥١</sup> ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص ٢١٧، ونقلها الشريف الرضي بشكل آخر؛ كنتم جُند المرأة وأتباع البهيمة، رَغَا فأجبتكم، وعقر  
فهرتكم، أخلاقكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، وماؤكم زُقاق (عبده) نهج البلاغة ص ٩٨ - ٩٩ (الملحق) ص ٩.

<sup>٥٢</sup> لم يأتي ابن النديم على ذكر السياسة والإمامة (انظر: الفهرست، ص ١٢١) وكذلك حاجي خليفة في كشف الظنون، وكذلك  
البغدادي في هدية العارفين، ص ٤٤١ من الجزء الأول، ولم يأت على ذكر كحالة (انظر: معجم المؤلفين، ١٥٠/٦) أما الزركلي فقد  
أورد اسم الكتاب عند ترجمته لابن قتيبة لكنه ذكر (و للعلماء نظر في نسبه اليه (الاعلام، ١٤٧/٤)، وذكره بركلمان قائلاً: وأما كتاب  
الإمامة و السياسة المنسوب الى ابن قتيبة فتوجد مخطوطاته في برلين، المتحف البريطاني، بشاور، بنكيور، بوهار مكتبة جامعة لندن،  
(تأريخ الادب العربي، ج ٢، ص ٢٢٩)، و ذكره جرجي زيدان في (تأريخ آداب اللغة العربية: ج ٢، ص ١٩٨) قائلاً: وهو كتاب بجزئين  
طبع عدة طبعات. واعتمدنا النسخة المطبوعة في مصر سنة ١٩٦٣ م الطبعة الثانية.



ما قصصنا من أيام خلفائنا وخير أئمتنا، وفتن زمانهم، وحروب أيامهم، وانتهينا إلى أيام الرشيد<sup>٥٣</sup>.

وقد اشتمل الجزء الأول من الكتاب على العشرات من كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (خطبه - رسائله - كلماته الغريبة - حكمه القصار) واتخذ صاحب كتاب مصادر نهج البلاغة مصدراً لكتابه<sup>٥٤</sup>.

ولكثر ما ورد في الكتاب من خطب الإمام علي عليه السلام، اكتفيت بالإشارة إلى تلك الخطب مع أرقام الصفحات، فهي تكفي للدلالة على أثر خطب الإمام علي عليه السلام في هذا الكتاب.

كلام الإمام علي حول الخليفة عمر ص ٢.

محاورة الإمام علي بن أبي طالب مع العباس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، ص ٤.

قول الإمام علي حول الزبير ص ١٠.

كلامه أثناء بيعته لأبي بكر ص ١١.

احتجاج الإمام علي على المهاجرين ص ١٢.

السبب الذي دفع بالإمام علي لعدم المشاركة في السقيفة ص ١٢.

محاورة الإمام علي مع الخليفة عمر وإجباره على المبايعة ص ١٣.

كلامه أثناء بيعته للخليفة أبي بكر ص ١٤.

محاورة الإمام علي مع عبد الرحمن بن عوف حول الخلافة بعد وفاة الخليفة عمر ص ٢٦.

رد الإمام علي على معاوية بن أبي سفيان في مجلس عثمان ص ٣٠.

إقامة الإمام علي الحد على الوليد بن عقبة، وكلامه في ذلك ص ٣٤.

طلب الإمام علي من الخليفة عثمان إقالة ابن أبي سرح من عمله ص ٣٦.

محاورة بين الإمام علي والخليفة عثمان حول كتاب كتبه إلى عبد الله بن أبي سرح ص ٤٠.

خطبة للإمام علي عليه السلام قبل البيعة ص ٤٦.

<sup>٥٣</sup> ابن قتيبة: الإمام والسياسة، ج ٢، ص ٢٠٧.

<sup>٥٤</sup> انظر الجزء الأول صفحة ٣١ من مصادر نهج البلاغة للسيد عبد الزهراء الخطيب.

- كتاب الإمام علي عليه السلام إلى معاوية ص ٤٦ - ٤٩.
- محاورة بين الإمام علي عليه السلام والمغيرة بن شعبة ص ٥٠.
- خطبة الإمام علي بعد البيعة ص ٥٠ - ٥١.
- محاورة بين الإمام علي وطلحة والزبير حول البيعة ص ٥١.
- جواب الإمام علي لابن عباس عندما اقترح عليه تولية طلحة والزبير ص ٥٢.
- جواب الإمام علي عليه السلام لعمار بن ياسر بعد محاولاته لتغيير مواقف بعض الصحابة من البيعة ص ٥٣ - ٥٤.
- كتاب الإمام علي إلى أخيه عقيل ص ٥٥ - ٥٦.
- كتاب الإمام علي إلى طلحة والزبير ص ٧٠.
- كتاب علي عليه السلام إلى الأحنف بن قيس ص ٧١.
- كلام الإمام علي لطلحة والزبير قبل القتال ص ٧١ - ٧٢.
- تذكير الإمام علي الزبير بمواقفه السابقة ص ٧٢.
- مخاطبة الإمام علي لطلحة بين الصفيين ص ٧٤ - ٧٥.
- حديثه لعبد الرحمن بن أبي بكر قبل القتال ص ٧٥.
- محاوراته عليه السلام أثناء القتال يوم الجمل ، ص ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩.
- محاورته عليه السلام مع عقيل عندما أظهر الحاجة ص ٨٠.
- كتاب الإمام علي إلى معاوية بعد معركة الجمل ص ٨٢.
- وصية الإمام علي إلى ابن عباس ص ٨٥.
- كتاب علي عليه السلام إلى جرير بن عبد الله عامله على همدان ص ٨٩ - ٩٠.
- كتاب علي عليه السلام إلى الأشعث بن قيس عامله على أذربيجان ص ٩١.
- كلام الإمام علي إلى جرير عندما أراد أن يرسله إلى معاوية ص ٩٢ - ٩٣.
- كتاب الإمام علي إلى معاوية ص ٩٣.
- كتاب الإمام علي إلى جرير وهو في الشام ص ٩٥ - ٩٦.
- جواب الإمام علي عليه السلام على كتاب معاوية ص ١٠٢.

- تعبئة الإمام علي عليه السلام لأهل العراق للقتال ص ١٠٤ .
- كلام الإمام علي للأشعث عندما بعثه إلى معاوية ص ١٠٥ .
- دعاء الإمام علي عليه السلام معاوية إلى البراز ص ١٠٦ .
- محاوراته عليه السلام في معركة صفين ص ١٠٧ .
- خطبة الإمام علي عليه السلام لأبي محجن الثقفي ص ١١٤ .
- خطبة الإمام علي عليه السلام بعد مفارقة بعض أصحابه ص ١١٤ .
- جواب الإمام علي على كتاب معاوية ص ١١٨ .
- قرار الإمام علي عليه السلام في مجلس المشورة ص ١٢٥ .
- كلام علي عليه السلام بعد مقتل عمار بن ياسر ص ١٢٦ .
- كلام علي عليه السلام بعد مقتل عمار بن ياسر ص ١٢٦ .
- كلام الإمام علي قبل التحكيم ص ١٣٢ .
- كتاب الإمام علي إلى أبي موسى الأشعري بعد التحكيم ص ١٤٠ .
- خطبة للإمام علي عليه السلام بعد التحكيم ص ١٤٣ .
- كتاب الإمام علي عليه السلام للخوارج ص ١٤٣ .
- كتاب الإمام علي عليه السلام إلى ابن عباس ص ١٤٤ .
- خطبة الإمام علي عليه السلام لأهل الكوفة ص ١٤٥ .
- ما قاله الإمام علي عليه السلام في الخنعمي ص ١٤٦ .
- مطالبته عليه السلام بقتله عبد الله بن خباب ص ١٤٧ .
- خطبة الإمام علي عند انصرافه من النهروان ص ١٤٩ .
- خطبة له عليه السلام يعبئ أصحابه لقتال الخوارج ص ١٥٠ .
- كلامه عليه السلام للأشعث بن قيس الكندي ص ١٥١ .
- جوابه عليه السلام لمن اقترح عليه تفريق الأموال على الإشراف ص ١٥٣ .
- كتاب له عليه السلام لأهل العراق (وهو كتاب مطوّل) من صفحة ١٥٤ حتى صفحة ١٥٩ .
- كلامه عليه السلام لرسول الله ﷺ في المنام ص ١٦٠ .

وصيته عليه السلام بالرحمة لقاتله ص ١٦٠.

وصيته عليه السلام لأولاده ص ١٦٢.

### إبراهيم بن محمد البيهقي كان حيا عام ٣٢٠ للهجرة:

نبغ في خلافة المقتدر، له كتاب المحاسن والمساوي<sup>٥٥</sup> جاء في مقدمة الكتاب؛ كتاب وضعه إبراهيم بن محمد البيهقي أحد علماء المسلمين وأدبائهم الذين لم تحفظ تراجم حياتهم بصورة يُستطاع معها معرفتهم معرفة كاملة، وكل ما ذكر عنه في فهرست دار الكتب المصرية أنه من علماء القرن الخامس الهجري، في حين تذكر مقدمة الطبعة الأوربية أنه عاش ونبغ في عهد خلافة المقتدر العباسي (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) (٩٠٨ - ٩٣٢ م) وأنه صاحب كتاب المحاسن والمساوي. وقد كتبه على غرار المحاسن والأضداد، واشتمل على موضوعات سياسية، فذكر المؤلف محاسن المشورة، ومساوي من يستشير، محاسن الولايات ومساوئها، ومحاسن النظر في الظالم، محاسن العفو، مساوي تعدي السلطان. ففي محاسن المشورة ينقل عدداً من كلمات الإمام أمير المؤمنين القصيرة فمما ينقله على الصفحة ٣٧١:

قال ابن عباس فلما قتل عثمان (رضي الله عنه) خرج علي وهو على بغلة رسول الله ﷺ، وأنا على يمينه وابن القاريء على يساره وكان من أمر طلحة والزبير ما كان، وقتل طلحة عشية ذلك اليوم وأنا أرى الكراهية في وجه علي رضي الله عنه، فقال: أما والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى تحت بطون الكواكب، ولكن نظرتُ إلى ما بين الدفتين فلم أَرِ يسعني إلا قتالهم أو الكفر، ولئن كان قال هؤلاء ماسمعت في طلحة وهو يشير إلى حادثة وقعت بينه وبين عمه العباس يعاتبه فيها على رد مشورته<sup>٥٦</sup>.

<sup>٥٥</sup> كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين، ٨٩/١، اعتمدنا النسخة المطبوعة في بيروت عام ١٩٦٠م، الناشر دار صادر ودار بيروت.

<sup>٥٦</sup> أورد محمد عبدة نقلاً عن الشريف الرضي الخطبة بهذه الصيغة: أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب أدركت وتري من بني عبد مناف و أفلتتني أعيان بني جمح، ولقد اتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله، فوقعوا دونه نهج البلاغة (عبدة: محمد، نهج البلاغة ص ٤٨).

ويورد في الصفحة ٣٥٨ خطبة الإمام علي عليه السلام : الدنيا دار صدق .. إلى آخرها. والتي أوردها الجاحظ أيضاً في محاسن صفة الدنيا.

ثم يذكر خطبة الإمام عندما وقف على المقابر :  
اعتبروا يا أهل الديار التي طُبِقَ بالخراب مناظرها ويشتد في التراب بناؤها<sup>٥٧</sup>. ثم يذكر القصة التي ذكرها الجاحظ عندما مر الإمام علي عليه السلام على المدائن وما قاله الشاعر ثم رد الإمام على الشاعر بما هو أبلغ.

وحول محاسن الشدة يقول : وخطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : تقول قريش جنع ابن أبي طالب من الموت ، والله لعلي أنس بالموت من الطفل بثدي أمه<sup>٥٨</sup>.  
ثم يذكر وحكي عنه إنه قال : ما أبالي وقعت في الموت أو وقع الموت علي .  
والبيهقي يُكثر من إيراد خطب الإمام في الفصول الأخرى من الكتاب والتي تدور حول موضوعات مختلفة ، وقد خصص فصلاً للحديث حول محاسن أمير المؤمنين عليه السلام ، ومساويء من عادى علياً أورد فيه الكثير من كلمات الإمام والموافقة.

### أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ أو ٣٣٠ للهجرة :

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري ، إليه تنسب الطائفة الأشعرية.

من أبرز كتبه ((الرد على المجسمة)) و((مقالات الإسلاميين)) و((الإبانة عن أصول الديانة)) و((الرد على ابن الراوندي)) و((اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع)) وأشهر كتبه على الإطلاق هو ((مقالات الإسلاميين)).

<sup>٥٧</sup> البيهقي : إبراهيم بن محمد ، المحاسن والمساوء ، ص ٥٣٨ ، وقد أورد الشريف الرضي الخطبة بشكل مختلف (انظر : الشريف الرضي : نهج البلاغة ، الملحق ص ٢٠).

<sup>٥٨</sup> البيهقي : إبراهيم بن محمد المحاسن والمساويء ، ص ٤٨٣ ، وقد أورد الشريف الرضي الخطبة مع اختلاف طفيف في مكان (والله لعلي) جاء بـ (والله لابن أبي طالب) (انظر الشريف الرضي : نهج البلاغة ، الملحق ، ص ٨).

### مقالات الإسلاميين:

حرص الأشعري في هذا الكتاب أن يأتي بآراء جميع أهل الفرق الإسلامية وغيرها في مختلف الأصول والفروع، فهو ينقل الرأي دون أن يذكر مورد الاستناد، وفي بعض الأحيان يذكر حديثاً أو قولاً لدعم بعض الآراء التي يرجحها على الآراء الأخرى ولا يشذ الأشعري عن بقية العلماء والمصنفين الذين أخذوا من كلمات الإمام علي عليه السلام وعلى سبيل المثال يذكر في قضية التحكيم قول أمير المؤمنين عليه السلام:

قد أبيت عليكم في أول الأمر فأبيتم إلا إجابتهم إلى ما سألوا، فأجبناهم وأعطيناهم العهود والمواثيق.. وليس يسوغ لنا الغدر<sup>٥٩</sup>.

### أحمد بن مسكويه توفي ٤٢١ هـ :

مؤرخ بحاث، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة والكيمياء، والمنطق مدة، ثم أولع بالتاريخ والأدب والإنشاد، وكان قيماً على خزانة كتب ابن العميد، ثم كُتب عضد الدولة ابن بويه، فلقب بالخازن، ثم اختص ببهاء الدولة البويهى وعظم شأنه عنده<sup>٦٠</sup>. من أهم كتبه ((تجارب الأمم وتعاقب الهمم)) وهو كتاب تاريخي انتهى به إلى السنة التي مات فيها عضد الدولة (٣٧٢ هـ).

وله كتاب آخر هو:

### تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق<sup>٦١</sup>:

هو كتاب يخرج بين الأخلاق والسياسة والإجتماع، فيعتبر مصدر من مصادر الفكر السياسي، يتخذ ابن مسكويه من الإمام علي عليه السلام مثله الأعلى في الحاكم الملتزم والإنسان المتشرب بالأخلاق

<sup>٥٩</sup> انظر من صفحة ٤٩ - ٥٥ من المحاسن والمساوي، للبيهقي.

<sup>٦٠</sup> ذكر الكتاب أكثر من ترجم للمؤلف - ذكر البغدادي: بعنوان مقالات المسلمين وجميع اختلافاتهم. البغدادي: هدية العارفين، ٦٧٧/١، وذكره الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٢٦٣/٤، اعتمدنا الطبعة الثانية، نشر مكتبة النهضة، سنة ١٩٦٩م، تحقيق محمد محي عبد الحميد.

<sup>٦١</sup> الأشعري: علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين، واختلاف المصلين، ٦٤/١، الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ١١٣/٣.

الفاضلة، وقد انعكس ذلك جلياً في موضوعات الكتاب المتنوعة التي تناولها، وكثيراً ما استشهد بكلمات الإمام أو موافقه.

يقول في صفحة ٦٢. ومن سمع كلام الإمام صلوات الله عليه الذي صدره عن حقيقة الشجاعة، إذ قال لأصحابه: أيها الناس إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف على الرأس أهون من ميتة على الفراش<sup>٦٢</sup>. فهو مثله الأعلى في الشجاعة كذلك مثله الأعلى في الفضائل الأخرى، منها كثرة المزام التي قد يتصور البعض أنها تتناقض والشجاعة، وكان من كثرة مزاحه أن عابه بعض الناس، فقال: لولا دعاية فيه<sup>٦٣</sup>.

### أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ للهجرة:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الفقيه الشافعي، كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم، وكان حافظاً للمذاهب وله فيه كتاب ((الحاوي)) الذي لم يطالعه أحد إلا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب. وفوض إليه القضاء ببلدان كثيرة، واستوطن بغداد في درب الزعفراني وروى عنه الخطيب أبو بكر صاحب ((تأريخ بغداد)) وقال: كان ثقة<sup>٦٤</sup> وكان يميل إلى مذهب الاعتزال<sup>٦٥</sup>.

اصولي، مفسر، أديب، سياسي، درس بالبصرة، بغداد، وولي القضاء ببلدان كثيرة، وبلغ منزلة عند ملوك بني بويه، وتوفي ببغداد<sup>٦٦</sup>.

أهم كتبه، قوانين الوزارة، الأحكام السلطانية، آداب الدين والدنيا، تفسير القرآن الكريم.

<sup>٦٢</sup> الزركلي: خير الدين، الاعلام، ٢١٢/١.

<sup>٦٣</sup> ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، ٥١٤/١، وذكره كحالة في معجم المؤلفين، ١٦٩/٢، اعتمدنا النسخة المصرية، مطبعة الوطن، سنة ١٢٩٨ هـ صححه محمد عبد القادر المازني.

<sup>٦٤</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ص ٦٢ وأورده الشريف الرضي في الملحق ص ٦٤.

<sup>٦٥</sup> ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، ص ١١٢، والذي عابه على ذلك هو الخليفة عمر بن الخطاب عندما أراد أن يوصي من بعده كما جاء في الكامل؛ فإن ولي عثمان فرجل فيه لين، وإن ولي علي ففيه دعاية.

<sup>٦٦</sup> ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٨٢/٣ (ابن الأثير: الكامل في التأريخ، ٦٧/٣). الطبري: تاريخ الأمم والملوك، المجلد الثاني، ٥٨١.

## ١- قوانين الوزارة وسياسة الملوك<sup>٦٧</sup>.

ويسمى أيضاً بأدب الوزير، أو قوانين الوزارة وسياسة الملك، ويتناول الكتاب ما يتعلق بالوزير من أحكام وآداب مشتملاً على أحاديث نبوية، وكلمات مأثورة للإمام علي عليه السلام ولبقية الصلحاء والسلاطين العادلين وهو بحق مصدر من مصادر الفكر السياسي الإسلامي، لا يستغني عنه أي دارس في الفكر السياسي الإسلامي.

وتأثر الماوردي بالإمام أمير المؤمنين هو أمر طبيعي، فهو قد عاش بين البصرة وبغداد حيث كانت خطب الإمام علي عليه السلام تنتشر في ذلك الوقت، فقد مضى نصف قرن على انتشار نهج البلاغة للشريف الرضي، كما وأن قرب الماوردي إلى ملوك بني بويه وهم من الشيعة جملة قريباً إلى مذهبهم في حب علي بن أبي طالب عليه السلام، مما جعل بين أيديه مصادر وكتب كثيرة تحيط بخطب الإمام ومواقفه.

لم يدع الماوردي فرصة فيها ذكر الإمام إلا ومجد ذلك الإنسان الذي جمع كل الفضائل، نقل عن الجاحظ هذه الجملة؛ وليت خزانة كتب الرشيد وتصفحت كتبه، فلك أجد كلمة إلا وجدت لها نقيضه، إلا كلمات جاءت عن فيلسوف العرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قيمة كل امرئ ما يحسن، ومن جهل شيئاً عاداه، ولن يهلك امرؤ عرف قدره<sup>٦٨</sup>.

ويذكر الماوردي كلاماً لأمر المؤمنين في مقدمة الكتاب،

العقل حسام قاطع، والحلم غطاء سابغ<sup>٦٩</sup>.

وفي فصل الدفاع مهمة الوزير يستشهد بحكمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهي، خذ على عدوك بالفضل فإنه أحد الظفرين<sup>٧٠</sup>.

<sup>٦٧</sup> الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٣٢٧/٤.

<sup>٦٨</sup> كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين، ١٨٩/٧.

<sup>٦٩</sup> ذكره البغدادي: هدية العارفين، ٦٨٩/١، اعتمدنا الطبعة المصرية، ط١، سنة ١٩٢٩م، مكتبة الخانجي.

<sup>٧٠</sup> الماوردي: قوانين الوزارة، ص ٥٧، وذكر الشريف الرضي كلام أمير المؤمنين في مكانين الأول في صفحة ١٩٥ قيمة كل امرئ ما يحسنه والثاني ص ٢٠٢ هلك امرؤ لم يعرف قدره (نهج البلاغة الملحق).



وحول حذر الوزير يذكر هذا الكلام لأمر المؤمنين عليه السلام.

من حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد لما رجا، وأقرب لمجيء ما أتقى<sup>٧١</sup>.

وفي فصل العزل يذكر هذا القول لأمر المؤمنين عليه السلام:

لا خير في معين مهين ولا في صديق ضئيل<sup>٧٢</sup>.

وحول الرأي والمشورة، وهي من ضرورات الوزارة والوزير أورد هذا الكلام لأمر

المؤمنين عليه السلام:

ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده<sup>٧٣</sup>.

وفي فصل (تابع العهود) أورد هذا الحكمة لأمر المؤمنين عليه السلام:

انتهزوا هذه الفرص فإنها تمر مر السحاب<sup>٧٤</sup>.

وعن الدنيا وعواقب انصراف الوزير نحوها ينقل هذه الكلمة لأمر المؤمنين عليه السلام:

احذروا الدنيا فإنها غدارة مكاراة ختارة خسارة، تستنكح في كل يوم بعلاً، وتستقبل في كل

ليلة أهلاً، وتفرق كل يوم شمالاً<sup>٧٥</sup>.

## ٢- الأحكام السلطانية والولايات الدينية<sup>٧٦</sup>:

وهي مجموعة من الأحكام الشرعية المتعلقة بالحكم والحكومة وإدارة الدولة، يقول المؤلف في

مقدمة الكتاب.

<sup>٧١</sup> الماوردي: قوانين الوزارة: ص ٧، ويذكر الشريف الرضي كلام أمير المؤمنين بهذا الشكل، الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هداك بعقلك (الملحق ص ٢٢٥)

<sup>٧٢</sup> الماوردي: قوانين الوزارة، ص ١٤، وقد ذكر الشريف الرضي هذه الحكمة بهذه الصورة. وخذ على عدوك بالفضل فإنه أحلى (أحد) الظفرين، نهج البلاغة (الملحق) ص ١٦٢.

<sup>٧٣</sup> الماوردي: قوانين الوزارة ص ٢٢.

<sup>٧٤</sup> الماوردي: قوانين الوزارة ص ٣٦، وأورده الشريف الرضي بهذا الشكل، لا خير في معين مهين، ولا في صديق ظنين (نهج البلاغة الملحق ص ١٦١).

<sup>٧٥</sup> الماوردي: قوانين الوزارة ص ٣٩، وأورده الشريف الرضي في نهج البلاغة ص ١٦٢.

<sup>٧٦</sup> الماوردي: قوانين الوزارة ص ٥٧؛ وقد أورد الشريف الرضي هذه الحكمة بهذا الشكل، والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا رص الخير (نهج البلاغة الملحق ص ١٩١).

وتأثر الكتاب بالنهج وصاحب النهج الإمام علي عليه السلام أمرٌ ملحوظ في هذا الكتاب لأن مؤلفه يحاول أن يستنبط من مواقف الإمام وكلماته أحكاماً شرعية من شأنها أن تنظم الحياة السياسية في الدولة الإسلامية.

### ٣- أدب القاضي:

وهو كتاب قيم طبع في جزئين، يتناول جانب هام من جوانب الدولة الإسلامية، وهو السلطة القضائية، وعلاقة هذه السلطة بالسلطات الأخرى.

احتوى الكتاب على الكثير من المواقف القضائية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو المعروف بتلك المواقف حيث كان ملاذ الخلفاء الراشدين الذين سبقوه والذين لم يجدوا بين جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من هو أفضل من علي عليه السلام في القضاء، وهم الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول في حق علي عليه السلام: ((أقضى هذه الأمة علي))<sup>٧٧</sup>. فكان من الطبيعي أن يتضمن الكتاب قصص وحكايات قضائية كثيرة وعلى كلمات للإمام علي عليه السلام في القضاء.

ومن البدء يتوجّح الماوردي كتابه بكلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فيورد في المقدمة هذه الكلمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: إن القلوب تحل كما تحل الأبدان، فاهدوا إليها طرائف الحكمة<sup>٧٨</sup>.

ثم يذكر الماوردي وصية رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام عندما ولاه القضاء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا حضر الخصمان إليك، فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر، قال علي: فما أشكلت علي قضية بعدها<sup>٧٩</sup>.

ويستدل الماوردي من هذه القضية بإنابة الإمام لأُمور القضاء لمن تتوفر فيه شروط.

<sup>٧٧</sup> الماوردي: قوانين الوزارة، ص ٥٧ أورده الشريف الرضي في فصل الجدل الخطبة (٢٣٠) بهذا الشكل، فاحذروا الدنيا بانها غدارة غرارة خدوع، مطية فتوع، ملسة نزوع.. (نهج البلاغة الملحق ص ١٤١).

<sup>٧٨</sup> ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٩ وذكره كل من ترجم للماوردي فهو من أشهر كتبه، اعتمدنا النسخة المطبوعة في إيران عام ١٤٠٦ الناشر مكتب الإعلام الإسلامي وهي صورة من النسخة المصرية.

<sup>٧٩</sup> يقول محقق الكتاب محي هلال السرحان، لم يكن (أدب القاضي) إلا جزئين من كتاب الحاوي الكبير في الفقه الشافعي. النسخة التي راجعتها مطبوعة عام ١٩٧١ مطبعة الإرشاد.

وحول الإجماع في أمور القضاء وأن المناط ليس رأي الأشخاص بل المناط هو الحق يورد كلام أمير المؤمنين عليه السلام :

### اعرف الحق تعرف أهله<sup>٨٠</sup>.

والإجماع هو أحد وسائل معرفة الحقيقة.

وحول اجتهاد القاضي يذكر الماوردي قول الإمام علي للخليفة عمر؛ إن كانا ما اجتهدا فقد غشا، وإن كانا قد اجتهدا فقد أخطأ فعليك الدية<sup>٨١</sup>.

وفي فصل، هل تثبت الأسماء والحدود والمقادير بالقياس، وحول تسمية النبيذ خمرًا يذكر حكم أمير المؤمنين في شارب النبيذ وهو ثمانين جلدة وذلك؛ لأنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افتري، وحد المفتري ثمانون<sup>٨٢</sup>.

وفي فصل جواز التقليد في الأمور السياسية، ومنها القضاء، يذكر لنا الماوردي المحاورة التي دارت بين عبد الرحمن بن عوف والإمام علي عليه السلام أثناء انتخاب الخليفة بعد عمر ابن الخطاب.

قال عبد الرحمن: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر، فقال علي: بل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأجتهد رأيي<sup>٨٣</sup>. فيستدل من جواب الإمام بإتباعه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله على جواز التقليد ولكن هذا لا يسمى تقليدًا إذ التقليد هو عمل العامي برأي المجتهد. والمجتهد لا يقلد والإمام علي عليه السلام هو مجتهد بناءً على استدلال الماوردي فهنا ينتفي التقليد، أما إتباعه للرسول صلى الله عليه وآله فلا اعتبار آخر هو إن السنة النبوية هي أحد مصادر الاجتهاد مثلها مثل القرآن الكريم استناداً للآية الكريمة ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾<sup>٨٤</sup>

<sup>٨٠</sup> الخوارزمي: المناقب، ص ٤١.

<sup>٨١</sup> الماوردي: أدب القاضي، ٢٦٠/١، وأورده الشريف الرضي بهذا الشكل، إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكم (نهج البلاغة الملحق ص ١٩٦).

<sup>٨٢</sup> الماوردي: أدب القاضي، ١٣٠/١ وذكرها النسائي في الخصائص ص ١٥.

<sup>٨٣</sup> الماوردي: أدب القاضي، ٤٧٦/١، وقد أورده الشريف الرضي بهذا الشكل، قيل إن الحارث بن حوت أتاه فقال: أنداني أظن أصحاب المل كانوا على ضلالة، فقال عليه السلام: يا حارث إن إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه (عبده: محمد، نهج البلاغة، ص ٧١٩).

<sup>٨٤</sup> الماوردي: أدب القاضي، ٥٢٩/١.

وحول مراقبة الإمام لولاته وعماله يذكر رسالته إلى عبد الله بن عباس والتي جاء فيها، فإن الإنسان ليسره إدراك ما لم يكن ليفوته، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه<sup>٨٥</sup>.

وحول استضافة أحد الخصمين بدون حضور الخصم الآخر يستدل الماوردي بعدم جواز ذلك من موقف الإمام علي عليه السلام عندما نزل عليه رجل فقال له الإمام: ألك خصم؟ قال: نعم، قال: تحول عنا فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تضيفوا أحد الخصمين إلا ومعه خصمه<sup>٨٦</sup>.

وفي فصل القضاء على الغائب، يذكر الماوردي حكماً شرعياً مستنداً إلى رأي مالك والذي بدوره يستند إلى رأي أمير المؤمنين عليه السلام، فيذكر قائلاً: وقال مالك: لا يجوز أن يحضره إذا كان من أهل الصيانة، إلا أن يعلم أن بينهما معاملة، أو خلطة فيحضره احتجاجاً بما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:

لا يعدي الحاكم على خصم إلا أن يعلم بينهما معاملة<sup>٨٧</sup>.

وحول جواز الاستخلاف على القضاء يذكر الماوردي هذه القضية من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم: روى أن رجلين أتيا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أحدهما: إن لي حماراً ولهذا بقرة، وإن بقرته قتلت حماري، فقال لأبي بكر ((اقض بينهما)) فقال: لا ضمان على البهائم، فقال لعمر: اقض بينهما، فقال مثل ذلك، فقال لعلي: اقض بينهما، فقال علي: ((أكانا مرسلين)) فقالا: لا، قال: أكانا مشدودين؟، قال: لا، قال: أفكانت البقرة مشدودة والحمار مُرسلاً؟ قال: لا، قال: أفكان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة، قال: نعم، قال: على صاحب البقرة الضمان<sup>٨٨</sup>.

<sup>٨٥</sup> الماوردي: أدب القاضي، ٦١١/١، وذكره المفيد في الإرشاد ص ١١٦.

<sup>٨٦</sup> الماوردي: أدب القاضي، ٦٤٦/١، أورده ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ١٨٨/١ بتغيير طفيف فبدل اجتهد راوي ذكر اجتهد رأيي.

<sup>٨٧</sup> النجم ٤-٣.

<sup>٨٨</sup> الماوردي: أدب القاضي، ٩٤/٢، أورده الشريف الرضي نص الرسالة كما يلي: أما بعد فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه. عبدة: محمد، نهج البلاغة، ص ٥٣٦).

ويورد الماوردي وبالإضافة إلى ما تقدم العشرات من الحوادث القضائية المعقدة التي واجهت الدولة الإسلامية سواء في زمن الخلفاء الثلاثة أو في عهده وكيف استطاع الإمام بحنكته القضائية أن يفصل في تلك القضايا المعقدة.

### أبو يعلى الفراء (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ):

هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء، عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون، من أهل بغداد، ولاه القائم العباسي قضاء دار الخلافة والحريم، وحران وحلوان، وكان قد امتنع واشترط أن لا يحضر أيام الموابك، ولا يخرج في الاستقبالات، ولا يقصد دار السلطان، فقبل القائم شرطه<sup>٨٩</sup>. له تصانيف كثيرة منها ((الإيمان)) و((الأحكام السلطانية)) و((الكفاية في أصول الفقه))<sup>٩٠</sup>.

### الأحكام السلطانية<sup>٩١</sup>:

يقول المؤلف في مقدمة كتابه:

فإني كنت صنف كتاب الإمامة، وذكرته في أثناء كتب المعتمد، وشرحت فيه مذاهب المتكلمين وحجاجهم، وأدلتنا، والأجوبة عما ذكروه، وقد رأيت أن أفرد كتاباً في الإمامة، أحذف فيه ما ذكرت هناك من الخلاف والدلائل، وأزيد فيه فصلاً آخر، تتعلق بما يجوز للإمام فعله من الولايات وغيرها<sup>٩٢</sup>.

فهو كتاب يدور حول الدولة والولايات وما يدور حولها من أحكام وسائل وقد كتبه الفراء على غرار الأحكام السلطانية للماوردي الذي سبقه في تأليف الكتاب بسنوات قليلة، وعليه فقد أورد الفراء ما أورده الماوردي من استدلالات على كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

<sup>٨٩</sup> الماوردي: أدب القاضي، ٢/٢٦٤. ذكره الحر العاملي في وسائل الشيعة إن أمير المؤمنين قال لرجل نز عنده: أخصم أنت؟ قال: نعم، فقال: تحول عنا فإن رسول الله ﷺ نهى أن يُضاف الخصم إلا ومعه خصمه، الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٨/١٥٧.

<sup>٩٠</sup> الماوردي: أدب القاضي، ٢/٣٢٠.

<sup>٩١</sup> الماوردي: أدب القاضي، ٢/٣٨٧، وذكره المفيد في الإرشاد ص ١١٣.

<sup>٩٢</sup> الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٦/٩٩.

فحول قتال أهل البغي أورد الفراء ؛

وقد عرض قوم من الخوارج لعلي رضي الله عنه بمخالفة رأيه ، وقال أحدهم وهو يخطب على منبره (( لا حكم إلا لله تعالى )) فقال علي : (( كلمة حق أريد بها باطل )) ، لكم علينا ثلاث : لا تمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ، ولا نبذوكم بقتال ، ولا تمنعكم الفيء ما دامت أيديكم معنا<sup>٩٣</sup>.

واستنبط الفراء من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، إذا لم يخرج الخوارج عن المظاهرة بطاعة الإمام ، ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها ، وكانوا أفراداً متفرقين تنالهم القدرة وتمتد إليهم اليد ، تركوا ولم يحاربوا وأجريت عليهم أحكام أهل العدل في الحقوق والحدود.

أما إذا اعتزلت هذه الطائفة الباغية أهل العدل ، وتحيزت بدار تحيزت فيها ، نظرت فإن لم تمتنع من حق ، ولم تخرج عن طاعة ، لم يحاربوا ، ومورد الاستدلال هو موقف الخوارج من الإمام علي عليه السلام . عندما اعتزلت طائفة من الخوارج علياً رضي الله عنه بالنهروان ، فولى عليهم عاملاً أقاموا على طاعته زماناً ، وهو لهم مواعيد إلى أن قتلوه ، فأرسلهم إليهم : سلموا قاتله ، فأبوا ، قالوا : كلنا قتله ، قال فاستسلموا إذا أقتلكم ، فسار إليهم ، فقتل أكثرهم<sup>٩٤</sup>.

وحول التسوية في الحكم بين القوي والضعيف ، والشريف والمشروف ، ذكر هذه الحادثة : وقد روى عن شريح أنه قال : أصاب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه درعاً له سقطت منه وهو يريد صفين - مع يهودي ، فقال : يا يهودي هذه الدرع سقطت مني ليلاً ، وأنا أريد صفين - فقال : بل هي درعي وفي يدي ، فقدمه إلى شريح ، فارتفع علي على اليهودي ، ثم قال لشريح : لو لا أنه ذمي جلستُ معه مجلس الخصوم<sup>٩٥</sup>.

<sup>٩٣</sup> كحالة : عمر رضا ، معجم المؤلفين ، ٢٥٤/٩.

<sup>٩٤</sup> ذكر الكتاب كل من ترجم الحياة المؤلف لأنه من أشهر كتبه ، واعتمدنا النسخة المطبوعة في إيران عام ١٤٠٦ للهجرة ، الناشر مكتب الأعلام الإسلامي وهي صورة عن النسخة المصرية تصحيح محمد حامد فقي.

<sup>٩٥</sup> الفراء : الاحكام السلطانية ، ص ١٩.

وفي فصل ولاية القضاء ، وبعد أن ذكر الشروط التي يجب توفرها في القاضي ، أردف الفراء قائلاً : والعلم بأنه من أهل الاجتهاد يحصل بمعرفة متقدمة ، وباختياره ومسألته ، قد قلد رسول الله ﷺ علياً قضاء اليمن ، ولم يختبره لعلمه به ، ولكن صار تنبيهاً على وجه القضاء ، فقال : إذا حضر الخصمان بين يديك ، فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر ، قال علي : فما أشكلت عليّ قضية بعدها<sup>٩٦</sup>.

وحول الديوان وهو موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال ، وكان أول من وضع الديوان في الإسلام عمر بن الخطاب ، فأما سبب وضعه فروى ؛ أن عمر استشار الناس في تدوين الدواوين ، فال علي بن أبي طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئاً<sup>٩٧</sup>. والإمام هو أحد الذين استشارهم الخليفة عمر كما هو مذكور في التأريخ.

### الوزير نظام الملك المتوفى سنة ٤٨٥ للهجرة:

هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي ، كان في أولاد الدهاقين ، واشتغل بالحديث والفقه ، ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بلخ ، ثم قصد داود بن ميكائيل بن سلجوق والد السلطان ألب أرسلان فظهر له منه النصح والمحبة ، فسلمه إلى ولده الب أرسلان ، دبر أمره فأحسن التدبير ، وبقي في خدمته عشر سنين ، فلما مات الب أرسلان وازدحم أولاده على الملك وطّد المملكة لولده ملك شاه فصار الأمر كله لنظام الملك وليس للسلطان إلا التخت والصيد ، وأقام على هذا عشرين سنة ، وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والصوفية ، وكان إذا سمع الأذان امسك عن جميع ما هو فيه ، بنى المدارس والمساجد ،

<sup>٩٦</sup> الفراء : الأحكام السلطانية ، ص ٥٤ وأورده الماوردي أيضاً في الأحكام السلطانية ص ٥٨ ، وقد أورده الطبري في تاريخ الأمم والملوك المجلد ٣ الصفحة ١١٤ ، ذكره مع تغيير.

<sup>٩٧</sup> الفراء : الأحكام السلطانية ، ص ٥٥ ، وذكره الطبري مع تغيير في تاريخ الأمم والملوك . المجلد ٣ / الصفحة ١٢٠ .

وأشهرها مدرسته ببغداد الذي شرع بنائها سنة سبع وخمسين وأربعمائة<sup>٩٨</sup>. من كتبه أمالي نظام الملك في الحديث، مطبوع من المنشورات الحديثة<sup>٩٩</sup>.

### سير الملوك ((سياسة نامه))<sup>١٠٠</sup>

مكتوب باللغة الفارسية، وطُبع بطبعتين، الأولى سياسة نامه، والثانية بعنوان سر الملوك جاء في المقدمة.

أما علاقة الكتاب بنهج البلاغة فيفترض عن عهد نظام الملك قد شهد انتشار نهج البلاغة وبلغ صيته مدى واسع، وقد أخذ الكثير من كلمات أمير المؤمنين واستشهد بمواقفه.

ففي الصفحة ١٦٦ من سير الملوك أورد جواب أمير المؤمنين عليه السلام على سؤال سئل، أي الرجال أشد قوة؟ أجاب الإمام من ملك نفسه عند الغضب، ولم يفعل ما يندم عليه. وفي الصفحة ١٨٠ من (فصل عدم التعجل في الأعمال) نقل هذا الكلام عن أمير المؤمنين عليه السلام: التأنى محمود في كل شيء إلا في عمل الخير.

وإلى جانب ذلك أورد نظام الملك مواقف عديدة من سيرة الإمام ومحاوراته مع الرسول الأكرم. والكتاب برمته هو محاولة من المصنف لوضع خطوط عامة أمام السلطان لإدارة دفة البلاد.

### أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ للهجرة:

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي الشافعي، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله، واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي

<sup>٩٨</sup> الفراء: الأحكام السلطانية، ص ٦٦، وذكره ابن الأثير في الكامل بهذا الشكل؛ وجد علي درعاً له عند نصراني فأقبل به إلى شريح، وجلس إلى جانبه، وقال لو كان خصمي مسلماً لساويته، وقال: هذه درعي! فقال النصراني: ما هي غلا درعي، ولم يكذب المؤمنين؟ فقال شريح لعلي: ألك بينة؟ قال: لا، وهو يضمك، فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً ثم عاد وقال: أشهد أن هذه أحكام الأنبياء.. أمير المؤمنين قد مني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، ثم أسلم واعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين، ففرح علي بإسلامه، ووهب له الدرع وفرساً (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤٠١/٣).

<sup>٩٩</sup> الفراء: الأحكام السلطانية، ٦٢، ذكره النسائي في الخصائص ص ١٥.

<sup>١٠٠</sup> الفراء: الأحكام السلطانية، ص ٢٣٧، وذكر الماوردي في الأحكام السلطانية ص ١٩٩، أما الطبري فينقل الحادثة بصورة أخرى فيذكر ولما أراد عمر وضع الديوان قال له علي وعبد الرحمن بن عوف ابدأ بنفسك. قال: لا بل أبداً بعم رسول اله (ص) ثم الأقرب فالأقرب. (الطبري تاريخ الأمم والملوك المجلد ٢، ص ٤٥٢).



المعالي الجويني، وكان أستاذه يتبجح به، ولم يزل ملازماً له إلى أن توفي، فخرج من نيسابور إلى العسكر، ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه، وفوض إليه تدريس مدرسته النظامية بمدينة بغداد<sup>١٠١</sup>، فيلسوف، متصوف، له نحو مائتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران قسبة طوس بخراسان، نسبته إلى صناعة الغزل، عند من يقول بتشديد الزاي، أو إلى غزله (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف<sup>١٠٢</sup>. من أهم كتبه ((إحياء علوم الدين)) و((تهافت الفلاسفة)) و((الاقتصادي في الاعتقاد)) و((المنقذ من الضلال)) و((فضائح البطانية)) و((الولدية)) وكتب أخرى، والغالب على كتبه الجانب الأخلاقي والعقدي والرد على المذاهب الفكرية والعقدية.

ومن بين كتبه ((التبر المسبوك في نصيحة الملوك)) كتبه بالفارسية، وهو من مصادر الفكر السياسي الإسلامي.

### التبر المسبوك في نصيحة الملوك<sup>١٠٣</sup>.

وهو كتاب أخلاقي صغير كتبه أبو حامد الغزالي للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي بالفارسية ثم عربه بعضهم ونقله محمد بن علي المعروف ((بعاشق جلبي)) إلى التركية<sup>١٠٤</sup> وتأثير كلمات أمير المؤمنين عليه السلام على الكتاب أمر ملموس في مجالين؛ الأول الطريقة التي تم بها صياغة الكتاب وهي على شكل وصايا الإمام إلى أولاده، والمجال الثاني هو نقل أقوال ومواقف الإمام عليه السلام. ويكفي أن نشير إلى ما ذكره جلال الدين همداني محقق النسخة الفارسية عند حديثه حول مصادر الكتاب ما يقول:

إن من بين تلك المصادر خطب وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام<sup>١٠٥</sup>.

<sup>١٠١</sup> ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١٢٨/٢.

<sup>١٠٢</sup> الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٢٠٢/٢.

<sup>١٠٣</sup> ذكره أبو حامد الغزالي في كتابه نصيحة الملوك (التبر المسبوك في نصائح الملوك) ص ١٢٢. اعتمدنا نسختين الأولى طبعت سنة ١٣٩٧ هـ. الطبعة الثانية سنة ١٣٦٤ هـ ش الناشر، وزارة التعليم العالي في إيران.

<sup>١٠٤</sup> ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢١٦/٤ - ٢١٧.

<sup>١٠٥</sup> الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٢٢/٧.

وأول ما يبدوه الغزالي هو التحذير من مغبة الظلم، وإن هناك مَنْ هو فوق الملوك والسلاطين مَنْ يأخذ حق المظلوم من الظالم. فيورد كلاماً لأمر المؤمنين عليه السلام ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء.

ثم يتناول بالشرح سياسة الوزراء وسير الوزراء فيذكر عن كاتب أمير المؤمنين عبد الله بن رافع، قال:

كنت أكتب كتاباً، فقال لي أمير المؤمنين: يا عبد الله ألق دواتك، وأطلع جلفة قلمك، ووسع بين السطور، وأجمع ما بين الحروف<sup>١٠٦</sup>. وهو تأكيد على أهمية الاقتصاد وأهمية تحسين الخط أثناء كتابة الرسائل.

ثم ينقل محاورة فاطمة الزهراء عليها السلام مع أمير المؤمنين عليه السلام: كانت فاطمة رضي الله عنها تطحن كثيراً بالجاروشة حتى أدمت أناملها فشكت ذلك في بعض الأيام إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال لها علي: قل لي لايبك لبيتك لك خادمة<sup>١٠٧</sup>.

### أبو بكر الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ للهجرة:

هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي الزاهد المعروف بابن أبي رندقة، صحب أبا الوليد الباجي وقرأ الأدب على أبي محمد بن خرم بمدينة اشبيلية، ورحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمئة، وحج ودخل بغداد والبصرة، وكان إماماً عالماً عاملاً زاهداً ورعاً ديناً متواضعاً متقشفاً متقللاً من الدنيا راضياً منها باليسير<sup>١٠٨</sup> وهو من أهل طرطوشة TARTOSA بشرقى الأندلس، سكن الإسكندرية

<sup>١٠٦</sup> ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، ٣٣٧/١ بعنوان آخر وهو التبر المسبوك في نصائح الملوك، وذكره البغدادي في هدية العارفين، ٨٠/١، اعتمدنا الأصل الفارسي، تصحيح جلال الدين همداني، والنسخة المعربة المطبوعة عام ١٣٠٦، ج ١، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر.

<sup>١٠٧</sup> حاجي خليفة: كشف الظنون، ٣٣٧/١.

<sup>١٠٨</sup> الغزالي: نصيحة الملوك، ص ٦٨.

فتولى التدريس واستمر فيها إلى أن توفي، وكان زاهداً لم يثبت من الدنيا بشيء من كتبه ((سراج الملوك)) و((التعليقة)) في الخلافات، خمسة أجزاء، وكتاب كبير عارض به إحياء علوم الدين للغزالي و((بر الوالدين)) و((الفتن)) و((الحوادث والبدع)) و((مختصر تفسير الثعلبي))<sup>١٠٩</sup> ونزل بيت المقدس<sup>١١٠</sup>.

### سراج الملوك<sup>١١١</sup>:

اشتمل الكتاب كما ذكر حاجي خليفة: على جمع من سير الأنبياء وآثار الأولياء ومراعاة (مواعظ) العلماء وحكمة الحكماء ونوادر الخلفاء ورتبه ترتيباً أنيقاً، فما سمع به ملك إلا استكتبه، ولا وزير إلا استصحبه، يستغني الحكيم بمدارسته عن مباحثة الحكماء والملك عن مشاورة الوزراء، وذكر فيه الأمير أبا عبد الله محمد الأموي، وأبوابه أربعة وستون باباً<sup>١١٢</sup>.

وقد تضمن الكتاب مجموعة من خطب وكلمات الإمام علي عليه السلام، وبعض كلماته جرت على قلمه بقوة دون أن يذكر اسم الإمام، ويظهر من كثرة إيراده لكلمات الإمام عليه السلام، إنه نهل من نهج البلاغة حتى ارتوى به قلمه الذي أخذ يسطر على القرطاس بإيقاع من بلاغة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفيما يلي بعض ما أورده.

أورد في الصفحة (٧) محاورة الإمام أمير المؤمنين مع أسقف قد أسلم، وجاءت المحاورة ضمن مواعظ ابن السماك لهارون الرشيد.

١- أورد على الصفحة (١١) الأبيات الشعرية التي قالها الإمام، عند دفن السيدة الزهراء سلام الله عليها ومطلعها:

لكل اجتماع من خليلين فرقة<sup>١١٣</sup>  
وإن الذي دون الممات قليل<sup>١١٤</sup>

<sup>١٠٩</sup> الغزالي: التبر المسبوك، ص ٣٠٩ وفي النسخة الفارسية ص ١٩٣، وأورد الشريف الرضي كلام أمير المؤمنين بهذا الشكل، ألق دواتك، وأطل جلقة قلمك، وفرج بين السطور، وقرط بين الحروف، فإن ذلك أجدر بصباحة الخط (نهج البلاغة الملحق ص ٢١٦).

<sup>١١٠</sup> ذكره ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة، ١٥٩/٨.

<sup>١١١</sup> ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٦٢/٥٤.

<sup>١١٢</sup> الزركلي: خير الدين، الأعلام ١٣٣/٧.

<sup>١١٣</sup> كحالة: عمر رضا، ٩٦/١٢.

٢- أورد على الصفحة (٢٣) وصية الإمام أمير المؤمنين إلى الحسن والحسين والتي مطلعها:  
أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة<sup>١١٤</sup>.

٣- أورد على الصفحة (٢٤) هذه الرواية:

وروى أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لما رجع من صفين، فدخل أوائل الكوفة فإذا هو بقبر، فقال قبر من هذا؟، فقالوا: قبر خباب بن الأثرث فوقف عليه، وقال: رحم الله خباباً أسلم رغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً وابتلى في جسمه آخراً.. ثم وقف على القبر وقال:  
السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة<sup>١١٥</sup>.

٤- وفيما جاء في الولاية والقضاء، وما في ذلك من الغرور والخطر، نقل في الصفحة ٣٤ هذه الرواية عن الإمام علي<sup>عليه السلام</sup>.

وروى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديث السن، فقلت: يا رسول الله إنك تبعثني إلى قوم شيوخ ذوي أسنان... إلى آخر<sup>١١٦</sup>.

٥- وفي بيان الحكمة في كون السلطان في الأرض، أورد على الصفحة (٣٩) العلة من كلام أمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup>، لهذا قال علي بن أبي طالب: أمران جليلان لا يصلح أحدهما بالتفرد ولا يصلح الآخر بالمشاركة وهما الملك والرأي.

٦- ثم يفرد باباً لوصية الإمام أمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> إلى كميل بن زياد (هو الباب ٢٢ ص ٥٣) ومطلع الوصية: يا كميل إن القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك... إلى آخر الوصية<sup>١١٧</sup>.

٧- في الباب (٢٣) في العقل والدهاء والخبث أورد في الصفحة (٥٥) أبيات للإمام أمير المؤمنين مطلعها:

<sup>١١٤</sup> ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٩٨٤/٢ راجعنا ط ١ سنة ١٣٠٦ هـ المطبعة الخيرية في مصر.

<sup>١١٥</sup> حاجي خليفة: كشف الظنون، ٩٨٤/٢.

<sup>١١٦</sup> أوردها العاملي في أعيان الشيعة ٥٥٢/١ مع تغيير طفيف.

<sup>١١٧</sup> أورد الشريف الرضي هذه الوصية على الصفحة ١٦٩ من نهج البلاغة (الملحق).

- إن المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها
- ٨- وأورد في الصفحة (٥٦) في نفس الباب قول أمير المؤمنين عليه السلام: خير الأمور الأوسط، إليه يرجع العالي، ومنه يلحق التالي<sup>١١٨</sup>.
- ٩- في الباب (٢٨) في الحلم أورد على الصفحة (٦٦) قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الصفح الجميل، الرضا بلا عتاب.
- ١٠- ويذكر على الصفحة (٦٧) وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كثيراً من كبراء فارس، ومن أحد ملوكهم عندهم، فقال: لأردشير فضل السبق غير إن أحمدهم سيرة أنوشروان، قال: فأبي أخلاقه كان أغلب عليه، قال: الحلم والأناة. فقال علي رضي الله عنه: هما توأم ينتجهما علو الهمة<sup>١١٩</sup>.
- ١١- وفي الباب (٣٠) في الصفحة (٧٤) في الجود والسخاء، ويذكر هذه الحكمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ما جمعت من المال فوق قوتك فإنما أنت فيه خازن لغريك<sup>١٢٠</sup>.
- ١٢- وفي الباب (٣٢) على الصفحة (٧٩) يورد الطرطوشي في الصبر (من صفات السلطان الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو<sup>١٢١</sup>).
- ١٣- ويذكر قوله عليه السلام للأشعث بن قيس على الصفحة (٨٠) حول الصبر والجزع؛ إن تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وإن تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من ابنك، إن تصبر جرى عليك القلم وأنت مأجور وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور<sup>١٢٢</sup>.

<sup>١١٨</sup> أوردها الشريف الرضي على الصفحة ٢٠٠ من نهج البلاغة (الملحق).

<sup>١١٩</sup> ذكرها النسائي في الخصائص ص ١٥.

<sup>١٢٠</sup> أوردها الشريف الرضي: نهج البلاغة (الملحق) ص ٢٠١.

<sup>١٢١</sup> أوردها الشريف الرضي: كلام أمير المؤمنين (ع) بهذا الشكل؛ وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، (نهج البلاغة الملحق ص ١٧٣).

<sup>١٢٢</sup> أوردها الشريف الرضي، كلام أمير المؤمنين (ع): الحلم والأناة توأمان ينتجهما علو الهمة (نهج البلاغة الملحق ص ٢٢٧).

١٤- وعلى الصفحة (٨١) أورد كلمة أخرى للإمام في عاقبة الصبر: والصبر كفيل بالنجاح والتوكل لا يحبطه والعامل لا يذل بأول نكبة ولا يفرح بأول رفع. الصبر مناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان<sup>١٢٣</sup>.

١٥- وفي الباب ٣٣، ص (٨٤) و حول كتمان السر أورد هذه الحكمة: سرّك أسيرك، فإذا تكلمت به صرت أسيره<sup>١٢٤</sup>.

١٦- وحول الشكر أورد في الصفحة (٨٨) قال عليّ عليه السلام: لا تكن ممن يعجز عن شكر أوتي ويتنغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي، ويأمر الناس بما لا يأتي، تحب الصالحين ولا تعمل بأعمالهم، وتبغض المسيئين وأنت منهم تكره الموت لكثرة ذنوبك ولا تدعها في طول حياتك<sup>١٢٥</sup>.

١٧- وفي الباب (٤٧) في سيرة السلطان في بيت المال في الصفحة ١٠١ يورد هذا الموقف للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: عندما أشرف على بيت المال وفيه مال، فقال: يا بيضاء، يا حمراء، ابيضسي، واحمري وغري غيري، ثم أمر فقسم جميع ما فيه على المسلمين، وأمر قنبر أن يكسسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه، ويعلق الطرطوشي على هذا الموقف قائلاً: ثم كثير من الملوك سادوا في الأموال على نحو هذه السيرة من ملوك الإسلام وملوك الروم.

١٨- وفي باب (٤٩) في سيرة السلطان في الأنفاق من بيت المال وسيرة العمال، على الصفحة (١٠٧)، وقال سعيد بن جبيرة إن علياً رضي الله عنه قدم الكوفة وهو خليفة وعليه إزاران قطريان قد رقع إزاره بخزقة ليست بقطرية من ورائه فجاءه أعرابي فنظر إلى تلك الخزقة فقال: يا أمير المؤمنين، كل في هذا الطعام والبس واركب فإنك ميت، أو مقتول. فقال: إن هذا خير لي في صلاتي، وأصلح لقلبي وأشبهه بشبه الصالحين قبلي وأجد أن يقتدى به من أتى من بعدي.

١٩- الباب (٥٥) في معرفة حسن الخلق على الصفحة ١١٩ يذكر هذه الرواية. أن علياً عليه رضي الله عنه دعا غلاماً له، فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه، فقام إليه فرآه مضطجعاً، فقال:

<sup>١٢٣</sup> أوردته الشريف الرضي: نهج البلاغة الملحق ص ٢٠٥.

<sup>١٢٤</sup> ذكره ري شهري في ميزان الحكمة: ٢٥٧/٥.

<sup>١٢٥</sup> أوردته الشريف الرضي، نهج البلاغة (الملحق) ص ٢١٤.

أما تسمع يا غلام. فقال: نعم. قال: فما حملك على ترك جوابي؟ قال: أمنت عقوبتك فتكاسلت. فقال: إمض فأنت حرّ لوجه الله.

٢٠. وذكر قول الإمام علي عليه السلام في الصفحة ١١٩: أنا لنصلح أكفأ نرى قطعها.

٢١. الباب (٦١) في ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها وأحكامها. يورد في الصفحة (٤٦) عند رفع المصاحف، قال الإمام علي عليه السلام: أي قوم، هذه مكيدة.

٢٢. الباب (٦٣) وهو جاء مع أخبار ملوك العجم، ينقل كلام أمير المؤمنين: قيمة كل امرئ ما يحس على لسان المأمور<sup>١٢٦</sup>.

٢٣. الباب (٦٤) وعلى الصفحة (١٥٩) أورد هذا الكلام لأمر المؤمنين عليه السلام: ما أهمني ذنب أمهلت بعد حتى أصلي ركعتين<sup>١٢٧</sup>.

٢٤. وفي الصفحة (١٦٣) يذكر مجموعة حكم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الساكت أخو الراضي، الكاتم للعلم كمن لا علم له، المرء مخبوء تحت لسانه، قيمة كل امرئ ما يحسن، الحكمة ربيع القلوب، الخصومة تكشف العورة وتورث المعرة، تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، الغضب عند المناظرة منشأة للحجة، إذا فسد الأمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت، وصار خوف الموسر أكثر من خوف المعسر، وكلمات أخرى لا مجال لذكرها<sup>١٢٨</sup>.

٢٥. وفي الصفحة ١٦٥ أورد الطرطوشي، جملة من حكم الإمام السياسية التي ترتبط بسياسة الدولة وإداراتها؛ وقال علي رضي الله عنه: ما يظل فعل الله ينتطق به غثك خير من سمين غيرك. إن أحببت أن لا يفوتك ما تشتهي فأشته ما يمكنك من قصد أسهل. أقطع الشر عن صدر غيرك بقطعة من صدرك، وازجر المسيء بإنابة المحسن لكي يرغب في الإحسان، لن يهلك من مالك ما وعظك، الخلاف يهدم الرأي، خير الناس لغيره خيرهم لنفسه، إحسان الله مكفور عند من أصبح مصراً على ذنب مستور.

<sup>١٢٦</sup> أورده الشريف الرضي بهذا الشكل؛ الصبر يناضل الحدثان، والجزع من أعوان الزمان.

<sup>١٢٧</sup> ذكر الآمدي في غرر الحكم: ٤٣٧/١. (نهج البلاغة الملحق ص ٢٠٦).

<sup>١٢٨</sup> وهي من مواعظ المشهورة ذكرها الشريف الرضي (نهج البلاغة الملحق ص ٢٢٥).

يصير التخلق خلقاً بالاجتهاد والاعتیاد، الحجر الغصیب فی البیان وهن علی الخراب، ربما شرق شارب الماء قبل ریه، رب رأي أنفع من مال وحزم أوقى من رجال، من إستوعب الحلال شاقّت نفسه إلى الحرام، من ذم الزمان لم یحمد الاخوان، بتقلب الأحوال نعلم جواهر الرجال، من عرف الزمان لم یحتج إلى ترجمان، من عرف الأيام لم یغفل عن الاستعداد، رسولک ترجمان عقلک، الطاعة غیمة الأكياس عند تفريط العاجز، كلما اشتد الظلام حسن ضوء السراج، الشاء بأكثر من الاستحقاق ملق والتقصیر عن الاستحقاق عمی أو حسد، أولى الناس بالرحمة من احتاج إليها فحرمان من لم یدر قدر البلیة لم یرحم أهلها. کفاک أدباً لنفسک ما کرهته لغيرها، مجالسة الأحمق غرور والقیام عنه ظفر، لا تسأل عما لم یکن فإن فی الذی کان شغل، البخل جامع لمساویء العیوب وهو زمام یقاد به إلى کل سوء<sup>١٢٩</sup>. یتبین لنا مما تقدم إن کتاب سراج الملوك من الکتاب التي یمكن اعتبارها مصدراً من مصادر نهج البلاغة بالرغم من أن الکتاب قد کتب بعد أكثر من مائة عام من تألیف نهج البلاغة. فقد تضمن الکتاب مجموعة كبيرة من کلمات أمير المؤمنین (عليه السلام)، التي ترتبط بالحکم والإدارة وأخلاق الحاکم وعلاقة الحاکم بالرعية، وفي نفس الوقت یعتبر هذا الکتاب مصدراً مهماً من مصادر الفكر السیاسي، فقد اعتمده كمصدر کل من کتب فی هذا المجال، ولا غرو أن یتخذ من أفذاذ الفكر السیاسي والاجتماعي هما عبد الرحمن بن خلدون وابن الأزرق كمصدر لکتابیهما (المقدمة) و(بدائع السلك فی طبائع الملک).

### ابن أبي الربیع عاش فی القرن السابع الهجري:

هو أحمد بن محمد بن أبي الربیع، شهاب الدین، أديب کان من رجال المعتصم (كما یذكر الزرکلي).

سلوک المالك فی تدبیر الممالك<sup>١٣٠</sup>:

<sup>١٢٩</sup> أورده الشريف الرضي بهذا الشكل؛ قيمة كل امرئ ما يحسنه (نهج البلاغة الملحق ص ١٩٥).

<sup>١٣٠</sup> أورده الشريف الرضي بهذه الصورة؛ ما أهمني ذنب أمهلت بعد حتى أصلي ركعتين، وأسأل الله العافية (نهج البلاغة الملحق ص ٢٢٥).



يحاول المصنف في هذا الكتاب ومن خلال الأقوال التي ينقلها عن الحكماء والعلماء أن يرسم خطوطاً محددة لسياسة الدولة ينتفع بها الخليفة العباسي. وعلى رأس أولئك الذين نقل عنهم أمير المؤمنين عليه السلام، فقد جاء كتابه زاخراً بكلمات الإمام وأفكاره بعضها أشار فيها إلى الإمام والبعض الآخر لم يشر فيها، إلا أنها واضحة بينة فعلى الصفحة ٨١ يذكر في تأديب الأولاد؛ وأما الولد فينبغي أن يؤخذ بالأدب من صغره، فإن الصغير أسلس قياداً وأسرع مواتاة، ولم تغلب عليه عادة تمنعه من إتباع ما يراى منه، ولا له عزيمة تصرفه عما يؤمر به، فهو إذا اعتاد الشيء ونشأ عليه خيراً كان أو شراً لم يكدر ينتقل عنه <sup>١٣١</sup>.

و هذا الكلام مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام :  
و أما القلب الحدث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته <sup>١٣٢</sup>. وعلى هذا فقس ما سواه من الأفكار والأقوال.

فكل فقرة من الكتاب مطعمة بروح نهج البلاغة وكلمات الإمام عليه السلام، وفي بعض الأوقات لا يرى بأساً من ذكر الإمام عليه السلام، دون أن يذكر غيره.

### ابن الطقطقي المتوفى سنة ٧٠٩ هـ:

هو محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي، ابو جعفر المعروف بابن الطقطقي، مؤرخ بحاث ناقد، من أهل الموصل، خلف أباه سنة ٦٧٢ هـ في نقابة العلويين بالحلة والنجف وكربلاء، وتزوج بفارسية من خراسان، وزار مراغه سنة (٦٩٦ هـ) وعاد إلى الموصل، فألف فيها سنة ٧٠١ كتابه (الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية) وقدمه الى واليه (فخرالدين عيسى ابن إبراهيم) <sup>١٣٣</sup>.

<sup>١٣١</sup> أورد أكثرها الشريف الرضي في النهج.

<sup>١٣٢</sup> أورد الشريف الرضي جميع تلك الكلمات في أماكن متفرقة من النهج.

<sup>١٣٣</sup> ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص ١٠٠٠، وذكره البغدادي في إيضاح المكنون (٢٦/١) وقد راجعنا نسخة حجرية كاتبه محمد علي الخراساني كتب بتاريخ ١٢٨٦، القاهرة.

### الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية<sup>١٣٤</sup> :

وهو كتاب يخرج بين السياسة والأخلاق ، ويحاول من خلاله أن يرسم للوالي الذي هدى اليه الكتاب برنامجاً لإدارة أمور البلاد ، وقد ابرز المصنف كفاءته في الفكر السياسي وذخيرته من اقوال الأئمة والعلماء في هذا الكتاب. ولا يشك في أن نهج البلاغ هو مصدره الأول عند تأليف الكتاب. وقد ذكر هذه الحقيقة بنفسه في مقدمة الكتاب ذاكراً اسم نهج البلاغة على غير عادة من سبقه من المفكرين السياسيين الذين ذكرناهم . والأكثر من ذلك ، ذكر لنا ابن الطقطقي ، حقيقة هامة قلما نجد من يعترف بها إلا من ملك الجرأة الأدبية الكافية ولم يتحيز إلى فئة ، فقد ذكر في مقدمة الكتاب إن الناس كانوا متوجهين صوب المقامات الحريية والبديعية ، فعدل الناس إلى نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فإنه الكتاب الذي يتعلم منه الحكم والمواعظ والخطب والتوحيد والشجاعة والزهد وعلو الهمة وأدنى فوائده الفصاحة والبلاغة<sup>١٣٥</sup>.

### العلامة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ للهجرة:

هو جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن محمد ابن مطهر الحلي المعروف بالعلامة الحلي.

ولد سنة ٦٤٧هـ في الحلة وتوفي فيها ، من أشهر علماء الشيعة ، يقول عنه السيد محسن العاملي هو العلامة على الإطلاق الذي طار ذكر صيته في الآفاق ولم يتفق لأحد من علماء الإمامية أن لقب بالعلامة على الإطلاق غيره<sup>١٣٦</sup>.

و من كتب العلامة ( كتاب منهاج الكرامة في اثبات الإمامة). وقد حفل الكتاب بالكثير من كلمات وخطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فأورد في الصفحة ٣٣ عن أحمد بن حنبل في تفسيره للآية

<sup>١٣٤</sup> ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك ، ص ٨١.

<sup>١٣٥</sup> الشريف الرضي: نهج البلاغة (الملحق) ص ١٥٧.

<sup>١٣٦</sup> الزركلي: خير الدين ، الأعلام ، ٢٨٣/٦ ، ٢٨٤ ، وفخر الدين عيسى بن غبراهيم ، هو عامل السلطان المغولي على الموصل ، هيوار: دائرة المعارف الإسلامية ، ٢١٧/١.

( إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ) ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما عمل بهذه الآية غيري وبني خفف الله تعالى عن هذه الأمة <sup>١٣٧</sup>.

و أورد أيضا في نفس الصفحة عن محمد بن كعب القرطبي ، قال : افتخر طلحة بن شيبه وافتخر عباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام ، قال علي : ما تقولات لقد صليت إلى القبلة ستة اشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد <sup>١٣٨</sup>.

و ينقل في الصفحة ٣٤ خبيصة لأمر المؤمنين عليه السلام ، قال : انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وآله حتى أتينا الكعبة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : اجلس فصعد على منكبي فذهبت لأنهض به فرأى في ضعفاً فنزل وجلس لي النبي الله وقال : اصعد على منكبي فصعدت على منكبه. قال : فنهض بي ، قال : فإنه تخيل لي أنني لو شئت لثلث أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال من صفر ونحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنك منه ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : اقذف به. فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير. ثم نزلت فانطلقنا أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس <sup>١٣٩</sup>.

و في صفحة ٣٨ من الكتاب ينقل عن عامر بن وائلة ، قال : كنت مع علي عليه السلام في البيت يوم الشورى ، فسمعت علياً عليه السلام يقول : لهم لأجتجنّ عليكم بما لا يستطيع عربيتكم ، ولا عجميتكم تغيير ذلك ، ثم قال : انشدكم الله ايها النفر... ثم ذكر خطبة طويلة للإمام عليه السلام يبين فيها فضله ومآثره.

و يسجل العلامة الحلي موقفاً آخر للإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما أصر على إجراء الحد على الوليد بن عتبة ، حده أمير المؤمنين ، وقال : لا يطل حد الله وأنا حاضر ، ويدخل عليه رجل فوجده يأكل طعاماً متواضعاً فتعجب من ذلك ، فقال لأمر المؤمنين عليه السلام : بأبي أنت وأمي من لم

<sup>١٣٧</sup> ذكره الزركلي في الاعلام ، ٦ ، ٢٨٤ ، وكحالة ، في معجم المؤلفين ، ٥١/١١ ، راجعنا النسخة المصرية المطبوعة سنة ١٣٤٠ للهجرة في المطبعة الرحمانية.

<sup>١٣٨</sup> ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١١.

<sup>١٣٩</sup> العاملي : السيد محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ٣٩٦/٥.

ينخل له طعام (رسول الله) ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتى قبضه الله عز وجل واشترى يوماً ثوبين غليظين فخير قنبراً فيها، فأخذ واحداً ولبس هو الآخر، ورأى في كفه طولاً عن أصابعه فقطعه.

و يذكر موقفاً آخر للإمام علي عليه السلام تتجلى منه صلته بالله وهو في أشد الساعات. يذكر على الصفحة ٧٤، قال ابن عباس: رأيت في حرب مع معاوية بن أبي سفيان وهو يرقب الشمس، فقلت يا أمير المؤمنين ماذا تصنع، فقال: أنظر إلى الزوال لأصلي فقلت في هذا الوقت؟ فقال: إنما نقاتلهم على الصلاة. وهكذا يأخذ العلامة الحلي في سرد مآثر ومواقف أمير المؤمنين عليه السلام، موقف له في قضية قضائية مستعصية، عجز عن حلها الآخرون، وموقف له في غزوة أحد فر الكثير من ساحة الجهاد وبقي هو ونفر قليل من بني هاشم، ومواقف أخرى لا مجال لذكرها لكثرتها.

#### إبراهيم الشاطبي المتوفى ٧٩٠ للهجرة:

هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ ومن أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية<sup>١٤٠</sup>.

وهو محدث فقيه أصولي، لغوي، مفسر<sup>١٤١</sup>.

من كتبه (الموافقات في أصول الفقه) و (المجالس) شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري و (الافاء والانشاءات) رسالة

في الأدب، نشرت نبذة منها في مجلة المقتبس و (الاعتصام).

#### الاعتصام<sup>١٤٢</sup>:

يتناول الكتاب البدعة وأحكامها، فهو كتاب فقهي يتعرض لمسألة سياسية اجتماعية ثقافية هي البدعة.

<sup>١٤٠</sup> المجادلة/١٢.

<sup>١٤١</sup> النسائي: الخصائص، ص ٥٦.

<sup>١٤٢</sup> ابن الصباغ المالكي المتوفى سنة ٨٥٥هـ: الفصول المهمة، ص ١٢٤ - ١٢٥.

و قد احتوى الكتاب على مجموعة من مواقف وكلمات الإمام عليؑ، تتعلق بهذا الموضوع، فقد تعرض الإمام أمير المؤمنين لظاهرة البدع في زمانه ومنها ظهور مذهب الخوارج، فماذا كان موقف الإمام من الخوارج؟

يذكر الشاطبي في الصفحة (٤٢) قال ابن الكواء غلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؟ قال: فهم أهل حروراء.

وقد تكون البدعة حسنة، وهنا يضرب الشاطبي مثالا على البدعة الحسنة بطلب الإمام أمير المؤمنين عليؑ من أبي الأسود الدؤلي يوضح شيء في النحو<sup>١٤٣</sup>.

و قد تكون البدعة هو الإفراط في التعبد ويضرب مثالا على ذلك في الصفحة ٢٨١ من الجزء الأول. روى عن الربيع بن زياد الحارثي أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أعدى على أخي عاصم. قال: ما باله؟ قال: لبس العباء يريد النسك. فقال علي رضي الله عنه: علي به، فأنتي مؤتزرا بعباءة مرتديا بالأخرى، شعث الرأس واللحية، فعبس في وجهه، وقال: ويحك، أما استحييت من اهلك؟ أما رحمت ولدك؟ أترى الله أباح لك الطيبات وهو يكره أن تنال منها شيئا؟ بل أنت أهون على الله من ذلك أما سمعت الله يقول في كتابه (و الأرض وضعها للأنام ..) إلى قوله (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان)<sup>١٤٤</sup>. أفترى الله أباح هذه لعباده ألا يتذلوه ويحمدوا الله عليه فيشبههم عليه؟ وإن ابتذالك نعم الله بالفعل خير منه بالقول. قال عاصم فما بالك في خشونة مأكلك، و خشونة ملبسك، قال: ويحك إن الله فرض على أئمة الحق أن يقدرُوا أنفسهم بضعة الناس<sup>١٤٥</sup>.

<sup>١٤٣</sup> النسائي: خصائص أمير المؤمنين، ص ٤٤ - ٤٥.

<sup>١٤٤</sup> الزركلي: خير الدين، الأعلام / ١ / ٧٥.

<sup>١٤٥</sup> كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين، ١ / ١١٨.

و مشكلة البدع تنبع من تبعية الناس لبعض الرجال على اعتقاد أنهم أخيار فيشرعون لهم ما لم ينزل الله به من سلطان، ومن أجل ذلك أورد الشاطبي كلام أمير المؤمنين عليه السلام : إياكم والاستئذان بالرجال، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله.. إلى آخر الكلام<sup>١٤٦</sup>.

و في الجزء الثاني ينقل على الصفحة (١٤) عن البخاري في باب من حض بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : حدثوا الناس بما يعرفون، أتخبون أن يكذب الله ورسوله.

و من أسباب رواج البدعة الشح، ويذكر الشاطبي قولاً لأمر المؤمنين عليهم السلام : سيأتي على الناس زمان عضوض، يعرض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك<sup>١٤٧</sup>.

و هناك بدعة حسنة في الأحكام منها ما ذكره على الصفحة ١١٨ الجزء الثاني عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : من سكر هذى ومن هذى افتري، فأرى عليه حد المفتري<sup>١٤٨</sup>.

فالحكم جديد إذ لم يحدث شيء من هذا القبيل في زمن الرسول صلوات الله عليه وآله. ثم يذكر الشاطبي : إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الضياع، قال : علي رضي الله عنه ( لا يصلح الناس إلا ذاك).

و في بحث الفرق والفرقة الناجية، ينقل الشاطبي عن ابن وهب هذا الحديث عن علي عليه السلام : إنه دعا رأس الجالوت وأسقف النصارى، فقال : إني سائلكما عن أمر وأنا أعلم به منكما، فلا تكتما .. إلى أن يسأله، الا ما أخبرتني على كم افترت اليهود من فرقة بعد موسى؟ فقال له : ولا فرقة واحدة. فقال له علي : كذبت والذي لا إله إلا هو. لقد افترت على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة.

<sup>١٤٦</sup> ذكره كحالة في معجم المؤلفين، ١/ ١١٨، اعتمدنا النسخة المصرية بتعريف محمد رشيد رضا طبع المكتبة التجارية.

<sup>١٤٧</sup> ذكره بالتفصيل ابن خلكان في وفيات الاعيان، ٥٣٥/٢.

<sup>١٤٨</sup> الرحمن من آية ١٠ - ٢٢.

### علي بن هذيل عاش في القرن الثامن الهجري:

هو علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري، أديب أندلسي من علماء الاجتماع، من كتبه (عين الأديب والسياسة وزين الحسب والرياسة) قدمه إلى السلطان محمد بن يوسف النصري سنة ٧٦٣ و(حلية الفرسان وشعار الشجعان) و(مقالات الأدباء ومناظرات النجباء) و(الفوائد المسطرة في علم البيطرة) و(تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس) و(تذكرة من أُنقِى) <sup>١٤٩</sup>.

### عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة <sup>١٥٠</sup>

و الكتاب مجموعة من الحكم المرتبطة بالحياة التي يستفيد منها الحاكم والرعية لإدارة أمور الحياة والمملكة، وهو مقدمة إلى السلطان محمد بن يوسف وبوب الكتاب على أساس بداية الكلام أو بداية الحديث أو بداية الحكمة، ثم على أساس العدد. ومنهج المؤلف في الكتاب يقوم على إيراد ما ورد عن النبي ﷺ من أحاديث وحكم في الأبواب المتنوعة، وبعد الأحاديث النبوية يسرد ما جاء على لسان الآخرين من الأئمة والحكماء، وقد فصل هذا القسم من الحكم ووضع له عنوان (ومن الحكم المأثورة عن السلف وغيرهم) وفي هذا المكان أورد المؤلف الكثير من الكلمات القصيرة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع ذكر اسم الإمام أو بدون ذكره، وقلما ذكر موعظة أو حكمة للنبي ﷺ إلا وأعقبها بموعظة للإمام علي عليه السلام، وعندما لا يجد المصنف كلاماً للرسول ﷺ يستهل به الفصل وما يناسب الموضوع يبادر إلى ذكر كلام للإمام أمير المؤمنين عليه السلام مثل ما صنع في الصفحة (١٠) (الفصل ثمانية) ذكر المصنف في البداية قائلاً: لم أجد في هذا الفصل حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابنه الحسن رضي الله عنه: يا بني احفظ عني هذه الثمانية خصال.. إلى آخر وصيته. ومعنى ذلك إن المصنف يعطي للإمام منزلة رفيعة، فهو يأتي بعد رسول الله ﷺ في الحكمة والموعظة والخطب والكلمات المأثورة لا ينازعه في هذا الموقع أحد من الحكماء والأدباء على رغم كثرتهم ومنزلتهم.

<sup>١٤٩</sup> ذكره الكليني في الاصول من الكافي، ٤١٠/١.

<sup>١٥٠</sup> الشاطبي: الاعتصام، ٣١٣/١.

لقد أكثر المؤلف من ذكر الإمام عليه السلام ، وأورد في كتابه الكثير من كلماته وحكمه حتى اتخذها السيد عبد الزهراء الخطيب أحد مصادره في نهج البلاغة<sup>١٥١</sup>.

### محمد بن الأزرق متوفى ٨٩٦هـ:

محمد بن علي الأصبحي الأندلسي ، أبو عبد شمس أبو عبد الله شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق ، عالم إجتماع سلك طريقة ابن خلدون من أهل غرناطة ، تولى القضاء بها إلى أن استولى عليها الافرنج ، فانتقل إلى تلمسان ثم إلى المشرق يستنفر ملوك الأرض لنجدة صاحب غرناطة ثم حج ورجع إلى مصر فجدد الكلام في غرضه ، فدافعوا عن مصر بقضاء القضاة في بيت المقدس فتولاه بنزاهة وصيانة ، ولم تطل مدته هناك حتى توفي به ١٥٢ .

من كتبه ( الأبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك ) و(تخير الرياسة وتحذير السياسة ) و( بدائع السلك في طبائع الملك ) .

### بدائع السلك في طبائع الملك<sup>١٥٣</sup>.

يطغى على كتابات ابن الأزرق الطابع السياسي ، وأهم ما كتبه هو بدائع السلك في طبائع الملك . وقد اعتمد فيه بالدرجة الأولى على المقدمة لابن خلدون وعلى سراج الملوك للطروشني وقد أورد في الكتاب ما أورده ابن خلدون والطروشني .

ففي الصفحة ٨٠ أورد حكاية عبيدة السلماني الذي أورده ابن خلدون قال عبيدة السلماني لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ما بال أبي بكر وعمر أطاع الناس لهما والدنيا عليهما أضيق من شبر واتسعت عليها ووليت أنت وعثمان فلم يكونوا لكما فصارت عليكما من شبر فقال : لان رعية أبي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان ورعيتي اليوم مثلك وشبهك<sup>١٥٤</sup> .

<sup>١٥١</sup> أورده الشريف ارضي ؛ سيأتي على الناس زمان عضوض ، يعض الموسر فيه على ما في يديه ، ولم يؤمر بذلك قال سبحانه ﴿ولا تسوا الفضل بينكم﴾ تنهد فيه الأشرار ، وتذل الاخيار ويباع المضطرون (النهج الملحق ص ٢٢٨).

<sup>١٥٢</sup> ذكره المفيد: الإرشاد، ص ١١٦ .

<sup>١٥٣</sup> الزركلي: خير الدين، الأعلام، ٢٢٩/٤ ، وكحالة: عمر رضا معجم المؤلفين، ١٢١/٧ .

<sup>١٥٤</sup> ذكره البغدادي: إسماعيل بن محمد أمين ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١٣١/٢ . وقال عن مؤلفه حسن بن علي بن هذيل ، ربما أخطأ فذكر الكنية مكان الإسم ، اعتمدنا الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .



و في مجال الاستشارة يذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر من استغنى برأيه<sup>١٥٥</sup>.

و حول تنظيم المجلس وعوائده يذكر هذا الكلام لأمر المؤمنين عليه السلام . من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى ، فليقل آخر مجلسه ، أو حين يقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين<sup>١٥٦</sup> . ويذكر أيضا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن لله ملائكة ينزلون كل يوم يكتبون فيه أعمال العباد<sup>١٥٧</sup>.

ثم يرود منظومة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام والتي بدايتها :

و لا تصحب أخا الجهل

و إياك وإياه ... إلى آخر المنظومة<sup>١٥٨</sup>.

ثم يذكر وصفا للنبي صلى الله عليه وآله على لسان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم<sup>١٥٩</sup>.

### رفيع الدين نظام العلماء توفي سنة ١٣٢٦ للهجرة:

هو السيد رفيع الدين بن علي أصغر بن رفيع بن أبي طالب الوزير بن سليم نائب الصدارة المنتهي نسبه إلى السيد علي الشاعر بن محمد بن أحمد الرئيس بن إبراهيم طباطبا الحسني الطباطبائي التبريزي.

<sup>١٥٥</sup> الخطيب: مصادر نهج البلاغة وأسانيده ٣٨٤/٤.

<sup>١٥٦</sup> الزركلي: خير الدين ، الأعلام ، ٢٨٩/٦.

<sup>١٥٧</sup> ذكره البغدادي: إسماعيل باشا ، في إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١٧٠/١ ، وذكره كحالة في معجم المؤلفين ، ٤٣/١١ ، النسخة التي تمت مراجعتها في جزئين من منشورات منارة الاعلام في العراق ، سنة الطبع ١٩٧٧م.

<sup>١٥٨</sup> ذكره ابن خلدون في المقدمة ص ١٨١.

<sup>١٥٩</sup> انظر بدائع اسلك ص ٣٥٥.

له منصفات أهمها (المقالات النظامية) و(تحفة الأمثال) و(التحقيقات العلوية) و(المجالس النظامية) و(تشریح التقويم) و(اسرار الشهادة) و(آداب الملوك) و(تحفة الولي) و(دستور الحكمة)<sup>١٦٠</sup>.

### آداب الملوك<sup>١٦١</sup>

وهو كتاب باللغة الفارسية، يقول المؤلف في المقدمة، بالنظر إلى المصلحة العامة كنت أتمنى أن أجمع في آداب الملوك مجموعة من نصائح الحكماء ومواعظ العلماء وتجارب العقلاء، وأخبار الأنبياء والأولياء حتى تصبح دستوراً للعمل يستفيد منه القارئ، ويكون برنامجاً للأمرء وولاية العهد العظام. وقد وجدت واثناء مطالعتي لخطب نهج البلاغة وجدت في ولاية أمير المؤمنين لملك الاشتري ضالتي التي كنت أبحث عنها، فهي تتضمن جانباً كاملاً من الآداب الحسنة التي يحتاجها الحكام.. لقد قمت بشرح مختصر مع ترجمة هذه ((الولاية الشريفة)) حتى يعم نفعها الجميع. ويضيف في مقدمة الكتاب؛

وفي الحقيقة إن الإلتزام بالنهج الذي بينه الإمام لملك الأشر والحفاظ على هذا الخط هو أفضل للسلطين من الحفاظ على خزائن الأرض.

وجاء في الصفحة الأولى من الكتاب: عندما عرف السلطان مظفر الدين شاه<sup>١٦٢</sup> بهذا الكتاب وما يتضمنه من فوائد للحكم فأمر بطبعه.

المنهج الذي اتبعه المنصف في تأليف الكتاب:

أولاً: نقل النص.

ثانياً: الترجمة.

ثالثاً: الشرح ويتضمن حكايات الملوك وما يتفق مع النص.

<sup>١٦٠</sup> ابن الأزرقي: بدائع السلك في طباع الملك، ٣٦٢/١.

<sup>١٦١</sup> المصدر نفسه، ٣٨٩/٢.

<sup>١٦٢</sup> المصدر نفسه، ٤٣٢/٢.

ثم بعد ذلك يستنبط قواعد للحكم، ويتضمن الكتاب بين دفتين ٣٢٣ صفحة تدور كلها حول ولاية الإمام لملك الاشر. والكتاب هو محاولة لاستنباط وبرنامج عمل للدولة وللحاكم من خلال الولاية التي بعث بها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى واليه على مصر مالك الاشر.

المصادر والمراجع :

١- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٦١م.

٢- ابن أبي الربيع: أحمد بن محمد، كتبه محمد علي الخراساني، طبع حجري، ١٢٦٨هـ.

٣- ابن الاثير: محمد بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر دار بيروت، ١٩٦٥م.

٤- ابن الأزرقي: محمد بن علي الأصبحي، بدائع السلك في طبائع الملك، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٧م.

٥- ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الكاتب العربي، بيروت.

٦- ابن تيمية: تقي الدين، منها السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية.

٧- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أبي الفضل، الإصابة في عبير الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨- ابن حجر العسقلاني: شهاب الدين أبي الفضل، لسان الميزان، طبع حيدرآباد ط ١، سنة ١٣٣٠هـ.

٩- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

١٠- ابن خلدون: عبد الرحمن، المقدمة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١١- ابن خلكان: أبي عباس، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، منشورات الشريف الرضي، قم، إيران.

١٢- ابن الصباغ: علي بن محمد المالكي، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام، مطبعة العدل، النجف، العراق.

١٣- ابن الطقطقي: محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر وطبعة ثانية، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٤٠هـ.

- ١٤- ابن قتيبة: الأمامة والسياسة. الحلبي وشركائه القاهرة ١٩٦٩.
- ١٥- ابن قتيبة: عيون الأخبار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.
- ١٦- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٣م.
- ١٧- ابن مسكويه: أحمد بن محمد، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، صححه محمد عبد القادر المازني، ١٢٩٨هـ.
- ١٨- ابن المقفع: الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة، شرح يوسف أبو حلقة، مكتبة البيان، ط ٣، ١٩٦٤م.
- ١٩- ابن المقفع: الدرة اليتيمة، تصحيح الأمير شكيب أرسلان، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٩٧م.
- ٢٠- ابن هذيل: أبي الحسن علي بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت عين الأدب السياسة وزين الحسب والرياسة، ط ٢، ١٩٨٥م.
- ٢١- الأشعري: أبي الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة ط ٢، عام ١٩٦٩م.
- ٢٢- أنصاريان: علي الدليل على موضوعات نهج البلاغة، انتشارات مفيد، طهران، ١٩٧٨م.
- ٢٣- البرقي: أبو جعفر أحمد بن محمد، المحاسن والأضداد، المطبعة الحيدرية قدم له السيد محمد صادق بحر العلوم، ١٩٦٤م.
- ٢٤- بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط ٣، مصر.
- ٢٥- البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٢٦- البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، دار الفكر، بيروت ١٩٨٢م.

٢٧. البيهقي: إبراهيم بن محمد، المحاسن والمساوي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
٢٨. التكريتي: ناجي، الفلسفة الإسلامية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتاب سلوك المالك في تدبير المالك، دار الأندلس ط٢، ١٩٨٠م.
٢٩. الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، المحاسن والأضداد، مطبعة السعادة، ١٩٣٨م، وط١ سنة ١٩١٢م.
٣٠. الجاحظ: الحيوان تحقيق عبد السلام محمد هارون، الحلبي وأولاده، ط١، القاهرة.
٣١. التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي، مطبعة الأميرية، القاهرة، ط١، ١٩١٤م.
٣٢. الحائري: جعفر، نهج البلاغة الثاني، مؤسسة الهجرة، إيران.
٣٣. حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، ١٩٨٢م.
٣٤. الحلبي: جمال الدين الحسن بن يوسف بن مطر، منهاج الكرامة في إثبات الإمامة طبع حجري، بخط حجي هلال السرحان، مطبعة الإرشاد، ١٩٧١م.
٣٥. الخطيب: عبد الزهراء، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط٢، ١٩٧٥م.
٣٦. الخوارزمي: أبو جعفر محمد، المناقب، المطبعة الحيدرية، قدم له العلامة محمد رضا الموسوي، ١٩٦٥م.
٣٧. الزركلي: خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م.
٣٨. زيدان: جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، تعليق شوقي ضيف.
٣٩. السبكي: تقي الدين، الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية.
٤٠. الشاطبي: أبي اسحاق إبراهيم، المطبعة التجارية، الاعتصام، تعريف محمد رشيد رضا، طبع مصر، بلا تاريخ.
٤١. الشريف الرضي: حقائق التأويل في متشابه التنزيل، مطبعة الغري النجف الأشرف، ١٩٣٦م.
٤٢. الصدوق: الأمالي، كتاب فروشي إسلامية ط٣، ١٣٥٥هـ.

- ٤٣- الطرطوشي: أبي بكر محمد بن محمد بن المواليده الفهري المطبعة الخيرية، مصر، سنة ١٣٠٦ هـ.
- ٤٤- الطوسي: محمد بن الحسن، أبي جعفر، الطوسي، منشورات الشريف الرضي، صححه العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم، قم.
- ٤٥- العاملي: محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت.
- ٤٦- عبدة: محمد، شرح نهج البلاغة، دار الذخائر، قم.
- ٤٧- الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد، نصيحة الملوك، تصحيح جلال الدين الهمداني، (بالفارسية).
- ٤٨- الفراء: أبي يعلى، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، مكتب الإعلام الإسلامي، طهران ١٤٠٦ هـ. تحقيق محمد الفقي.
- ٤٩- كاشف الغطاء: الهادي إلى نهج البلاغة، مكتبة الأندلس، بيروت.
- ٥٠- كحالة: عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥١- كرد علي: محمد، أمراء البيان، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧ م.
- ٥٢- الكليني: أبو جعفر، الأصول من الكافي.
- ٥٣- الماوردي: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، مركز النشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الأحكام السلطانية، طهران، ١٤٠٦ هـ.
- ٥٤- الماوردي: أدب القاضي، تحقيق محي هلال السرحان، مطبعة الإرشاد، ١٩٧١ م.
- ٥٥- الماوردي: أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة سياسة الملك مكتبة الخانجي، ط ١، مصر ١٩٢٩ م.
- ٥٦- المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت.
- ٥٧- مجموعة من المؤلفين: نهج الحياة، مؤسسة نهج البلاغة، ط ١ بلا تاريخ، قم.
- ٥٨- محمدي: سيد كاظم، المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة ط ٢، نشر إمام علي، قم ١٣٦٩ هـ. ش.
- ٥٩- المفيد: الارشاد، طبع حجري، ١٣٧٢ هـ.

- ٦٠- المسعودي: أبي الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت بلا تاريخ.
- ٦١- النسائي: الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب، خصائص أمير المؤمنين، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٤٩م.
- ٦٢- نظام العلماء: محمد رفيع التبريزي، آداب الملوك، طبع حجري، ١٣٢٠هـ.
- ٦٣- نظام الملك: أبو علي حسن بن علي، سلوك الملوك، تصحيح محمد القزويني، انتشارات زوار إيران، ١٣٩٧هـ.
- ٦٤- هيوار: دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد ثابت القندي.





# صياغة السياسات العامة

(أطار منهجي)

الاستاذ الدكتور عباس حسين جواد

الاستاذ المساعد ارزوقي عباس عبد

## صياغة السياسات العامة: إطار منهجي

### مقدمة:

لقد أدركت الحكومات على تباين أنظمتها السياسية واتجاهاتها الفكرية أنها بحاجة الى دعم ومساندة شعوبها لما تتخذه من قرارات، وماتقوم به من أعمال متنوعة في جميع الظروف والاقوات. وحتى يتحقق لها ذلك، فأنها اخذت تسعى جاهدة الى حل مشاكلهم والاستجابة لمطالبهم المتنوعة من خلال مجموعة من الخطط والبرامج (يطلق عليها السياسات العامة) الهادفة الى تحقيق جملة من المنافع وتخفيف المعاناة عن الغالبية منهم.

أن ما يميز السياسات العامة هو شمولية نتائجها لشرائح واسعة من المجتمع ان لم يكن المجتمع كله، مما يحتم الاهتمام بصياغتها أو رسمها بشكل يؤدي الى زيادة فرص نجاحها وتحقيق المنافع المتوقعة عند تنفيذها، وتقليل احتمالات فشلها الى أقل نسبة ممكنة. فالسياسات العامة التي تصاغ بشكل دقيق بالاعتماد على معلومات ومعطيات صادقة وصحيحة، تجنب المجتمع الكثير من التضحيات والالام والاحباط الذي يصاحب تنفيذ السياسات العامة الفاشلة أو المرسومة بشكل غير صحيح. ولكي يتم الوصول الى هذا الهدف لابد من الاجابة عن التساؤلات التالية: -

- ١ \_ كيف تتم صياغة السياسات العامة ؟
- ٢ \_ من يتولى مهمة صياغة السياسات العامة ؟
- ٣ \_ ماهي المشاكل التي ترافق صياغة السياسات العامة ؟

#### ٤\_ ماهي مستويات السياسات العامة ؟

وعليه فإن هدف هذا البحث هو الاجابة عن التساؤلات أعلاه من خلال عدة فقرات تضمنت الاولى مناقشة مستفيضة لمشاكل السياسات العامة، بينما شملت الثانية تحديد وبحث الجهات التي تشارك في صنع السياسات العامة، أما الفقرة الثالثة فقد كرسنا للحديث عن عمليات رسم السياسات العامة في حين اختصت الفقرة الرابعة بالبحث والدراسة في مستويات السياسات العامة. وصولاً لتحقيق أهداف البحث المذكورة.

#### أولاً: مشاكل السياسات العامة

يمكن تعريف المشكلة لاغراض صنع السياسات العامة بانها: "موقف او حالة تحرك الحاجات والشعور بعدم الرضا لدى افراد المجتمع. مما يدفعهم لطلب العون او بتدخل الحكومة للمساعدة في ازالة ما يعانون منه" ( Smith: 1964: 604 ) فعلى سبيل المثال يمكن اعتبار تفشي الجريمة او البطالة او ارتفاع الاسعار (التضخم) او تفشي الاوبئة والامراض وانتشار الآفات الزراعية وتلوث البيئة ونقص الغذاء وصعوبة المواصلات وازدحام الطرق وتدني مستوى الخدمات العامة وتفشي الرشوة والمحسوبية وغيرها، مشاكل تدعو صانعي السياسة العامة لدراستها وتحليلها من اجل وضع المعالجات الضرورية لان مشاكل كهذه تثير اهتمام وقلق شريحة - او اكثر - من شرائحه او فئاته الاجتماعية او السياسية وقد يمتد تأثيرها ليشمل المجتمع بكامل فئاته. كما عرفت المشكلة بانها: "حاجات غير مشبعة وقيم غير مدركة او مفهومة يمكن اشباعها او تحقيقها بالنشاط او الفعل الحكومي" ( Dunny:1979: ) وان المعلومات الضرورية لمعرفة طبيعة المشكلة والحلول اللازمة لها يمكن الحصول عليها باستخدام اساليب التحليل المتنوعة. ومما تجدر ملاحظته ان المعنيين بحل المشاكل العامة غالباً ما يفضلون في اختيار الحلول المناسبة لمواجهة مشاكل السياسات العامة بسبب فشلهم في اكتشاف او معرفة الاسباب الحقيقية للمشكلة العامة. اذ ان الصياغة الدقيقة للمشكلة ينتج عنها - في الغالب - حلولٌ صحيحة وقد قيل قديماً: إذا عُرِفَ الداء سهل وصف الدواء فبعض المختصين بصياغة مشاكل السياسات العامة وتحليلها، ينظر الى نتائج المشكلة على انها المشكلة ذاتها لان النتيجة التي تؤدي اليها المشكلة هي الجانب المنظور منها، مثال ذلك، " كثرة الغيابات او

دوران العمل "، الذي تعاني منه بعض المؤسسات الحكومية والخاصة، اذ يتوهم بعض المعنيين بانها هي المشكلة من غير ان يبحث في الاسباب التي ادت اليها ونتج عنها تغيب العاملين او تركهم لوظائفهم في هذه المؤسسة العامة او تلك.

ان مشاكل السياسات العامة كثيرة ومتنوعة، ويصعب اتفاق المعنيين على تحديد مكوناتها واسبابها، واساليب التعامل معها، مثل: التضخم، الانكماش، البطالة، الجريمة، الفقر، التلوث، وغيرها. اذ ان هذه المشاكل وامثالها غالباً ما تتباين وجهات النظر حولها بين المهتمين والمعنيين والمختصين انفسهم من جهة، وبينهم وبين المواطنين من جهة اخرى. ففي حين ينظر اليها بعض المعنيين على انها مشاكل حقيقية يعاني منها المجتمع، ولا بد من وضع الحلول الناجعة لها، بينما يرى البعض الاخر منهم على انها مجرد حالات تتشابك مع تحقيق بعض القيم والحاجات الشخصية لعدد من الافراد، وانها لا تستحق ان تأخذ صفة المشاكل العامة. ويمكن عدّ التلوث من الامثلة على ذلك، فقد يُعدّ بعضهم حالة طبيعية في المجتمعات المعاصرة نتيجة للتقدم التقني والحضاري الذي تشهده هذه المجتمعات، وبالتالي لا داعي للاهتمام له، وتخصيص المبالغ، وحشد الموارد للحد منه او معالجته. في حين يراه غيرهم مشكلةً تمس افراد المجتمع جميعهم وانه من اللازم عدّه من المشاكل العامة المهمة، التي تحتاج الى وضع الحلول اللازمة لها، وهذا يعتمد على مجموعة من العوامل منها:

- ١- طبيعية مشكلة التلوث: من حيث كونها مشكلة اقتصادية ام ادارية ام اجتماعية ام صحية.
- ٢- اسبابها المتمثلة بعوادم السيارات، او الغازات المتصاعدة من مداخن المصانع المتنوعة، او رمي النفايات والمياه الثقيلة في الانهار والجداول وغيرها.

٣- مدى خطورة المشكلة واتساع نطاقها:

ومن المفيد ان ننوه الى ان المشاكل على كثرتها وتنوعها لا تثير جميعها اهتمام صانعي السياسات العامة، الا عندما تكون واضحة. إذ ان هذا النوع من المشاكل يسبب قلق افراد المجتمع ويدفعهم الى القيام بأفعال قد تكون خارجة على الاعراف او القوانين المتبعة.

وهذا يعني ان بعض المشاكل تأخذ طريقها الى راسمي السياسات العامة، ويهمل بعضها الآخر او يؤجل الى وقت لاحق، وذلك بحسب اهميتها، وتأثيرها على جماعة او اكثر من الجماعات المؤثرة في المجتمع فقد تعيش فئة من المواطنين في بيئة غير ملائمة ولكنهم لا يبدون تذمراً، ولا يطالبون بتحسين بيئتهم او تغييرها، فكأنهم قانعون بوضعهم هذا او ان قناعتهم هذه قائمة على عدم امتلاكهم وسائل التأثير في المجتمع. فحالة كهذه لا تعد مشكلة بحسب تعريفنا السابق، اذ لم يتم احد بطرحها او ايصالها الى الجهات الحكومية بصيغة مطلب جماعي او مشكلة تحتاج الى حل. فالمشاكل اذن لا بد ان تكون واضحة ليسهل ايصالها الى الجهات المعنية في الجهاز الحكومي.

وثمة سؤال آخر يجب الوقوف عنده ومحاولة الاجابة عنه وهو: هل ان المشكلة التي تنال الاهتمام هي التي يعرضها المعنيون بها من متضررين وغيرهم؟ وهل هناك اسلوب آخر لاظهارها؟ الجواب: نعم، فهناك مطالب او قضايا يعرضها افراد او جهات من غير المتضررين منها، فتصبح مشاكل ملحة تستحوذ على جزء كبير من اهتمام صانعي السياسات العامة، مثال ذلك، قيام محوري الصحف، او جماعات المصالح او السياسيين باثارة الضجيج، والقيام بمجموعة واسعة من الاتصالات حول ارتفاع منسوب المياه الجوفية في منطقة ما، أو ارتفاع معدلات حوادث المرور، على سبيل المثال، مما يجعل منها مشكلة ملحة تحتاج الى حل او مطلباً لا بد من العناية به، اكثر بكثير مما يفعله الذين يقطنون تلك المنطقة، او المتضررين من حوادث المرور. وحتى نفهم ونميز مشاكل السياسات العامة عن سواها من المشاكل او القضايا فانها تتميز بخصائص او بامور منها:

١\_ **التبادلية:** فمشاكل السياسات العامة تؤثر وتتأثر بعضها بالآخر، فهي متشابكة وذات اجزاء مترابطة من نظام متكامل وليست منفصلة عن بعضها تماماً.

٢\_ **الذاتية:** بمعنى ان تصنيف الظروف الخارجية او الداخلية التي تنشأ عنها مشاكل السياسات العامة - وتفسير تلك الظروف وتقييمها - يتم وفق الخبرات الذاتية او الشخصية للقائمين بصياغة السياسات العامة، أي ان لشخصية راسم السياسات العامة ومحللها واتجاهاته تأثيراً واضحاً في تفسير مشاكل السياسة العامة وتحليلها وتحديد اسلوب معالجتها.

٣\_ **الوضعية:** أي ان مشاكل السياسات العامة في الغالب تكون من صنع الافراد او الجماعات، فهي توجد أينما وجدت التجمعات البشرية.

٤- **الديناميكية:** ويقصد بها ان لمشاكل السياسات العامة حلولاً بقدر التعاريف المحتملة لها، بمعنى انه لا يمكن الجزم بوجود حدود بينة او علاج محدد لاية مشكلة من مشاكل السياسات العامة.

### أنواع مشاكل السياسات العامة:

يمكن ان نميز بين المشاكل او المطالب وفق مداخل عديدة، لعل أهمها: مدخل الشمولية، ومدخل الموارد، ومدخل البيئة (النطاق). فمن حيث الشمولية، يمكن تصنيفها الى مجموعتين هما: المشاكل الخاصة، والمشاكل العامة. فالمشاكل الخاصة: - هي تلك المعانات او المطالب التي تخص شخصاً واحداً من افراد المجتمع، فعدم حصول أحد أفراد المجتمع على دواء معين، هي قضية متعلقة به فقط، ولا تهم غيره، فهي اذن مشكلة خاصة، كما ان تسريح عامل وطرده من العمل هي قضية لا تخص احداً غير ذلك العامل، اما المشكلة العامة فهي تلك التي تتأثر بها مجموعة من الافراد وليس فرداً واحداً، وكلما زاد عددهم، احتلت مشكلتهم اهميةً لدى صانعي السياسات العامة ومنفذيها. ففي مثالنا اعلاه، لو أن مجموعة كبيرة من المرضى لم يوفقوا للحصول على الدواء، فان ذلك يمكن ان يتحول الى مشكلة عامة، كذلك الحال لو ان عدداً من المنظمات العامة او الخاصة او كليهما، قامت بتسريح نسبة كبيرة من العاملين فيها لظروف معينة، فان ذلك قد يخرجها من دائرة الخصوصية الى دائرة الشمولية فتصبح قضية عامة.

ومن المفيد الاشارة الى ان بعض القضايا الخاصة يمكن ان تتحول الى قضايا عامة، عندما تتوسع دائرة المتأثرين بها. او المتعاطفين معها. فلو ان احد الآباء دفعه التذمر من قيام أحد المعلمين بضرب ابنه في قاعة الدراسة، الى الاحتجاج لدى الجهات المعنية (كمديرية التربية) - مثلاً - او ممثل منطقته في المجلس الوطني، فان ذلك لن يخرج تلك المشكلة من خصوصيتها لعدم اثارها الاهتمام من لدن راسمي السياسات العامة. ولكن لو ان هذا الاب تصرف بشكل آخر، واتصل باولياء أمور التلاميذ الاخرين، واقنعهم بان ابناءهم سيكونون عرضة للضرب ايضاً. ان لم يقوموا بعمل ما، وافلح في اقناعهم بذلك وحصل على تأييدهم له، وتعاطفهم معه، واستطاع ان يرفع مذكرة باسمهم جميعاً الى الصحافة، والجهات الحكومية المعنية، فتصل الى راسمي السياسات العامة وكأنها مشكلة جماعية، وذلك لاتساع دائرة المتأثرين بها، عندئذ تتحول الى قضية او مشكلة عامة.

أما من حيث المجال، فيمكن تقسيمها إلى نوعين هما: (اندرسون: ١٩٩٩: ٧٩)

**١- المشاكل الإجرائية:** وهي تلك القضايا المتعلقة بكيفية قيام الحكومة واجهزتها المتنوعة بتنظيم شئونها، وإدارة أعمالها وأنشطتها المتنوعة.

**٢- المشاكل الأساسية:** وهي القضايا التي تتعلق باهتمامات أفراد المجتمع، كحرية الرأي والتلوث البيئي والأجور والأمن الداخلي وغير ذلك.

ويمكن تصنيف المشاكل أو القضايا من حيث الموارد وتوزيعها إلى ثلاث مجموعات هي:

(Lowi:1964: 682)

**١- المشاكل التوزيعية:** وهي التي تتعلق بكيفية توزيع الموارد بين الأفراد أو الجماعات أو الأقاليم مثل مطالب مدينة ما بالسيطرة على الفيضان، وأخرى بمعالجة قلة المياه، أو مطالب المستوردين بتخفيض الضرائب الكمركية، والمنتجين المحليين بزيادتها، وغير ذلك.

**٢- المشاكل التنظيمية:** وهي التي تتعلق بتنفيذ التصرفات أو النشاطات العامة، أو وقفها، أو الحد من تدخل الآخرين في بعض المجالات. كمطلب الصناعيين وأصحاب الشركات بالحد من تدخل نقابات العمال، أو مطالب أصحاب السيارات القديمة بوقف إجراءات ترحيلها من العاصمة أو من بعض المدن الكبيرة إلى مدن صغيرة أو غير ذلك.

**٣- مشاكل إعادة التوزيع:** وهي تلك التي تختص بنقل الموارد المتاحة من منطقة لأخرى، أو إعادة توزيع بعض المصادر أو الموارد المتوافرة في منطقة ما إلى المناطق التي تفتقر إليها لتحقيق العدالة الاجتماعية. مثال ذلك: إعادة توزيع القوى العاملة الماهرة المتوافرة في العاصمة على المحافظات الأخرى، أو إعادة توزيع أساتذة الجامعات والمختصين من أطباء ومهندسين بين الجامعات والأقاليم، والمنظمات التي تعاني من النقص في أفراد هذه الفئات. أو إقامة مصانع في بعض المدن التي تشكو من البطالة أو قلة فرص العمل فيها أو فرض ضرائب تصاعدية لتقليل الفوارق بين الدخول، وغير ذلك.

أما من حيث النطاق، فيمكن تقسيمها إلى مجموعتين هما:

**١\_ المشاكل الداخلية:** وهي القضايا التي تتعلق بمواطني الدولة ذاتها، كذلك المتصلة بالصحة

والتعليم والأمن الداخلي والضرائب والنقل والمواصلات والبيئة والزراعة وغيرها.

٢\_ **المشاكل الخارجية:** وهي تلك التي ترتبط بعلاقة الدولة مع الدول الاخرى كدول الجوار او غيرها مثل مشاكل الانهار والمياه الدولية والملاحة البحرية والحدود الاقليمية بين الدول والصيد في البحار والانهار الدولية والتهرب وغيرها كثير.

### أسبقيات أو أولويات السياسات العامة:

لا يمكن لاية دولة او حكومة مهما كانت امكاناتها المادية والبشرية، ومواردها الاقتصادية من تلبية المطالب التي يتقدم بها مواطنوها، او معالجة جميع مشاكلهم مرةً واحدة، انما يتطلب ذلك العمل بنظام الصفوف او الطوابير، أي تقديم الاهم على المهم من المشاكل والقضايا، وفقاً لجدول الاسبقيات السياسية، الذي يعد بهدف تلبية هذه المطالب، وحل المشكلات الواحدة بعد الاخرى بحسب اهميتها او درجة الحاحها، او قوة الفئة او المجموعة التي تتأثر بها او بنتائجها. وعلى العموم، فان هناك مئات المشاكل او المطالب التي تركز على الرف (تهمل)، ولا تدخل جداول الاسبقيات، مقارنة بالقليل منها التي يجري العمل على تبنيها والمفاضلة بينها، وتحديد اولوية او اسبقية كل منها على غيرها في جداول الاولويات السياسية. وهذا ما اشرنا اليه في بداية هذا البحث. وعليه فجدول الاسبقيات: هو جدول اعمال يضم القضايا والمشاكل او المطالب العامة التي هي بحاجة الى تصرف او فعل حكومي بشأنها. وهو ليس جدولاً مثالياً او نموذجياً يوضع بصيغ او قوالب جامدة، انما يختلف من موقف لآخر، ومن جهة لآخرى، فجدول اعمال السلطة التشريعية (البرلمانات)، قد لا يماثل جداول اعمال السلطين التنفيذية والقضائية التي قد لا تتشابه مع جداول اعمال الحكومات المحلية للمحافظات او الاقاليم. فكل منها يمتاز عن الاخر، بمحتوياته واسبقياته وكيفية اجراء النقاش لتحديد هذه الاولويات، وهو غالباً ما يُعرف من خلال الجلسات العلنية للمجالس النيابية (مثلي الشعب)، او ما تنقله وسائل الاعلام المتنوعة من خطب وتصريحات لبعض اعضاء السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية) والحكومات المحلية، والمعنيين من موظفي الجهاز الاداري الحكومي وغيرهم. وعلى العموم فان اهم العوامل التي تساعد على ايصال القضايا والمطالب الى جداول الاسبقيات هي الآتي:



١\_ فقدان بعض الجماعات او النخب مصالحها او جزءً منها لمصلحة جماعات او نخب اخرى ، مما يؤدي بها الى التحرك لاعادة التوازن لصالحها ، الامر الذي يستدعي قيام الاجهزة الحكومية بنشاط اضافي لمواجهة ذلك (30 : 1951 : Thomas) ومن الامثلة على ذلك تحرك المنتجين المحليين لاقناع الحكومة بفرض ضرائب كمركية على البضائع المستوردة للحد من منافستها لمنتجاتهم.

٢\_ قادة الاحزاب السياسية ، وهم غالباً ما يحاولون تبني المطالب العامة ، والعمل على ايصالها الى اسماع صانعي القرار او السياسات لاستمالة جمهور المواطنين بهدف الحصول على تأييد الراي العام. (428 : 1977 : Walker) وقد يقوم رؤساء الحكومات بمثل هذا النشاط للسبب نفسه.

٣\_ أهمية المشاكل او المطالب وخطورتها: اذ أن بعض المشاكل تمتاز بالحاحها ، وكثرة عدد المتأثرين بها ، وخطورة نتائج اهمالها مما يدعو المعنيين الى إعطائها اولوية ضمن الاسبقيات التي لا مفر من اتخاذ الاجراءات السريعة لمعالجتها ، كالكوارث الطبيعية من امطار وفيضانات وزلزال ، وظهور الاوبئة والامراض المعدية فجأة في منطقة ما ، وغيرها (84 : 1972 : Cobb).

٤\_ المطالب او القضايا التي تثيرها المعارضة السياسية او الاضرابات التي تنظمها بعض الفئات المهنية ، كاضراب عمال الموانئ والمطافئ او المناجم وغيرها ، مما يوصل قضاياهم ومطالبهم مباشرة الى اسماع صانعي السياسات العامة ، ووضعها في جداول الاسبقيات ( ; Lipsky : 54 : 1968 : Michael).

٥\_ وسائل الاعلام المتنوعة المقروءة والمسموعة والمرئية وهي تلعب دوراً مهماً في ايصال بعض القضايا والمطالب الى اسماع راسمي السياسات العامة ، وعرضها على جداول الاولويات ، مثال ذلك ، مشكلة بعض اصحاب السيارات القديمة التي تقرر اخراجها من بغداد اعتباراً من ٢٠٠٢/٧/١ ، اذ تمكنت وسائل الاعلام من طرحها بشكل مباشر ، وصل الى اعلى المستويات ، مما ادّى الى صدور امر بايقاف تنفيذ ذلك القرار.

ولا بد من الاشارة الى ان المشاكل والمطالب العامة لا تصل كلها الى راسمي السياسات العامة ، ولا تأخذ طريقها الى جداول اسبقياتهم لا سباب عديدة منها :

١ - تعارض بعض المطالب او القضايا مع الاعتبارات او القيم والمبادئ التي يؤمن بها المعنيون من راسمي السياسات العامة ومنفذيها

٢ - سيطرة جماعة معينة او فئة ما على المؤسسات الحكومية ووسائل الاتصال الجماهيري والاحزاب السياسية خصوصا" في الدول النامية ، والدول التي تتكون مجتمعاتها من قوميات وديانات متعددة وخير مثال لذلك ، تركيا التي يسيطر فيها الاترك المسيحيون ، والنخب العسكرية على المؤسسات السياسية والحكومية ويمنعون الاكراد ، والمسلمون من ممارسة حقوقهم السياسية والاجتماعية والثقافية بحرية كاملة

٣ - الجهل ، وعدم الوعي او النضج السياسي والاجتماعي للغالبية من افراد المجتمع ، يجعلهم عاجزين عن فهم مشاكلهم والتعبير عن قضاياهم واستخدام السبل الناجحة لإيصالها الى المعنيين ، فسكان القرى والأرياف في معظم الدول النامية لا يستطيعون التعبير عن مشاكلهم وإيصالها الى المعنيين مثل سكان المدن.

واخيرا" فان من المناسب التنويه الى ان السياسات العامة ليست محصورة دوما" على ما تنفذه الحكومة من أعمال وما تشرعه من لوائح وانظمة وقوانين ، بل تشمل ايضا" ما تهمله او تمتنع عن فعلة او تشريعه.(اندرسون: ١٩٩٩: ٨٧)

### ثانياً: صانعو السياسات العامة

وهم الافراد او الجماعات والجهات (الرسمية وغير الرسمية) الذين يشاركون في رسم السياسات العامة بصورة مباشرة وعلية فانه يمكن تقسيم الاطراف التي تشارك في صنع السياسات العامة على نوعين رئيسيين هما:

١ - الاطراف الرسمية الحكومية.

ب - الاطراف غير الرسمية.

### اولاً: الجهات الرسمية الحكومية:

وهم الافراد الذين يخولون الصلاحيات التي تسمح لهم بالمشاركة في صنع السياسات العامة ، مثل اعضاء السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، والاداريين الاخرين من العاملين في الاجهزة الحكومية ، الذين يساهمون في اتخاذ القرارات وتنفيذ السياسات العامة بطرائق ودرجات متفاوتة. وعليه يمكن تقسيم الاطراف الرسمية الى الاتي:

## ١ - السلطة التشريعية:

تعد السلطة التشريعية من أهم المنظمات الرسمية الحكومية التي تضطلع أساساً بتشريع اللوائح والانظمة والقوانين، ووضع القواعد العامة التي تنظم مختلف أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية وغيرها في الدولة. (العزاوي: ٢٠٠١: ٤٦). ان دول العالم تتباين في كيفية تشكيل السلطة التشريعية، ودورها وتأثيرها في عملية رسم السياسات العامة. فبعضها يأخذ بنظام المجلس (البرلمان) التشريعي الواحد، مثل لبنان وجمهورية مصر العربية وتركيا وروسيا وغيرها، اذ تتكون السلطة التشريعية فيها من مجلس واحد يمثل المواطنين جميعهم والاحزاب السياسية الموجودة في ذلك البلد. والبعض الآخر تأخذ بنظام المجلسين ككندا، بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية.. وفي بريطانيا، مجلس العموم ومجلس اللوردات، وهكذا في الدول الاخرى. كما ان بعض الدول موحدة، كفرنسا، سوريا، وجمهورية مصر العربية، وليبيا، اذ يتألف جهازها التشريعي من مؤسسة واحدة - سواء كانت تأخذ بنظام المجلس - الواحد او المجلسين - لها سلطات اصدار اللوائح والتشريعات، والقوانين بما لا يتعارض مع دستور الدولة. والاعراف الاجتماعية السائدة التي لها صفة الدوام والثبات النسبي. وبعضها الاخر فدرالية، أي مكونة من اتحاد او اندماج مجموعة من الولايات كالولايات المتحدة الأمريكية، او مجموعة من الجمهوريات، كالاتحاد السوفيتي (السابق). (الجميل، يحيى: بلا: ٤٣)، اذ يتكون جهازها التشريعي من مؤسستين أثنتين هما: المؤسسة الاتحادية، والمؤسسات التشريعية الاقليمية. (هلال، علي الدين: ٢٠٠٠: ١٤) يختص الاول بصنع السياسات على مستوى الدولة الاتحادية كلها، كما لو كانت دولة موحدة، بينما يختص الثاني بالتشريعات على مستوى الاقاليم او الولايات، التي يفترض ان تمثل تمثيلاً عادلاً او متساوياً في المجلس الاول.

وقد اختص عدد من الدراسات الحديثة بمعرفة دور الهيئات التشريعية الاوربية، واهميتها في رسم السياسات العامة، فوجد بانها متباينة بحسب تباين انظمتها السياسية، (جابريل والموند: ١٩٩٨: ١٧٠). وقوة وسطوة النخب السياسية والاحزاب، وجماعات المصالح، وقدرة السلطة التنفيذية، ومدى تمثيلها لحزب واحد قوي او عدد من الاحزاب المؤتلفة. فمجلس العموم البريطاني، يعد من اضعف المجالس التشريعية قدرة وفعالية في صنع السياسات العامة، بسبب

سيطرة حزب الاغلبية الحاكم عليه، وان اغلب اعضائه يشكلون السلطة التنفيذية ويبقى دوره منحصراً في مناقشة تأهيل النخبة وتوظيف افرادها (العزاوي: ٢٠٠١: ٥٠) على عكس الكونكرس الامريكي الذي يلعب دوراً رئيساً في رسم السياسات العامة للحكومة الفدرالية من خلال لجانه المتعددة (جابريل: ١٩٩٨: ١٦٩).

## ٢- السلطة التنفيذية:

وتتضمن الافراد العاملين في البيروقراطية الحكومية المتمثلة بالمؤسسات والهيئات واللجان والاجهزة الادارية الحكومية المتنوعة، التي غالباً ما تضطلع بتنفيذ السياسات العامة، غير ان دورها في رسم السياسات العامة لا يمكن اخفائه باي حال من الاحوال، اذ ان الشعوب تعيش عصر هيمنة السلطة التنفيذية بسبب الاعتماد بشكل كبير على القيادة التنفيذية في رسم السياسات العامة وتنفيذها (اندرسون: ١٩٩٨: ٥٨) ففي بعض الانظمة الحكومية الرئاسية يجمع رئيس الجمهورية بين قيادة العملية التنفيذية، وقيادة العملية التشريعية، كما في الكثير من دول العالم النامية، كما يتدخل الرئيس الامريكي في الولايات المتحدة الامريكية، للحيلولة دون تعطيل اقرار بعض البرامج والسياسات العامة من جانب اللجان والقوى الحزبية المتنافسة في الكونكرس الامريكي، كما ان هناك كثير من اللوائح التي تجيز للرئيس الامريكي التدخل في صنع السياسات العامة، كلائحة التجارة الخارجية التي تخوله سلطات واسعة في رفع الرسوم الكمركية المفروضة على السلع المستوردة او تخفيضها، كذلك لائحة الاستقرار الاقتصادي لعام (١٨٧٠ م). التي منحت سلطات واسعة في مراقبة الاسعار منعاً للتضخم زد على ذلك السلطات والصلاحيات التي منحها الدستور الامريكي للرئيس في مجال السياسات الخارجية والعسكرية، بل لا غرابة اذا قلنا ان السياسات الخارجية الأمريكية هي من صنع الرئيس الأمريكي (Dror: 1968: 17). وينطبق هذا الكلام على معظم السياسات الخارجية للدول الاخرى، اذ تترك اليد الطولى لرئيس الحكومة في رسم السياسات الخارجية لبلاده، مثل غانا، تايلندا، سوريا، والجزائر وغيرها. وما قيل عن دور رئيس الجمهورية، يقال ايضاً عن المحافظين، وحكام الولايات والاقاليم المحلية. اذ يمتد دورهم الى رسم او صنع السياسات العامة لولاياتهم او محافظاتهم، مع تنفيذها. (اندرسون: ١٩٩٨: ٥٩).

كما ان المؤسسات البيروقراطية الاخرى، المتمثلة بالاجهزة الادارية العامة وهيئاتها او لجانها المتنوعة التي غالباً ما تتدخل في صنع السياسات العامة ومناقشتها، مع دورها الاساس في تنفيذها. بل ان هناك من يعتقد بان هذه الاجهزة قادرة على اعاقه رسم السياسات العامة تماماً كقدرتها على تنفيذها او عدم تنفيذها (اندرسون: ١٩٩٨ : ٦٠). وذلك مرده الى كثرة القضايا والمطالب التي تستوجب خبرات فنية متخصصة لرسم السياسات المتعلقة بها، ولنقص الخبرة الفنية لافراد السلطة التشريعية فانهم غالباً ما يفوضون الاجهزة الادارية كثيراً من الصلاحيات اللازمة لرسم السياسات العامة من هذا النوع، واتخاذ قرارات لها مفعول السياسات العامة من حيث التأثير والاهمية والنطاق مثل القضايا المتعلقة بالدفاع، والتلوث، والطرق السريعة، والعلاقات الخارجية، وغيرها. (اندرسون: ٦٠: ١٩٩٨).

### ٣- السلطة القضائية:

المقصود بها المحاكم سواء كانت على مستوى الدول - كمحكمة التميز في العراق -، او على مستوى المحافظات او الاقاليم او الولايات. وهي تضطلع بمهمة صياغة وتفسير النصوص القانونية ومدى مطابقة الانظمة واللوائح والقوانين مع دستور الدولة النافذ، واصدار الاحكام في المخالفات التي ترتكب بحق المواطنين من قبل الاجهزة الحكومية، زيادة على دورها الاساس في تحقيق العدالة، وتطبيق القانون والفصل في المنازعات والحكم في الجرائم والمخالفات المتنوعة. وللقضاء - مع هذا - دور مهم في رسم السياسات العامة في بعض الانظمة الحكومية، مثل المحكمة العليا في الولايات المتحدة الامريكية، التي تقوم بمراجعة نصوص اللوائح القانونية عند عرضها عليها لابداء المشورة قبل التصويت عليها في الكونكرس الامريكي، وقد تقترح تعديلها او الغاءها عند مخالفتها للدستور الفدرالي، او القوانين النافذة، فالكونكرس يتردد كثيراً عند الخوض في قضايا يتوقع ان يعترض عليها القضاء بحجة عدم شرعيتها او مخالفتها للدستور، ويذكر ان القضاء الامريكي لعب دوراً كبيراً في صنع السياسات الاقتصادية، كقضايا الملكية، والعقود، والعلاقة بين العمال ونقاباتهم من جهة، واصحاب المصانع من جهة اخرى.

( Zeigler: 1971:126 ) وقد حذت بعض الدول كالمانيا الاتحادية، وكندا، وبريطانيا، وأستراليا، حذو الولايات المتحدة الأمريكية في هذا المجال. أما في الدول النامية، فإن للقضاء دوراً محدوداً - أو لا يكاد يظهر - في رسم السياسات العامة. (اندرسون: ١٩٩٩ : ٦٣).  
ان رقابة القضاء الفعالة على التصرفات التي تقوم بها الاجهزة الحكومية في رسم السياسات العامة او تنفيذها، يعد صمام الامان والضمانة الحقيقية ازاء التعسف الاداري، وذلك بالغاء القرارات الادارية المجحفة التي اتخذتها الجهات المعنية بحق المواطنين، او التعويض عن الاضرار التي نجمت عنها، (العويني: ١٩٨١ : ١١٥).

### ثانياً: الجهات غير الرسمية (غير الحكومية):

ان عملية رسم السياسات العامة لا تنحصر فقط في مشاركة الجهات والقوى الرسمية، بل هناك جهات اخرى تصنف على انها حكومية (غير رسمية) تشارك هي الاخرى بحظ وافر في التأثير على صانعي السياسات العامة ومنفذيها، ومن هذه الجهات، على سبيل المثال، لا الحصر: الجماعات المصلحية (الضاغطة) الاحزاب السياسية، المواطنون (الراي العام)، وفيما يلي توضيح لكيفية تأثير هذه الجهات في صنع السياسات العامة.

#### ١ \_ الجماعات الضاغطة (المصلحية):

تعرف الجماعات الضاغطة بانها مجموعة من الافراد يلتقون في اهداف وصفات او خصائص معينة يسعون لاحداث التأثيرات المطلوبة في السلوك الذي يتخذه صناع القرار تجاه قضاياهم ومطالبهم، وتوجيهه لتحقيق مصالحهم المشتركة، (درويش: ١٩٦٨ : ٢٠١) مثل الاتحادات المهنية (اتحاد الصناعات، غرف التجارة، نقابة المحامين...). نقابات العمال، الجمعيات الاجتماعية والدينية، الشركات، البيوت المالية والاقتصادية، وغيرها. اذ تسعى هذه الجماعات للتأثير على أطراف صنع القرار للاهتمام بقضاياها ومشاكلها ودفعها لاتخاذ مواقف او قرارات لها صفة السياسات العامة لخدمة اهدافها وتحقيق مصالحها، لما تتمتع به من القوة والنفوذ المستمدين من العلاقات المتنوعة والمتداخلة مع راسمي السياسات العامة. (العزاوي: ٢٠٠١ : ٦٢).

ان وجود قنوات مشتركة للاتصال الرسمي وغير الرسمي بين هذه الجماعات وبين راسمي السياسات العامة، يُعد مسألة أساسية لا يصال مطالبهم وقضاياهم بالسرعة والكيفية المطلوبتين واقتناعهم بضرورتها، وأهميتها لادراجها ضمن مشاريع ولوائح السياسات العامة (عبد القوي، خيري: ١٩٨٩: ١١٥). وعليه فان راسمي السياسات العامة يضطرون الى الموازنة بين مطالب هذه الجماعات، خصوصاً اذا كانت متعارضة، وقد يستخدمون المساومة للخروج بحلول توفيقية مقبولة للجميع، ورغم ذلك، فان الجماعات الاحسن تنظيمًا، والاوسع حجمًا، والاكثر مواردًا والافضل قيادة، تفضل اكثر تأثيرًا في توجيه كثير من السياسات العامة لصالحها على حساب الجماعات الاخرى الاقل تنظيمًا، وسعة، وامكانيات، ليس هذا فحسب بل ان للمكانة الاجتماعية لهذه الجماعة او تلك، وتماسك اعضائها، ودرجة المنافسة بين هذه الجماعات، وموقف الاجهزة الحكومية من مطالبها، ونمط اتخاذ القرارات في النظام السياسي، وغيرها، أثرها الواضح في اتخاذ القرارات لصالحها. زيادة على اسهام الجماعات المصلحية في بلورة المطالب وتجميعها وايصالها وطرح البدائل للسياسات العامة المتعلقة بها. كما يقومون بتزويد المنفذين بالمعلومات الواقعية عن موضوعاتهم، خصوصاً حين تكون الموضوعات ذات طبيعة فنية، وبهذه الطريقة فانهم يسهمون في ترشيد السياسات العامة المرسومة. (اندرسون: ١٩٩٩: ٦٣).

أما اساليب الضغط التي تمارسها هذه الجماعات للتأثير على راسمي السياسات العامة، فانها تتباين من نظام سياسي لآخر، ومن دولة لآخرى منها:

وجود من يمثلها لدى الجهات الرسمية عند مناقشتها للوائح ومشاريع السياسات العامة. التأثير على الرأي العام، واستمالاته للضغط على السلطتين التشريعية والتنفيذية لصالحها، او تحييده على الاقل لامرار مشاريعها بدون معارضة تذكر. (عبد القوي: ١١٦: ١٩٨٩).

## ٢\_ الاحزاب السياسية:

يعرف الحزب بانه "تنظيم سياسي له صفة العمومية والدوام، وله برنامج يسعى بمقتضاه للوصول الى السلطة، (العزاوي: ١٩٩٨: ٥٨). كما عرف بانه: مجموعة من الافراد تربط بينهم روابط معينة، ومصالح مشتركة، ويهدفون الوصول الى السلطة او المشاركة فيها. (الهاشمي: ١٩٩٠: ٦٤). وعلى هذا فالحزب السياسي منظمة غير رسمية تنشأ في الوسط الاجتماعي باتفاق

مجموعة من الافراد في ظرف، وزمن معينين، لتحقيق مجموعة من الاهداف من بينها استلام القيادة السياسية في المجتمع او المشاركة فيها. وغالباً ما توجد في معظم الانظمة السياسية السائدة في البلدان مهما كانت الابديولوجية الفكرية التي تؤمن بها مجموعتان من الاحزاب (حزبان او اكثر)، المجموعة الاولى: تقود السلطة السياسية في البلاد، والمجموعة الثانية: خارج السلطة السياسية (معارضة)، تتعقب خطوات المجموعة الاولى وتحصي عليها اخطاءها، بهدف تأليب الرأي العام ضدها، تمهيداً لكسب التأييد الجماهيري وحشده لمساندتها، ومؤازرة افكارها وبرامجها التي غالباً ما تعرضها في وسائل الاعلام العامة او الخاصة بها، وفي اثناء الحملات الانتخابية المتنوعة. هذا ما يخص الانظمة ذات التعددية الحزبية مثل: فرنسا، لبنان، الهند، الباكستان، الأرجنتين، كندا، والمانيا الاتحادية، وغيرها.

اما في الدول التي لا تؤمن بتعدد الاحزاب السياسية، وهي الدول ذات الحزب الواحد، كالصين، والاتحاد السوفيتي (السابق)، وبعض الدول النامية الاخرى التي حذت حذوها، فانها تمتاز بسيطرة ذلك الحزب على كافة السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية). وبالتالي فهو الذي يوجه هذه السلطات ويصنع السياسات العامة وينفذها. ولكن هذا لا يعني ان هذه الدول تخلو من التجمعات او الاحزاب الاخرى التي تعمل بصورة سرية للتأثير في الرأي العام بالاتجاه الذي يخدم مصالحها. ويشكل عامل ضغط على الحكومة لتلبية بعض المطالب والقضايا التي تنادي بها هذه الاحزاب المعبرة عن المصلحة العامة في معظم الاحيان.

فالاحزاب السياسية تؤدي مجموعة من الوظائف في النظام السياسي، منها التعبير عن الرأي العام، وتوفير قدر من المشاركة في رسم السياسات العامة إذ انها تقوم بتجميع وبلورة المصالح وهي اداة من أدوات التنشئة السياسية، والمساهمة في اضعاء الشرعية على أنظمة الحكم المتنوعة (هلال: ٢٠٠٠: ١٦٨).

ان تأثير الاحزاب السياسية في رسم السياسات العامة، يمكن ان يتم خارج نطاق البناء السلطوي. أو داخله. اذ ان الاحزاب السياسية تقوم بمجموعة من الوظائف منها: بلورة المطالب والقضايا العامة التي تناقش عند رسم السياسات العامة، واثارة الرأي العام حولها، ومحاولة اقناع المواطنين بتبني المواقف التي تتخذها هذه الاحزاب للضغط على الحكومة، كما تعد وسيلة من



وسائل الرقابة السياسية على النشاط الحكومي. أما الشكل الآخر للتأثير في صنع السياسات العامة، فهو عندما تستلم هذه الأحزاب زمام السلطة، أو مقاليد الحكم، فإنها تقوم بتشكيل السلطة أو تجديد بنيتها أو تغييرها، وتحديد مساراتها وتوجيه عملية رسم السياسات العامة طبقاً للفلسفة التي تتبناها والتوجهات الفكرية التي تؤمن بها (الكازم: ١٩٩١: ٩٣) وبشكل عام فإن الأحزاب السياسية سواء كانت خارج السلطة أم داخلها تقوم بدور المراقب بعضها على البعض الآخر، فأحزاب المعارضة تترصد حركة الحكومة وكيفية صنعها للسياسات العامة، وتنفيذها. بينما تقوم الأحزاب الحاكمة بشرح سياسات الحكومة ومواقفها، والدفاع عنها، والعمل على اقناع الرأي العام بصحتها، وقدرتها على تحقيق المصلحة العامة.

وعلى أية حال، فإن الأحزاب السياسية تتميز عن الجماعات المصلحية (الضاغطة) بتبنيها ومناصرتها للمواقف والسياسات التي تتسم بالنفع العام أو الشمولي. بينما تهتم الجماعات المصلحية بالقضايا الصغيرة المتعلقة بمصالح أعضائها الخاصة. (Lindblom: 1968: 44).

وخلاصة القول، فإن الأحزاب السياسية تمتلك القدرة على التأثير في رسم السياسات العامة سواء أكانت خارج السلطة أم داخلها، فعندما تكون خارجها، فإنها تقوم بدور المدافع عن مصالح الجماهير الواسعة ومحاولة إيصالها إلى اسماع صانعي السياسات العامة من خلال الضغط الجماهيري لتأخذ طريقها إلى أسبقيات هؤلاء. أما عندما تكون داخل السلطة، سواء أكانت قائدة بمفردها للعملية السياسية المؤتلفة، كما يحصل في معظم البلدان الديمقراطية التي تأخذ بالتعددية الحزبية، كتركيا أو الهند، وغيرها، فإن هذه الأحزاب تمارس التأثير في صنع السياسات العامة من خلال قيادتها للسلطات الثلاث - كما اسلفنا سابقاً - وينطبق هذا القول على الدول ذات الحزب الواحد كالصين، والاتحاد السوفيتي (سابقاً).

### ٣- الرأي العام (المواطنون):

إن لمطالب ورغبات الأفراد (المواطنين) مكانة وموقفاً مؤثراً في رسم السياسات العامة حتى في المجتمعات التسلطية أو الديكتاتورية (Lindblom: 1968:45). ففي القرون الوسطى كانت الدول التقليدية على الرغم من أنظمتها المستبدة تحرص على سماع أصوات المواطنين وتلبية بعض مطالبهم لتقليل النقرة بين صفوفهم، والتخفيف من عدم الارتياح عندهم كما أن النظام في الاتحاد

السوفيتي (السابق) لم يهمل جميع المطالب الفردية للمواطنين، بل كان يحرص على الاستجابة لبعض القضايا والمطالب لهذه المجموعة من المواطنين أو تلك، فحرصه على الاستجابة لمطالب المستهلكين وترجمتها في سياسات الانتاج في السنوات الاخيرة التي سبقت انهياره، ما هو الا دليل على استجابة الانظمة مهما كان شكلها للرأي العام ولو بدرجات وكيفيات متفاوتة (اندرسون: ١٩٩٩: ٢٦٨).

كما ان الرأي العام لا يمثل بالضرورة رأي الاغلبية (اصلا) بل يمكن ان يمثل رأي فرد او مجموعة قليلة من الافراد تجاه مطلب او قضية معينة في ظروف ووقت معينين، ثم تطور واتسع بالتفاعل والاتصال ليكون رايًا عامًا لشريحة واسعة من المجتمع (الاسود: ١٩٩٩: ٧٩).

والرأي العام يمكن ان يؤثر في رسم السياسات العامة بطريقتين هما (حمادة: ١٩٩٣: ١٠٩).  
**الاولى:** مايفرضه الرأي العام على النشاطات والتصرفات الحكومية من قيود او حدود في رسم وتنفيذ السياسات العامة. اما الثانية: فهي الخوف الذي يسيطر على بعض راسمي السياسات العامة ومنفذها من اتخاذ قرارات او مواقف يتوقع ان لا تحضي بتأييد او مساندة الرأي العام.

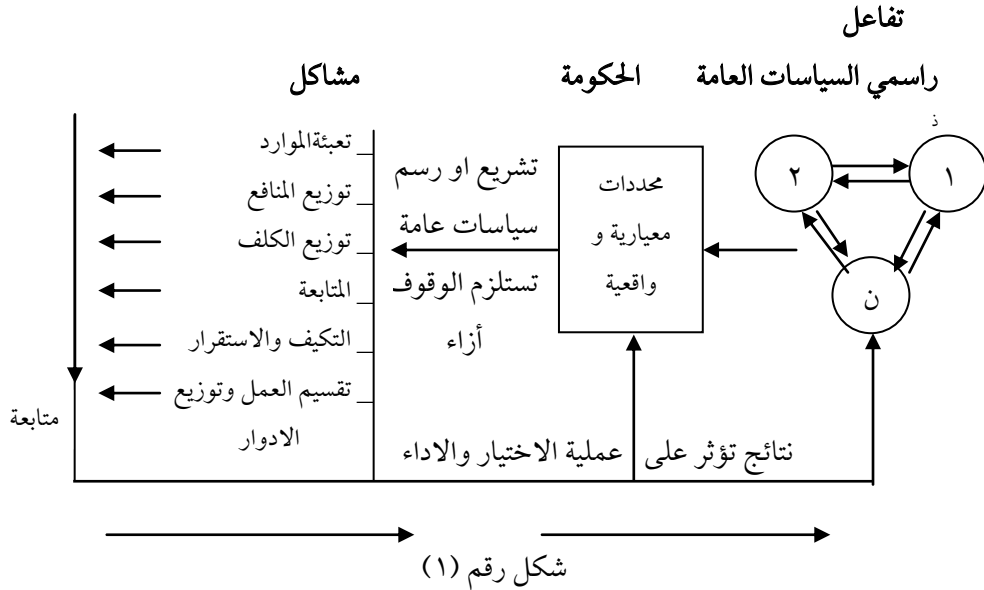
ويعتقد (الموند) ان الرأي العام يشارك في رسم السياسات العامة في المجتمعات الديمقراطية، وذلك بوضع قيم ومعايير وتوقعات للسياسات العامة، اما السياسات العامة ذاتها فهي من صنع جماعات متخصصة تتمثل بمراكز صنع القرار. (بسيوني: ١٠٩: ١٩٩٣). وعلى العموم يمكن القول بان المواطنين (الرأي العام) لا يصنعون السياسات العامة من جهة وليسوا بعيدين عنها تماما من جهة اخرى. فتجاهات الرأي العام، وتوقعاته حول كيفية مواجهة بعض القضايا الاساسية لا يمكن اهمالها من قبل صانعي السياسات العامة، بل تعد الاطار العام الذي يفترض ان يتحرك ضمنه هؤلاء، فهو يحدد ماهو مقبول، وما هو مرفوض، وما هو ناجح او فاشل من قرارات وسياسات، خصوصا بعد تنفيذ تلك القرارات (بسيوني: ١٩٩٣: ١١٠) زد على ذلك حرص الاحزاب المتنافسة (في الانظمة الديمقراطية) على الحصول على اكبر قدر ممكن من اصوات الناخبين (المواطنين) من خلال تبني مشاكلهم ومطالبهم في البرامج والمشاريع الانتخابية التي ستصبح بعد ذلك مادة لصناعة السياسات العامة (Brady:1978:86) وعلى مستوى الافراد فان للانشطة العلمية والفكرية لبعض المفكرين وعلماء الاجتماع والاقتصاد والسياسة، وغيرهم الاثر البالغ في

توجهات وقرارات رسمي السياسات العامة عند قيامهم بصياغتها واتخاذ القرارات المتنوعة بشأنها ومن ابرز الامثلة على ذلك مافعله (مارتن لوثر كنك) عام ١٩٦٠ في مجال الحقوق المدنية للسود في الولايات المتحدة الامريكية. (اندرسون: ١٩٩٩ : ٩٩).

ان دائرة المؤثرين في رسم السياسات العامة قد لا تنحصر في الاطراف او الجهات الداخلية المذكورة في اعلاه (الجهات الرسمية وغير الرسمية) بل قد تتسع لتشمل اطرافاً خارجية، سواءً أكانت منظمات دولية، كالامم المتحدة، مجلس الامن الدولي، البنك الدولي للتنمية والاعمار، منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبك)، منظمة الطاقة الذرية، وغيرها، ام اتحادات دولية، كالاتحاد الاوربي، مجلس الجامعة العربية او دولة واحدة ذات قوة اقتصادية وعسكرية متفوقة. ومن الامثلة على تأثير هذه الجهات، سياسة الاصلاحات التي تبنتها الحكومة التركية بتأثير من الاتحاد الاوربي بوصفها من شروط انضمام تركيا الى عضويته، والتغير الذي أحدثته الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها في أفغانستان والعراق بالقوة العسكرية، وتحديد السياسات المتعلقة بانتاج النفط واسعاره بالنسبة للدول المنتجة للنفط الاعضاء في منظمة (الايوبك)، والسياسات التي فرضت على المانيا الغربية، واليابان في مجال قواتها المسلحة بعد انتصار الحلفاء عليها في الحرب العالمية الثانية، وغير ذلك كثير.

### ثالثاً: عمليات رسم السياسات العامة

لا تتميز عملية رسم السياسات العامة بالبساطة ووضوح المعالم وانما هي عملية غامضة، غاية في التعقيد والتشابك، تشارك في صياغتها اطراف وجهات متعددة داخلية وخارجية - كما ذكرنا في الفقرات السابقة - لكل منها قيم ومبادئ ومصالح لا تنسجم مع الاخر كلاً او جزءاً، كما وان طرائق صناعة السياسات العامة هي الاخرى متعددة ومتباينة بحسب تباين الاعتبارات والجهات المشاركة في صنعها، فضلاً عن انها قد تتضمن اختياراً واعياً ومدروساً لاهداف جماعية، وتتخذ - تبعاً لذلك - قرارات سلطوية ملزمة للجميع بعد إتخاذها صفة السياسة العامة، مع ما في ذلك من صعوبة التوفيق بين اهداف ومصالح الجماعات او الفئات المتباينة المؤثرة والمتأثرة بالسياسات العامة. والنموذج التالي يوضح عمليات رسم السياسات العامة.



يوضح عملية رسم السياسات العامة (Source: Mitchell: 1968: 392)

ان عملية رسم السياسات العامة لا يمكن فهمها مالم يؤخذ بعين الاعتبار كل عنصر من عناصر الشكل السابق، أذ ان كلاً منها يساعد في تعريف من يقوم برسم السياسة العامة، وكيفية رسمها، والزمن الملائم لذلك، ونتائج تفاعل المعنيين او المسؤولين عن رسم السياسات العامة. ولمعرفة عملية صنع السياسات العامة، لا بد من معرفة الخطوات التي تمر بها هذه العملية، وهي: (المنوفي:

١٩٨٧: ٢٩٣ - ٢٩٧)

١ - معرفة وتحديد القضايا والمشاكل العامة الناجمة عن مطالب ورغبات المواطنين غير المجابة والمشبعة. وقد سبق الكلام عن هذه الخطوة بالتفصيل في الفقرات السابقة.

٢ - تحديد بدائل السياسات العامة، بعد جمع المعلومات والحقائق واستشارة الجهات المعنية او ذات المصلحة الحقيقية بالمشكلة قيد الدراسة، وتشكيل لجان على مستوى الجهاز التشريعي (البرلمان)، او الجهاز التنفيذي (الوزارات) لتقصي المعلومات، وسماع آراء الخبراء والمختصين من فنيين واداريين وقضاة ويتم تحديد مجموعة من البدائل المحتملة لتحقيق الاهداف العامة الموضوعه لها، وتلبية حاجات ورغبات المواطنين، في حدود الموارد المتاحة والمخصصة لكل منها.

٣ - اختيار السياسة المناسبة: في هذه المرحلة تجري عملية ومناقشة كل بديل من بدائل السياسات العامة المقترحة التي قد تكون على شكل برامج او مشاريع للخدمات العامة، او مسودات ولوائح للأنظمة والقوانين التي يراد اصدارها لمعالجة موضوع معين، او استثمار فرصة ما او تجنب تهديد معين، وغير ذلك. اذ تخضع بدائل السياسات العامة المقترحة للنقاش داخل المؤسسة الحكومية وفق دساتير الدول، والمبادئ او القواعد المتعارف عليها، فضلاً عن المناقشة التي تجري حولها في المؤتمرات العامة، او الخاصة بالاحزاب والجماعات المصلحية، والحملات الانتخابية، ووسائل الاعلام المتنوعة. اذ يؤدي هذا التفاعل الى اختيار احد البدائل المطروحة، بوصفه معبراً عن السياسة العامة الاكثر قبولاً من قبل الاطراف المستفيدة والمعنية برسم السياسات العامة. ان النقاش او التفاعل الذي يجري بين المستفيدين والمعنيين برسم السياسات العامة يمكن ان ياخذ احد الصيغ او الانماط التالية:

أ: المساومة

ب: المنافسة

ج: الصراع

د: الامراو الفرض

هـ: التعاون

## أ. المساومة:

تعرف المساومة بأنها: " عملية تفاوض بين شخصين أو أكثر ممن يتمتعون بالسلطة أو الصلاحية للاتفاق على حل مقبول ولو جزئياً لمصلحة أهدافهما، وليس بالضرورة أن يكون حلاً مثالياً. (اندرسون: ١٩٩٩: ١٠٧)، فهي اذن، " التوصل الى مبادلات مفيدة للطرفين "، (المنوفي: ١٩٨٧: ٢٩٥). وعليه فان المساومة هي محاولة الوصول الى تبادل منافع مشتركة بين المتساومين وفقاً لقاعدة (خذ واعط). أي ان كل فرد او مجموعة من الافراد تجد ان ما تصبو اليه من منافع متوافرة تحت سيطرة فرد او جماعة اخرى، ليس بمقدورها ان تحصل عليها كلاً او جزءاً الا بتقديم شيء ما يرغب به الطرف الاخر، او الوعد بتقديمه في زمان ومكان وكيفية معينة بالمستقبل، ومن الشروط الواجب توافرها لإتمام المساومة: توافر الرغبة لدى المتساومين، ووجود شئ ما عند كل مساوم يرغب به المساوم الآخر، مثال ذلك، وجود شخص يبحث عن وظيفة محاسب ووجود شركة بحاجة الى موظف يجيد مهنة المحاسبة. ولكن طرفي المساومة قد لا يكونان بالقوة نفسها، او المستوى من الحاجة للشيء موضع المساومة، مما يؤدي الى تقديم تنازلات أكثر من قبل الطرف الأضعف الذي يخضع بتأثير حاجته الملحة، للطرف الاخر، وهذا ما يمكن ان نسميه بالمساومة غير المتكافئة او غير المتوازنة، أما المساومة المتوازنة فهي التي يكون فيها طرفا المنافسة متساويين او متعادلين من حيث القوة، ومستوى الحاح الشعور بالحاجة للشيء قيد المساومة. كما يمكن ان تكون المساومة غامضة او ضمنية بطبيعتها، خصوصاً حين تعقد الاتفاقات بين أطراف المساومة على أساس وعود مستقبلية، مثل الاتفاقات التي تحصل بين الكتل السياسية في البرلمانات، عندما تقوم مجموعة من الأعضاء بدعم موقف مجموعة أخرى في أثناء المناقشات او التصويت، على أمل الحصول على تأييدهم لمواقفهم في المستقبل. (Mitchel: 1969: 438) كما قد تكون علنية، ذلك حينما يحدد كل من المتساومين مطالبه وشروطه بشكل واضح ومكتوب منعاً للالتباس وسوء الفهم الذي ينتاب المساومات الضمنية وغير المكتوبة، وقد جرت مثل هذه المساومات (العلنية) عندما وافق الرئيس الأمريكي (جونسون) عام ١٩٦٨ على زيادة الضرائب على الدخل، مقابل تخفيض النفقات (اندرسون: ١٩٩٩: ١٠٨)، وفي جميع انواع المساومة، المتوازنة وغير المتوازنة، العلنية والضمنية، يجب ان يكون المساوم عارفاً، امكانياته وقدراته، وامكانيات وقدرات الآخرين، وما

يرغبون فيه ، والظروف والمواقف الملائمة ، من حيث المكان والزمان التي يستطيع فيها ان يحصل على اكبر قدر ممكن من المنافع باقل قدر ممكن من التضحيات علماً أن هذه المعلومات - غالباً ما - يصعب الحصول عليها ، وان المتوافر منها قد تنقصه الدقة.

### ب. المنافسة:

تعرف المنافسة بانها : - نشاط يمارسه طرفان او اكثر بهدف الوصول الى الغاية نفسها (المتوفي : ١٩٨٧ : ٢٩٦) أي ان المنافسة تحصل عند وجود شخصين (أ وجهتين) أو أكثر تتعلق رغبتهما او اشباع حاجتهما بالحصول على شيء ما يمتاز بالندرة النسبية ، وان حصول أي منهما عليه يمنع الآخر من الحصول عليه كلاً أو جزءاً ، كالمناصفة بين الاحزاب السياسية على اصوات الناخبين ، المنافسة بين المؤسسات الحكومية للحصول على اكبر قدر من الموارد النادرة ، وتنافس الدول مع بعضها للحصول على الموارد الاقتصادية (الاسواق) او المكانة وغيرها. ومن الشروط الواجب توافرها في المنافسة ، وجود طرفين او اكثر (حزبين ، دولتين ، جماعتين مصلحتيتين) ، ووجود هدف معين (موارد اقتصادية ، اصوات ناخبين ، مقعد في البرلمان ، ... الخ) ، يمتاز بالندرة النسبية أي عدم كفاية ما متاح منه لتلبية حاجات المتنافسين جميعاً ، واخيراً يكون لكل طرف من الاطراف المتنافسة الرغبة بالاستحواذ عليه وحده ، ومنع الآخرين من الحصول عليه . وعلى ذلك فان المتنافسين يعتمد كل منهم الى تحقيق غايته دون تقديم ادنى نفع للآخر ، بينما يحاول المتساومون تشجيع بعضهما البعض الآخر على قبول موقف او ظرف قد يفيد الجميع . غير ان هناك مواقف معينة تضطر المتنافسين الى اللجوء الى المساومة عندما يتعرض وجودهما معاً الى الخطر . مثال ذلك تكوين الحكومات الائتلافية او قبول المعارضة ببعض المكاسب التي تقدمها لها الحكومة . ( Mitchell: 1969: 447).

### ج- الصراع:

الصراع هو حاله من حالات التفاعل التي تحصل بين طرفين يفوز أحدهما بما يطمح إليه ولا يوفق الطرف الآخر إلى ذلك وإنما يتحمل كلفة فوز خصمه وقد ينشأ الصراع عن موقف تنافسي

، أي أن المنافسة قد تتطور لتصل إلى حالة من حالات الصراع عندما يحاول أحدهما تنحية الآخر أو إبعاده عن الموقف ، أو تحميله تكاليف لا يطيق تحملها.

كما أن الصراع يمكن أن يكون سلمياً عندما لا يتحول إلى جلب الأذى للطرف الآخر ، وينتهي عند حد التهديد والوعيد ، وربما يتخذ الصراع طابع المساومة وتحقيق بعض المنافع للطرفين ، وقد يكون عنيفاً يؤدي إلى إيقاع الأضرار بأحد الطرفين المتصارعين أو كليهما ، وينتهي بفوز أحدهما مقابل خسارة الآخر ، أو تدمير سمعته أو مركزه الاقتصادي أو الاجتماعي ، أو تجريده من القدرة على المنافسة. (Mitchell: 1968:460)

أن نتائج الصراع قد تؤدي إلى الحقد والتعصب والاستياء لدى الطرف الخاسر ، فيتحين الفرص أو المواقف المؤاتية للانتصار لنفسه في المستقبل ، لذلك فإن الصراع على الرغم من فوائده ، يظل حاله مؤذيه غير مرغوبة ، والصراع يمكن أن يكون علنياً عندما تكون أطرافه معروفة ، كالصراع بين الدول ، أو الصراع بين أحزاب المعارضة والأحزاب الحاكمة ، وغيرها ، وقد يكون ضمناً ليس من السهولة ملاحظته من قبل الآخرين خارج حلبة الصراع ، كصراع بعض الكتل أو المجموعات السياسية داخل الحزب الواحد ، أو داخل البرلمان ، أو غير ذلك.

### دال الأمر أو الفرض: command:

يعرف الأمر بأنه: إصدار الأوامر والتعليمات من الأعلى إلى الأدنى في المنظمة الواحدة. ويتم عبر سلسلة الاتصال والإمرة ، من الرؤساء إلى الرؤوسين لتوجيههم وحثهم على تأييد مواقفهم وتبني برامجهم باستخدام منظومة التحفيز (الثواب والعقاب) للمؤيدين والمعارضين. ويعد هذا الأسلوب في صنع القرار السياسي أكثر شيوعاً وأستخداماً في الانظمة الاستبدادية أو الفردية ، وفي المنظومات العسكرية (أندرسون: ١٩٩٩: ١١١).

### هـ الإقناع والتعاون:

ان الإقناع هو ان يستميل احد الأطراف الطرف الآخر ويحصل على تأييده على مواقفه او عرضه حول قضية أو مطلب ما بعد اقتناعه بسلامة الرأي أو القضية المعروضة عليه. أي ان احد الاطراف يجعل الطرف الآخر يقتنع بوجهة نظرة او موقفه بناءً على حقائق معينة كانت غائبة ، او



معلومات كانت غير متوافرة ، أو مصالح يمكن أن تتحقق لم تكن واضحة للطرف الآخر ، وقد يجتمع كل ذلك (اندرسون: ١٩٩: ١١٠) ، مما يؤدي الى إيجاد نوع من التعاون بينهما ، فالتعاون اذن يأتي نتيجة لاقتناع الاطراف بعضها بقضايا البعض الآخر. واتفاقهم على تحقيق أهداف مشتركة ، وبدون أن يحاول أي منهم تحقيق مصالحه وأهدافه الشخصية على حساب الطرف الآخر. أن أي مجتمع لا يستطيع إنكار وجود التعاون بين الجماعات او الاحزاب السياسية لتحقيق طموحات ، و أهداف يسعون جميعاً" من أجل تحقيقها والتعاون يؤدي بشكل عام الى تحقيق نتائج ايجابية وغير مكلفة ، وقد حثّ الاسلام الحنيف على التعاون الإيجابي ، اذ قال تعالى في كتابة المين (وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) ، والنصّ القرآني ينهي عن التعاون السلبي الذي يضرّ بالمجتمع كالتآمر للاضرار بمصالح الآخرين وما تقوم به عصابات التهريب والسرقة ، وغير ذلك (Mitchal:1969:472)

#### رابعاً: مستويات السياسات العامة

أن الجهات المعنية برسم السياسات العامة ، المذكورة انفاً ، لاتسهم كلها في رسم جميع السياسات العامة على تنوع موضوعاتها ومستوياتها ، اذ ان قسماً منها يستحوذ على اهتمام جميع المعنيين بفئاتهم وشرائحهم المتنوعة مختصين او مواطنين عاديين ، بينما لا يشير القسم الاخر منها إل الى اهتماماً "محدوداً" مقارنة بالنوع الأول. وانسجاماً مع ذلك ، فقد طرح (ردفورد) ثلاثة للسياسات العامة هي (Redford: 53:1969)

#### ١. المستوى العام: (Macro politics)

وهي المطالب والقضايا أو المشاكل التي تهم الرأي العام ، او شرائح وفئات متعددة منه ، كالأحزاب السياسية ، أصحاب الدخل المحدود من الموظفين والعمال ، مشاكل انخفاض مستوى الاجور وارتفاع أسعار السلع والخدمات ، قضية الحرب الأمريكية مع فيتنام (بالنسبة للشعب الأمريكي) ، قضية عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي (بالنسبة للشعب التركي) قضية "كشمير" بالنسبة لشعبي الهند والباكستان ، وقضية الانتفاضة الفلسطينية والاحتلال الصهيوني للأرض العربية بالنسبة للشعب العربي والشعوب الإسلامية ، وغيرها كثير. وقد تبدأ القضية على نطاق

محدود لفئة اجتماعية او سياسية واحدة ، أو مجموعة من المواطنين ثم تتطور الى قضية عامة بسبب تعاطف فئات واسعة من المواطنين معها.

ان القضايا الكلية او العامة تحضي باهتمام ومشاركة الاحزاب السياسية ، وقادة الجماعات المصلحية والضاغطة ، ووسائل الاعلام وسرعان ما تتسع دائرة الاهتمام لتشمل المعنيين برسم وتنفيذ السياسات العامة فيقومون بتحليلها وإخضاعها للنقاش بسبب وضوحها وسهولتها ، وسرعة التوصل الى وضع الحلول المناسبة لها ومن المفيد ان نذكر ان ما يميز السياسات العامة الكلية عن غيرها من السياسات هو تدخل رؤساء الدول فيها (قيادة السلطة التنفيذية) لانها تعبر عن المصلحة العامة ، وان القضايا التي يطرحها رئيس الدولة عادةً ما تحظى باسبقية خاصة على غيرها من القضايا الاخرى التي تطرح للنقاش ، باعتباره موجهاً للسياسات العامة ، وتحديد مضامينها وابرز مثال على ذلك ما فعلته ادارة الرئيس الامريكي (نيكسون) من دور في السياسات العامة الموجهة لمحاربة الفقر في الولايات المتحدة الامريكية. (اندرسون : ١٩٩٩ : ٧٤).

## ٢. المستوى الجزئي: (Micro Politics)

السياسات الجزئية هي تلك التي تصنع استجابة لقضية او مطلب فرد واحد أو جهة او منطقة معينة ، كإعفاء شركة ما من اداء الضريبة ، او تخفيضها عنها او اقامة مشروع لاسكان موظفي إحدى المؤسسات ، او تلبية مطلب مدينة ما لتعبيد طريق خاص بها ، وهكذا فهي اذن قضايا او مطالب محدودة لشخص او شركة او منطقة معينة ، فالسياسة العامة هنا ترسم لصالح جهة واحدة ، او عدد قليل من الأفراد ومهما كانت الفائدة المتأتية منها عظيمة لهؤلاء ، فان المتأثرين والمنفعين بها هم حفنة من الأفراد مقارنة بالمجموع الذي لم يتأثر بها (اندرسون : ٧٠ : ١٩٩٩)

وكثيرة هي القرارات التي تصدر من هذا النوع لصالح جهة معينة او اشخاص معدودين بتأثير شخصي من قبل المستفيدين ، او احد الموظفين العموميين في جهاز الحكومة الاداري ، او احد اعضاء البرلمان فهي لا تتطلب تهيئة موارد وامكانيات كبيرة لتنفيذها ، ولا تشغل اجهزة الاعلام بها ، مع كونها تؤدي الى حرمان جهات اخرى او تتخذ على حسابها ، فتخفيض الضريبة عن شخص او شركة معينة لا يضر بمصلحة شركة اخرى ، كما ان الرأي العام لا ينشغل بهذه القرارات ، ولا

يهتم بها ، ولا يعرف أي شيء عنها. وكلما زادت برامج الدولة ، وتوسعت نشاطاتها ، زادت الآثار التي تحدثها ، والمنافع التي تعود على المجتمع أفراد وجماعات ، وهذا ما يزيد من حجم وعدد السياسات العامة الجزئية ، كما يمكن ان تعد السياسات العامة المتعلقة بحل القضايا القطاعية ، كالزراعة والصيد ، والملاحة وغيرها من هذا النوع من السياسات.

### ٣. المستوى المحلي (الاقليمي): Local politics

ويقصد بها السياسات التي تتناول القضايا والمشاكل التي تخص المحافظات او الاقاليم المحلية او الولايات في الحكومة الاتحادية ، مثل مشكلة ملوحة المياه في محافظة البصرة (جنوب العراق) ، او ازدهار المرور في العاصمة بغداد ، او ارتفاع مناسيب المياه الجوفية في محافظات الفرات الاوسط وهكذا فان هذه القضايا ، كما هو واضح تهتم المواطنين في محافظة واحدة او مجموعة من المحافظات (إقليم) ، ولا تعني المواطنين في المحافظات الاخرى لعدم تأثرهم بها اذ ان موضوعات من هذا النوع لا تجلب اهتمام اغلب المواطنين الذين هم خارج دائرة التأثير ، وعليه فان تلبية المطالب وحل المشاكل المحلية او الاقليمية غالبا "ما توكل الى الحكومات المحلية او حكومات الأقاليم التي لكل منها استقلالها وسلطاتها في جمع المعلومات وتحليلها ، وتحديد الأسبقيات ، وصياغة السياسات العامة اللازمة والمربطة بكل منها في ضوء صلاحياتها ، ومسؤولياتها المحدودة لها ، بالتنسيق مع الأجهزة الحكومية المركزية المختصة.

### الخلاصة:

لقد تبين من خلال البحث أن اهم التحديات التي تواجه صانعو السياسات العامة هي تلك التي تتمثل بأدراك مشاكل المواطنين ، والاستجابة لها بالكيفية التي تحقق أعلى درجات الرضا ، وتقديم افضل الخدمات الممكنة لهم مع الاخذ بنظر الاعتبار الاسبقيات أو تقديم الاهم على المهم عند التعامل مع حل المشاكل او تلبية طلبات المواطنين خصوصاً عند عدم كفاية الموارد المادية والبشرية والمالية وغيرها.

ان عملية صنع السياسات العامة ليس بالامر اليسير ، فقد وجد ان هناك العديد من الجهات التي تشارك في هذه العملية كالحزاب السياسية ، والجماعات المتنفة ، والنخب الاجتماعية والاقتصادية

والسياسية، والشخصيات الدينية، والقانونية والسياسية وعامة المواطنون، اضافة الى القيادات الادارية بمستوياتها المتنوعة المتواجدة في جميع اجهزة الدولة ذات الصلة بصنع السياسات العامة، كالجهاز التشريعي والتنفيذي، والقضائي. حيث ان عملية صنع السياسات العامة تمر بالعديد من المراحل منها: معرفة مطالب ورغبات المواطنين غير المشبعة او الكامنة، ومن ثم تحديد البدائل او الاولويات او وضع جدول زمنية لهذه المطالب بحسب المتاح من الموارد المتنوعة والامكانيات المتوفرة لاجهزة الدولة ذات الصلة بهذه المطالب والرغبات وصولاً الى الخطوة الاخيرة التي تتمثل في اختيار السياسة او السياسات العامة التي ينجم عنها حل المشكلة او اجابة واحد او اكثر من مطالب المواطنين.

## المصادر

### اولاً: المصادر العربية

- ١ - الاسود، صادق، " الراي العام: "ظاهرة اجتماعية، وقوة سياسية"، (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر)، ١٩٩٣.
- ٢ - اندرسون، جيمس، "صنع السياسات العامة" ترجمة الدكتور عامر الكبيسي، ط١، (عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة)، ١٩٩٩.
- ٣ - جابريل، والموند، "السياسات المقارنة في وقتنا الحاضر نظرة عالمية"، ترجمة عبدالله هشام (عمان، الدار، الاهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨).
- ٤ - الجمل، يحيى، " الانظمة السياسية المعاصرة"، (القاهرة، دار النهضة العربية، ) بلا سنة طبع.
- ٥ - حمادة، بسيوني ابراهيم، " دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي"، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية)، ١٩٩٣.
- ٦ - درويش، ابراهيم، " النظام السياسي: دراسة فلسفية تحليلية"، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨).

- ٧ - سرحان، احمد، "النظم السياسية الدستورية في لبنان والدول العربية"، (بيروت، دار الباحث)، ١٩٨٠.
- ٨ - عبد القوي، خيري، "دراسة السياسة العامة"، (الكويت، منشورات ذات السلاسل)، ١٩٨٩.
- ٩ - عليوه السيد، ودرويش، عبدالكريم، "دراسات في السياسات العامة وصنع القرار"، بلا سنة طبع.
- ١٠ - العزاوي، وصال نجيب، "السياسات العامة: حقل معرفي جديد"، (بغداد، مركز الدراسات الدولية بجامعة بغداد)، ٢٠٠١.
- ١١ - العويني، محمد علي، "اصول العلوم السياسية: نظرية الدولة، الفكر السياسي، الرأي العام والاعلام، والعلاقات الدولية"، (القاهرة، عالم الكتاب)، ١٩٨١.
- ١٢ - المنوفي، كمال، "اصول نظم السياسة المقارنة"، ط ١، (الكويت، شركة الربيعان للنشر والتوزيع)، ١٩٨٧.
- ١٣ - الهاشمي، طارق، "الاحزاب السياسية"، (بغداد، مطابع التعليم العالي)، ١٩٩٠.
- ١٤ - هلال، علي الدين، وسعد، نيفين، "النظم السياسية العربية: قضايا الاستمرار والتغير"، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية)، ٢٠٠٠.

### ثانياً: المصادر باللغة الانكليزية

- 1- Brady , David ,W. , " Critical Elections,Congressional Parties and Clusters of Policy Changes " , British Journal of Political Science, (VIII ,January 1978).
- 2- Cobb,Roger W.and Edler,charles D.;"participation in american politics: the daynamics of Agenda-setting ;(Boston ;Allyn and Bacon;1972).
- 3- Dye, Thomas R.,"Understanding public policy "؛ 3<sup>rd</sup> .Ed .(U.S.A, Prentice –Hall ,Inc. Englewood cliffs.N.J.1978).
- 4- Dunny, William N.,"Pubic policy Analysis: A introduction, (Inc.Englewood cliffs ,N.J.1979).

5- Dror,Y.,”public policy making Reexamined “ ,(U.S.A,chandlre publishing Co.,1968).

6- Edwards ,George ,C.&sharkansky , Ira”,The policy predicament “ (San francisco ;W.H Freeman &Company:1978).

7- Lipsky ,Micheal ,”protest as Apolitical Resourcer” ;American political science Review;(Lx11,Decemder,1968).

8- Lindblom,charles E. ,” The Policy –Making Process” , (Englewood Cliffs,N.J. Printice-Hall , 1968).

9- Lowi ,Theodore J. ,”American Business public policy: case studies and political Theory “ ; world politics ,xvl ,(July ,1964 ).

10- Mitchell ,Joyce.M. and Mitchell,william,C.;”political Analysis & puplic policy: An introduction to political science “,(chicago;Rand and company ;1969).

11- Smith , David G., ”Progmatism and the group theory of politics “ , American Political Science Review ; Lv111 ,(September,1964).

12- Redford ,Emmetts ,S.;”Democracy in the Adminstrative State, (London ,oxcford university press,1969).

13- Smith ,David G.”Pragmatism & the Group theory of politics “,American Politiccal science Review Lv111(september,1964).

14- Simons ,Rebert.H.&dvorin ,Eugene ,p.,”Public Administration :values ,policy ; and change”(U.S.A:Alfred Publishing Co. Inc.1977).

15- walker,Jack L.,”Setting The Agenda in the U.S.A;Atheory of problemselection “ ;”The British Jornal of political science” ;(vol.7,october,1977).

16- Zeigler , Harmon , and Daten , Hendrick; " Interest Group in the states "; In Jacob, Herbert & vines, Kenneth N (Eds). Politics in the American states ", 2<sup>nd</sup>. Edition,(Boston; little, Brown,1971





# اثر التضخم ومعدلات الفائدة في أسعار الصرف

أ.د. حاكم محسن محمد

## اثر التضخم ومعدلات الفائدة في أسعار الصرف

### مقدمة:

تعد أسعار الصرف الموازية لأسعار الصرف الرسمية واحداً من المؤشرات الإقتصادية والمالية المعبرة عن متانة الإقتصاد لأية دولة سواء أكانت من الدول المتقدمة أم الدول النامية، وتتأثر أسعار الصرف بعوامل سياسية وإقتصادية متعددة، ومن بين هذه العوامل الإقتصادية، التضخم، ومعدلات أسعار الفائدة السائدة في السوق، اللذان يعكسان أثرهما في سعر الصرف للعملة الوطنية في السوق الموازية لسعر الصرف الرسمي الوطني، ويركز هذا البحث على أثر التضخم ومعدلات الفائدة في أسعار الصرف الموازية وللمدة من (١٩٩٢ - ٢٠٠١) في العراق وبعض الدول المجاورة، وقد افرز البحث عدة استنتاجات وتوصيات، وهي ..

### أولاً: التضخم وآثاره الإقتصادية:

#### أ- تعريف التضخم:

يعرف التضخم بأنه الإرتفاع المتزايد في أسعار السلع الإستهلاكية. ويعد هذا التعريف من أبسط أنواع التعريفات للتضخم. حيث توجد تعريفات أخرى ولكن هذا التعريف يعد أكثر وضوحاً من

وجهة نظر المستهلك ، وقد يصاحب التضخم التشغيل الكامل مقابل انخفاض البطالة حيث ترتفع الأسعار كلما زادت نسبة تشغيل عاطلين عن العمل<sup>١</sup>.

### ب - أنواع التضخم:

- ١ - التضخم الأصيل : يتحقق هذا النوع من التضخم حين لا يقابل الزيادة في الطلب الكلي زيادة في معدلات الإنتاج مما ينعكس أثره في إرتفاع الأسعار.
- ٢ - التضخم الزاحف : يتسم هذا النوع من أنواع التضخم بإرتفاع بطيء في الأسعار.
- ٣ - التضخم المكبوت : وهي حالة يتم خلالها منع الأسعار من الإرتفاع من خلال سياسات تتمثل بوضع ضوابط وقيود تحول دون اتفاق كلي وارتفاع الأسعار.
- ٤ - التضخم المفرط : وهي حالة ارتفاع معدلات التضخم بمعدلات عالية يترافق معها سرعة في تداول النقد في السوق ، وقد يؤدي هذا النوع من التضخم إلى انهيار العملة الوطنية ، كما حصل في كل من ألمانيا خلال عامي ١٩٢١ و ١٩٢٣ وفي هنغاريا عام ١٩٤٥ بعد الحرب العالمية الثانية<sup>٢</sup>

### ج - أسباب نشوء التضخم:

ينشأ التضخم بفعل عوامل إقتصادية مختلفة ومن أبرز هذه الأسباب :

- ١ - تضخم ناشئ عن التكاليف : ينشأ هذا النوع من التضخم بسبب ارتفاع التكاليف التشغيلية في الشركات الصناعية أو غير الصناعية ، كمساهمة إدارات الشركات في رفع رواتب وأجور منتسبيها من العاملين ولاسيما الذين يعملون في المواقع الإنتاجية والذي يأتي بسبب مطالبة العاملين برفع الأجور.
- ٢ - تضخم ناشئ عن الطلب : ينشأ هذا النوع من التضخم عن زيادة حجم الطلب النقدي والذي يصاحبه عرض ثابت من السلع والخدمات ، إذ أن ارتفاع الطلب الكلي لا تقابله زيادة في الإنتاج. مما يؤدي إلى إرتفاع الأسعار.

<sup>١</sup> الأمين، ١٩٨٢ ، ص ١٩٢.

<sup>٢</sup> (الأمين وباشا، ١٩٨٣ ص ١٩٦ - ١٩٧)

٣ - تضخم حاصل من تغييرات كلية في تركيب الطلب الكلي في الإقتصاد حتى لو كان هذا الطلب مفراطاً أو لم يكن هناك تركيز اقتصادي إذ أن الأسعار تكون قابلة للإرتفاع وغير قابلة للانخفاض رغم انخفاض الطلب<sup>٣</sup>.

٤ - تضخم ناشئ عن ممارسة الحصار الاقتصادي تجاه دول أخرى، تمارس من قبل قوى خارجية، كما يحصل للعراق وكوبا ولذلك ينعدم الاستيراد والتصدير في حالة الحصار الكلي مما يؤدي إلى ارتفاع معدلات التضخم وبالتالي انخفاض قيمة العملة الوطنية وارتفاع الأسعار بمعدلات غير معقولة.

#### د - الآثار الاقتصادية للتضخم:

للتضخم آثار اقتصادية مؤثرة في مسيرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأبرز هذه الآثار هي:

١ - ارتفاع الأسعار والكتلة النقدية المتداولة: يترتب على ارتفاع معدلات التضخم ارتفاع في أسعار المواد الاستهلاكية وإن أولى الفئات المتضررة بهذا الارتفاع هم أصحاب الدخل المحدودة، فضلاً عن وجود كتلة نقدية كبيرة متداولة في السوق وقد تكون هذه الكتلة محصورة بين أيدي مجموعة صغيرة لا تشكل إلا نسبة ضئيلة جداً من السكان، مما يعكس آثاره الاقتصادية السلبية على المستويات المعاشية للسكان.

٢ - ازدياد معدلات التضخم تؤدي إلى خفض القيمة الشرائية للنقد مما يؤدي إلى زيادة الطلب على رؤوس الأموال لتمويل المشروعات المقترحة وزيادة الطلب على رؤوس الأموال يؤدي إلى ارتفاع أسعار الفائدة.

٣ - يتأثر العمر الاقتصادي للمشروعات (الاستثمار) وقيمتها بمعدلات التضخم وتحسب هذه القيمة وفقاً للمعادلة الآتية، بعد الأخذ بنظر الاعتبار معدل التضخم:

$$F(T) = -C + e^{-(1+g)T} \left[ (1 - T) F(T) e^{gT} + TC \right]$$

حيث أن:

<sup>٣</sup> (الأمين وباشا، ١٩٨٣، ص ١٩٧ - ١٩٩)

(Brenner & venzia , 1998 , p.1521)

قيمة الاستثمار  $F [T]$

معدل التضخم  $g$

كلفة الاستثمار  $-C$

معامل الخصم  $e^{-(1+g)}$

القيمة الاسمية للموجودات  $e^{gt} f(t)$

١ - الحد من الصادرات إلى الأسواق الدولية :

ان ازدياد معدلات التضخم مؤدي إلى انخفاض القدرة التنافسية للمنتجات الوطنية في الأسواق الدولية وهذا يسبب زيادة المدفوعات مقابل انخفاض الإيرادات بالتالي حصول عجز في الميزان التجاري.

٢ - يؤدي التضخم إلى زيادة أسعار الفائدة وتبعاً لذلك تزداد أرباح منشآت الأعمال ، وتنخفض هذه الأرباح بانخفاض معدلات الفائدة ، حيث يتم تمويل الموجودات بإصدار سندات مديونية. في حين لا تسري هذه الخصائص في عدد من المشروعات الصناعية في الاقتصاديات ذات التضخم المنخفض. بل يحصل ذلك في الاقتصاديات ذات المعدلات العالية للتضخم ، إذ يسبب إرتفاع التضخم إرتفاع في الإيرادات ومعدلات الفائدة. وهي معدلات ليست حقيقية لو تم معالجتها وإعادتها إلى الأسعار الثابتة.

(Damodaran , 1999 , p.327)

٣ - إجراءات الحد من التضخم : يمكن الحد من التضخم ولاسيما في الدول المتقدمة بتنفيذ

إجراءات السياستين المالية والنقدية :

### أ. السياسة المالية:

أولاً : تضع وزارة المالية السياسة المالية (fiscal policy) للدولة وبموجبها تتحدد مصادر الإيرادات واستخداماتها والفائض (surplus) في الموازنة (Buelget) يؤدي إلى تقليل حجم السيولة المتاحة. وبالتالي سيؤدي ذلك إلى خفض معدل التضخم.

ثانياً: قيام وزارة المالية ببيع حجم الدين العام إلى الجمهور وبالتالي سحب النقد المتوفر في السوق ويؤدي ذلك إلى الحد من عرض النقد.

ثالثاً: زيادة الضرائب على السلع الكمالية ، التي تتداولها القلة من السكان من أصحاب الدخل المرتفعة.

رابعاً: خفض الانفاق الحكومي: يعد الإنفاق الحكومي أحد الأسباب المؤدية إلى زيادة المتداول من النقد في السوق ، وبالتالي فإن الحد من هذا الإنفاق وتقليصه سيؤدي إلى خفض النقد المتداول في الأسواق<sup>٤</sup>.

### ب- السياسة النقدية:

تتولى المصارف المركزية (البنوك المركزية) في الدول المختلفة وضع وتنفيذ السياسات النقدية باعتماد مجموعة من الأدوات الكمية والنوعية:

#### أولاً: الأدوات الكمية:

١. زيادة سعر إعادة الخصم: ومن النشاطات الاعتيادية التي تقوم المصارف التجارية بها: خصم الأوراق التجارية للأفراد وفي حالات أخرى تقوم بإعادة خصمها لدى البنك المركزي وفي هذه الحالة يقوم البنك المركزي برفع سعر إعادة الخصم بهدف التأثير في القدرة الإئتمانية للمصارف من أجل تقليل حجم السيولة المتداولة في السوق ويعد هذا الإجراء واحداً من الإجراءات لمكافحة التضخم.

٢. دخول المصارف (البنوك المركزية) إلى الأسواق بائعة للأوراق المالية وذلك من أجل سحب جزء من السيولة المتداولة في السوق. أو ما يسمى بدخول السوق المفتوحة.

٣. زيادة نسبة الإحتياط القانوني. تحتفظ المصارف التجارية بجزء من الودائع لدى البنوك المركزية وكلما ارتفعت هذه النسبة كلما انخفضت القدرة الإئتمانية لدى المصارف. فلو كانت الودائع مثلاً (٣٠٠) مليار دينار، فإن نسبة احتياطي مقدارها (٢٥٪) يعني الاحتفاظ بـ (٧٥) مليار

<sup>٤</sup> (الشماع، ١٩٩٢، ص ٤٨-٤٩) (الأمين وباشا، ١٩٨٣، ص ٢٠٣)

ولو رفع البنك المركزي هذه النسبة إلى (٥٠٪) يعني ذلك تقليل القدرة الإنتمائية للمصارف بمقدار (٧٥) مليار دينار أي سيكون الاحتياط القانوني (١٥٠) مليار بدلاً من (٧٥) مليار وبالتأكيد سيؤثر ذلك في السيولة المتداولة وبالتالي خفض معدلا التضخم.

### ثانياً: الأدوات النوعية:

أما الأدوات النوعية فإنها تتلخص بطريقة الإقناع لمدراء المصارف التجارية والمسؤولين فيها عن الإنتماء المصرفي، بسياسة الدولة الهادفة إلى خفض السيولة المتداولة في الأسواق، وهذه السياسة فعالة في الدولة النامية بشكل أكبر مما في دول أخرى.

### ثالثاً: معدلات الفائدة: (Interest rates)

غالباً ما تترن معدلات الفائدة بمصادر التمويل المقترضة سواء أكانت هذه المصادر قصيرة، أم متوسطة، أم طويلة الأجل، إذ يخصص رأس المال في إطار النظرية المالية من خلال أسعار الفائدة، وتتفاوت هذه الأسعار حسب تفاوت أجال الاقتراض، فالقوائد على القروض قصيرة الأجل تكون أقل في حين تكون أسعار الفائدة على القروض طويلة الأجل مرتفعة بينما أسعار الفائدة على القروض متوسطة الأجل تكون بين السعيرين<sup>٥</sup> وتزداد أسعار الفائدة عند تزايد الطلب على رؤوس الأموال الحاصل عن الرواج الاقتصادي، وقد تتوفر فرص استثمارية تشجع المستثمرين على استغلال هذه الفرص الاستثمارية. ولتوقعات المستثمرين أثر واضح في زيادة الطلب على رؤوس الأموال، إذ تتجه توقعاتهم بأن الحالة الاقتصادية في تحسن وأن رواجاً اقتصادياً سيؤدي إلى توفر فرص استثمارية متاحة أمام المستثمرين ولذلك يزداد الطلب على رؤوس الأموال وعلى شكل قروض قصيرة الأجل الأمر الذي يؤدي إلى زيادة أسعار الفائدة القصيرة الأجل بشكل يفوق أسعار الفائدة على القروض طويلة الأجل خلافاً للقاعدة التي تقول ان أسعار الفائدة على القروض طويلة الأجل أكثر من القوائد على القروض قصيرة الأجل، وتتأثر أسعار الفائدة بعدة عوامل

<sup>٥</sup> (الشماع / ١٩٩٢، ص ٦٥)

يترتب على مؤثرات هذه العوامل أن يطلب المقرض (الدائن) علاوات تضاف إلى أسعار الفائدة الحقيقية ومن أبرز هذه العوامل :

### ١. معدل التضخم (Inflation):

تؤثر معدلات التضخم في تكاليف الإنتاج الصناعية لمنشآت الأعمال عموماً ولذلك يزداد الطلب على رأس المال لتغطية هذه التكاليف. وكما أشير إليه سابقاً فإن انخفاض القوة الشرائية للنقد تسبب ازدياد الحاجة إلى التمويل. وعلى افتراض أن تقديرات إحدى منشآت الأعمال، أشارت إلى أن كلفة خط إنتاجي مقترح ضمن خطتها السنوية للسنة القادمة بلغت (١٠) مليون دينار، وعندما أرد تنفيذ الخط الإنتاجي تبين أن هذا المبلغ لا يكفي لتغطية تكاليف إقامة هذا الخط الإنتاجي، بل يتطلب (١٥) مليون دينار، هذه الزيادة ناتجة عن ازدياد معدل التضخم وانخفاض قيمة العملة الوطنية، مما أدى إلى زيادة الطلب على رأس المال وزيادة الطلب هذه، تؤدي إلى زيادة أسعار الفائدة على التمويل المقترض، إذا تأثر القرارات المالية لمنشأة الأعمال ولا يقتصر التأثير على أسعار الفائدة بل يؤثر التضخم في أسعار الصرف للعملة الوطنية تجاه العملات الأخرى، وتنسجم أسعار الفائدة مع معدلات التضخم. ففي ألمانيا كانت أسعار الفائدة أقل من نظيرتها في الولايات المتحدة الأمريكية ويعود السبب إلى أن معدل التضخم في ألمانيا كان أقل منه في الدولة الأخيرة.

(Weston, et.al, 1996,p774)

وكانت معدلات التضخم في دول أمريكا الجنوبية بين (١٠٪ - ٢٠٪) مما أدى إلى ارتفاع أسعار الفائدة في دول القارة الجنوبية قياساً بدول أخرى انخفضت فيها معدلات التضخم، وهذا ينسجم مع نظرية فشر (Fisher effect) حول الفرق بين أسعار الفائدة الرسمية في بلد وآخر ينبغي أن يعادل الفرق بين معدلات التضخم فيها (mud ura, 2000, p.232). وهذا التباين أوضح الاختلاف في عرض الأموال من جهة وادخارها من جهة أخرى، وفي معدلات الفائدة ولعدة أسباب كانت اليابان مثلاً بارزاً في تمسك الشعب الياباني في المحافظة على معدلات ادخار مرتفعة.

(Henning, et.al 1988, p.427)



وبسبب التضخم يطلب المقرضين (الدائنين) علاوة تسمى علاوة التضخم (Risk premium) تضاف إلى سعر الفائدة الحقيقي، فإذا كانت الفائدة الحقيقية الحالية من المخاطرة ( $K^x$ ) فضلاً عن

$$K = K^x + IP$$

علاوة التضخم (IP) تصبح الفائدة المطلوبة كالآتي:

((Weston & Brigham, 1993, P.130

وقد يطلب بعض المقرضين علاوات عن السيولة والمقصود بالسيولة قدرة أي موجود للتحويل إلى نقد بسرعة وبدون خسارة، وبالتالي مقياس لدرجة سيولة الأدوات الإستثمارية كالأسهم والسندات وعلاوة السيولة هي (LP) كما يطلب البعض علاوة مخاطرة ائتمانية (DRP) وعلاوة استحقاق (MRP) ولذلك تصبح معادلة الفائدة التي يطلبها المقرض هي:

$$K = K^x + IP + DRP + MRP$$

## ٢. العرض والطلب:

يزداد الطلب على اقتراض الأموال في الحالات التي يكون فيها الاقتصاد الوطني للدولة في حالة انتعاش ورواج، وذلك لتوفر فرص استثمارية للمستثمرين وباختلاف مستويات العائد والمخاطرة المتوقعين لأية فرصة استثمارية، يتم اختيارها، ويصاحب هذه الزيادة في الطلب على الأموال زيادة في أسعار الفائدة، في حين زيادة عرض الأموال يؤدي إلى انخفاض أسعار الفائدة. ويعرض الجدول رقم (١) أسعار الفائدة الرسمية في كل من العراق وسوريا والأردن.

### أسعار الفائدة

الدولة	السنة	العراق	سوريا	الأردن
١٩٩١	٢٣	٥	٨.٥	
١٩٩٢	٢٣	٥	٨.٥	
١٩٩٣	٢٣	٥	٨.٥	
١٩٩٤	٢٣	٥	٨.٥	

٨.٥	٥	٢٣	١٩٩٥
٨.٥	٥	٢٣	١٩٩٦
٧.٧٥	٥	٢٣	١٩٩٧
٩	٥	٢٣	١٩٩٨
٨	٥	٢٣	١٩٩٩
٦.٥	٥	٢٣	٢٠٠٠
٥	٥	٢٣	٢٠٠١

جدول رقم (١)

يلاحظ من الجدول رقم (١) أن أسعار الفائدة محددة بشكل رسمي لم يتغير في كل من العراق وسوريا في حين استقرت لست سنوات من مدة البحث في الأردن ثم انخفضت إلى (٧.٧٥) سنة ١٩٩٧ ثم أخذت ترتفع ثم انخفضت إلى أن أصبحت ٥٪ سنة ٢٠٠١، وإن هذا التغير كان بفعل متغيرات اقتصادية مؤثرة، ولم يستطع الباحث الحصول على بيانات دقيقة عن الأسعار الموازية لأسعار الفائدة الرسمية. التي بالتأكيد ستكون حركتها مغايرة تماماً لحركة أسعار الفائدة الرسمية، فهي قد تصل إلى ٥٠٪ في بعض الحالات على مستويات الأفراد.

### ٣. أسعار الصرف (Exchange rates)

أ. تمثل أسعار الصرف علاقة التحويل بين العملات، ويعتمد ذلك على علاقات العرض والطلب بين عملتين، إن سعر الصرف الأجنبي، هو سعر وحدة عملة مع وحدة عملة مقابلة لدولة أخرى<sup>٦</sup> ويعبر عنه بالعملة الوطنية كالدينار العراقي مقابل الدولار أو الدينار الأردني أو الليرة السورية أو الفرنك الفرنسي مقابل المارك الألماني، إذ يعبر سعر الصرف الأجنبي (Foreign Exchange Rate) عن كمية الوحدات من إحدى العملتين التي يتم مبادلتها بوحدة واحدة من

<sup>٦</sup> (العامري، ٢٠٠٢، ص ١٠٢)، (Weston & Copeland, 1988, p.850)

العملة الأخرى ، وهناك نوعين من أسعار الصرف وهي أسعار الصرف الثابتة (Fixed Exchange rate) وأسعار الصرف الحرة (Free Exchange Rates).

١ . أسعار الصرف الثابتة : تتحدد أسعار الصرف الثابتة في ضوء بعض الأسس التي تحددها الإدارة الرسمية في الدولة لتحديد سعر الصرف الثابت ولا تتغير هذه العلاقة بين العملتين إلا ضمن هوامش محدودة جداً<sup>٧</sup>.

٢ . أسعار الصرف الحرة : تتغير أسعار الصرف للعملة الوطنية تجاه العملات الأخرى بناءً على العلاقة بين العرض والطلب على العملة في سوق الصرف الأجنبي ويجري هذا التغير بشكل حر في أسعار الصرف الحرة<sup>٨</sup>.

ب - العوامل المؤثرة في أسعار الصرف :

وتتأثر أسعار الصرف بعدة عوامل ومن أبرزها :

١ . ارتفاع معدلات الصرف للعملات الأجنبية الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض قيمة العملة الوطنية تجاه هذه العملات.

٢ . تراجع الصادرات أو انخفاض أسعارها يؤثر على حجم التدفقات النقدية الداخلة إلى البلد<sup>٩</sup>.

٣ . الحروب والكوارث الطبيعية المؤثرة في الاقتصاديات الوطنية للدول إذ يؤثر ذلك في اختلال قوة الاقتصاد الوطني الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض قيمة العملة الوطنية تجاه العملات الأخرى.

٤ . معدل التضخم : يؤدي ارتفاع معدل التضخم في الاقتصاديات الوطنية إلى انخفاض قيمة العملة الوطنية تجاه العملات الأخرى ، وبذلك يتأثر سعر الصرف مما يؤدي إلى زيادة عدد الوحدات من العملة الوطنية التي يتم تبادلها بوحدة واحدة من عملة أجنبية مقابلة لها.

٥ . الديون الخارجية وخدمة الديون : تعد المديونية الخارجية واحد من الأعباء التي تثقل كاهل الاقتصاد الوطني فضلاً عن خدمة المديونية المتمثلة بإقسط الفوائد السنوية وقد تلجأ بعض الدول

<sup>٧</sup> يحيى ، ٢٠٠١ ، ص ٢٤٤ .

<sup>٨</sup> يحيى ، ٢٠٠١ ، ص ٢٤٧ .

<sup>٩</sup> (In cash flows) (الصرف ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٦٥)

إلى جدولة ديونها مع الدائنين مقابل فوائد عالية، الأمر الذي يجعل هذه الدول تسدد الفوائد لا الأقساط الأصلية وهذا يعني اختلال العملة الوطنية تجاه العملات الأخرى.

٦. أسعار الفائدة: تؤثر أسعار الفائدة في أسعار الصرف بشكل غير مباشر، فانخفاض أسعار الفائدة مع توفر فرص استثمارية، يؤدي إلى زيادة الطلب على رؤوس الأموال بهدف استثمارها، ويتحقق الاستثمار وينشط الإقتصاد الوطني ويتضاعف الاستثمار لتحقيق متانة الإقتصاد الوطني، مما يؤدي إلى تحسن قيمة العملة الوطنية تجاه العملات الأخرى. في حين يؤدي ارتفاع أسعار الفائدة إلى تجنب الاتجاه نحو الاقتراض من قبل المستثمرين وينتج عن ذلك انحسار الاستثمار وينخفض النمو الاقتصادي مما يؤدي إلى نتائج عكسية تقلل من متانة الإقتصاد الوطني وينعكس ذلك على قيمة العملة الوطنية تجاه العملات الأخرى.

وبين الجدول (٢) أسعار الصرف الرسمية في كل من الأردن وسوريا والعراق.

#### أسعار الصرف الرسمية

الدولة السنة	العراق	سوريا	الأردن
١٩٩١	.44466	16.057	.96553
١٩٩٢	.42743	15.434	.95011
١٩٩٣	.42698	15.418	.96699
١٩٩٤	.45381	16.387	1.02336
١٩٩٥	.46209	16.686	1.05392
١٩٩٦	.44700	16.141	1.0195
١٩٩٧	.41942	15.145	.95662
١٩٩٨	.43770	15.805	.99829
١٩٩٩	.42665	15.406	.97311
٢٠٠٠	.40502	14.625	.92376
٢٠٠١	.39066	14.107	.89102

جدول رقم (٢)

Source: International Financial statistics, year book, u.n 2002

إن أسعار الصرف الرسمية المبينة في الجدول (٢) لا تعكس بشكل دقيق طبيعة أو حقيقة أسعار الصرف مقابل العملات الأخرى لأن هذا السعر محدد بشكل رسمي ، ويعد سعر الصرف الموازي مؤشراً واضحاً لقوة العملة الوطنية. إلا أن الحالة العامة في العراق وبسبب الحصار المفروض عليه منذ منتصف عام ١٩٩٠ حيث لا تصدير ولا استيراد الا بمحدود مذكرة التفاهم فان أسعار الصرف مختلفة تماماً وبشكل مفرط ، حيث أن سعر صرف الدولار مقابل الدينار تجاوز (٢٠٠٠٪) صعوداً ونزولاً ، وقد حصل ارتفاع في قيمة الدينار العراقي سنة ١٩٩٦ مقابل الدولار نتيجة لاتفاق النفط مقابل الغذاء ولذلك هبط سعر صرف الدولار إلى ٥٠٪ من سعر الصرف السابق وفي بعض الأحيان أقل من ذلك - الا أن استمرار الحالة العامة للحصار أدى إلى انخفاض سعر صرف الدينار مقابل الدولار مرة أخرى ، حيث أخذ بالانخفاض إلى أن أصبح سعر صرف الدولار يتجاوز ٢٠٠٠٪.

وبالرغم من رفع العقوبات الاقتصادية عن العراق بعد احتلال الانكلو - أمريكي للعراق وضح قوات الاحتلال لملايين من الدولارات إلى السوق من خلال رواتب العاملين في أجهزة الدولة والذي كان يتوقع أن يؤدي إلى ارتفاع قيمة الدينار العراقي مقابل الدولار وهو ما حصل فعلاً - حيث أصبح سعر الصرف ١٢٠٠ دينار مقابل الدولار ، إلا أن استمرار غياب السلطة عاد بهذا السعر إلى الارتفاع مرة أخرى إلى أن أصبح في الوقت الحاضر يتجاوز ١٨٠٠ دينار مقابل الدولار - حيث أن آلية السوق تخضع لرغبات المضاربين وتجار الحروب ، يعزي ذلك إلى التضخم الناتج عن الحصار الشامل. أما أسعار الفائدة فهي الأسعار التي تستوفيها المصارف من المقترضين وكانت ثابتة طيلة المدة مقابل أسعار فائدة منخفضة تمنح للمودعين عن إيداعاتهم وبشكل عام فان أسعار الفائدة لم تكن متغيراً مؤثراً في أسعار الصرف كالتضخم وذلك لأسباب أبرزها أن الدول الثلاث دول إسلامية وان التعامل بالفائدة لم يكن شائعاً وان وجد فهو تعامل محدود.

#### رابعاً: الاستنتاجات والتوصيات:

أ. الاستنتاجات: ان ابرز الاستنتاجات هي ما يأتي:

١. ارتفاع أو انخفاض معدل التضخم سيؤدي إلى ارتفاع معدلات أسعار الفائدة.

٢. ارتفاع أسعار الفائدة تقلل من إقبال المستثمرين ورجال الأعمال على الافتراض، في حين انخفاضها يشجع على الافتراض والاستثمار، مما ينعكس على مضاعفة الاستثمار ومتابعة الاقتصاد الوطني وتحسن قيمة العملة الوطنية.
٣. تأثر سعر الصرف بمعدلات التضخم، حيث يؤدي ارتفاع التضخم إلى انخفاض قيمة العملة الوطنية وتبعاً لذلك يتغير سعر الصرف.
٤. ثبات أسعار الصرف في بعض الدول وهذا لا ينسجم مع الظروف الاقتصادية المتغيرة.
- ب. التوصيات: يوصي الباحث بالآتي:
  ١. تقليص الإنفاق الحكومي بكافة أشكاله ورفع معدل الضريبة على ربحية الأنشطة التي لا تعكس آثار إيجابية على الاقتصاد الوطني.
  ٢. تفعيل دور المصارف المركزية (البنوك المركزية) في ممارسة السياسة النقدية باتجاه التأثير في السيولة المتداولة في السوق.
  ٣. تفعيل دور وزارة المالية في ممارسة السياسة المالية للتأثير في السيولة المتداولة في الأسواق أيضاً.
  ٤. إتاحة البيانات أمام الباحثين عن معدلات التضخم وأسعار الفائدة وأسعار الصرف الرسمية والموازية تحديداً.
  ٥. تنشيط دور المؤسسات الإنتاجية لزيادة الإنتاج وتحسين الأداء.

## مراجع البحث

١. الأمين وباشا، عبد الوهاب، زكريا عبدالمجيد، مبادئ الاقتصاد - الجزء الثاني - الاقتصاد الكلي - دار المعرفة - الكويت - ١٩٨٣
2. Brenner, Menachem & Venezia, It zhak, The effext of Inflation and taxes on Jrowth Inrestments anel Replace ment policies, The Jourunal of finance, Vol, XXX VIII, December.
3. Damodaran, Aswath, applied Corperate Finance, New york. John Willey & sons, Ine, 1999.
٤. الشماع، خليل محمد حسن، الادارة المالية، بغداد، ١٩٩٢.

5. Weston, J, Fned, Besley, seott & Brigham, F, Essentials of Managerial Finance, ll. Ed, New york, 1996.

6. Henning, N, Cgarles, pigott, Willian & Haneyseott, Robert, Fiancial Markets and the economy, Prentice Hall, New Jersey, 1988.

7. Weston, J, Fneel & Brigham, f, Engine, Essentials of Managerial Finance, 10. eel, the Dryden press, Vew york, 1993.

8. MADURA, TEFF, Inter national Financial, management, 6<sup>th</sup>. ed, New york, 2000.

٩. العامري، محمد علي ابراهيمز المجلة العراقية للعلوم الاداريةز سعر الصرف الأجنبي - مدخل

نظريو المجلد الأول - العدد الثاني - ل١ ، ٢٠٠١ - اصدار جامعة بابل - كلية الادارة والاقتصاد.

10. Weston, J, Fand Copel and, T, E, Managerial Finance, Adapted by A.F Fox and R.J Limmack, , 2ed, UK edition, 1988.

١١. يحى، وداد يونس، النظرية النقدية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة موصل - الموصل

- ٢٠٠١.

١٢. الصرف، رعد حسن، أساسيات التجارة الدولية المعاصرة، جزء ١، سلسلة الهنا

للمعلومات - دمشق، ٢٠٠٠.

13. International financial statistics, year book, u,n 2002





# موازنة الأمدى بين النظرية والتطبيق

د. فاروق محمود الحبّوبى

## موازنة الأمدي بين النظرية والتطبيق

### تمهيد:

لقد شهد العصر العباسي تطوراً ملموساً في الحياة العامة : اجتماعية كانت أم ثقافية أم سياسية ، وبدأ الإنسان يتمتع بالتحضر والمدنية والترف والنعيم المادي ، فاستجاب قوم لتلك الظروف الجديدة استجابة متباينة ، فمنهم من أسرف فيها ، ومنهم من تردد منها ، وترى الناس حينئذ شتى بين راكب للموجة وبين عازف عنها ، وعلى مقتضى ذلك مالت طائفة من الشعراء إلى العناية بالصورة اللفظية وإثقالها بالمحسنات البديعية وتعميق معانيها بالغموض والتكلف ، وعلى رأس هذه الطائفة يقف أبو تمام ومسلم بن الوليد ، وقد دعاها النقاد القدامى بأنصار الصنعة ، في حين بقيت طائفة أخرى تحذو حذو الأوائل في العناية بعذوبة العبارة وانتقاء ألفاظها الأكثر موسيقية والأفضل إبانة ، مبتعدة عن الزخرف الإضافي ، وعلى رأس هذه الطائفة يتربع البحري وأبو العتاهية ، وقد عرفها النقاد بأنصار الطبع.

وبغية التعرف على هاتين الطائفتين بشيء من الإيجاز سنأخذ أبا تمام مثلاً لأهل الصنعة ، والبحري لأهل الطبع ، ولثلاث نفع في بوتقة الانحياز النقدي فما علينا الا قراءة ديواني الشاعرين بصورة دقيقة ومتأنية ، لغرض فرز الحالات المطلوب دراستها والتعرف عليها من حيث بناؤها الفني والدلالي ، والتممكن من إعطاء صورة واضحة لهذين الشاعرين الكبيرين ، ثم الاستئناس برأي الناقد الأمدي في موازنته بين هذين الطائيتين.

ومع ما يتضح من آراء فيما سنقرؤه، يبقى القصور يلاحقنا، ونبقى نستتير برأي أساتذتنا الأفاضل ليجعلوا طريقنا سالكة إن زلت بنا الأقدام وغربت بنا الأفهام.

فأبو تمام (١): هو حبيب بن أوس الطائي، ولد في قرية جاسم - من أعمال دمشق - سنة (١٩٠هـ) من أبوين فقيرين، وتنقل به أبوه إلى مصر، وكان حبيب في ذلك الحين صغيراً، فلبثوا هناك يشتغلون بمهن بسيطة، حيث تولى هذا الشاب سقاية المصلين في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، وكان لطول إقامته في المسجد بين أئمة اللغة والفقه والحديث والمنطق، مما حبب إليه الأدب فتعلّم العربية وحفظ الكثير من شعر العرب فنمت شاعريته، ثم عاد إلى الشام ولبث فيها مدة يمدح رؤساء وولاة الدولة، وذاع اسمه في الجزيرة وبلاد الشام، ثم قدم إلى العراق حيث قصد حاضرة العالم آنذاك وعاصمة الخلافة العباسية (بغداد)، فاتصل بالبالط العباسي ومدح الخليفة المعتصم وبعضاً من وزرائه وولائه وقواده كالوزير محمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب - أحد رؤساء الكتاب - ومحمد بن حميد الطوسي الطائي - أحد القواد ..

وكذلك قصد خراسان وبلاد الكرج وأرمينية، ومدح من مدح، فانبسطت الدنيا أمام شاعرنا وتفتحت له أبواب الخير والعطاء، فصار من ذوي المال واليسار حتى أن الحسن بن وهب - صاحب ديوان الرسائل - قد ولاه بريد ولاية الموصل، فأقام بالموصل ما يقارب الستين وتوفي بها سنة ٢٣١هـ.

وديوان شعره يضم ثمانية أغراض (٢): مديح، هجاء، عتاب، وصف، فخر، حكمة، غزل، ورثاء. وكان أكثر تلك الأغراض وأجلها (المديح) حيث جاء في ما يقرب من (١٥٧) مائة وسبع وخمسين قصيدة مديح استغرقت الجزئين الأول والثاني من الديوان (٣).

وانك لتجد أثر ثقافة عصره جلياً في شعره، فغذى حصيلته الفكرية من مناهل القرآن الكريم بصورة خاصة، ومن أدب العرب وتاريخهم وأمثالهم وأساطيرهم وعقائدهم إضافة إلى الفلسفة وعلم المنطق (٤)، ليضم كل ذلك إلى الرائع من معانيه والجميل من صوره، ولكنه ينزع في معظم ذلك إلى الأغراب في اللفظة وتركيب الصورة في الصورة خالطاً بين الألوان مهتماً بوجوه التصنيع وعلى درجة واضحة من الزخرفة البديعية (٥).

\*وأما البحتري (٦): فهو: أبو عبادة الوليد بن عبيد، ولد سنة (٢٠٦هـ) في قرية منبج، بين حلب والفرات، لعائلة يعود أصلها إلى (بجتر) احد أفخاذ قبيلة (طيء) فأخذ يتردد على مضارب هذه القبيلة، ويرضع من فصاحتها وينهل من مناهلها، فتلقى ثقافته الأولى فيها، وهي بين حفظ آيات القرآن الحكيم وتعلّم أحكام الدين الإسلامي وشيء من السنّة النبوية وبلغ الشعر والنثر وأخبار الفتوح والمغازي ومما يرتبط بأيام العرب وأنسابهم، إضافة إلى جانب من علوم اللغة، ونجد ذلك واضحاً من خلال المرور بديوان شعره (٧) الذي يزودك بومضات من أبياته وقصائده التي ترى بريق تلك المناهل فيها.

وجاء في الموسوعة الإسلامية: "وبعد أن وقف محاولاته الشعرية الأولى (٢٢٣-٢٣٧/٤٠-٨٣٧) على مدح قبيلته، بدأ يبحث عمّن يرعاه فوجد ضالته في أبي سعيد يوسف بن محمد الطائي المعروف ب: الثغري والذي في بيته التقى لأول مرة بالشاعر أبي تمام الذي يدعي هو أيضاً أنه من طيء وقد أخذ بموهبته الفنية ونصح به بأن يمدح (أهل معرة النعمان فمدحهم) وأجري له أربعة آلاف درهم.."(٨).

وكان البحتري قد نزل حمص، وعرض شعره على أبي تمام الذي باركه بالتوجيه والتشجيع والنصيحة (٩)، ورحل البحتري إلى بغداد وسرّ من رأى والموصل، وقد كانت سنة (٢٣٤هـ) التي التقى فيها بالفتح بن خاقان الذي قدمه إلى المتوكل لتبدأ مسيرة حياة البحتري كشاعر بلاط، ثم مدح المنتصر، فالمتز، المهتدي، والمعتمد، فالمعتضد، وبعد ذلك غادر العراق وصار شاعر البلاط ثانية عند (خمارويه بن طولون)، بعدها عاد إلى مسقط رأسه، حيث وافاه الأجل سنة (٢٨٤هـ). والذي يتناول ديوان شعره، يجد في أغراضه: المديح، الهجاء، الوصف، الفخر، الحكمة، الغزل، الرثاء، والعتاب والاعتذار، وكان أكبرها في المدح، فهو كأستاذه أبي تمام في أصناف أغراضه، وهذه سمة ذلك العصر.

وكان البحتري قد تبوأ مكانة رفيعة بين شعراء العربية في استخدام الخيال في التصوير، وتجنّب التعقيد ومستكره الألفاظ، والابتعاد عن الغريب من الاستعارات: "كما امتاز معظم شعره بالاستواء"(١٠).

وشعر البحثري يعد وثيقة تاريخية لتصوير مظاهر الحضارة العباسية بأحداثها السياسية والاجتماعية واتجاهاتها الدينية والأدبية.

وبعد هذه اللوحة الموجزة التي خرجنا بها من ديواني الشاعرين كمنطوق أولي يتقدم المادة النقدية التي التزم بها الآمدي (ت ٣٧٠هـ) في موازنته بين الطائنين بعد الخصومة التي نشبت بين أنصارهما (١١).

فاني سأعرض بشكل موجز بعض ما ورد في الموازنة من آراء وموضوعات نقدية متناولاً منهجه في رصد المادة العلمية التي ألف بها كتابه ، موضحاً ذلك بين النظرية والتطبيق. وسأعتمد نسخة السيد احمد صقر في تثبيت النصوص والهوامش لكمالها ، ونقصان نسخة محمد محيي الدين عبد الحميد.

### مقدمة الآمدي:

لقد اخذ الآمدي على نفسه عهداً في كتابه هذا بأن يكون موضوعياً في موقفه ، ومحايداً معتمداً للحق ، ومتجنباً الهوى.

ومن خلال مقدمة الموازنة (١٢) نستفيد أن الآمدي قد وجد أمامه من يقف إلى جانب أبي تمام ومن يقف إلى جانب البحثري ، فمن فضّل أبا تمام فقد "نسبه إلى غموض المعاني ودقتها ، وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج ، وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام" (١٣) ، ومن فضّل البحثري فقد "نسبه إلى حلاوة اللفظ ، وحسن التخلّص ، ووضع الكلام في مواضعه ، وصحة العبارة ، وقرب المأثي ، وانكشاف المعاني ، وهم الكتّاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة" (١٤) ،

كما وجد الآمدي من يجعل الشاعرين في طبقة واحدة وانهما متساويان ، كما وجد من اعتبرهما مختلفين من حيث الالتزام بعمود الشعر ، وكان يستهدف الآمدي إلى الموازنة بين الشاعرين دون أن يذم أحدهما ، كما أعلن اختلاف مذاهب الناس في الشعر ذاكراً بأنه لا يريد أن يفصح بتفضيل أحد الشاعرين على الآخر ، ولكنه أراد أن يوازن بين قصيدتين من شعرهما إن اتفقتا في الوزن والقافية

وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ليقول : "أيهما أشعر في تلك القصيدة ، وفي ذلك المعنى ثم أحكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علماً بالجميل والردىء" (١٥).

ومن خلال القراءة النقدية للمقدمة وجدت أنه يضع القاريء المتلقي في خطين متعاكسين: أ - "من يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرواق ، فالبحتري اشعر عندك ضرورة" (١٦).

ب - "وان كنت تميل إلى الصنعة ، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة ، ولاتلوي على ما سوى ذلك ، فأبو تمام عندك اشعر لامحالة" (١٧).

فهو قد لخص لنا هذين الخطين الشعريين بهذا الشكل من التنظير مفروضاً ومطلوباً للوصول إلى البرهان النهائي والنتيجة الحاسمة عن طريق الاختيار الشخصي للأسلوبية الفنية المعتمدة من قبل المتلقي نفسه.

وأذكر الآمدي أن يكون هنالك فريق ثالث ينزع إلى الشعرية والإبداع بغض النظر عن إتباع أحد الأسلوبين ، لأن التجارب مختلفة عند الشاعر الواحد ، وقد يكون النص واعياً لتجربة محيطاً بأفكارها ناجحاً في تصويرها بارعاً في انزياحاتها قوياً في نسجها فصيحاً في تراكيبها وعباراتها ، وبهذا يكون المتلقي تكاملياً في نظريته ونقده. وكنت أتمنى على الآمدي أن يكون كذلك.

### موضوعات الكتاب:

قسم الآمدي بحثه هذا في جملة محاور ، هي:

١- المحاجة بين أنصار أبي تمام وأنصار البحتري.

٢- مساويء الشعارين.

٣- محاسن الشعارين.

٤- الموازنة بين معنى ومعنى.

وقد قدم لكل من هذه المحاور بما يتناسب وأقوال علماء اللغة والرواة ، والاستشهاد بالشعر وتضمن الأدلة ببعض آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وسأتناول كل موضوع من تلك الموضوعات بالدرس والاستشهاد.

### ١- الاحتجاج:

قدم الأمدي للمحاجة بقوله: "وأنا أبتدئ بذكر ما سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى، عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر، وما ينعاه بعض على بعض" (١٨)، حيث ذكر (١٢) اثني عشر قولاً أو محاجة من أقوال كل فرقة مع رد صاحب الفرقة الثانية.

ويمكن الاستشهاد بحالة واحدة من ذلك:

"قال صاحب أبي تمام: كيف يجوز لقائل أن يقول أن البحري أشعر من أبي تمام وعن أبي تمام أخذ، وعلى حذوه احتذى، ومن معانيه استقى؟ وباراه.. واعترف البحري بأن جيد أبي تمام خير من جيده، على كثرة جيد أبي تمام، فهو بهذه الخصال أن يكون أشعر من البحري أولى من أن يكون البحري أشعر منه.

قال صاحب البحري: أما الصحة فما صحبه ولا تلمذ له، ولا روى ذلك أحد عنه، ولا نقله.. ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري" (١٩).

وقد سار الأمدي على هذه الطريقة ذاكراً الآراء مفصلة لكل رأي وذاكراً الروايات المتعلقة بذلك.

ويخلص الأمدي إلى نتيجة هذا المبحث قائلاً: "تم احتجاج الخصمين بحمد الله" (٢٠). والنتيجة التي انتهى إليها بعد الاحتجاج أن البحري لم يعتمد الأخذ وإنما يكون ذلك مما يطرق سمعه ويلتبس بخاطره فيورده.

### منهج الكتاب:

قدم لهذا الموضوع: "وأنا أبتدئ بذكر مساوي هذين الشاعرين، لأختتم بذكر محاسنهما، وأذكر طرفاً من سرقات أبي تمام.. ومساوي البحري... ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين... إن شاء الله تعالى" (١٢).

وقد ذكر ذلك في منهج كتابه ، وذكر في خطته بأنه سيذكر الانفراد في التجويد والمعاني والتشبيه والأمثال ومختارات مجردة من شعريهما على حروف المعجم.

## ٢- مساويء الشعارين

أولاً : فيما يتعلق بأبي تمام:

### ١- سرقات أبي تمام:

اهتم الآمدي بموضوع سرقات أبي تمام ، حيث جعلها في (١٢٠) مائة وعشرين موضعاً ، ذاكراً مصدر السرقة وطريقتها وتحليل ذلك وإعطاء الآراء النقدية فيها ، وكمثال على ذلك:

"وقال الطائي:

وركب كأطراف الاسنة عرسوا      على مثلها والليل تسطو غياهبه  
لأمر عليهم أن تتم صدوره      وليس عليهم أن تتم عواقبه  
أخذ صدر البيت الاول من قول كثير:  
وركب كأطراف الأسنة عرجوا      قلائص في أصلاهن نحول

..وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر:

غلام وغى تقحمها فأبلى      فخان بلاءه الزمن الخؤون  
فكان على الفتى الإقدام فيها      وليس عليه ما جنت المنون" (١٧)  
وذكر الآمدي بعد ذكره سرقات أبي تمام بأنه وجد (ابن أبي طاهر) قد خرج سرقات أيضاً ، فذكرها في (٤٦) ستة وأربعين موضعاً (١٨) معلقاً عليها قائلاً: ((فأصاب في بعضها ، وأخطأ في البعض ، لأنه خلط الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقاً" (١٩) ، وهي من السرقات المعللة التي ذكر مصدرها ، كما ناقش الآمدي بعضاً منها واعتبره غير مسروق.  
وكمثال على ما ذكره ابن أبي طاهر في قول أبي تمام (٢٠):

لئن ذمت الأعداء سوء صباحها      فليس يؤدي شكرها الذئب والنسر

بأنه مسروق من قول مسلم بن الوليد:



لو حاكمتك فطالبتك بذحلها شهدت عليك ثعالب ونسور  
حيث ذكر الآمدي بأن وقوع الذئباب والنسور وما سواها من الحيوانات والطيور على القتلى إنما  
هو من قبيل المعنى المتداول المعروف، كما ذكر بأن بيت أبي تمام يحمل معنى غير معنى بيت  
مسلم (٢١).

## 2- أخطاء أبي تمام في اللفظ والمعنى:

قدم الآمدي لهذا الموضوع بمقولة ما سمعه من أبي علي السجستاني بحق أبي تمام: "انه ليس له  
معنى انفرد به واخترعه الا ثلاثة معان" (٢٢).

وقد رد الآمدي على السجستاني قائلاً: "ولست أرى الأمر على ما ذكره أبو علي، بل أرى ان  
له - على كثرة ما أخذه من أشعار الناس ومعانيهم - مخترعات كثيرة، وبدائع مشهورة، وأنا أذكرها  
عند ذكر محاسنه باذن الله" (٢٣).

ثم ذكر أخطاء أبي تمام في المعاني والألفاظ، وقد اعتمد في ذلك على ما في كتاب (الورقة) لمحمد  
بن داود بن الجراح (٢٤)، وكذلك على ما في كتاب (البديع) لابن المعتز (٢٥)، وكذلك ما ذكره أبو  
العباس أحمد بن عبيد الله القطريلي (٢٦).

وكمثال على اخطاء أبي تمام نأخذ ما ذكره أبو العباس حين انكر قول أبي تمام:

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه بكفئك ما ماريئت في أنه برد (٢٧)

وعلق الآمدي على القول بأن خطأ ظاهر، لأنه لا يمكن وصف الحلم بالرقعة في المدح، وإنما  
يوصف بالعظم والرجحان والثقل والرزانة مستشهداً بأشعار النابغة والأخطل وأبي ذؤيب وعدي  
ابن الرقاع والفرزدق، ولكن الشعراء يصغون الحلم بالخفة في حالة الهجاء والذم، ولما كان أبو تمام  
في حالة مدح لمحمد بن الهيثم بن شبابه فلا يجوز له أن يصف حلمه بالرقعة.

وقد أكثر الآمدي من الشروح لهذه الأخطاء وكان يذكر الاستشهادات الكثيرة من الشعراء في  
الجاهلية والاسلام الى شعراء عصره ليسوقها دليلاً على أغاليط أبي تمام. وقد يذكر أخطاء النقاد،  
حيث ذكر "وأخطأ أبو العباس في إنكاره على أبي تمام أن شبه عنق الفرس بالجذع، وتلك عادة  
العرب، وهي في أشعارها أكثر من أن تحصى" (٢٨).

وقد أورد الآمدي (٤٥) خمسة وأربعين خطأ من أخطاء أبي تمام في اللفظ والمعنى (٢٩).

### ٣- الاستعارات البعيدة:

أورد الأمدي (٢٥) خمسة وعشرين شاهداً على قبيح استعارات أبي تمام، ولم يفصل القول الا في (٤) أربعة منها، واعتبرها في غاية القباحة والهجانة والبعد عن الصواب، وكان الأجدربه أن يعطينا بعض الشواهد على الجيد من استعاراته، أما الاستعارة الملائمة التي وصلت إلينا من العرب فقال عنها: "ولما استعارت العرب المعنى لما ليس (هو) له إذا كان يقاربه: أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سببا من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لا تليق بالشيء الذي استعيرت له، وملائمة لمعناه" (٣٠).

وفصل القول في شواهد للشعراء: امرئ القيس، زهير، طفيل الغنوي، عمرو بن كلثوم، حسان، وأبي ذؤيب، واستعارات من القرآن الكريم، وذكر بان استعاراتها هي الاقرب للحقيقة، لشدة ملائمة معناها لمعنى ما استعيرت له.

فالاستعارة التي وردت في شعر أبي تمام قد تجاوزت حدودها - كما يراها الأمدي، ولذا قال (لأن للاستعارة حداً تصلح فيه، فإذا جاوزته فسدت وقبحت) (٣١).

حيث ذكر ذلك الموضوع ضمن الجزء المردول قائلاً: (وانا اذكر في هذا الجزء الرذل من الفاض، والساقط من معانيه، والقبيح من استعاراته والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه) (٣٢). وقد سماها بالاستعارات القبيحة التي استعارها ابوتمام في مانيه واخطأ المعنى المطلوب في <٢٥> خمسة وعشرين شاهداً (٣٣). وذكر الأمدي مثالا على ردئ استعاراته وقبيحها قول أبي تمام:

مُقَصِّرٌ خُطُواتِ الْبَثِّ فِي بَدَنِي عِلْمًا بِأَنِّي مَقْصَرْتُ فِي الْطَلَبِ (٣٤)

فجعل ابوتمام للبث - وهو اشد الحزن - خطوات في بدنه وانه قد قصرها لأنه لم يقصر في الطلب وانه سهل امر الحزن عليه، ولذلك فالأمدي اعتبر ان ابا تمام قد جعل لشدة الحزن خطي قصيرة في بدنه مما جعله سهلاً خفيفاً، وهذا ضد المعنى الذي أراد الطائي.

### ٤- التجنيس القبيح:

عرف الأمدي التجنيس: (المجانس من الألفاظ... هو ما اشتق بعضه من بعض) (٣٥).

واورد له امثلة في الشعر القديم لامرئ القيس والقطامي وذو الرمة والعبسي ومسكين الدارمي وحيان بن ربيعة الطائي والنعمان بن بشير وجريير والفرزدق وقول للنبي محمد ﷺ وبيت لجندل بن الراعي.

والتجنيس موجود في أشعار الاوائل ، (لكن انما ياتي منه في القصيدة البيت الواحد والبيتان ، على حسب مايتفق للشاعر ، ويحضر في خاطره ، وفي الأكثر لايعتمده ، وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه ، فلا ترى له لفظة واحدة)(٣٦).

ولكن أبا تمام اعتمده وجعله غرضه الذي بنى عليه أكثر شعره ، وهذه حالة غير مقبولة من الشاعر وتسيء الى معتمدها ، وتمنى عليه الامدي الاقلال منه والاعتناء بالألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى للتخلص من الهجئة والعيب والغثاثة والقباحة والبشاعة والركاكة(٣٧). ومع هذا فقد استشهد له بثلاثة شواهد متجانسة مستعذبة دون تفصيل ، اذ قال : (فلو كان قلل منه واقتصر على مثل قوله:

\*ياربع لو ربعوا على ابن هموم\*

وقوله : ❖ ارامة كنت تألف كل ريم\*

وقوله : ❖ يا بعد غاية دمع العين إن بعدو\*

وأشبه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى - لكان قد أتى على الغرض ، وتخلص من الهجئة والعيب)(٣٨).

ومن الأبيات التي تعد من ردئ التجنيس عند أبي تمام قوله:

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت      فيه الظنون أمذهب أم مذهب

وكذلك:

فاسلم سلمت من الآفات ماسلمت      سلام تسلمى ومهما أورك السلم(٣٩)

فالامدي لم يتوسع في دراسة التجنيس القبيح(٤٠) في شعر أبي تمام ، رغم انه قال فيه حكمة : (فكانت إساءته فيه أكثر من إحسانه ، وصوابه اقل من خطئه)(٤١). وهذا الحكم النظري بحاجة الى تفصيل وتعليل وتطبيق.

## ٥- الطباق الردئ:

وقد اوجز فيه الامدي ايضا، بعد تعريف المطابق وذكر امثله. حيث عرف الطباق: (مقابلة الحرف بضده، او ما يقارب الضد، وانما قيل (مطابق) لمساواة احد القسمين صاحبه، وان تضادا او اختلفا في المعنى... قال الله عز وجل: (لتركبن طبقا عن طبق) اي: حالا بعد حال، ولم يرد تساويهما في تمثيل المعنى... ومنه طباق الخيل، يقال: طابق الفرس، اذا وقعت قوائم رجله في موضع قوائم يديه في المشي او العدو... فهذه حقيقة الطباق، انما هو مقابلة الشيء بمثل الذي هو على قدره، فسموا المتضادين - اذا تقابلا - متطابقين(٤٢)

فالطابق نحو (كذب) و(صدق)، و(بطيء) و(سريع)

وذكر الامدي بان البيت الآتي هو من جيد ابيات الطائي:

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم(٤٣)

ومن امثلة الطائي من رديء الطباق مما ذكره الامدي دون تفصيل:

قد لان اكثر ما تريد وبعضه خشن، واني بالنجاح لوائح

وهذا البيت كشاهد من ثلاثة ابيات، ذكرها الامدي دون تحليل، ولكنه تمنى على الطائي ان

يتجنبها ليتهاذب عظم شعره ويتساقط اكثر ما عيب عليه منه(٤٤).

## ٦- سوء النظم والوحشي من الالفاظ:

اورد الامدي مصطلح (المعاظلة) وذكر بأنها ((١١ مداخلة الكلام بعضه في بعض، وركوب بعضه لبعض)) كما اورد مصطلح (الحوشي) من الكلام وفسره بانه: (هو <اللفظ الغريب> الذي لا يتكرر في كلام العرب كثيرا، فاذا ورد ورد مستهجنا(٤٥)). كما لا يجوز ان يمدح الشاعر السوقة بما يمدح به الملوك.

وكمثال على المعاظلة اورد قول الطائي:

خان الصفاء اخ خان الزمان اخا

عنه فلم ينحون جسمه الكمد(٤٦)

واما مثال الحوشي الذي كان الطائي يتبعه ويتطلبه ويتعمد ادخاله في شعره:

أهلس أليس لجا إلى همهم تغرق العيس في آذيها أليسا(٤٥)

والهلاس هو شدة الهزال، والأليس شدة الشجاعة، فهو يريد هناك أن ممدوحه لا يكاد يبرح موضعه في الحرب حتى ينتصر أو يهلك. فقد جمع لنا هاتين الكلمتين: أهليس وأليس؛ وهما لفظتان مستكرهتان إذا إجتمعا، ولم يتبين المعنى الا حينما قال في آخر البيت: (أليساً) ويريد بها جمع أليس.

### ٧- اضطراب الأوزان والزحاف

أورد الأمدي حالات اضطراب الوزن في شعر أبي تمام وأشار إلى الزحفات الواردة، وقام بتقطيع الأبيات تقطيعاً عروضياً، وذكر بأن: ((هذه الزحفات حائزة في الشعر غير منكرة إذا قلت، فأما إذا جاءت في بيت واحد في أكثر أجزائه فأن هذا في غاية القبح، ويكون بالكلام المنشور أشبه منه بالشعر الموزون)) (٥٥)

ومن الأبيات التي استشهد بها هذا الناقد من شعر أبي تمام سبعة شواهد تابعها تقطيعاً وكتابة عروضية وتغييراً في التفعيلات\وكمثال على ذلك، ذكر لنا بيتاً من المنسوخ:

ولم يغير وجهي على الصبغة الـ أولى بمسفوع اللون ملتمعة (٥٦)

وقال عنه الأمدي: ((وتقطيعه: ولم يغيي ❖ ير وجهي ❖ نصصبتغل ❖ أولى بنمس ❖ فوعللون ❖ ملتمعه

مفاعلن ❖ مفعولات ❖ مستفعلن ❖ مستفعلن ❖ مفعولات ❖ مفتعلن

فحذف السين من مستفعلن الأولى فصارت مفاعلن، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فصارت مفتعلن.

ومثل هذه الأبيات في شعره كثير إذا تتبعته، ولا تكاد ترى في أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً)) (٥٧)

ثانياً - فيما يتعلق بالبحري

وبعد ان انتهى الأمدي من ذكر مساوي أبي تمام، تحول الى ذكر مساوي البحري، وكانت كما يأتي:

١- السرقات:

واورد هذا الناقد مقولة محمد بن داوود الجراح عن ابن أبي طاهر الذي (اخرج للبحري ستمائة بيت مسروق، ومنها ما أخذه من أبي تمام خاصة مائة بيت) (٤٧).

وقد بدأ الامدي بذكر تلك السرقات ذاكرا مصادرها ومن كان الأفضل في صياغتها والأجود في نسجها، حيث ذكر في بدايتها (٢٨) ثمانية وعشرين بيتا (٤٨) من سرقات البحري من أشعار الشعراء: العكوك، بشار، الفرزدق، قيس بن الخطيم، محمد بن عبد الملك الفقعسي، ونصر بن حجاج ابن علاط، ابي نواس، حسين بن الضحاك، عمرو بن معد يكرب، أبي دهل الجمحي، منصور بن الفرج، محمد بن يزيد الحصني السلمي، مسلم بن الوليد، شبيب بن البرصاء، ابي صخر الهذلي، عبد الصمد بن المعدل، الحننف بن السجف الضبي، عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثي، جابر بن السليك الهمداني، عروة بن الورد، والمجثم الراسبي.

ثم اورد السرقات التي خرجها ابو الضياء بشر بن تميم، فذكر في الوجبة الاولى (٦٤) اربعة وستون بيتا (٤٩) مما اخذه البحري من أبي تمام خاصة، ولكن الامدي بين بالدلة انها ليست من السرقات وانها معروفة في معاني كلام الناس وجارية مجرى الامثال على السنتهم.

واستدل ب(٤١) واحدة واربعين و(٦١) حالة اخرى غير سابقتها مما ذكره ابو الضياء من السرقات، وهي ليست كذلك وجعلها الامدي كالاتي:

١ - مما اورده ابو الضياء من المعاني المستعملة الجارية مجرى الامثال، والتي اخذها البحري من ابي تمام. وهي (٢٠) عشرون حالة (٦٢).

ب - مما جاء به ابو الضياء على انه مسروق، وقد اوضح الامدي ان المعنيين مختلفان في كل حالة اخذ وليس بينهما اتفاق ولا تناسب. وهي (٧) سبع حالات (٦٣).

ج - وما ادعى فيه اب الضياء على البحري السرقة، وقد رد علي المدي بانه الاتفاق في الالفاظ الت يليست بمحظورة على احد وهي (١٤) اربع عشرة حالة (٦٤).

وكمثال على السرقات التي ذكرها ابو الضياء:

ومن ذلك قول ابي تمام:

وإذا أمرؤ اهدى اليك صنيعه

من جاهه فكانها من ماله

وقال البحري:

حاز حمدي ، وللرياح اللواتي

تجلب الغيث مثل حمد الغيوم (٦٥)

وعلق الامدي

بان معنى ابي تمام انهما هو مشترك بين الناس ، فالمحتاج إنما يطلب حاجته من الله أو من السماء

وان تعبير وأسلوب ابي تمام في بيته كان معنى مكشوفاً وليس مخترعاً ، وان البحري قد أحسن

التمثيل واغرب وأبدع (٦٦).

2- أخطاء البحري في المعاني والألفاظ:

ذكر الأمدي (٨) ثمانية مواضع (٦٧) من المعاني الرديئة التي ذكرها البحري في شعره كمثال

على تلك الأخطاء : (وقال البحري في مدح المعتز بالله:

لا العذل يردعه ولا الـ تعنيف عن كرم يصده

وهذا عندي من أهجن ما مدح به خليفة وأقبحه ، ومن ذا يعنف الخليفة أو يصده؟ ان هذا

بالهجو أولى منه بالمدح (٦٨).

ثم اورد الأمدي عيوب البحري في المعاني ، مما ذكره اصحاب ابي تمام ، والتي هي ليست

بعيوب ، وقد رد عليها هذا الناقد بالادلة ، وهي في (١٤) اربعة عشر موضعاً (٦٩).

واعترف بالتعسف والتعقيد في اللفظ في الحالة الخامسة عشرة بعد تلك المواضع وقال عنها بانها

الحالة الوحيدة التي تعسف في نظمها البحري ، وهي قوله:

فتى لم يمل بالنفس منه عن العلى

الى غيرها شيء سواء مميلها (٧٠)

3- ردئ التجنيس:

وذكر من ردئ التجنيس عنده في حالتين جعلهما الامدي شبيهتين بتجنيسات ابي تمام (٧١)

وهما الحالتان السادسة عشرة والسابعة عشرة:

امنا ان تصرع عن سماح

وللآمال في يدك اضطراع (٧٢)

حييت بل سقيت من معهودة

عهدي غدت مهجورة ماتعهد (٧٣)

4- اضطراب الوزن:

يعتبر الامدي اضطراب الوزن عند أبي تام اكثر مما هو عند البحري ، حيث قال : (الا انه في شعر ابي تمام كثير وفي شعر البحري قليل) (٧٤)

وكان هذا الناقد قد أورد الاسلوب نفسه في التقطيعات العروضية مع ورود الزحافات الجائزة في علم العروض.

وذكر الامدي : (وقد جاء في شعر البحري بيت هو عندي أقبح من كل ماعيب به ابوتام في هذا الباب ، وهو قوله:

ولماذا تتبع النفس شيئا

جعل الله الفردوس منه بواء) (٧٥)

### ٣ - محاسن الشعارين

فضل الشعارين : لقد جعل الامدي لكل شاعر من هذين الشعارين فضله وخصائصه ، وهي :  
أ - فضل ابي تمام : وكان الامدي قد وجد المنصفين من أصحاب البحري ومن يقدم مطبوع الشعر دون متكلفه قد اعترفوا لابي تمام بلطف المعاني ودقيقها ، وبديع الوصف والحكمة جنبا الى جنب مع الاغراب فيها والاستنباط لها ، ففيها (من النادر المستحسن اكثر مما يوجد من السخيف المسترذل ، وان اهتمامه بمعانيه اكثر من اهتمامه بتقويم الفاظه ، على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة) (٧٦).

فمن بديع ابي تمام (٧٧):

واذا اراد الله نشر فضيلة

طويت اتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت



ماكان يعرف طيب عرف العود

وقال ابوقمام (٧٨) ايضا:

هي البدر يغنيها تودد وجهها

الى كل من لاقى وان لم تودد

فان لجمال المعاني الواردة في هذه الابيات مايجعلنا نعجب بها حتى وان وردت من شاعر فارسي

او هندي لانعرف لغة قوله وانما نعجب بجمال معانيه لاسبب جمال اسلوبه.

ويذكر الامدي تعليقه على تلك الابيات قائلا: (اما كان يكون هذا شاعرا محسنا يثابر شعراء

زمانه من أهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه؟ فكيف وبدائع مشهورة

ومحاسنه متداولة، ولم يأت الا بأبلغ لفظ وأحسن سبك؟) (٧٩).

ب - فضل البحري: في حين وجد هذا الناقد أكثر اصحاب ابني تمام يعترفون للبحري بـ:

(حلو اللفظ، وجودة الرصف، وحسن الديباجة، وكثرة الماء، وانه اقرب مأخذا واسلم طريقا من

ابني تمام، ويحكمون - مع هذا - بان ابا تمام اشعر منه) (٨٠). واختصر لنا الامدي طريقة

البحري بما يأتي، ولا يمكن للكلام ان يكتسي البهاء والرونق الا بها. (٨١):

١- ان يكون الشعر حسن التأتى، دقيق المعاني.

٢- قريب المأخذ، بعيدا عن فلسفة اليونان وحكمة الهند وأدب الفرس.

٣- اختيار الكلام.

٤- وضع الألفاظ في مواضعها.

٥- ايراد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله.

٦- ان تكون الاستعارات والتمثيلات لاثقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه.

واستشهد له بهذه الأبيات

والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طوّلت خطبه (٨٢).

وكما قال أيضاً:

ومعان لو فصلتها القوافي هجّنت شعر جرول وليد

حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنّبن ظلمة التعقيد

وركن اللفظ الغريب فأدركت به غاية المراد البعيد (٨٣).

وقال الآمدي: "لأن الشعر أجوده أبلغه، والبلاغة إنما هي إصابة المعنى وإدراك الغرض بالفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف، لاتبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولاتنقص نقصاناً يقف دون الغاية" (٨٤).

وتلك هي طريقة العرب في دقة المعاني وبلاغتها، في حسن التأليف وبراعة اللفظ مما يزيد المعنى بهاء وحسناً ورونقاً، "ولهذا قال الناس: لشعره ديباجة، ولم يقولوا ذلك في شعرا أبي تمام" (٨٥)، وهذه هي الصياغة التعبيرية المألوفة للشعر العربي - كما يراه الآمدي -.

وللبحثري ملاحظة نقدية في شعرا أبي تمام، إذ قال: "جيد خير من جيدي، ورديي خير من رديئه" (٨٦). وحلل الآمدي هذا النص قائلاً:

"إن قوله هذا يدل على أن شعرا أبي تمام شديد الاختلاف، وشعره شديد الاستواء، والمستوي الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر، وقد أجمعنا - نحن وأنتم - على أن أبا تمام يعلو علواً حسناً وينحط انحطاطاً قبيحاً، وإن البحثري يعلو ويتوسط، ولا يسقط، ومن لا يسقط ولا يفسف أفضل ممن يسقط ويفسف" (٨٧).

فالآمدي اعترف للبحثري بشدة الاستواء وأنه أولى بالتقدمة لعدم وجود الساقط والفسفاسف في شعره، بخلاف رأيه في أبي تمام والذي وصفه بشدة الاختلاف والانحطاط القبيح والفسفاسف والساقط في شعره.

وقد أقر في خاتمة هذا التحليل بأن البحثري أفضل من أبي تمام. ومع هذا وذاك من الميل وعدمه، فإن الآمدي قدم لنا بحثاً نقدياً بين النظرية والتطبيق خص به الشعر المحدث، مبيناً خصائصه المهمة، وعرض لنا روح العصر والمسائل التي تسربت إليه عبر ذوقه وأذواق من درسهما في الموازنة.

وقد دعانا إلى عدم مطالبته أيهما أشعر عنده على الإطلاق (٨٨).

وان ذلك يمكن معرفته والوصول إليه بالدربة والتجربة الدائمة وطول الملابس، وقال: "وأكلك بعد ذلك إلى اختيارك، وما تقضي عليه فطنتك وتميزك، فينبغي أن تنعم النظر فيما يرد عليك، ولن ينتفع بالنظر إلا من يحسن أن يتأمل، ومن إذا تأمل علم، ومن إذا علم أنصف" (٨٩).

#### ٤- الموازنة بين معنى ومعنى:

وحين وجد الأمدي نفسه غير متمكّن على أن يوازن بين البيتين أو القصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية والروي، وهو الأمر الذي أشترطه على نفسه منذ البداية، فاضطر أن يوازن بين معنى ومعنى.

وقد حلل الأستاذ الدكتور داود سلوم موازن الأمدي هذه قائلاً: "ثم نظر إلى القصيدة النظرية البدوية التقليدية من حيث الشكل والمضمون والبناء وقد قسم القصيدة إلى ثلاثة أقسام كبرى وهي:

١- الافتتاح.

٢- الخروج.

٣- المدح.

..ويمكن أن نعتبر أن موقفه من الافتتاح والخروج في قصيدة الرثاء هو نفس موقفه في قصيدة المدح" (٩٠).

ثم يبدأ الأمدي بموازنته بين معنى ومعنى - كما يقول -: "وأنا أبتدئ بإذن الله من ذلك بما افتتحنا به القول: من ذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الدمن والأطلال، والسلام عليها، وتعفيه الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها، والدعاء بالسقيا لها، والبكاء فيها، وذكر استعجامها عن جواب سائلها، وما يخلف قاطنيها الذين كانوا حلولاً بها من الوحش، وفي تصنيف الأصحاب لومهم على الوقوف بها، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها، وأقدم من ذلك ذكر ابتداءات قصائدهما في هذه المعاني..." (٩١).

وفي هذا القسم من الموازنة وجدت الأمدي ذاكراً الموضوعات واستشهاداتها مع تحليلها بصورة دقيقة، مبيناً حسناتها أو قبحها، ومعطياً رأيه الصريح فيها.

وكمثال لتلك المعاني، يمكن الاستشهاد بما جاء من شواهد في موضوع (الدعاء للدار بالسقيا) (٩٢)، حيث أورد لأبي تمام خمسة أبيات، قال الأمدي في الأولين منها، بأنها ابتداءات جيدان، وهما: (٩٣)

سقى طولهم أجشّ هزيم      وغدت عليهم نضرة ونعيم

سقى عهد الحمى سبل العهاد      وروض حاضر منه وبادي

وأما البيت الثالث (٩٤):

يا برق طالع منزلا بالبرق واحد السحاب له حداء الأينق  
فقال الآمدي بأن لفظة (طالع) رديئة وقبيحة، ولكن قوله: "واحد السحاب له حداء الأينق"  
فان لفظه ومعناه جيدان فصيحان، وذكر بأنه خص البرق لأنه دليل الغيث.  
وأما البيت الرابع (٩٥):

أيها البرق بت بأعسلى البراق وأغد فيها بوابل غيداق  
فقال عنه بأنه بيت جيد، وقد أعجب بصورته التي توحى إليك تلك الأرض المرتفعة ذات  
الطين والحصى بألوانها المختلفة (البراق) والرق يبيت فيها ويرمي بوابله الغيداق.  
وأما البيت الخامس (٩٦):

يا دار دار عليك إرهام الندى واهتزّ روضك في الثرى فترأدا  
ففصل القول في الأرهام وهو المطر اللين، وكيف تثنىّ الروض لكثرة مائه وغضاضته وقال عنه  
الآمدي بأنه بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسيج.  
وأورد الآمدي للبحثري سبعة أبيات، جاء في الأول (٩٧):

نشدتك الله من برق على إضم لما سقيت جنوب الحزن فالعلم  
وعلق عليه بأنه بارع اللفظ، جيد المعنى، ومما زاد جودته قوله (نشدتك الله)، وأن البيت الثاني  
والثالث (٩٨) جيدان:

سقيت الغواوي من طول وأربع وحييت من دار لأسماء بلقع  
أناشد الغيث كي تهمني غواويه على العقيق وإن أقوت مغانيه  
وأما البيت الرابع (٩٩) الذي قال عنه هذا الناقد بأنه كثير الماء والرونق:  
أقام كل ملثّ الودق رجّاس على ديار بعلو الشام أدراس  
والمراد ب: ملثّ الودق: دائم كثير المطر، و(رجّاس) وهو المصوّت الذي يراد به الرعد.  
ثم ذكر الآمدي البيتين الخامس والسادس:

لا يرم ربعك السحاب يجوده تبتدي سوقه الصبا أو تقوده (١٠٠).  
سقى دار ليلي حيث حلّت رسومها عهاد من الوسميّ وطف غيومها (١٠١).

وعلق هذا الناقد على هذين البيتين: "وهذان ابتداءان جيدان، وليسا مثل ما تقدم" (١٠٢).  
وأما البيت السابع:

سقى ربعا سحّ السحاب وهاطله وإن لم يخبر أنفأ ن يسائله (١٠٣).

فهو عن الأمدي رديء العجز، بسبب قول البحري (أنفأ) لأنها حشو لاحاجة للمعنى إليها.  
وقد خرج هذا الناقد بعد هذه الموازنة لمعاني أبيات الشعارين في موضوع (الدعاء للديار بالسقيا)، إذ قال: "وهما عندي متكافئان" (١٠٤).

وفميا يأتي جدول بتلك الموضوعات مع النتيجة النقدية:

الصفحة	النتيجة النقدية	الموضوع
٤١٦	الشاعران متكافئان	١ الابتداءات بذكر الوقوف على الديار
٤٢٠	أبو تمام أشعر من البحري	٢ التسليم على الديار
٤٢١	البحري أشعر من أبي تمام	٣ ما ابتداء به من ذكر تغية الدهور للديار
٤٢٣	البحري أجود من أبي تمام	٤ أقواء الديار وتقيها
٤٢٥	البحري أجو من أبي تمام	٥ تغية الرياح للديار
٤٢٨	البحري أشعر من أبي تمام	٦ البكاء على الديار
٤٣٣	متكافئان	٧ سؤال الديار واستعجامها عن الجواب
٤٣٥	البحري أشعر من أبي تمام	٨ ما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش
٤٣٣	متكافئان	٩ فيما تحبجه الديار من جوى الواقفين بها
٤٣٩	متكافئان	١٠ الدعاء للدار بالسقيا
٤٤٦	البحري أفضل من أبي تمام	١١ لوم الأصحاب في الوقوف على الديار
٤٥٢	البحري أشعر من أبي تمام	١٢ ما قالاه في أوصاف الديار والبكاء عليها
٤٦٠	أبو تمام أشعر من البحري	١٣ وصف أطلال الديار وآثارها
٤٧٠	البحري أجود وأبرع	١٤ محو الرياح للديار
٤٧٩	أيضاً متكافئان	١٥ ما قالاه في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها

١٦	من وصف الديار وساكنيها	متكافئان مع كثرة احسان أبي تمام	٤٩٦
١٧	الدعاء للديار بالسقيا والخصب والنبات	لم يذكر حكماً معيناً	٥٠٤-٤٩٧
١٨	ما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وغيرها	لم يذكر حكماً معيناً	٥١١-٥٠٥
١٩	ما قالاه في مخاطبة في الوقوف وفي تعنيف الأصحاب إياها على ذل	لم يذكر حكماً معيناً	٥٣٣-٥١٢
٢٠	ما جاء عنهما في ترك البكاء على الديار والنهي عنه	لم يذكر حكماً معيناً	٥٣٧-٥٣٤

ومن مراجعة الجدول يتبين ما يأتي:

١ - الشاعران متكافئان في [٦] ست موضوعات.

٢- أبو تمام أشعر من البحتري في [٢] موضوعين اثنين.

٣- البحتري أشعر من أبي تمام في [٨] ثمان موضوعات.

وبهذا كانت الغلبة - فيما يراه الأمدي - للبحتري ، ولكن الأمدي لم يذكر هذه النتيجة النهائية ، وإنما تركها لن نقولها نحن ، وليكون هو في منأى منها ، وكأنه لم تكن له يد فيها ، وقد اعترف : "وبالله استعين على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى ، وترك التحامل ، فانه جل اسمه حسبي ونعم الوكيل" (١٠٥).

وأنا أشم من هذه العبارات وجود تحامل يروم الأمدي تركه ويوكل الله سبحانه وتعالى على أن يكون الخصيم والحسيب لأعدائه.

### الرأي في منهج الكتاب:

يعد كتاب الموازنة للأمدي من أهم الكتب التي ألقت حول هذا الموضوع الذي هو لم يكن خصومة بين شاعرين بقدر ما يكون بين مذهبين شعريين فنيين ، وعلى الرغم مما لاحظناه من تتبع

لهذا الكتاب وموضوعاته ، فإننا قد قرأنا من خلال سطورهِ وصفحاته بأنه يحاول بطريق غير مباشر أن يفضل البحري على أبي تمام ، وبهذا استطاع إبراز المزايا اللفظية في شعر البحري مما ليس لها شبه في شعر أبي تمام ، وهو بهذا قاس جودة الشعر بحلاوة اللفظ وحسن الديباجة ، وقاس أفضلية البحري بميزان عمود الشعر ، وكان يهتم باللفظ ويقدمه على المعنى .

والآمدي لم يتحامل على أبي تمام بدافع شخصي وإنما كان بدافع فني ، لأن ذوق الآمدي الشعري لم يتفق وشعر أبي تمام .

وذكر الأستاذ طاه أحمد إبراهيم : " فنصيب أبي تمام في كتاب الموازنة جسيم ، وخصائصه ، وعناصر شعره ، وحاسنه ، ومساويه ، كل أولئك أظهر وأوضح منه عند البحري .. وان الآمدي أنصف أبا تمام في بعض المواطن المهمة " (١٠٦) .

ولما كان الآمدي سائراً في كتابه بصدد الموازنة بين لطائيين ، فلا بد له من إنصاف أبي تمام في بعض المواطن ، ومنها :

- 1- ما نسبته ابن أبي طاهر فيه إلى السرقة وليس بمسروق ، وقد دافع (١٠٧) عنه الآمدي .
- 2- دفع الآمدي شبهة أبي العباس القطربلي في إنكاره على أبي تمام أن شبه عنق الفرس بالجدع في البيت :

هاديه جذع من الأراك ، وما  
تحت الصلا منه صخرة جلس  
وقال الآمدي : " وأخطأ أبو العباس .. وتلك عادة العرب وهي في أشعارها أكثر من أن يحصى " (١٠٨) .

- 3- أورد الآمدي الكثير من فضائل أبي تمام (١٠٩) .
- 4- أنصف هذا الناقد أبا تمام في حالتين من حالات (باب الوقوف على الأطلال) وهما :  
أ - التسليم على الديار : فقال بأن أبا تمام أشعر (١١٠) من البحري .  
ب - باب في وصف أطلال الديار وآثارها : فقال الآمدي بأن أبا تمام أشعر وأحسن ، ولم يعرف للبحري في مثل ذلك شيئاً (١١١) .

- 5- ذكر الآمدي باباً في وصف الديار وساكنيها ، واستشهد بشعر الطائيين وذكر في الموازنة بينهما آراء أهل الصنعة الذين يفضلون أبا تمام ، وآراء المطبوعين وأهل البلاغة الذين يميلون

للبحتري، حيث كان الأمدي مع أهل الطبع، ولكنه قال: "والقول في هذا قولهم، وإليه أذهب، إلا أنني اجعلهما في هذا الباب متكافئين لكثرة إحسان أبي تمام فيه" (١١٢). وقد اتكأ هذا الناقد على آراء الآخرين بكثرة، من علماء ومؤلفين نقل آراءهم ونظرياتهم وحفظها لنا من الضياع، مع ما أورده من شواهد شعرية قيمة واستطرادات كثيرة للثبات رأيه وصحة فكرته وقوة أسبابه، إلا أن الكتاب: "سبقي أضخم نتاج عربي في النقد التطبيقي التفصيلي الذي إن دل على شي فإنه يدل على صبر طويل، وأناة عجيبة، وقدرة على جمع النصوص وتقريرها من بعض، وفهم لشعر الشاعرين لا يفوقه فيه أحد" (١١٣). لقد أجهد الأمدي نفسه في جمع الكتب والروايات والنصوص المعلقة بالشاعرين وشعريهما، وذكر ما استفاد منها بعد مناقشتها وتمحيصها، وأعطى آراءه فيها. ولذلك لا بد لنا من إثبات منهج الأمدي كالاتي:

### أ - ذكر المصادر:

لقد رجع الأمدي إلى المصادر المختلفة، فكان يذكر أسماء الكتب، وكثيرا ما كان يردفها بأسماء مؤلفيها مع تحديد موضع الأخذ من الكتاب في أغلب الأحيان، وفيما يأتي جدول ببعض تلك المصادر:

الصفحة	النتيجة النقدية	اسم الكتاب
٦٣١	ثعلب	١ الامالي
١٥٦ - ٤٥٦	أبو حنيفة الدينوري	٢ الأنواء
٥٥	أبو تمام	٣ الحماسة
١٤١	ابن قيس الرقيات	٤ ديوان ابن قيس الرقيات
١١٠، ١٢٠، ١٢١، ١٢٩	ان ابي طاهر	٥ سرقات أبي تمام
١٠، ٣٩١	محمد بن سلام الجمحي	٦ الطبقات (طبقات الشعراء)
٢٣٥	أبو عبيدة القاسم بن سلام	٧ الغريب المصنف



## موازنة الأمدي بين النظرية والتطبيق

٨	الكامل	المبرد	٥٢٤
٩	كتاب البديع	ابن المعتز	٣١، ٢٠، ١٨، ١٧، ٢٧٥، ٢٦٩، ١٣٤
١٠	كتاب الخيل	أبو عبيدة	٢٨٦
١١	كتاب الشعراء (طبقات الشعراء)	دعبل بن علي الخزاعي	٢٨٧، ١٩، ١٣، ٣٩١
١٢	كتاب سرقات البحري من أبي تمام	أبو الضياء بشر بن يحيى	٢٣٨، ٥٣، ٥٢، ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٠٤، ٣٤٣
١٣	كتاب سرقات الشعراء (السرقات)	ابن المعتز	٢٦٤، ٢٥٧، ٧٤، ٣٥٣، ٢٨٦
١٤	كتاب... (ولعله كتاب فقر البلغاء أو الفريد)	احمد بن عبيد الله القطريلي	١٣٧، ١٣٦، ١٥١، ١٤٢، ١٣٨
١٥	المعاني	للأشنانداني	١٠٤
١٦	نقد الشعر	قدامة بن جعفر	٢٧٧، ٢٧٥، ٢٧٤
١٧	النوادر	ابن الاعرابي	٣٦٢، ١٥٦
١٨	الورقة (.. في أخبار الشعراء)	محمد بن داود بن الجراح	٢٦، ١٩، ١٨، ١٣، ١٣٥، ١٣٤، ٦٦، ٢٤٢، ٢٩١، ٢٤٢

فللأمدي فضل كبير في نقل الآراء النقدية التي شاعت في عصر الطائيين وأشار إليها هذا الناقد، وللكتب التي وردت فيها بكل أمانة، وكيف كان يستقصيها (١١٤).

## ب - التحقق من النصوص:

وقد لاحظت ان هذا الناقد يحرص على النصوص ويوثقها إن توافرت الأدلة على صحتها، ومنها:

"وقال رجل من بني أسد.. أنشدني لبعض شعراء بني أسد:

تغيبت كي لا تجتويني دياركم      ولو لم تغب شمس النهار ملّت

(وضننته مصنوعاً حتى وجدت عبد الله بن المعتز بالله ذكر في كتابه المؤلف في سرقات الشعر

عجز هذا البيت - ولو لم تغب شمس النهار ملّت - للكثير بن زيد)" (١١٥).

وذكر الأمدى في حديثه عن رد الأبيات إلى قائلها: "وقال ابن قيس الرقيات ووجدتها في

ديوانه، والصحيح انها لأبي العباس الأعمى:

بحلوم إذا الحلوم استخفت      ووجوه مثل الدنانير ملّس" (١١٦).

فهو قد صحح ما في الديوان ووثقه.

## ج - الترجيح بين الروايات:

وكان هذا الناقد يوازن بين الروايات المتضاربة، ويرجح أقربها إلى الصحة، ومن ذلك ما كان

في حديثه عن البحري: "انه كان يكنى أبا عبادة، ولما دخل العراق تكنى أبا الحسن.. وقد ذكر

بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن، وأنه لما اتصل بالمتوكل وعرف مذهبه عدل إلى أبي عبادة والأول

أثبت" (١١٧).

ولم يقف الأمدى عند الكتب المؤلفة التي اعتمدها، بل أضاف إلى ذلك كلما سمعه مشافهة

من أفواه الرواة والشيوخ وينص على قائلها، قال: "، وأنا الآن أذكر ما غلط فيه أبو تمام من المعاني

والأفاظ، مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المذاكرة والمفاوضة" (١١٨). وقال:

"وأنا أجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم بالشعر: زعموا أن

صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات.." (١١٩).

#### د - الاستقصاء والاحتجاج:

كان ذا الناقد يهتم باستيفاء مادته التي يروم مناقشتها، فقال: "ولعل قائلًا يقول: قد تجاوزت.. وقصرت، ولم تستقص جميع ما خرّجه أبو الضياء بشر بن تميم من المسروق، وليس الأمر كذلك، بل قد استوفيت جميعه" (١٢٠).

وكان يؤمن بالتأمل الصحيح لغرض الزيادة في الاحتجاج: "زيادة عندي في الاحتجاج" (١٢١)، وقال: "ثم استقصي الاحتجاج في جميع ذلك، لعلمي بكثرة (المعارضين) من لا يجوز على هذا الشاعر (الغلط)، ويوقع له التأول البعيد، ويورد الشبه والتمويه. وبالله اسعين، وهو حسبي ونعم الوكيل" (١٢٢).

ولم يكتف الأمدي بالنصوص الحاضرة المباشرة، بل يفتش بين السطور عن ضالته ويعتمد الاستنباط والاستخراج، قال عن سرقات أبي تمام: "أنا أذكر ما وقع الي في كتب الناس من سرقاته، وما استنبطته أنا منها واستخرجته.." (١٢٣).

وقال: "وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته بعد أن أسقطت منه كل ما احتمل التأويل، ودخل تحت المجاز، ولاحت له أدنى علة" (١٢٤)، مما أخذه من أفواه الناس.

#### هـ - مراجعة كتب أهل الاختصاص:

ومما يثبت علمية ودقة الأمدي في البحث، انه رجع إلى أهل الاختصاص في كل ميدان يخوضه ويحتاج فيه إلى مراجعة وتدقيق. ففي معاني الخيل رجع إلى (كتاب الخيل لأبي عبيدة) (١٢٥)، وفي معاني الأنواء كان قد رجع إلى كتاب (كتاب الأنواء لأبي حنيفة الدينوري) (١٢٦). وفي باب الغريب في اللغة رجع إلى كتاب (الغريب المصنف لأبي عبيدة القاسم بن سلام) (١٢٧)، وفي النوادر رجع إلى كتاب (النوادر لابن الاعرابي) (١٢٨).

أما مراجعته لعلماء اللغة والأدب، فكان الأمدي دقيقا في اختيارهم، مما يدل على معرفته الواسعة بمكانة كل منهم وما يمتلكه من خبرات ومؤلفات، وما يتأبطه من آراء ونظريات في علوم اللغة والشعر والتفسير.

وفيما يأتي قائمة ببعض اولئك العلماء (١٢٩):

ت	الاسم	بعض الصفحات التي ذكر فيها
---	-------	---------------------------

٢٤	الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)	١
٣٩٥	المفضل الضبي (ت ١٧٨هـ)	٢
٣٨٣، ٢٠٤، ١٨٢	سيبويه (ت ١٨٠هـ)	٣
٣٩٢، ٢٤	خلف الأحمر (ت ١٨٠هـ)	٤
١٧٣، ٢٤	علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ)	٥
٢٦٩	أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٥هـ)	٦
٢٠٧	الفراء (ت ٢٠٧هـ)	٧
١٧٣	ابو عبيدة (ت ٢٠٩هـ)	٨
٥٢٤، ٢٧٠، ٢٥٨، ٩١، ٢٣، ٢١	أبو الحسن الاخفش (ت ٢١١هـ)	٩
٥٢٤	أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ)	١٠
٤٣، ٤٢، ٤٠، ٣٦، ٢٤، ٢٣، ٤٧، ٨١، ١٦٤، ١٦٨، ٢٦٩	الأصمعي (ت ٢١٦هـ)	١١
٤٦٤، ٣٩٥، ٢٣، ٢٢، ١٩	ابن الإعرابي (ت ٢٣١هـ)	١٢
٤٦٨، ٣٩١، ٤٥، ٢٣، ٢٠	إسحاق بن إبراهيم الموصللي (ت ٢٣٥هـ)	١٣
٥٠٠، ١٦٥، ١٠٩	يعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤هـ)	١٤
٢١٧	أبو سعيد السكري (ت ٢٧٥هـ)	١٥
٥٢٣، ٢٠٩، ١٧٣، ١٠٨، ٢١	المبرّد (ت ٢٨٥هـ)	١٦
٣٩٥، ٢٥٨، ١٩	ثعلب: أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ)	١٧
٢٠٤، ١٧٣	أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)	١٨
٢٠٥	أبو بكر الصّولي (ت ٣٣٥هـ)	١٩
	وهناك شخصيات أخرى كأبي حام السجستاني وأبي سعيد الضريز وأبي العميثل وغيرهم	٢٠

## و - مناقشة آراء العلماء:

كان الآمدي يناقش ما يمر عليه من آراء علماء الشعر واللغة ، ولا يترك الرأي طراً دون مناقشة ، بل يعطي رأيه في الأمر معززاً بالأدلة والأمثلة ، كما ناقشته لابن أبي طاهر في سرقات أبي تمام ، وكيف صحح له ما كان غير مسروق (١٣٠) ، وكرده على أبي علي السجستاني في المعاني المخترعة عند أبي تمام ، وأنها كثيرة (١٣١).

## ز - عرض الأدلة والاستشهادات:

وهو بهذا يعدّ كتاباً نقدياً مهماً ، فالآمدي يسوقها بأسلوب شيق وعرض معلل مفصل.

## ح - الاستشهاد بأي من الذكر الحكيم (١٣٢) والسنة النبوية الشريفة (١٣٣):

فهو يأتي بنصوص من القرآن الكريم والسنة ، لتعليل حالات المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه والطباق والجناس ، وتحليل بعض الصور للدلالة على ما في الشعر منها.

## المؤخذات:

إن الذي يمكن أن نأخذه على الآمدي ما يأتي:

- ١ - عدم تقويم تراث الشاعرين كلا واحداً دون تجزئة.
- ٢ - انه ظل أسير أغلال (عمود الشعر) والمعايير القديمة كمبدأ نقدي وطريقة في الموازنة.
- ٣ - الالتزام الشخصي بالشكلاية والقوالب اللفظية.
- ٤ - عدم الالتفات إلى مسائل التخيل في المعاني المستعارة في روائع أبي تمام.
- ٥ - الميل إلى مدرسة الطبع ، وعدم الاقتراب من الإغراب في الاستعارة.
- ٦ - الميل إلى مقولة: أجود الشعر أصدقه وليس أكذبه.
- ٧ - وجود الاستطرادات الكثيرة التي قد تستوعب نصف الكتاب .

## هوامش البحث:

- (١) انظر أخبار أبي تمام ، لأبي بكر الصولي ، تحقيق عساكر وعزام والهندي ، بيروت ، المكتب التجاري ، (د.ت).

- (٢) شرح الصولي لديوان أبي تمام، تح: د. خلف رشيد نعمان. بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٧م. ج ١/١٦٥، حيث أورد (٧) سبعة أغراض منها عدا الحكمة.
- (٣) المصدر نفسه: ج ١/١٦٧-٦١٥، وج ٢/٤٦١-٥.
- (٤) انظر: أبو تمام وثقافته من خلال شعره، ابتسام مرهون الصفار، بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٢م.
- (٥) الموجز في الأدب العربي وتاريخه، حنا فاخوري، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٥م، ج ٢/٣٣٥، (بتصرف).
- (٦) انظر: أخبار البحري، لأبي بكر الصولي، تح: د. صالح الأشر، ط ٢، دمشق، دار الفكر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- (٧) ديوان البحري (١-٢)، بيروت، دار القاموس الحديث، مطبعة الجوائب، ١٣٠١هـ.
- (8) The Encyclopedia of Islam. London, Brill, 1971.V.3 (111) / P.1289-1290
- (٩) العمدة في محاسن الشعر، لابن رشيق، ط ٣، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م. ج ٢/١١٤-١١٥.
- (١٠) البحري. د. أحمد أحمد بدوي، ط ٣، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م. ج ٦٣/.
- وقد أخذ الدكتور بدوي مصطلح (الاستواء) من الآمدي، انظر: الموازنة بين أبي تمام والبحري للآمدي، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م. ج ١٠/.
- وانظر أيضاً: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، للآمدي تح: السيد احمد صقر، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م. ج ١/١٢.
- (١١) ولغرض الاستزادة في الإطلاع على الخصومة، انظر: الخصومة بين القدماء والمحدثين، د. عثمان موافي. ط ٢، الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٨٤م.
- (١٢) الموازنة للآمدي. ج ١/٥-٧.
- (١٣) لمصدر نفسه ٦/.
- (١٤) م. ن. ٦/.

- (١٥) م.ن. ٧/.
- (١٦) م.ن. ٧/، وانظر ايضاً: م.ن. ٤٠٠/.
- (١٧) م.ن. ٧/، وانظر ايضاً: م.ن. ٤٠٢/.
- (١٨) م.ن. ٧/.
- (١٩) م.ن. ٨/.
- (٢٠) م.ن. ٥٣/.
- (٢١) م.ن. ٥٤/.
- (٢٢) الموازنة / ٥٨-٥٩، وانظر: شرح الصولي لديوان أبي تمام، ج ١/ ٢٩١-٢٩٢، حول البيتين.
- (٢٣) م.ن. ١١٠-١٢٩.
- (٢٤) م.ن. ١١٠/.
- (٢٥) م.ن. ١٢٩/.
- (٢٦) الموازنة / ١٢٩.
- (٢٧) م.ن. ١٣٣/.
- (٢٨) م.ن. ١٣٤/.
- (٢٩) انظر ايضاً: كتاب الورقة، لابن الجراح، تحقيق د. عبد الوهاب عزّام وعبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣ م.
- (٣٠) كتاب البديع، لابن المعتز، اعتناء وتعليق: اغناطيوس كراتشكوفسكي، ط ٣، بيروت، دار المسيرة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م. / ٥٥، ١.
- (٣١) الموازنة / ١٣٤-١٣٦.
- (٣٢) الموازنة / ١٣٨، وانظر: شرح الصولي لديوان أبي تمام، ج ١/ ٤٧١.
- (٣٣) م.ن. ١٣٧/.
- (٣٤) م.ن. ١٣٧-٢٤٤.
- (٣٥) م.ن. ٢٥٠/.

- (٣٦) الموازنة / ٢٥٩.
- (٣٧) م.ن. / ٢٤٣.
- (٣٨) م.ن. / ٢٤٥-٢٦٤.
- (٣٩) م.ن. / ٢٦٢.
- (٤٠) م.ن. / ٢٦٥.
- (٤١) الموازنة / ٢٦٧.
- (٤٢) انظر: الموازن، ج ١/ ٢٦٨-٢٧٠.
- (٤٣) م.ن. / ٢٦٧-٢٦٨.
- (٤٤) الموازنة/ ٢٦٨، وانظر شرح الصولي لديوان أبي تمام، ج ١/ ٢٣٣.
- (٤٥) الموازنة/ ٢٦٩، وانظر شرح الصولي لديوان بي تمام، ج ٢/ ٤٥٩.
- (٤٦) الموازنة/ ٢٦٥-٢٧١.
- (٤٧) م.ن. / ٢٧١.
- (٤٨) الموازنة ج ١ / ٢٨٢. وأنظر الصولي لديوان أبي تمام. ج ١ / ٥٧٧.
- (٤٩) م.ن. / ٢٩٠.
- (٥٠) م.ن. / ٢٩٠.
- (٥١) م.ن. / ٢٩٠. وأنظر: شرح الصولي لديوان أبي تمام. ج ١ / ٣٢.
- (٥٢) م.ن. / ٢٧١-٢٧٢.
- (٥٣) الموازنة / ٢٧٣.
- (٥٤) م.ن. / ٢٧٣-٢٧٤.
- (٥٥) م.ن. / ٢٧٦.
- (٥٦) م.ن. / ٢٧٦.
- (٥٧) م.ن. / ٢٧٧.
- (٥٨) الموازنة/ ٢٩١.
- (٥٩) م.ن. / ٢٩٢-٣٠٣.



- (٦٠) م.ن. / ٣٠٤-٣٢٦.
- (٦١) م.ن. / ٣٢٦-٣٥٠.
- (٦٢) م.ن. / ٣٢٦-٣٣٨.
- (٦٣) الموازنة / ٣٢٨-٣٤٣.
- (٦٤) م.ن. / ٣٤٣-٣٥٠.
- (٦٥) م.ن. / ٣٤٩-٣٥٠، وانظر: شرح الصولي لديوان أبي تمام، ج ٢ / ٢٨٦ (..أسدى اليك).
- (٦٦) م.ن. / ٣٥٠.
- (٦٧) م.ن. / ٣٥٠-٣٥٩.
- (٦٨) الموازنة / ٣٥٥.
- (٦٩) م.ن. / ٣٦٠-٣٨٢.
- (٧٠) م.ن. / ٣٨٢.
- (٧١) م.ن. / ٣٨٥.
- (٧٢) م.ن. / ٣٨٤.
- (٧٣) م.ن. / ٣٨٥.
- (٧٤) الموازنة، ج ١ / ٣٨٦.
- (٧٥) م.ن. / ٣٨٦.
- (٧٦) م.ن. / ٣٩٧.
- (٧٧) الموازنة، ج ١ / ٣٩٨-٣٩٩، وانظر: شرح الصولي لديوان أبي تمام، ج ١ / ٣٩٥.
- (٧٨) م.ن. / ٣٩٩، وانظر شرح الصولي لديوان أبي تمام، ج ١ / ٤٣٠.
- (٧٩) م.ن. / ٣٩٩.
- (٨٠) م.ن. / ٤٠٠.
- (٨١) م.ن. / ٤٠٠.
- (٨٢) الموازنة / ٤٠١.
- (٨٣) م.ن. / ٤٠١.

- (٨٤) م.ن. / ٤٠٠-٤٠١.
- (٨٥) م.ن. / ٤٠٢.
- (٨٦) م.ن. / ١٢ ، وانظر أيضاً: أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي / ٦٧.
- (٨٧) الموازنة / ١٢.
- (٨٨) م.ن. / ٣٨٨.
- (٨٩) م.ن. / ٣٨٩.
- (٩٠) مقالات في تاريخ النقد العربي. د. داود سلوم، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١م، ٢٣٨.
- (٩١) الموازنة، للآمدي، ج ١ / ٤٠٥.
- (٩٢) م.ن. / ٤٣٦-٤٣٩.
- (٩٣) الموازنة / ٤٣٦.
- (٩٤) م.ن. / ٤٣٦-٤٣٧.
- (٩٥) م.ن. / ٤٣٧.
- (٩٦) م.ن. / ٤٣٧.
- (٩٧) الموازنة / ٤٣٧.
- (٩٨) م.ن. / ٤٣٨.
- (٩٩) م.ن. / ٤٣٨.
- (١٠٠) م.ن. / ٤٣٨.
- (١٠١) م.ن. / ٤٣٩.
- (١٠٢) م.ن. / ٤٣٩.
- (١٠٣) الموازنة / ٤٣٩.
- (١٠٤) م.ن. / ٤٣٩.
- (١٠٥) الموازنة، ج ١ / ٤٠٥.
- (١٠٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب / ١٧٩.
- (١٠٧) الموازنة، ج ١ / ١٢٠-١٢٩.

- (١٠٨) م.ن/١٣٧.
- (١٠٩) م.ن. / ٣٩٧-٣٩٩.
- (١١٠) م.ن. / ٤١٧-٤٢٠.
- (١١١) م.ن. / ٤٥٥-٤٦٠.
- (١١٢) الموازنة / ٤٩٦.
- (١١٣) مقالات في تاريخ النقد العربي ، د. داود سلوم / ٢٥٢-٢٥٣.
- (١١٤) الموازنة ، ج ١ / ٥٢٤.
- (١١٥) الموازنة / ٧٤.
- (١١٦) م.ن. / ١٤١ ، وهنالك رواية أخرى للبيت : حلماء... بوجوه.
- (١١٧) م.ن. / ٢٦ ، وانظر ايضاً : سهو الرواة. م.ن. / ٥٠.
- (١١٨) م.ن. / ١٣٦.
- (١١٩) م.ن. / ٤٠٢.
- (١٢٠) الموازنة ، ج ١ / ٣٢٥.
- (١٢١) م.ن. / ٣٦٠.
- (١٢٢) م.ن. / ١٣٦.
- (١٢٣) م.ن. / ٥٦.
- (١٢٤) م.ن. / ١٣٦.
- (١٢٥) م.ن. / ٢٨٦.
- (١٢٦) م.ن. / ١٥٦.
- (١٢٧) م.ن. / ٢٣٥.
- (١٢٨) م.ن. / ١٥٦.
- (١٢٩) لم يكن هذا الجدول لأغراض إحصائية وحسب ، وإنما كان لأغراض علمية وإجرائية وتبريرية.
- (١٣٠) الموازنة ، ج ١ / ١٢٢.

(١٣١) م.ن./١٢٣-١٢٤.

(١٣٢) انظر: الموازنة، ج ١/١٤، ١٧، ١٥، ٣٩، ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٨١، ١٨٢، ١٨٩، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٨، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٧١، ٥٢١، ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٢٦.

(١٣٣) انظر: م.ن./١٧، ١٦، ٤١٥.

### فهرس المصادر والمراجع:

- ١- أبو تمام وثقافته من خلال شعره. ابتسام مرهون الصفار. بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٢م.
- ٢- أخبار أبي تمام. لأبي بكر الصولي، تحقيق عساكر وعزام والهندي. بيروت، المكتب التجاري، (د.ت).
- ٣- أخبار البحتري. لأبي بكر الصولي تحقيق د. صالح الأشر. ط ٢. دمشق، دار الفكر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- ٤- البحتري. د. أحمد أحمد بدوي. ط ٣. القاهرة. دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م.
- ٥- كتاب البديع. لابن المعتز. اعتناء وتعليق: اغناطيوس كراتشكوفسكي. ط ٣. بيروت، دار المسيرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ٦- تاريخ النقد الأدبي عند العرب. طه أحمد إبراهيم. بيروت، دار الحكمة، (١٩٣٧م).
- ٧- الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم. د. عثمان موافي. ط ٢. الإسكندرية، دار المعرفة، ١٩٨٤م.
- ٨- ديوان البحتري (٢-١). بيروت، دار القاموس الحديث (مطبعة الجوائب)، ١٣٠١هـ.
- ٩- شرح الصولي لديوان أبي تمام، تحقيق د. خلف رشيد نعمان. بغداد. وزارة الإعلام، ١٩٧٧م.
- ١٠- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. لابن رشيق القيرواني. ط ٣. القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.
- ١١- مقالات في تاريخ النقد العربي. د. داود سلوم. بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١م.

١٢- الموازنة بين أبي تمام والبحتري. للآمدي. تحقيق محي الدين عبد الحميد. بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

١٣- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. للآمدي. تحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

١٤- الموجز في الأدب العربي وتاريخه. حنا الفاخوري. بيروت، دار الجيل، ١٩٨٥م.

١٥- كتاب الورقة، لابن الجراح. تحقيق د. عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣م.

16 - The Encyclopedia of Islam. London, Brill, 1971.



# نافذتان نقديتان

## على النثر العباسي

أحمد بن يوسف

والإعراق في الكتابة

إبن العميد

بين التسجيع والمزاوجة

د. فاروق محمود الحبوبي

## أحمد بن يوسف (ت ٢١٣هـ) والإعراق في الكتابة

### المقدمة:

لا بد لي وأنا أكتب شيئاً موجزاً عن أحمد بن يوسف الكاتب المتوفى سنة مائتين وثلاث عشرة للهجرة، وعما قاله بعض القدماء والمحدثين في أسلوبه من الآراء الفنية مع تحليل نصوص من رسائله.

ولكي أكتب ذلك، فمن الجدير بي أن أكون مطلعاً على أكبر عدد ممكن من المصادر والمراجع التي تتناول ذلك الكاتب، وقد توفر لي بعض ذلك، بيد أنني عزفت عن الجانب التاريخي لقلة أخبار ذلك الكاتب، وقد توفر لي بعض ذلك، بيد أنني عزفت عن الجانب التاريخي لقلة أخبار ذلك الكاتب وضياع معظم رسائله أو طمسها.

ولذلك ستجدي في هذا البحث الموجز أنزع إلى الجانب التحليلي.

وهذا أمر يتناسب وواقع الحال والمقام، تاركاً الجوانب الأخرى للكاتب لظروف قادمة إن شاء الله، وسأقوم بجمع ما أجده من أخباره ورسائله وتوقعاته وشعره ليكون كتاباً وتحت إشراف ومراجعة ودقة تحقيق.

وقد استعنت بأجهزة الاتصالات (الأنترنت) لمراكز البحوث في العالم، ومنها بحوث العمليات الدقيقة لكشف ما كتب عن هذا الرجل، فلم أجد من المحدثين من قام بدراسته أو تحليل نصوصه، ولذلك كان هذا البحث جديداً غير مدروس، ودليلي في ذلك ما جاء بنتائج بحوث عمليات مكتبة



الكونغرس عنه في الكتب والدوريات باللغتين العربية والانكليزية، واجد المتلقي الكريم واثقاً من جودة هذا البحث إن شاء الله.

### أحمد بن يوسف الكاتب:

هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب (١)، وكنيته أبو جعفر، (من قرية من قرى الكوفة تعرف بدُّبا) (٢)، وذكر أبو بكر الصولي بأن صبيحاً عبد لبعض بني عجل ثم اعتق (٣). ولم أجد من تحدث عن تاريخ ولادته، ولكن المصادر تشير إلى أنه ترعرع في عائلة اشتهت الكتابة، فجده وأبوه كانا كاتبين للدواوين (٤)، فنشأ أحمد نشأة أحببت الكتابة واهتدت إلى خصائصها وموجباتها، وأنه فطن إلى أدوات الملك وآداب السلاطين، فختم بذكائه وسرعة خاطره شؤون المهنة، وشب على المروءة والكرم وكان له فيهما قصص (٥)، ومضى صدى اسمه يشع في ساحة الأدب متكلماً وشاعراً، يتصف بجودة الكلام وفصاحة اللسان وملاحة الخط (٦)، وكان قد عرف بحب المرح وتعاطي الشراب والأنس (٧)، وله في ذلك مجالس (٨). وكان قد رآه عبد الحميد بن يحيى الكاتب فأعطاه ارشادات في تحسين الخط (٩). كل ذلك قد هيا له الأدوات المرشحة من الخبرة والتجربة والثقافة والذوق ليكون كاتباً متمكناً بحق، فذاع خبره بين الناس بليغاً لا معاً.

## البحث الأول

### ١- أحمد بن يوسف والرسائل الديوانية

كيف ولي ديوان الرسائل؟ ذكرت المصادر (١٠) ان أول ما ارتفع به كان بعد مقتل الأمين العباسي سنة ١٩٨ هـ مائة وثمان وتسعين، ذكرت روايتين، أولاهما: ان طاهر بن الحسين - كبير قواد المأمون - أمر الكتاب أن يكتبوا إلى المأمون فأطالوا، وحين وصف له أحمد بن يوسف وموضعه من البلاغة، أحضره لذلك، فكتب "أما بعد، فان المخلوع قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرق بينهما حكم الكتاب والسنة في الولاية والحرمة بمفارقة عصمة الدين، وخروجه عن اجماع المسلمين، لقول الله عز وجل فيما اقتص علينا من أنباء نوح وابنه ﴿يا نوح إنه

ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح»، ولا طاعة لأحد في معصية الله ولا قطيعة ما كانت في ذات الله، وكتابي إلى أمير المؤمنين وقد انجز الله له ما كان ينتظر من سابق وعده، والحمد لله الآخذ لأمر المؤمنين بحقه، الكائد له فيمن خان عهده، ونقض عقده، حتى رد به الألفة بعد فرقتها، وجمع به الأمة بعد شتاتها، وأحيا به أعلام الدين بعد دروسها، والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته" (١١).

وأما الرواية الثانية، فتقول المصادر (١٢) بأن ذا الرياستين الفضل بن سهل \_ وزير المأمون \_، لما أدخل رأس الأمين على أخيه المأمون، أدخله على ترس بيده، فلما رآه سجد، ثم صدر الأمر من المأمون بإنشاء كتاب يقرأ على الناس، فكتبت عدة كتب لم يرضها واستطالها، فكتب أحمد بن يوسف هذا الكتاب، فلما عرض النسخة على ذي الرياستين فاستساغها وطلب من أحمد أن يجلس في الديوان وليقعد جميع الكتاب بين يديه، وليكتب إلى الآفاق.

وسواء أصحّت الرواية الأولى أم الثانية، فإن أحمد بن يوسف قد كتب ما ارتفع به نجمه، وولي ديوان الانشاء، والذي يهمنا في الأمر أن نتعرف على أسلوب تلك رسالة وما حملته من مضامين:

والرسالة على دقة تعبيرها ووضوح مفرداتها، فقد بدأها بعبارة (أما بعد)، مصوراً عرض الرسالة وهو عصيان الأمين الذي نازع أخاه، وخرج على اجماع المسلمين، فصور هذا الكاتب تلك المصيبة رابطاً بين عصيان الأمين وعصيان ابن نوح، ومستشهداً بالآية القرآنية الكريمة التي دفعت عن نبوة أبيه وقربته، ولما جناه الأمين على نفسه لم تعد له ولاية ولا رحمة، فقد خرج من أهله ناكثاً عهد والده بولاية العهد لأخيه المأمون، وبهذا فقد نال جزاءه العادل، وعاد الحق إلى صاحبه لتجتمع كلمة الأمة بعد شتات، خاتماً الرسالة بالسلامة على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

ولقد أجاد أحمد بن يوسف في هذه الرسالة، ابتداءً من الغرض ومعالجته بأسلوب فني مستشهداً بأي من الذكر الحكيم ومستخدمًا الأسلوب المنطقي في المحاجة، مستعملاً المصطلحات الدينية ك: الكتاب والسنة، الحرمه، عصمة الدين، اجماع المسلمين، معصية الله، ذات الله...، مما لها وقع مؤثر في السامعين لكسب تعاطفهم، إضافة على التأني في اختيار الألفاظ واصطياد

العبارات الموجزة المعبرة المتصفة بالقوة والجزالة، وهنالك توازن (ازدواج) وتعادل للفقرات على نحو السجع بين: "عصمة الدين" و"اجماع المسلمين"، وبين "خان عهده" و"نقض عقده"، واستخدم التورية المبيّنة في (المخلوع) ويقصد به (الأمين) وذكر لازماً من لوازمه وهو "قسيم... في النسب واللحمة" كما استخدم الاقتباس، وهذا ما تقتضيه الرسائل الديوانية.

### مثال من رسائله الديوانية:

رسالة الخميس: وهي الرسالة التي وجهها أحمد بن يوسف إلى أهل خراسان بعد تولي المأمون الخلافة، قال (١٣): "من عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين إلى المبايعين على الحق والناصرين للدين، من أهل خراسان وغيرهم من أهل الاسلام: سلام عليكم، فان أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا اله الا هو، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله، أما بعد فالحمد لله القادر القاهر، الباعث، الوارث، ذي العز والسلطان، والنور والبرهان، فاطر السماوات والأرض وما بينهما، والمتقدم بالمن والطول على أهلها، قبل استحقاقهم لثوبته، بالمحافظة على شرائع طاعته، الذي جعل ما أودع عباده من نعمته، دليلاً هادياً لهم إلى معرفته، بما أفادهم من الأبواب، التي يفهمون بها فصل الخطاب، حتى أقيموا على موارد الاختبار، وتعقبوا مصادر الاعتبار، وحكموا على ما بطن بما ظهر، وعلى ما غاب بما حضر، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته، ومتقن صنعتة وحاجة متزاييل خلقه ومتواصله إلى القوم بما يلهمه ويصلحه على أن له بارئاً هو أنشأه وابتدأه، ويسرّ بعضه لبعض، فكان أقرب وجودهم بما يباشرون من أنفسهم في تصرف أحوالهم، وفنون انتقالهم، وما يظهرون عليه من العجز عن التأنّي بما تكاملت به قواهم، وتمت به أدواتهم، مع أثر تدبير الله عز وجل وتقديره فيهم، حتى صاروا إلى الخلقة المحكّمة، والصورة المعجبة، ليس لهم في شيء منها تلطف يتيمّمونه، ولا مقصد يعتمدونه من أنفسهم، فانه قال تعالى ذكره ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صولة ماشاء ربك﴾ ثم ما يتفكرون فيه من خلق السموات وما يجري فيها من الشمس والقمر والنجوم مسخرات، على مسير من تصاريف الأزمنة التي بها صلاح الحرث والنسل واحياء الارض ولقاح النبات الأشجار، وتعاور الليل والنهار، ومر الأيام والشهور والسنين التي تخصى بها الأوقات، ثم ما يوجد من دلائل التركيب في طبقات السقف المرفوع، والمهاد الموضوع، باتساق أجزائه والثامها، وخرق

الأنهار وارساء الجبال ، ومن البيان الشاهد على ما أخبر الله عز وجل به من انشاءه الخلق حدوثه بعد أن لم يكن ، مترقيا في النماء ، وثبوته إلى أجله في البقاء ، ثم محاره منقضيًا إلى غاية الفناء ، ولو لم يكن مفتتح عدد ، ولا منقطع أمد ، ما ازداد بنشوء ولا تحيفه نقصان ، ولا تفاوت على الأزمان ، ثم ما يوجد عليه منفعة من ثبات بعضه لبعض وقوام كل شيء منه يسر له في بدء استمداده ، إلى منتهى نفاده ، كما احتج الله عز وجل على خلقه ، فقال : ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ ، وقال عز وجل ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ، وكل ما تقدّم من الأخبار عن آيات الله عز وجل ودلالاته في سمواته التي بنى ، واطباق الارض التي دحا ، وآثار صنعه فيما برأ ، وذرا ، ثابت في فطر العقول حتى يستجر أولي الزيغ ما يدخلون على أنفسهم من الشبهة فيما يجعلون له من الأضداد ، والأنداد ، جلّ عما يشركون. ولولا توحدّه في التدبير ، عن كل معين وظهير ، لكان الشركاء جدراء ان تختلف بهم ارادتهم في الخلق ، ولأمكن التخلّق فيه من إثبات وإزالة فيخلو من أحد وجهيه ، وأيهما كان فيه فالعجز والنقص فيما ذراه وبرأه ، جلّ البديع خالق الخلق ومالك الأمر عن ذلك ، وتعالى علواً كبيراً ، كما قال سبحانه ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا نذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾

**التحليل :** لقد بدأ هذه الرسالة بشخص المرسل المأمون وأنه أمير المؤمنين ، موجهة إلى المبايعين له على الحق من أهل خراسان وغيرهم من بلاد الإسلام ، واصلها بالسلام عليهم والحمد لله والصلاة على محمد عبده ورسوله ، وفي هذا التقديم ذكر أحمد بن يوسف غرض الرسالة ، وهو تأكيد بيعة الخراسانيين وغيرهم للخليفة العباسي المأمون. ثم دخل في المضمون بعبارة (أما بعد..). ثم جاء بالتحميد الذي جعله مقالة في الفلسفة وعلم الكلام ، وأورد فيه بعض صفات الله تعالى والحجج على وجوده ووحدانيته ، مستشهداً بالآيات القرآنية في أربعة مواضع لتقوية أفكاره وتثبيت مقاصده.

ومن أفكار هذه الرسالة : ارسال الأنبياء وتعاقبهم ، خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، حق العباسيين في الخلافة ، الخوض في تأييد الدعوة العباسية ، تأييد الدعوة للمأمون ، ضرورة مواصلة نصرته

الخراسانيين للخليفة الجديد وما ينبغي عليهم من مجاهدة الأعداء ليحقق لهم الخير والرعاية والجزاء المجزي.

إن رسالة الخميس تقع في عشرين صفحة من كتاب جمهرة رسائل العرب، وذكرها الجامع منقولة عن كتاب (المنظوم والمنثور، ج ١٢/١٧٣) (١٤)، وإنك حين تعيد قراءتها، يتبين لك التوازن في عباراتها والتوسع في استخدام السجع، وخاصة عندما كان يسجع بين كلمة وكلمة: القادر القاهر، الباعث الوارث، السلطان والبرهان، الاختبار والاعتبار، وظهر وحضر.. إلى غير ذلك من أنواع التنميق اللفظي والتلوين الصوتي بين عبارات الفقرات، مما جعل تلك الرسالة محكمة إحكاماً دقيقاً، وذات نفس طويل معلن بأحكام فلسفية وعلل كلامية.

إن هذا التفصيل مما يتوجب على الكاتب أن يطيل فيها التناسب والموضوع المكتوب فيه، وهو رسالة ديوانية في البيعات، والبيعة تقتضي التفصيل والإطالة والتأنق.

وبقي أحمد بن يوسف على ديوان الرسائل إلى أن وزر للمأمون بعد وفاة أحمد بن أبي خالد، وله أخبار مع المأمون (١٥) يضيق المقام عند ذكرها، وقد روت لنا المصادر والمراجع بعضاً من رسائله الديوانية.

ولو عدنا إلى رسائله المختلفة، ديوانية كانت أم اخوانية، لعرفنا أن الرجل ذو أدب جم، وأسلوب بلاغي متمكن، ولغة فياضة جميلة، وإن طريقتة العامة في انشائه هي اعتماد الترسل أكثر من السجع المتعمد، فهو يقصد إلى السجع في التحميدات التي يقتضيها الأسلوب الديواني آنذاك، ولأن التقليد فيها ضروري، وكذلك الحال بالنسبة للإطالة والتأنق اللفظي والتلوين الصوتي.

إن التزام طريقة الديوان أمر لابد منه – فالكاتب يكتب على لسان غيره – وهي قواعد يجدر بكتابتها أن يلتزم بها ويديمها، أما في الرسائل الاخوانية فاننا وجدنا الرجل يكتب لنفسه وما تميله عليه قريحته الشخصية مغلباً جانب المعاني على الألفاظ، هادفاً إلى إبراز الخصائص البيانية البليغة مع الإيجاز في الألفاظ والعبارات.

كما أن توقيعاته تتصف بالقصر والإيجاز والبلاغة، مما يؤكد لنا ما كان لهذا الرجل من غزارة فكر وبراعة أداء وحضور بديهة وبلاغة أسلوب. وذلك ما سنجده في الصفحات القادمة التي سنبين فيها مجاهر نثر هذا الرجل البليغ وما يتصف به من ملكات لغوية ابداعية.

## المبحث الثاني

### الرسائل الإخوانية

وبعد هذه الرسالة الديوانية، وتحليل أفكارها وبيان فنّها وخصائصها، لابد من تناول شيء من الرسائل الإخوانية التي قالها أحمد بن يوسف ليكتب على لسانه ولنفسه، وقد أورد لنا الصولي بعضاً من تلك الرسائل قائلاً ومن كلامه يعتذر إلى بعض الأخلاء: "لي ذنوب إن عدتها جلت، وإن ضممتها إلى فضلك حسنت، وقد راجعت إنابتي، وسلكت طريق استقامتي وعلمت أن توبتي في حجتني، وإقارني أبلغ في معذرتي فهذا مقام التائب من جرمه، المتضمن حسن الفيئة على نفسه، فقد كان عقابك بالحلم عني، أبلغ من أمرك بالانتصاف مني، فان رأيت أن تهب لي ماستحقته من العقوبة، لما ترجوه من المثوبة، فعلت إن شاء الله" (١٦).

وذكر الصولي لابن يوسف: وكتب: "من قصر في الشغل عمره، قل في العطلة صبره وما من وجهة أؤمل فيها سد اختلالي الا دهمتني فيها خيبة تكشف بالي، وأنت من لا يتخطاه الأمل في أوان عطلته، ولا يجاوز رجاء الحرمان في حين ولايته، وليس لذنم عليك طريق، ولا إلى مدحك سبيل، لأنني إذا قلت فيك ما لا تعرف به عورضت بالكذب، وإن أتيت بما لم تولني طالبت حالي بالتحقيق. فلا يرى الناس فيها أثر تصديق، وقد صفرت يدي من فائدتك، بعد أن كنت ملأتها من عائدتك، فان رأيت أن تجبرني من الحدثان، وتقيلي من قيد الزمان، فعلت إن شاء الله" (١٧).

ولابد لنا من تحيل هذين النصين اسلوبياً للوصول إلى مستوياتهما الصوتية والتركييبية والدلالية، ومعرفة صورة التعبير أو هيئته.

فالنص الأول رسالة اخوانية بين أحمد بن يوسف (المرسل) والمتلقي الذي هو أحد أصدقائه. والرسالة نص اعتذاري تتضح معالمه من خلال العبارات والمفردات التي ينتظمها العنصر اللغوي وتشكل في قنوات النص، فهو يعرض انابته إلى صديقه، ويعترف بذنبه تجاهه، مقرأً مجرمه معلنا توبته طالباً الصفح والمعذرة وشاكراً له حلمه وصفحه. وإنك تلاحظ الحوارية الواضحة التي قادها المرسل وهو يلوح بمفرداته وتراكيبه ليقدم لائحة من البيانات المنضبطة والمعلومات المستوثقة الرائقة

لتصل إلى قلب مخاطبه مشرقة نابضة مؤثرة، فجرس الألفاظ يدق ويرنّ من خلاها: (إن عددتها جلّت ... ان ضممتها حسنت) و(إنا بتي ... استقامتي) و(تويتي ... حجتي ... معذرتي) و(جرمه ... نفسه) و(عني ... منّي) و(العقوبة ... المثوبة). فهنالك موسيقى هادئة تنضح من أصوات تلك المفردات وتوازن جلّ العبارات.

ومفردات اللغة بسيطة سهلة واضحة رقيقة، وتراكيبها تتصف بقصر وإيجاز العبارة. وانك تلاحظ توازن العبارات وهي تنساب رقاقة في النص. وهنالك الجناس في مفردتي (العقاب والعقوبة)، كما هنالك الطباق في مفردتي (العقوبة والمثوبة).

وقد أطلّ علينا أحمد بن يوسف بجمل متنوعة من حيث شكل اللفظ المعبر عن المعنى، فهنالك الاسمية والفعلية. وهنالك الفصل والوصل، من حث العلاقة بين الجمل وعطف بعضها على بعض. وهي برمتها تشكل المسند إليه والمسند وتجمعهما علاقة الاسناد. كما وجدت في هذه الرسالة مدحاً للمخاطب وإنه صاحب فضل ومقام، كما وحدث تفضيلاً له حين كرر مفردة (أبلغ) في عبارة (كان عقابك بالحلم عني، ابلغ من أمرك بالانتصاف مني)، في حين كانت الأولى (أبلغ) تخصّ المرسل نفسه معترفاً: (وإقارني أبلغ في معذرتي). واختتم الرسالة بالشرط. أما الرسالة الثانية التي هي اخوانية أيضاً، والمتلقي المخاطب فيها شخص مأمول وعالي الهمة وذو فضل على ابن يوسف.

والنص فيه مدح غير منظور، فابن يوسف قد ذكر بأن يده مלאها من عائدة مخاطبة وأنه يمكن أن يجده من (الحدثان) ويقلبه من (قيد الزمان). على أن في النص شيئاً من الإعتذار حين قال: (لأنني إذا قلت فيك مالا تعرف به عورضت بالتكذيب ...)، فهو لا يريد أن يمدح بما ليس في مخاطبه لئلا يوصف بالتكذيب ويدعى إلى التحقيق من قبل الناس.

والنص فيه جرأة وقوة إرادة وصدق اعتراف، وإن المخاطب رجل في الدولة، متمكن من الاجارة والاقالة والولاية.

ان المرسل قد استخدم الحوار المباشر مفتتحاً خطابه بحكمة حياتية: (من قصر في الشغل عمره، قل في العطلة صبره) ونلاحظ فيها توازناً بين شقيها، وموسيقى بين مفردتيها (عمره ... صبره).

وهنالك توازن وإيقاع في عبارتي (فيها سد اختلالي ... خيبة تكسف بالي) و(عطلته ... ولايته) و(فائدتك ... عائدتك) و(الحديثان ... قيد الزمان).

فهناك تنوع في الإيقاع وتغير في الألحان. وهذا يمثل ترجمة تجربة المرسل لاختيار الكلمات التي من شأنها أداء المضمون وهنالك جناس في (أؤمل ... الأمل) و(العطلة ... عطلته) و(ولايته، لم تولني) و(يرى ... رأيت). وهنالك الطباق في (خيبة ... أمل) و(دم ... مدح) و(تكذيب ... تصديق) و(صفرت ... ملأتها). وهنالك الترادف: (طريق ... سبيل) و(تجبرني ... تقيلني). أما اليد التي صفرت من الفائدة فهي كناية عن الفراغ وعدم الاستفادة. وقد جعل للدم طريقاً وللمدح سبيلاً. وأكرر استخدامهما في مخاطبه، بعد أن أجاز لنفسه أن يسميهما في عباراته.

وإنك تجد المرسل متمسكاً قوياً ينعم بعاطفة متوازنة لا تلفّه مزلقها ولا تزيغه مهاويها ورغائبها.

ولذا يستهويك النص بعناصره لغة وفاعلية وتأثيراً.

### المبحث الثالث

#### التوقعات

أما توقعات أحمد بن يوسف فهي موجزة جداً بين سطر واحد وأربعة أسطر أو يزيد على ذلك، فالمهم فيها أنها توصف بالإيجاز وقصر العبارات ومحدودية الأفكار والموضوعات فالمخاطب فيها شخص يحتاج إلى التوجيه والعناية والإصلاح والتنبيه. ولذلك كتبها بهذا الشكل من الاختصار والكيفية.

"ومن توقعاته: ما عند هذا فائدة، ولا عائدة، ولا له عقل أصيل، ولا فعل جميل" (١٨).

فالمحدث عنه لا ترجى منه فائدة ولا عود طيب، كما يفتقر للفكر الخلاق والعمل المبدع، فالتوازن والجناس موفور في (فائدة وعائدة) و(أصيل وجميل).

ومن توقعاته أيضاً: "ووقع إلى رجل غصب رجلاً على ضيعة وكان غائباً فاستغلها سنين، وقدم الرجل فطالبه، فقال: الضيعة لي وفي يدي. فوقع إليه أحمد بن يوسف: الحق لا تخلق جدته، وإن تناولت بالباطل مدته، فإن انطقت بافصاح، وأزلت مشكلها بافصاح... فكثيراً ما



أراها ذريعة الغاصب، وحجة المغالب، وقر حقك عليك، وسبق بلا كد اليك، وإن ركنت من البيان إليها، ووقفت من الاحتجاج عليها كانت حجته بالبيئة أعلى، وكان بما يدعيه أولى، إن شاء الله" (١٩).

فهذا النص فيه تنبيه وتوجيه، ومخاطبه رجل غاصب لا ذريعة له أمام نور الحق بعد أن غصب واستغل ضيعة غيره.

ولابد للحق أن يعود لصاحبه بعد البيئة الواضحة والمطالبة الراجعة. فالتوازن مائل في العبارات والمفردات (جدته.. مدته) و(إفصاح... إيضاح) و(الغاصب... المغالب) و(عليك... إليك) و(إليها... عليها) و(أعلى... أولى)، فلموسيقى تكاد تلازم النص من بدايته إلى نهايته.

والتراكيب موزونة مترابطة، اختارلها المرسل ألفاظاً سهلة فصيحة متآخية بنسيج مترابط جميل وتلوين بلاغي مرهف. وبداية النص جميلة خبرية، المسند فيها فعل منفي مبني للمجهول ثم يأتي الشرط المتوازن الذي يتابعه الفعل الماضي المبني للمجهول ويتكرر عليه هذا البناء للمسند ثم يتوالى الفعل الماضي المرتبط بتاء المخاطب، بعدها تكون الكينونة بـ(كانت) مرة وبـ(كان) مرة أخرى نتيجة حاسمة للاحتجاج.

وإنك تلاحظ الطباق واضحاً في مفردتي (الحق.. الباطل) و(عليك.. إليك) و(إليها.. عليها)، إضافة لما في بعضها من جناس، وفي (الاحتجاج.. حجته) و(أعلى... أولى)، وجعل ابن يوسف للحجة يدا تزيل المشكل، كما جعل للحق أرجلاً يساق بواسطتها إلى صاحبه، فالحق لا يساق ولكنه يعطى، وهذا تشخيص بين.

وخاتمة ما مرّ، لابد أن أشير إلى إعراف أحمد بن يوسف في الكتابة، وقد درست كتابته من خلال رسائله الديوانية والإخوانية والتوقيعات وقمت بتحليلها أسلوباً.

وابن يوسف يجتزن معجماً لفظياً مشرقاً قد شغّ بظلاله عن أفكاره ومعانيه، وإن مسألة اختياره للألفاظ تتضح لدى المتلقي بكل وضوح، وكيف يستلّ اللفظة الملائمة من معجمه الواسع لتتجلى والنسق الصوتي الذي ينتظم الكلمات ليجعل منها نسيجاً قوياً مؤثراً. وهذا ما يبرهن ثراء المرسل من اللغة وتراكيبها وأساليبها وبلاغتها. وإن الإيقاع في نصوص هذا الكاتب يتصف بالتنوع

والتوازن مما أعان لغته على أداء المضمون بتنسيق موسيقي يهتف بألفاظ العذوبة والجزالة والرقّة ويمنح النفوس الأثر المتوهج والتوجيه الواعي. فتوازن العبارات والتعبير عن الحركة العاطفية مما له الحظ الأوفر من الموسيقى، وهي تنثال إليك مرسلّة بلا تصنّع ولا تعقيد تحمل صفة إعرافها ورقّة صياغتها.

### المبحث الرابع: آراء القدامى والمحدثين في رسائله

بعد أن قمت بجولة سريعة بين المصادر والمراجع التي وصلت إليها، لاحظت بعض الآراء والأحكام النقدية الآتية:

- ١- الحسن بن سهل (ت ٢٣٦هـ): ذكر ياقوت الحموي أن الحسن بن سهل قد اختار أحمد بن يوسف الكاتب لديوان الإنشاء (لصبره على الخدمة والإعراق في الكتابة، والحسن في البلاغة، وكثرة العلم) (٢٠).
- ٢- أبو بكر الصّولي (ت ٣٣٥هـ): قال فيه "هو معرق في الكتابة والشعر" (٢١).
- ٣- أبو الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ): فذكر الاصفهاني بأنه "كان الناس يشهدون لأحمد بن يوسف بالتقدم وبغلته الناس جميعاً وبحفظه وبلاغته وأدبه" (٢٢).
- ٤- ابن النديم (ت ٣٨٠هـ): وقد عدّه أحد بلغاء الناس العشرة (٢٣)، وانه من الكتاب المترسلين ممن دوّنت رساله (٢٤).
- ٥- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ): قال: "وأول من افتتح المكاتبه في التهاني بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف.." (٢٥).
- ٦- الثعالبي (ت ٤٢٩هـ): "أحمد بن يوسف.. كان مذهبه الترسلات والانشاء وله مكاتبات معروفة..." (٢٦).
- ٧- الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ): قال عنه "عالي الطبقة في البلاغة، ولم يكن في زمانه أكتب منه" (٢٧).
- ٨- الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ): قال: "كان من أفاضل كتّاب المأمون، وأذكاهم وأفطنهم وأجمعهم للمحاسن، وكان جيّد الكلام، فصيح اللسان، حسن اللفظ، مليح الخط..." (٢٨).

٩- أحمد فريد رفاعي (محدث): قال: "أما مكانته في الكتابة، فرسائله وتوقيعاته التي تحلّت بها صدور الادب، وتزيّنت بها كتب التاريخ، تجعله في مقدّمة الكتاب ومن أئمتهم، وهي بما فيها من جودة وإحكام، وتخير للألفاظ، وسلسلة في المعاني، تدلّ على أنه كان خصيب النفس، سريع الخاطر.." (٢٩).

١٠- محمد كرد علي (محدث): قال: "وطريقته في إنشائه الاعتماد على المرسل من الكلام، في طابع بريء من كل شائبة، خال من التعمّل، لا يعتمد إلى السّجع إلا في بعض التّحميدات" (٣٠).

١١- خير الدين الزركلي (محدث): قال فيه "وزير من كبار الكتاب... وكان فصيحاً، قويّ البديهة، يقول الشعر الجيّد، له ((رسائل مدوّنة)) (٣١).

١٢- د. شوقي ضيف (محدث): قال "وهو يعدّ في الذروة من كتاب الدواوين في العصر العباسي الأوّل، لبلاغته ودقّة تفكيره وحسن تأتّيه في الرسائل الديوانيّة السياسيّة والرسائل الاخوانية الشخصية" (٣٢).

### الهوامش

١- انظر في ترجمته: كتاب الوزراء والكتاب، للجهشياري / ٣٠٤ وأخبار الشعراء المحدثين، للصولي / ٢٠٦- ٢٣٦، والمنتحل لثعالبي، ٣٠٠، تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ج ٥/ ٢١٦- ٢١٨، والبداية والنهاية لابن كثير، ج ١/ ٢٦٩.

٢- أخبار الشعراء المحدثين، للصولي / ١٤٣، و(دُبا): موضع بظهر الحيرة، انظر: الروض المعطار للحميري / ٢٣٢.

٣- أخبار الشعراء المحدثين، للصولي / ١٤٤.

٤- معجم الأدباء لياقوت الحموي، ج ٥/ ١٦٢- ١٧٢.

٥- انظر هامش (١).

٦- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ج ٥/ ٢١٦.

٧- نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب، للجهشياري، جمع وتحقيق ميخائيل عواد /

٤٧- ٤٨، وطبقات الشعراء، لابن المعتز / ٢٨٠.

- ٨- كتاب الإمتاع والمؤانسة، للتوحيدي، ج٣/٨٠، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٣٨١-٣٨٢.
- ٩- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ج٥/٢١٦-٢١٧.
- ١٠- الوزراء والكتّاب، للجوشيارى/٣٨٥. وتاريخ الطبري، ج١٠/٢١٤، زهر الآداب للحصري، ج٢/٣٨، ومعجم الأدباء لياقوت ج٥/١٦٧، وجمهرة رسائل العرب، أحمد زكي صفوت، ج٣/٣٧٥-٣٧٧.
- ١١- الوزراء والكتّاب/٣٠٤، وزهر الآداب للحصري. ج٢/١٣٠، ومعجم الأدباء لياقوت. ج٥/١٦٧.
- ١٢- الوزراء والكتّاب/٣٠٤، أخبار الشعراء المحدثين/٢٠٦، معجم الأدباء ج٥/١٦٨، الوافي بالوفيات للصفدي ج٨/٢٨٠-٢٨٢، واعيان الشيعة محسن الأمين العاملي، ج١٠/٢٧٢.
- ١٣- كتاب الفهرست لابن النديم/١٤٠، وجمهرة رسائل العرب، ج٣/٣١٧-٣٣٤.
- ١٤- لم أجد المصدر الأصلي (المنظوم والمنثور)، ولكنني وجدت: جمهرة رسائل العرب لأحمد زكي صفوت.
- ١٥- انظر: ديوان المعاني: للعسكري، ج١/٩٥، كتاب خاص الخاص: للثعالبي/١٢٤، نثر النظم للثعالبي/١٥٤، كتاب البديع لابن المعتز/١٣، معجم الأباء، لياقوت ج٥/١٦٨ و١٨١، واعيان الشيعة، الامين العاملي. ج١٠/٣٦١.
- ١٦- اخبار الشعراء المحدثين - للصولي / ٢٣٣.
- ١٧- م.ن./٢٣٥.
- ١٨- م.ن./٢٣٠.
- ١٩- م.ن./٢٣٠.
- ٢٠- معجم الأدباء ج٥/١٦٣.
- ٢١- أخبار الشعراء المحدثين / ٢٠٦.
- ٢٢- الأغاني، ج١٠/١١٩.
- ٢٣- الفهرست / ١٤٠.
- ٢٤- م.ن./١٣٥.

- ٢٥- ديوان المعاني. ج ١/ ٩٥.  
٢٦- المنتحل / ٣٠٠.  
٢٧- زهر الآداب وثمر الألباب، ج ١/ ٤٣٥.  
٢٨- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج ٥/ ٢١٦.  
٢٩- عصر المأمون، م ١/ ٤٣٤.  
٣٠- أمراء البيان/ ١٩٦.  
٣١- الإعلام، ج ١/ ٢٧٢.  
٣٢- تاريخ الأدب العربي، ج ٣، (العصر العباسي الأول)/ ٥٤٣.

### المصادر والمراجع

- ١- أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق، لابي بكر الصولي، عني بنشره ج.هيورث، دن.  
٢، بيروت، دار المسيرة، ١٣٣٩هـ/ ١٩٧٩م.  
٢- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.  
٣- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي، دمشق، مطبعة ابن زيدون، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.  
٤- الأغاني، أبي الفرج الاصفهاني، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة (مصور عن طبعة دار الكتب)، (د، ت).  
٥- الامتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، تصحيح وضبط وشرح: أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د، ت).  
٦- أمراء البيان، محمد كرد علي، ط ٣، بيروت، دار الأمانة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.  
٧- البداية والنهاية في التاريخ، لابن كثير، القاهرة، مطبعة السعادة، (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م).  
٨- البديع، لابن المعتز، تح: المستشرق كراتشكوفسكي، دمشق، دار الحكمة، (د، ت).  
٩- تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، د. شوقي ضيف، ط ٨، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م.

- ١٠- تاريخ الرسل والملوك، للطبري، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م.
- ١١- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، للخطيب البغدادي، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، (د.ت).
- ١٢- جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، بيروت، المكتبة العلمية، (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).
- ١٣- خاص الخاص، للثعالبي، تقديم حسن الأمين، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٦م.
- ١٤- ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، القاهرة مكتبة القدس، ١٣٥٢هـ.
- ١٥- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تح: د، احسان عباس، ط٢، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.
- ١٦- زهر الآداب وثمر الألباب، للحصري القيرواني، تح: علي محمد البحايي، القاهرة دار احياء الكتب العربية، (١٣٧٢هـ/١٩٥٣م).
- ١٧- طبقات الشعراء لابن المعتز، تح: عبد الستار أحمد فراج، ط٤، القاهرة، المعارف، ١٩٨١م.
- ١٨- عصر المأمون، د. أحمد فريد رفاعي، ط٤، القاهرة، دار الكتب المصرية، (١٣٤٦هـ/١٩٨٢م).
- ١٩- الفهرست، لابن النديم، تح: رضا تجدد، طهران، مطبعة جامعة طهران، (١٣٩١هـ، ١٩٧١م).
- ٢٠- معجم الادباء، ياقوت الحموي، بيروت، دار المستشرق، (د.ت).
- ٢١- المتحل، للثعالبي، تح: أحمد أبو علي، الاسكندرية، المطبعة التجارية، (١٣١٩هـ/١٩٠١م).
- ٢٢- نثر النظم وحل العقد، للثعالبي، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠٣هـ.
- ٢٣- نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجهمياري، جمع وتحقيق ميخائيل عواد، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

٢٤. الوافي بالوفيات، للصفدي، باعتناء محمد يوسف نجم، بيروت، دار النشر، فرانز شتاينر، (١٣٩١هـ/١٩٧١م) ..

٢٥. الوزراء والكتّاب، للجهمشياري، تح: مصطفى السقا، ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ، شبلي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).





**ابن العميد**

**(ت ٣٦٠ هـ)**

**بين التسجيع والمزاوجة**

**د. فاروق محمود الحبوبي**

## ابن العميد (ت ٣٦٠هـ) بين التسجيح والمراوغة

### تمهيد ابن العميد:

هو أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب، والعميد لقب والده الذي كان وزيراً لمرادويج، وفي سنة ٣٢٨ هـ وزير ابن العميد لركن الدولة البويهية، وكان محل تقديره وثقته، وفي سنة ٣٥٩ هـ خرج على رأس جيش لقتال الزعيم الكردي حسنويه، ولكنه توفي في الطريق في صفر سنة ٣٦٠ هـ (١)، وكان ممن اشتهر من وزراء بني العباس بالبلاغة (٢).

ولم أجد من يذكر ولادته، إلا إن ابن الأثير الجزري قد ذكر عمره قائلاً: ((وكان عمر ابن العميد قد زاد على ستين سنة يسيراً)) (٣)، مما يؤكد لنا ولادته في نهاية القرن الثالث الهجري (٣٠٠ هـ) على وفق هذا الرأي.

وكان صاحب بن عباد قد سمي بالصاحب لأنه كان يصحب ابن العميد، وقد سأله مرة عن بغداد عن عودة صاحب من العراق، فقال: ((بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد)) (٤).

وكان ابن النديم (ت ٣٥٨ هـ؟) قد ذكر ابن العميد بأنه: ((أبو الفضل، وله من الكتب: كتاب ديوان رسائله، وكتاب المذهب في البلاغات)) (٥)، وحين أورد بلغاء الناس العشرة (٦) لم يذكره معهم، كما لم يذكر عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢ هـ) أيضاً في حين لم يورده مع أسماء البلغاء (٧) الذين أورد معهم عبد الحميد. ومن الجدير بالذكر أن المتنبي قد مدحه برأيته المشهورة:

باد هواك صبرت أم بعد تصبرا (٨) وبكاك ان لم يجر دمعك أو جرى  
لوعدنا إلى المصادر التي ذكرت أبا الفضل ابن العميد، لوجدناها تسهب في ذكر صفاته، وانه  
كان عالماً وأديباً، كاتباً شاعراً ومؤلفاً، حكيماً طویل الباع في الفلسفة والنجوم والميكانيكا (علم  
الحيل)، اضافة إلى كونه سياسياً محنكا ووزيراً، قاد الجيوش وفتح البلدان وقمع الفتن، اتمم  
بالعقل والحلم والكرم، فهو نجم لامع من نجوم القرن الرابع الهجري، والركن الركين الذي  
اعتمده بنو بويه في ادارة وسياسة أمور الدولة، كما ازدانت به صفحات تاريخ الأدب العربي..  
وهكذا رجل ذاع صيته، وتعددت امكاناته ومواهبه، ونمت شاعريته وكتابته باقتدار بلاغي  
محسوس، حتى وصلت رسائله الديوانية والاخوانية إلى مختلف الأمصار، وانتشر آثاره ومؤلفاته  
بين الدارسين والعلماء والمؤلفين، فنجد أن هذا الرجل الذي ذكرناه قد فقدت آثاره، وبخلت المظان  
علينا في إيراد رسائله وأخباره، ولولا بعض المصادر التي نقلت إلينا القليل من أخباره لضاع منا  
امام من أئمة الأدب في العصر العباسي.

### البحث الأول: آراء القدماء والمحدثين

والذي يهمنا أن نجد بعض كتب الأدب والتراجم تغدق عليه الآراء النقدية المختلفة، مما يدفعنا  
أن نتناول تلك الآراء بالاحاطة الممكنة من القدماء والمحدثين. وهذه طائفة منها:

- ١- ابن ثوبة (٩) (ت ٣٤٩هـ): قال: (أول من أفسد الكلام أبو الفضل، لأنه تخيل مذهب  
الجاحظ وظن أنه ان تبعه لحقه، وان تلاه ادركه، فوقع بعيداً من الجاحظ، قريباً من نفسه) (١٠).
- ٢- مسكويه (١١) (ت ٤٢١هـ): قال: (واما كتابته فمعروفة من رسائله المدونة، ومن كان  
مترسلاً لم يخف عليه علو طبقته فيها) (١٢).
- ٣- ابو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ): قال: (اوحده العصر في الكتابة، .. يدعى الجاحظ  
الأخير، والاستاذ، والرئيس، يضرب به المثل في البلاغة، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة  
والبراعة، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها، إلى براعة المعاني ونفاستها، ... وكان  
يقال: بدئت الكتابة بعد الحميد، وختمت بابن العميد) (١٣).

- ٤- ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ): قال: وكان أبو الفضل من محاسن الدنيا وقد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من حسن التدبير، وسياسة الملك، والكتابة التي أتى فيها بكل بديع (١٤).
- ٥- ابن خلّكان (ت ٦٨١هـ): قال: "وكان فيه فضل وأدب وله ترسل" (١٥)، وقال: "وأما الأدب والترسل فلم يقاربه أحد في زمانه، وكان يسمّى الجاحظ الثاني.. وكان يقال له الأستاذ" (١٦).
- ٦- القلقشندي (ت ٨٢١هـ): قال حين تحدّث عن حسن الافتتاح في المكاتبات: "ان يكون الحسن فيه راجعاً إلى ما يوجب التحسين: من سهولة اللفظ وصحة السبك، ووضوح المعنى، وتجنب الحشو، وغير ذلك من موجبات التحسين، كما كتب الأستاذ أبو الفضل بن العميد عن ركن الدولة بن بويه، إلى من عصى عليه، مفتتحاً كتابه بقوله "كتابي إليك" و"أنا متردد.." (١٧).
- ٧- ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ): قال "كان آية في الترسل والإنشاء" (١٨).
- ٨- أحمد حسن الزيّات (محدث): قال "كان أرقّ معاصرة طبعاً، وأقلّهم سجّعاً، وأكثرهم نثراً للشعر وتلميحاً للأمثال.. وكان ابن العميد متفنناً في فنون الكتابة، متفوقاً في ضروب الرسائل.." (١٩).
- ٩- خليل مردم (محدث): قال "ان الأدب في نظر ابن العميد ضرب من ضروب التسلية والتلهي والترفيه وازدهار البراعة والغلو والاغراق والبعد عن الحقيقة في التصوير والامعان في التزييق" (٢٠).
- ١٠- د. شوقي ضيف (محدث): قال "إن ابن العميد هو استاذ مذهب التصنيع بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، لأنه أول كاتب - فيما نعرف - احتكم إلى السجع في كتابته، كما احتكم إلى البديع من جناس وطباق وتصوير، وقد هيأه لذلك أنه كان ذا عين تصويرية.." (٢١).
- ١١- د. زكي مبارك (محدث): قال "فإننا حين نقرأ نثره نجد أنفسنا أمام عظمة عقلية يخر لها الجبابر ساجدين... فليست الكتابة عند ابن العميد زخرفاً براقاً يلهو به ولا ثروة لغوية يكثر بها الكتاب، ولكن الكتابة عنده ثورة عقلية أو وجدانية... وقد يرق فتحسب نثره نجوى حبيبين في هدأة الليل، وهو في رقيه وجزالته وغضبه وحنانه عبقرية.." (٢٢).
- ١٢- محمد كرد علي (محدث): قال "كان إلى التسجيع والمزاجة أقرب" (٢٣).

ومن هذه الآراء نتبين أن ابن ثوابة من القدامى و خليل مردم من المحدثين ، كانا يريان خلاف ما كلان يراه جمهور النقاد والأدباء في ابن العميد ، لأنهما لم يقوما بالتحليل الدقيق لرسائله كي يتوصلاً إلى الحقيقة الناصعة ، فهذا تراث انساني وحرام على الإنسان أن يضيع عمل غيره بالحق أو بالرأي المتجني ، واجدني غير مقتنع بمعظم آراء نقادنا المحدثين الذين من الضروري ان يكون رائدهم التحليل الدقيق والتفكيك المحدث للنصوص واستخدام الأساليب الحديثة للوصول إلى الحقائق وجواهرها ، من خلال القراءات النقدية الدقيقة.

### المبحث الثاني: رسائله الديوانية

وبهذا فسأختار رسالة مشهورة من رسائله الديوانية الثابتة المؤكدة ، ثم أقوم بتحليلها أسلوباً وحواراً وإيقاعاً وتركيباً وفناً بلاغياً رفيعاً ، لأصل إلى الحقيقة موقعياً.. تلك هي الرسالة التي ذكرها الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في تيمته.

### رسالة ابن العميد إلى ابن بلكان ونداد ليستعيده إلى طاعة ركن الدولة:

قال : (٢٤) "كتابي ، وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك ، وإقبال عليك ، واعراض عنك ، فإنك تدل بسابق حرمة ، وتمت بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعايةً ويقتضي محافظةً وعناية ، ثم تشفعهما بمحادث غلول وخيانة ، وتتبعهما بأنف خلاف ومعصية وأدنى ذلك يحبط أعمالك ويمحق كل ما يرعى لك. لا جرم أنني وقفت بين ميل إليك ، وميل عليك ، أقدم رجلاً لصدك ، وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك ، وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ضناً بالنعمة عندك ، ومنافسة في الصنعة لديك ، وتأميلاً لفيأتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء ، وكان غمرة فإلى انجلاء.

وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك فلا بدع أن تأتي من احسانك بما لا ترتقبه أعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت ، واخترت ما اخترت فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت وسوء ما آثرت.

وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح ، وعلى الاستبطاء والمطاولة ما أمكن ، طمعاً في انابتك ، وتحكماً لحسن الظن بك ، فلست أعدم فيما أظاهره من إعذار وأرادفه من إنذار احتجاجاً عليك ، واستدراجاً لك ، فان يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسددك : فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وزعمت أنك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها ، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها ، وحلبت شطريها ، فنشدتك الله لما صدفت عما سألتك ، كيف وجدت ما زلت عنه ، وكيف تجد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأول في ظلّ ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء عدي ، وماء روي ، ومهاد وطى ، وكنّ كنين ، ومكان مكين ، وحصن حصين ، يقيك المتالف ، ويؤمنك المخاوف ، ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحداث ؟

عززت به بعد الذلّة ، وكثرت بعد القلّة ، وارتفعت بعد الضّعة ، وايسرت بعد العسرة ، وأثريت بعد المتربة ، واتسعت بعد الضيقة ، وظفرت بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطئ عقبيك الرجال ، وتعلّقت بك الآمال ، وصرت تكاثر ويكاثر بك ، وتشير ويشار إليك ، ويذكر على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكرك ، ففيم الآن أنت من الأمر ، وما العوض عمّا عددت ، والخلف مما وصفت ، وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونفضت منها كفّك ، وغمست في خلافها يدك ، وما الذي أظلك بعد انحسار ظلّها عنك ؟ أظلّ ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ، قل نعم كذلك ، فهو والله أكتف ظلالك في العاجلة ، وأرواحها في الآجلة ، ان اقمتم على المحايدة والعنود ، ووقفت على المشاقة والجحود .

تأمل حالك وقد بلغت هذا الفضل من كتابي فستكرها ، وألمس جسّدك وانظر هل يحسّ ؟ وأجسس عرقك هل ينبض ؟ وفتشّ ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك ، وهل حلي بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، أو موت مريح ؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده وآخر شأنك بأوله ..

### التحليل:

أ - أسلوب الحوار في الرسالة : استخدم ابن العميد أسلوباً نفسياً بليغاً في رسالته هذه ، فوصف نفسه بأنه متردد بين حالين من الإيجاب والسلب في إمكان عودة (ابن بلكان ونداد خورشيد) إلى طاعة ركن الدولة ، فقدم امكانية الإيجاب في الطمع ، على السلب في اليأس ، والإقبال على

الإعراض، معللاً ذلك بما كان بينه وبين ركن الدولة من التوثق والمحبة الحميمة والصلة والقرب من سالف الدهر: "وأنا مترجّح بين طمع فيك ويأس منك...".

ومن خلال هذه الطريقة النفسية في المعالجة يبدأ بالتغلغل في مخيلة المخاطب، واصفاً ما له من رصيد من الأعمال والرعاية لدى ركن الدولة، ثم يصفه بالخروج والعصيان ذاكراً له ميله إليه أكثر مما عليه، مكرراً له مفردات الترغيب والترهيب: "لاجرم إني وقفت بين ميل إليك، وميل عليك...، وتأميلاً لفيأتك وانصرافك، ورجاء لمراجعتك وانعطافك"، ومؤكداً له إمكانية عودة المياه إلى مجاريها: "ويضاع الرأي ثم يستدرك...، ويكدر الماء ثم يصفو"، وتناسي ما صنعت به الغفلة من القبح والسوء: "فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها...".

ويؤكد ابن العميد صرامته على الصلح والإنابة وحسن الظن بالمرسل إليه بين الإعذار والإنذار، موضحاً استدراجه له وداعياً له من الله أن يرشده ويسدده: "فإن يشأ الله يرشدك، و...، ومذكراً بتلك الأيام الهائلة: "كيف وجدت مازلت عنه، وكيف...؟".

ثم يحاول بأسلوبه النفسي أن يجر (ابن بلكا) إلى الوراء تارة ويتقدم به إلى الأمام أخرى، مقارناً حاله قبل تعرفه بركن الدولة وما حصده خلال معرفته به من العز، الكثرة، الإرتفاع، اليسر، الثراء، السعة، الظفر، الأمر والنهي، ذبوع الصيت، والذكر الحسن، بعد أن يعيده بهذه المفردات المؤثرة التي فقدوها (ابن بلكا)، ويلبسها له بشكل قشيب وفعل تتخلله الأناة والدقة والصبر على تحمل الموقف، ويجعل منه ذلك الشخص الذي وكأنه في مكانه الحقيقي مع صاحبه ركن الدولة.

وحينئذ فاجأه بالاستفهام عما أخرجه من الطاعة وأدخله في العصيان، وهو لا يزال تحت تأثير ذلك التنويم المغناطيسي الذي أجراه له ابن العميد بأسلوبه السحري العجيب، ثم أمره بأن يعود إلى رشده، وأن يختار بين الحياة والموت: "وهل حلي بصدرك أن تظفر بفوت سريح، أو موت مريح؟".

لقد انغمس ابن العميد في نفسية المخاطب وتوجّس أحاسيسه وما يمكن أن يؤثره في خلجات قلبه من تفاعل بناء، فكانت عباراته معادلات مؤشاة ومغناة انتجت أثرها الفعّال والإيجابي، مما دفعت بالمخاطب أن يتراجع عن موقفه ويعود لمصافحة كنف ركن الدولة وطاعته.

وقال ابن بلكا: والله ماكانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس ، ولقد ناب كتابه عن الكتاب في عرك أديمي واستصلاحي ، وردّي إلى طاعة صاحبه " (٢٥).

ولذلك كانت الجمل المترادفة المتناغمة لابن العميد تمثّل تفنّناً راقياً في التعبير ، يعمل على الترويح عن النفس ، ويغمرها بوشي الازدواج والسجع والمعتدل.

ب - الإيقاع في النص : وحين تقرأ الرسالة تجد النبر الصوتي المتناغم والمنسجم يشيع فيها ، فالمفردات تتناهل عبر ميزان : (اقبال وإعراض) على وزن إفعال ، (سابق وسالف) على وزن فاعل ، (استبقاء واستصلاح) على وزن استفعال ، و(انصراف وانعطاف) على وزن انفعال ، وهكذا تجد أن المفردة تختار بالتوازي مع المفردة التي تقابلها في موقعها من العبارة الأخرى ، فهناك نظام متناسق لأبنية المفردات ضمن العبارة والفقرة ، ثم تصب العبارات في ازدواج أو توازن تتعادل خلاله العبارة مع العبارة موسيقياً : "فإنك تدلّ بسابق حرمة ، وتمتّ بسالف خدمه ، أيسرهما يوجب رعاية ويقتضي محافظة وعناية" و"فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب" فنجد هذا الازدواج بين عبارة وعبارة مستخدماً المفردات المسجعة : "حرمة وخدمه ، رعاية وعناية ، يؤوب ويثوب" ، وهذا السجع المتوازن معتدل وغير مقيد ، ويكاد قصر العبارات والفقرات أن يكون الميزة العامة في الرسالة ، مما يمنح ذلك النبر الصوتي المتقارب في تقطيع الجمل.

ان الإيقاع واضح في التوازن المتناغم ، فقد يتقارب ، كما في : "ظل ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بلبل ، وهواء عديّ ، وماء روي ، ومهاد وطيّ وكنّ كنين ، ومكان مكين ، وحصن حصين ، يقيك المتألف ، ويؤمنك المخاوف ، ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدثان" ، فقد لاحظت البراعة في التقاط النغمة التي تتقارب ثلاثية في : "ظليل ، عليل ، وبلبل ،" ، "عدتي ، روي ، ووطي" و"كنين ، مكين ، وحصين" ، وسرعان ما تتحول إلى نغمة ثنائية ، كما في "المتألف والمخاوف" ، و"الزمان والحدثان" إن هذه الظاهرة الموسيقية كانت غير متكلّفة في هذه الرسالة ، بحيث جعلت من انسجام ألحانها وترباط ألوانها قطعة فنية رائعة.

ج - البراعة في التركيب : استخدم ابن العميد الزمن في النص بكامل انساقه ، منطلقاً من المضارع - الحاضر المعاش وما فيه - "وأنا مترجّح بين طمع فيك... فإنك تدلّ..." إلى الماضي مذكراً... بسابق حرمة ، وتمتّ بسالف خدمه" ثم إلى المستقبل موجهاً ومتمنياً : "وأثني ثانية لاستبقتك



واستصلاحك"، "وسأقيم... في الإبقاء..."، وهذا أسلوب وفق فيه الكاتب في بلورة أفكاره ضمن انساق كل تحول من التحولات التي حدثت في أثناء النص، وضمن تحولات الفعل الذي عاشه المرسل إليه أيضاً.

كما برزت براعة متناهية في حسن استخدام حروف الجر: "طمع فيك، يأس منك، إقبال عليك، إعراض عنك، ... بسابق..."، وهذا يدل على معرفة غريزة في اللغة، يستخدم فيها تلك الحروف بمهارة ودقة.

د - الفنون البلاغية في النص: ولو عدنا إلى قراءة نص الرسالة قراءة نقدية فاحصة، تجلّت لنا بلاغة الحس عند ابن العميد، فهو يمتلك من صفاء الذهن ورقة المشاعر وفنية التلوين والمقدرة الفائقة في التركيب والانزياح ما يجعلنا نتحسس مواقع الضربة في النسج البليغ. ويمكننا أن نختار بعضاً من تلك الوجوه البلاغية، فإنه يمعن في استخدام الطباق بشكل شائع في هذه الرسالة، فيكاد يكون الفن الأكثر استخداماً بين الوجوه الأخرى للبلاغة، ففي الفقرة الأولى من الرسالة: "فقد يغرب العقل ثم يؤوب، يعزب.. يثوب، يذهب... يعود، يفسد... يصلح، يضاع... يستدرك، يسكر... يصحو، يكدر... يصفو، الضيق والرخاء، الغمرة والانجلاء". وهذا هو الترادف والأطناب بعينه، كما الطباق أيضاً.

كما ذكر الطباق في الفقرة الخامسة: "العز والذلة، الكثرة والقلة، الارتفاع والضعف، اليسر والعسر، الإثراء والمترية، السعة والضيق".

فقد جمع بين كل لفظين متقابلين متضادين في المعنى، فعلى كانا أم اسمين، وهذا التقابل في المعنى قد زاد الخطاب حسناً.

أما الجناس، فقد استخدمه بشكل ملف للنظر، كما في الفقرة الرابعة: "في ظل ظليل.. وكنّ كنين، ومكان مكين، وحصن حصين"، وكذلك في الفقرة الخامسة أيضاً: "وصرت تكاثر ويكاثر بك، وتشير ويشار إليك"، وهذا من جناس الاشتقاق، وهو من المحسنات اللفظية.

وأما السجع، فقد استخدمه الكاتب بشكل غير مقيّد، ففي الفقرة الأولى وردت المفردات: "حرمة وخدمه، رعايه وعنايه، ورخاء وانجلاء" وفي الفقرة الثالثة وردت المفردات "إعذار وإنذار، تقدير وجدير"، كما وردت مفردات مسجعة في الفقرة الرابعة بشكل واضح: "ظليل، عليل،

وبيليل... بين ثلاثية وثنائية، كما وردت ثنائية في الفقرة الخامسة "شعب ولهب، عنود وجحود"، والسجع من المحسنات اللفظية أيضاً.

ومن وجوه البديع الواردة في الرسالة، فقد شاع الترصيع، فمنه ما كان فيه توازن في الألفاظ مع توافق في الإعجاز، نحو: "يغرب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم يثوب" و"على المنابر اسمك، وفي المحاضر ذكرك" وهو محسن لفظي أيضاً.

ولو أردنا إيضاح مواقع البيان في هذه الرسالة، لوجدنا المجاز يطرز فقراتها، ففي عبارات من الفقرة الرابعة: "أنك في طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها، وحلبت شطريها"، فابن العميد قد صور لنا الطاعة بصورة حيوان حلوب وليكن البقرة، وكيف يكون الإنسان البعيد من حليبيها بعد أن كان غارقاً في كرمها وعطائها، وقد ذاكه في هاتين الحالتين من الجوع والشبع، ثم ذكره كيف كان يحلب ضرعيها، إذ جعل للطاعة أئداء كما هي أئداء البقرة. فهذا التشبيه الجميل للبالغ للطاعة هو الاستعارة المكنية، فشبه الطاعة بالبقرة، واستعار البقرة للطاعة وحذفها ورمز إليها بشيء من لوازمها وهي الأئدية التي حلبها، وهذه هي القرينة عليها، مما أوهمنا في تصوير الطاعة بالبقرة التي اخترع لها صورة الأئدية التي تعطي الحليب، وحينئذ تكون لفظة (الأئدية) التي تحلب (استعارة تخيلية) لأن المستعار له وهو (حلبت شطريها) أي أئدائها صورة تخيلية وهمية.

وفي الفقرة الخامسة وردت عبارة "وما الذي اظلك بعد انحسار ظلها عنك؟"، إذ جعل الكاتب للطاعة مظلة يستظل بها الآخرون، والحق بها ملاءة تسع وتنحسر، فهذه الملاءة وهذا الظل هما صورة وهمية تشبه نجاعة الطاعة، وما تمنحه لشخص المطيع من منافع ومكارم، وهذه استعارة مكنية تفيد التخيل.

كما وردت الكناية في "ظل ظليل..."، للدلالة على العيش الحر الكريم المرقه، وكذلك عبارة "نفضت منها كفك، وغمست في خلافيها يدك"، فجعل الطاعة أمراً محسوساً ونفض كفّه منها: كناية عن تركها، وإعلان العصيان الذي هو خلاف الطاعة ليجعل منه سائلاً يغمس فيه يده، وهذه كناية أيضاً.

ويضاف إلى ذلك ما في الرسالة من اقتباس من القرآن: ".. شعب.. الذهب"، ومن تضمين للأمثال والحكم: "وكل ضيقة...، وكل غمرة..."، ان ابن العميد قد تأثر بأسلوب الجاحظ، ولكنه تحاشى منه استطراده وعدم ترابط بعض معانيه، فخدم أبو الفضل في كتابته ترابط وتماسك عباراته، وجعلها محكمة متجانسة، كما أخذ من سبقه من كتّاب ديوان الإنشاء السجع ولكن دون تقيد، كما كان لثقافته واستعداده الذاتي من تقسيم وتقطيع عباراته على فقر قصار مزدوجة ومتوازنة، وبمفردات متوافقة، وبناية فائقة بتصوير المعنى وتقريبه للحس مستعيناً على ذلك بكثير من التشبيهات وبمختلف أنواع البديع.

وخلاصة القول، فإن طريقة ابن العميد هي النثر البديعي المسجع المعتدل.. وخير ما نختتم به هذا التحليل المتواضع أن تذكر رأي الثعالبي إذ قال: "وقد أجمع أهل البصرة في الترسّل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه، وواسطة عقده، وماظنك بأجود كلام، لا بلغ إمام" (٢٦).

### المبحث الثالث: رسائله الإخوانية

كتب ابن العميد الرسائل الديوانية، كما كتب الرسائل الإخوانية، علماً أنهما تختلفان من حيث البناء والهندسة واختيار الألفاظ والاهتمام بالدلالة والتصوير والتلوين والفن والمساحة المواخاة طلولاً وعرضاً ومحوراً وامتناً.

ورسائله تضمها كتب التاريخ والتراجم والأدب، وقد ضاع معظمها كما تذكر لنا كتب الفهارس وقد تناولنا القسم الأول منها (الديوانية) بمثال؛ وحللناه تفصيلياً وخرجنا بنتائج تختلف فيها مع بعض النقاد والدارسين.

وهنا نحن الآن نتناول القسم الثاني من رسائله؛ ذلك هو (الرسائل الإخوانية)، إذ أفادنا الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ) بإيراد بعض منها في زهر أدبه. ونختار الرسالة الآتية التي كتبها ابن العميد إلى بعض أخوانه؛ قائلاً:

(أنا أشكو إليك جعلني الله فداك دهرًا خَوْفًا غدورًا، وزمانًا خدوعًا غرورًا، لا يمنح ما يمنح الا ريث ما ينتزع، ولا يبقي فيهما يهب الا ريث ما يرتجع، يبدو خيرهُ لمعاً ثم ينقطع، ويحلو ماؤه

جرعاً ثم يمتنع. وكانت منه شيمة مألوفة، وسجية معروفة، أن يشفع ما يبرمه بقرب انتقاض، ويهدي لما ييسطه وشك انقباض، وكنا نلبسه على ما شرط، وإن خاف منه وقسط، ونرضى على الرغم بحكمه، ونستتم بقصده وظلمه، ونعتد من أسباب المسرة أن لا يجيء محذوره مصمتاً بلا انفراج، ولا يأتي مكروهه صرفاً بلا مزاج، ونتعلل بما نختلسه من غفلاته، ونسترقه من ساعاته، وقد استحدث غير ما عرفناه سنة مبتدعة، وشريعة متبعة، وأعد لكل صالحة من الفساد حالاً، وقرن لكل خلة من المكروه خللاً.

وبيان ذلك جعلني الله فداك أنه كان يقنع من معارضته الإلفين بتفريق ذات البين، فقد إنثنى ممنواً فيك بجميع ما أوغره، وما أطويه من البلوى منك أكثر مما أنشره، وأحسبني قد ظلمت الدهر بسوء الثناء عليه، وألزمته جرماً لم يكن قدره بما يحيط به وقدرته ترتقي إليه، ولو أنك أعنته وظاهرته، وقصدت صرفه وازرته، وبعثني بيع الخلق وليس فيمن زاد، ولكن فيمن نقص، ثم أعرضت عني إعراض غير مراجع، وأطرحتي أطراح غير مجامل، فهلا وجدت نفسك أهلاً للجميل حين لم تجدني هناك، وأنفذت من حل ما عقدت من غير جريمة، ونكت ما عهدت من غير جريرة. فأجبنني عن واحدة منها.

ما هذا التغالي بنفسك، والتغالي على صديقك، ولم نبذتني نبذ النواة، وطرحتي طرح القذاة؟ ولم تلفظني من فيك، وتمجني من حلقك، وأنا الحلال الحلو، والبارد العذب؟ وكيف لا تخطرنني بالأك خطر، وتصيرني من أشغالك مرة، فترسل سلاماً إن لم تتجشم مكاتبة، وتذكرني فيمن تذكر إن لم تكن مخاطبة؟ وأحسب كتابي سيرد عليك فتكره حتى تثبت ولا تجمع بين اسم كاتبه وتصور شخصه حتى تذكر: فقد صرت عندك ممن محال النسيان صورته من صدرك، واسمه من صحيفة حفظك، ولعلك تتعجب من طمعي فيك وقد توليت، وإستمالي لك وقد أبيت، ولا عجب فقد يتفجر الصخر بالماء الزلال، ويلين من هو أقسى منك قلباً فيعود إلى الوصال). (٢٧)

### التحليل:

لغرض الولوج إلى جو هذا النص الثري، فلا بد من قراءة نفحص فيها أفكار النص التي ينتظمها بناؤه وتتميز فيه هندسته، ونحن إذ نتلمس الغرض واضحاً وهو العتاب والشكوك. نجد

الرسالة خطاباً مباشراً بين المرسل والمتلقي، ذاكراً غدر الزمان وانتزاعه وقصر عمر لمعانة وشدة ظلمه عند حكمه ونزول دواهيته.

وأشار ابن العميد إلى إعراض صاحبه عنه بلا سبب ولا جريمة، طالبا منه الإجابة فيما ذكره في الرسالة من صور العتاب، معتبراً صديقه مغاليا بنفسه ومتعالياً على زميله، متمنياً أن تعود المياه إلى مجاريها، ويعود القلب القاسي إلى الوصال. فنلاحظ هندسة وتتبعاً في النص، لأن أفكاره تسير في نسق من الترتيب والتطبيع مما يؤدي ويصب في الجانب الإيجابي المطلوب وهو التثام الجروح والعودة للوصال.

وهو يبتدئ رسالته بشكواه دهره المخيف ويتوسط ذلك القول جملة اعتراضية (جعلني الله فداك)، واصفا الأثر السلبي الذي يتركه خداع الزمان وغروره، ويأتي إلينا بفقرة جديدة يقول في بدايتها (وبيان ذلك جعلني الله فداك...) ليبين لنا من هو ذلك الزمان المشخص ويكرر جملة الاعتراضية، ثم يدخل علينا بفقرته الثالثة وهي عبارة عن بنية من الاسئلة والاستفسارات، وعلامات التعجب ب: ما ولم، وكيف؟ ثم يخاطبه بقوله: ولعلك تتعجب من طمعي فيك... إذ أنا الحوار واضح في العبارة ثم يأتي الجواب من القلب ليقول فيه: (ولا عجب...) فينطق بالعبارة التي يرغب فيها ويرتضيها في سمة الوصال.

وإذا ما أردنا أن نتناول اختيار الجمل والألفاظ، قال: (دهراً خَوْفاً غدوراً) وقال (زماناً خدوعاً غروراً) تلاحظ الموازنة والمزاوجة في العبارتين، وكأنك تعيش أمام صورة من الوزن بمفردات تخضع لنظام من الاختيار الدقيق لثلاثيتين من المزاوجة في الحروف والكلمات والصوت والإيقاع. وكذلك في عبارتي (... الارث ما ينتزع) و(... الارث ما يرتجع). والحالة هذه كتلك مزاوجة لثلاثيتين تركيباً وإيقاعاً. وكذا الحال في العبارتين: (يبدو خيره لمعاً ثم ينقطع) و(يخلو ماؤه جرعاً ثم يمتنع). فهاتان حماسيتان من المزاوجة والتقابل وزناً وتركيباً، فالفعل المضارع (يبدو) يقابل الفعل المضارع (يخلو). وإن مفردة (خيره) تقابل مفردة (ماؤه) من حيث الإسم والإضافة للضمير، وكذلك تقابل مفردتي (لمعاً) و(جرعاً). ثم التساوي التام ب (ثم). وبعد ذلك يأتي تأثير الفعل المضارع (ينقطع) مقابلاً للفعل المضارع (يمنتع).

ثم تأتي الثنائيات (شيمة مألوفة) و(سجية معروفة). وكذلك المفردتان (انتقاض) و(انقباض)، والمفردتان: (شرط) و(قسط). وكذا (حكمه) و(ظلمه). و(بلا انفراج) و(بلا مزاج). و(غفلاته) و(ساعاته). و(مبتدعة) و(متبعة) والمفردتان (حالا) و(خلالاً). فهي تارة مزوجة في المصدر أو الفعل أو الإسم المضاف للضمير أو الصفة والسجع ظاهر قصير الفقرات. أما حالاً وخلالاً فهو سجع المفعولية.

ثم يجري في الفقرتين الثانية والثالثة ليمزج السجع بغيره. فقد تحرر من السجع في الفقرة الثانية، وعاوده في الثالثة سائراً فيه إلى نهاية الرسالة: (الزلال) و(الوصال).

هكذا كان اختيار الألفاظ عند ابن العميد وما رافق ذلك من تسجيع ومزاوجة. وعما ذكره هذا الكاتب من ترادف، نجد: دهرًا وزمانًا، ينتزع ويرتجع، ينقطع ويمتنع، شيمة وسجية، يمنح ويهب، ويحلو والحلو، نختلسه ونسترقه، سنة وشريعة، أعنته وآزرتة، إعراض واطراح، جريمة وجريرة، نبذتني وطرحتني، نبذ وطرح، نبذتني ولفظتني، من فيك ومن حلقك. فهو يريد أن يؤكد الأحداث والعبارات دون تكرار للألفاظ، ولذلك نجده يستخدم الترادف المؤدي الجميل.

وإذا ما فتشنا عن البديع البلاغي، فإننا نجده في فن الطباق، في مفردات: يمنح وينتزع، يهب ويرتجع، الصلاح والفساد، أطوبة وأنشره، زاد ونقيض النسيان والتذكر، اللين والقسوة.. وهذا الطباق المتنوع المختلف يبرز الصورة الإيجابية للفكرة ثم يعرض ما يتناقضها ليجعل المتلقي بين اختيارين أحدهما حلو والآخر مر، ولا بد من اختبار الأصوب.

وإذا ما تحولنا إلى فن الجناس، فنجد في: خلة وخاللا، بعثني وبيع، أعرضت وأعراض، أطرحتني وأطرح، نبذتني ونبذ، وطرحتني وطرح، كتابي وكاتبه ومكاتبته، تذكرني وتذكر، تتعجب وعجب، وتخطرني وخطرة.

وإذا ما استوضحنا عن البيان في هذه الرسالة وجدنا شيئاً من المجاز والاستعارة والتشبيه غير المباشر.

فمن المجاز، قال ابن العميد: (أشكو دهرًا...)؛ فالشكوى لا تقدم ضد الدهر؛ وإنما ضد الإنسان الغادر الخدوع المغرور. وهذا الدهر ليس له خير أو ماء؛ وإنما هو المجاز في الاستخدام. وقال: (لا يمنح ما يمنح...) وهذا تشخيص. كما جعل للدهر شيمًا وسجايًا مثل ما هو لدى الناس،

وجعله يشفع ويعطي ويهدي ويحكم ويظلم. وهذا من التشخيص، وجعل له غفلات تختلس وساعات تسترق، وكل هذا طبيعة صامتة ثم تحويلها من أمور معنوية إلى أشياء مادية يمكن لمسها ونقلها واختلاصها واستراقتها. وهذا تشخيص بلاغي.

وجعل البلوى تطوى كما تطوى المزادة، وقال: (ظلمت الدهر) و(الزمته جرماً...) فحوله إلى إنسان مجرم وجان، وقال: (وبعتني) في مخاطبة صاحبه والإنسان لا يباع، وهذه كناية عن الترك والقطيعة، وكذلك الحال في عبارات: (تلفظني من فيك) و(تمجني من حلقك) و(محا النسيان صورته...).

فتشخيص المعنوي: (يتفجر الصخر بالماء الزلال) و(يلين من هو أقسى منك قلباً)، أي يلين الإنسان الجاف المليء بالجفاء.

وهناك صور تخدم افكار النص، ومنها: صورة اللمعان سريع الانقطاع، وصورة المزادة التي تطوى، وبيع الخلق، ونبذ النواة، وطرح القذاة، واللفظ من الفم أو الحلق، وتفجر الصخر بالماء الزلال.

وهذا التشخيص وتلك الصور؛ إنما هي نابعة من العاطفة الصادقة التي هي صدى لأفكار المرسل، وهي برمتها صور خيالية غير متكلفة، كما أنها متجانسة متألفة وقد انتقاها ابن العميد من الواقع للتعبير عن تجربته؛ فما أثارت ألواناً من العواطف؛ مما دعاها أن تكون أكثر قدرة على التعبير.

### الهوامش

١. أنظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير. ج ٣٧/٧ - ٣٨، وفيات الأعيان، لابن خلكان. ج ١٠٤/٥، نهاية الأرب - للنويري. ج ١١٢/٣، معاهد التنصيص العباسي. ج ١١٥/٢ - ١٢٤، ودائرة المعارف الإسلامية - (النسخة العربية)، م ٣٥٤ - ٣٥٥.
٢. صبح الأعشى، للقلقشندي، ج ٩٣/١.
٣. الكامل في التاريخ، ج ٣٧/٧.
٤. يتيمة الدهر، للثعالبي، ج ١٥٨/٣، وفيات الأعيان، لابن خلكان، ج ١٧/١.

٥. الفهرست لابن النديم / ١٤٩.
٦. (م.ن.) / ١٤٠.
٧. (م.ن.) / ١٣٩.
٨. وفيات الأعيان. ج ٥/ ١٠٤ - ١٠٥، وبيمة الدهر، ج ٣/ ١٦٠ - ١٦١.
٩. هو: أحمد بن محمد بن ثوابه، من كبار المنشئين في العصر العباسي، وكان كاتب ديوان الرسائل لمعز الدولة (أحمد بن بويه) قبل أن يليه ابراهيم الصابئ، أنظر: النجوم الزاهرة، للأتابكي. ج ٣/ ٣٢٤ والأعلام، للزركلي، ج ١/ ٢٠٠.
١٠. الامتاع والمؤانسة، للتوحيدي، ج ١/ ٦٦.
١١. كان قيماً على خزانة كتب ابن العميد؛ وقد صحبه فترة طويلة، أنظر: الامتاع والمؤانسة، ج ١/ ٣٢، ٣٥.
١٢. تجارب الأمم، مسكويه، ج ٢/ ٢٧٧.
١٣. بيمة الدهر، للشعالبي، ج ٣/ ١٥٨.
١٤. الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ج ٧/ ٣٧ - ٣٨.
١٥. وفيات الأعيان وأبناء الزمان. ج ٥/ ١٠٣.
١٦. (م.ن.)، ج ٥/ ١٠٤.
١٧. صبح الأعشى، ج ٥/ ٢٧٥.
١٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٣/ ٣١.
١٩. تاريخ الأدب العربي، للزيات، / ٢٣٥.
٢٠. ابن العميد. / ٤٨.
٢١. الفن ومذاهبه في النثر العربي، / ٢٠٩.
٢٢. النثر الفني في القرن الرابع، ج ٢/ ٢٤٥ - ٢٤٦.
٢٣. أمراء البيان، / ٥٠٨.
٢٤. بيمة الدهر للشعالبي، ج ٣/ ١٦٧ - ١٦٨. وقد نقل هذه الرسالة الأستاذ أنيس المقدسي؛ دون تحليل، أنظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، ط ٣/ ٢٥٧ - ٢٦٠.



٢٥. يتيمة الدهر، للثعالبي، ج ٣/ ١٦٩.
٢٦. يتيمة الدهر، ج ٣/ ١٦٦.
٢٧. زهر الآداب، للحصري القيرواني، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٥، ج ٢/ ٢٤٤.

### المصادر والمراجع:

١. ابن العميد، خليل مردم، دمشق، مكتبة عرفة، ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.
٢. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.
٣. الامتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي تصحيح وضبط وشرح: أحمد أمين وأحمد الزين، بيروت، مكتبة الحياة، (١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م).
٤. أمراء البيان، محمد كرد علي، ط ٣، بيروت، دار الأمانة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
٥. تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ط ٢٦، بيروت، دار الثقافة، (د.ت.).
٦. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أحمد بن محمد مسكويه، القاهرة، (د.ن.)، ١٩١٦م.
٧. تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي، ط ٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٥م.
٨. دائرة المعارف الإسلامية، اعداد وتحرير: ابراهيم زكي خورشيد واخرين. القاهرة، مطابع الشعب، ١٩٦٩م.
٩. زهر الآداب، الحصري القيرواني، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٥م.
١٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م - ١٤٠٩هـ.
١١. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م).
١٢. الفن ومذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف. ط ٦ القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م.

١٣. الفهرست، لابن النديم، تح: رضا تجدد، طهران، مطبعة جامعة طهران، ١٩٧١م - ١٣٩١هـ.
١٤. الكامل في التاريخ: لابن الأثير الجزري، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
١٥. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، عالم الكتب، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.
١٦. النثر الفني في القرن الرابع، د. زكي مبارك، بيروت، دار الجليل، ١٩٧٥م.
١٧. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الاتابكي، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، (د.ت.).
١٨. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.
١٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن خلكان، تح: د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، (١٩٦٨م).
٢٠. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثعالبي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، (د.ن.)، ١٩٤٧م.

# المؤسسة الدينية و المقومات المرجعية والتقليد

أ.م.د. فيصل عبد الجبار النصيري

٢٠٠٤م

## المؤسسة الدينية والمقومات المرجعية والتقليد

### الخلاصة:

قد يرفض البعض أن نطلق على الدين وما يربطه بفتة متدنية معينة من تفصيلات تتعلق بما يدور بعقيدتهم من نشاط متعدد الجوانب تحت اسم المؤسسة الدينية وقد يكون ذلك الرفض ناتج عن قداسة الفكر الديني، وعدم تشابهه في النشاطات من مؤسسات مختلفة. لذا حاول الباحث أن يدرس المؤسسات وخصائصها ويستنتج القاسم المشترك بينها، كي يصح إطلاق لفظة مؤسسة عليها.

وقد تناول البحث أهم ما يخص مقومات المؤسسة الدينية الشيعية (الاثني عشرية) في جانب المرجعية والتقليد، إذ ان الشيعة يستندون إلى قول الإمام جعفر بن محمد (الصادق) عليه السلام : (من كان من الفقهاء صائنا لنفسه، حافظا لدينه، مخالفا لهواه، مطيعا لأمر مولاه، فللعوام ان يقلدوه)<sup>١</sup>. إن الدور الذي يمارسه المراجع لم يقتصر على تفسير وشرح العقيدة الدينية بل تعدى ذلك

<sup>١</sup> محسن الطباطبائي الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، ج ١، مطبعة الآداب، (النجف الاشرف / ١٢٩١ هـ - ١٩٧١ م)

ليشمل مفردات الحياة المادية للناس ، فما من مشكلة إلا وحلها عند هؤلاء المجتهدين ، والذين يمتازون بكفاءة عالية على المستوى الذهني والمعرفي... .

أملأ أن يكون البحث قد أوفى في التوضيح... والله من وراء القصد.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

### **ماهية المؤسسة الدينية**

لو قصرنا الدين على جملة من الاعتقادات والعبادات ، لتكونت فكرة ناقصة بل ومجردة ، لان المعتقدات والطقوس تهدف - في جانب كبير منها - الى التعبير عن العاطفة ، فتحول العاطفة إلى ما يشبه الدائرة ، كلما ابتعدنا عن نقطة في محيطها عدنا إليها<sup>٢</sup>. لقد نشأ الدين عن التفاعل بين التجربة الإنسانية والطبيعة والكون. ونستطيع أن نتبين ان للدين دور كبير في نشأة بعض الدول ، كما كان العامل الرئيسي في قيام بعض الامبروطوريات العظمى ومنها الدولة الإسلامية ، بل ان السلطة عدت في بعض المراحل التاريخية تكليفا من الله سبحانه الحاكم<sup>٣</sup>.

و المعنى العام لكلمة مؤسسة يعني ذلك التركيب المكون من أفكار وأنماط من السلوك والروابط بين الناس ، وفي اغلب الأحيان من أشياء مادية ومعنوية ، وكل ذلك منظم حول مركز لمصلحة معينة معترف بها اجتماعيا<sup>٤</sup>.

و يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار عند دراسة المؤسسات المتنوعة عبر علاقاتها بالسلطة قدر تأثير هذه المؤسسات في ميدان الصراع ما بين الجماعات الاجتماعية المختلفة. وحسب ما تعنيه الكلمة

---

<sup>٢</sup> إيايا نعمان حكيم ، بول و فرجيني ، تراث الإنسانية ، المجلد الثاني ، (القاهرة/ بلا) ص ٧١٤

<sup>٣</sup> عبد الكريم احمد ، مبادئ التنظيم السياسي ، مكتب الانجلو المصرية ، (القاهرة/ ١٩٧٥) ص ٢٤ ، ٢٥

<sup>٤</sup> د. صادق الأسود ، المؤسسات - محاضرات القيت خلال السنة الدراسية ١٩٨٠ - ١٩٨١ على طلبة كلية القانون و السياسة - جامعة بغداد

بمدلولها القانوني، فهي مجموعة القواعد القانونية التي تتناول ذات الموضوع والوظائف، وتشكل متحدا منسقا ومنظما<sup>٥</sup>.

وإذا اعتبرنا هذه المؤسسة، مؤسسة عامة على سبيل الفرض، فالمؤسسة العامة هي شخص معنوي أولا، وهي من أشخاص القانون العام ثانيا، وغرضها إدارة مرفق عام ثالثا<sup>٦</sup>. والمنظمة أو المؤسسة العامة تتميز باستهداف المصلحة العامة<sup>٧</sup>. ومصدر موارد هذه المنظمة هو موارد الإدارة العامة<sup>٨</sup>.

غير ان الذي يلحظ على المؤسسة الدينية الشيعية<sup>٩</sup>، انها تجمع بين المؤسسة العامة والخاصة<sup>١٠</sup>. فهي تهتم بالشؤون الدينية الخاصة بمذهب إسلامي دون المذاهب الأخرى، ومصدر تمويلها وكذلك انفاقاتها تكاد تكون مقصورة على ذلك الجانب حصرا، والمؤسسة الدينية هي إحدى المؤسسات الاجتماعية، فهي من التنظيمات الأساسية التي تساعد على فهم الفرد بعد فهم طبيعته وسلوكه وعلاقته بالآخرين<sup>١١</sup>.

اما المؤسسة السياسية فهي مجموعة الأحكام والقوانين التي تحدد علاقات وسلوكية الأفراد في المنظمات السياسية، كالأحزاب والجماعات والمنظمات السياسية السرية<sup>١٢</sup>. وقد لعبت المؤسسة الدينية موضوعة بحثنا دورا سياسيا كبيرا سواء في العراق أو في بعض الدول الإسلامية مثل إيران في بعض الفترات، لذلك يمكن تحديد أبعاد هذه المؤسسة على انها (هيكل تنظيمي هرمي، يبدأ في قمته بالمرجع الديني الأعلى، وينتهي بأصغر رجل دين يقوم بإدارة الشؤون الدينية في قرية نائية.

<sup>٥</sup> اسماعيل غزال، القانون الدستوري والنظم السياسية، (بيروت / ١٩٨٢) ص ١٠

<sup>٦</sup> د. شاب توما منصور، القانون الإداري، ج ١، (بغداد/ ١٩٧٥) ص ١٠٢

<sup>٧</sup> محمد بكر القباني، نظرية المؤسسة العامة المهنية في القانون الإداري، دار النهضة العربية، (بلا/ ١٩٦٢) ص ١٨

<sup>٨</sup> نفس المصدر السابق، ص ٢٠

<sup>٩</sup> يقصد به مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ومؤسس هذا المذهب الامام السادس جعفر بن محمد (الصادق) عليه السلام

<sup>١٠</sup> من اجل التمييز بين المؤسسات الخاصة ذات النفع العام، انظر: مصطفى كامل، شرح

<sup>١١</sup> د. احسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، (بغداد/ ١٩٤٩)، ص ٢٤

<sup>١٢</sup> نفس المصدر، ص ٨١

وترتكز هذه المؤسسة على قاعدة من الناس (المؤمنين) عن طريق التقليد للمرجع الديني الأعلى، الذي يرجع إليه البت في الحلال والحرام والمستحب والمكروه، على وفق ما يراه في اجتهاده، وتشتمل المؤسسة هذه على جميع رجال الدين العاملين ضمنها، والعتبات المقدسة، والخوزات العلمية، والمساجد، والحسينيات، والمدارس الدينية، والمكتبات ودور النشر، طلاب العلم.... الخ).

ولهذه المؤسسة تحويل مالي خاص<sup>١٣</sup>. لذا يصح لنا ان نطلق تسمية (المؤسسة الدينية) عليها، لوجود العناصر الأربعة الواجب توفرها على أي هيكل تنظيمي لتنطبق عليه تسمية (مؤسسة)، وهي عناصر التنظيم والهدف، والاستمرارية، والتحويل المالي<sup>١٤</sup>.

### **طبيعة الأسس التنظيمية للمؤسسة الدينية (المرجعية والتقليد)**

يكون على راس المؤسسة الدينية شخص واحد أو أكثر، ممن وصلوا إلى حد كبير من الاعتبار في ما حصلوا عليه من العلوم، وما اتصفوا به من التقوى، أو ما يسمون بالمجتهدين والذين يقومون بدور الوكالة العامة عند الإمام الغائب عليه السلام<sup>١٥</sup>. حتى ظهوره. ولهذا فهم يقومون نيابة بأعمال الإمام نفسه، ويرون بأن مهمتهم هي تفسير الشريعة التي جاء بها القرآن الكريم وتطبيقها، بل وتطويرها مع تطور الأوضاع الجديدة.

غير أن المجتهدين لا يشتركون مع الإمام بالقداسة نفسها، التي ترتبط بمفهوم (العصمة)، أي الحصانة من الخطأ والزلل والسهو والنسيان. ولا بد للمجتهدين أن يعتبروا أنفسهم كباقي الناس، معرضين لكل هذه الأمور التي تستوجب المغفرة من الله سبحانه وتعالى، والاعتراف باقتراف

<sup>١٣</sup> من اجل التعرف على المؤسسة في الاصطلاح الاقتصادي، انظر: احمد عطية الله، القاموس السياسي، القاهرة/١٩٦٨) ص ١٢٦١

<sup>١٤</sup> انظر: اكرم عبد الله صالح، المؤسسة الدينية في أفغانستان، (بغداد/بلا)، ص ٢٣

<sup>١٥</sup> هو الإمام الثاني عشر عند الشيعة الامامية، محمد بن الحسن (المهدي المنتظر، صاحب الزمان)، المولود في النصف من شعبان عام ٢٥٥هـ، اختص في المرة الأولى بما يعرف بـ(الغيبة الصغرى) سنة ٢٦٦هـ، و كان فيها يجيب عن اسئلة الشعة بواسطة علماء أربعة ويسمون (السفراء) وهم: أبو عمر عثمان بن سعيد العمري، و محمد بن عثمان العمري، و الحسين بن روح النوبختي، و علي بن محمد السمري المتوفى سنة ٣٢٩هـ، حيث كان عمر الإمام آنذاك أربعاً و سبعين سنة... اذ قضى تسعا و ستين سنة في غيبته الصغرى و قبل وفات السمري بدأت الغيبة الكبرى، و تستمد هذه الغيبة الى أن يأذن الله سبحانه للإمام الظهور.

الذنوب والمجتهد أو الفقيه لا يصل إلى هذه الدرجة إلا إذا توفرت فيه شروط وخصائص تميزه عن غيره، وتجعله جديراً بان يتولى شؤون الناس المرتبطين به عن طريق التقليد<sup>١٦</sup>.

إن الطبيعة العملية للنشاط القيادي الذي يتمتع بها من يحمل درجة الاجتهاد تؤكد الشرط الملقى على عاتقه وهو (مرجع التقليد) إذ يعتبر مثلاً يحتذى به في ممارسة العملية.

وفي المعنى الاصطلاحي لكلمة (الاجتهاد) لم نجد ما يدل عليها في القرآن الكريم، فقد وجدت آيات تستعمل كلمة الجهد، كما في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ الْجَهْدَ<sup>١٧</sup>)، وقوله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ إِيْمَانِهِمْ)<sup>١٨</sup> ففي الآية الأولى جاءت الكلمة بمعنى الطاقة، وفي الثانية بمعنى بالغوا في اليمين.

وأما في السنة الشريفة، فقد وردت كلمة الاجتهاد بمادتها وهيئتها في عدة أحاديث شريفة، منها حديثه صلى الله عليه وآله وسلم لعمر بن العاص: (احكم في بعض القضايا). فقال: اجتهد وأنت حاضر؟ فقال صلى الله عليه وآله: نعم إن أصبت فلك أجران، وإن أخطأت فلك اجر)<sup>١٩</sup>. وعن معاذ بن جبل إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سأله حين بعثه إلى اليمن: بما تقضي؟ فأجابه: بما في كتاب الله. قال (صلى الله عليه وآله): فان لم تجد في كتاب الله؟ قال: فسنة رسول الله. قال ﷺ: فان لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: اجتهد رأيي ولا آلو. قال ﷺ: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله<sup>٢٠</sup>.

ولا يأتي تقليد المجتهد في الضروريات كوجوب الصلاة والصوم ونحوهما، وكذلك في اليقينيات والأمر المطلقة الفهم كحرمة الكذب والزنى والسرقه.... الخ.

<sup>١٦</sup> التقليد: هو اخذ قول الغير، ليس بشرط معرفة دليله.

<sup>١٧</sup> التوبة، ٧٩

<sup>١٨</sup> الأنعام: ١٠٩ وتكررت في سورة النمل ٢٨ والنور ٥٢ وفاطر ٤٢.

<sup>١٩</sup> محمد بحر العلوم، الاجتهاد، اصوله وأحكامه، (بيروت/١٩٧٧) ص ٢١

<sup>٢٠</sup> المصدر نفسه، ص ٣٠



و في عصر تكوين المذاهب كان الاجتهاد يعني القياس الشرعي ، وهذا ما أشار إليه الشافعي عندما سئل عن القياس ، اهو الاجتهاد؟ أم هما معا؟ فأجاب بانهما اسمان لمعنى واحد. وعندما سئل فما جماعهما؟ أجاب كل ما نزل بمسلم ففيه حكم للزوم ، أو على سبيل الحق ففيه دلالة موجودة ، وعليه إذا كان فيه بعينه يجب إتباعه ، وان لم يكن بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد ، والاجتهاد القياس ، وهكذا يفهم بان الشافعي رادف بين الاجتهاد والقياس واعترفهما اسمين لمعنى واحد<sup>٢١</sup>.

وهناك ستة من الشروط يجمع عليها منظروا الشيعة ، وهي البلوغ ، والعقل ، والذكورة (أي كونه رجلاً حراً) ، والإيمان ، والعدالة ، والحرية على قوله<sup>٢٢</sup> وإضافة إلى هذه الشروط ، فلا بد للمجتهد أن يكون طاهر المولد أي أنه نتاج شرعي لزواج أبوين لا خلل فيه ، وان يكون مجتهداً مطلقاً<sup>٢٣</sup>. أما إذا كان موصوفاً بالبلادة والعجز عن التصرف ، فليس من أهل الاجتهاد ، وعليه فالمجتهد يجب أن يكون عارفاً بالدليل العقلي ، وأن يكون عارفاً بلغة العرب نحواً وإعراباً وتصريفاً ، وبأصول الفقه ليقوى على معرفة الأدلة وكيفية الاستنباط ، وبالبلغة ليتمكن من الاستنباط بحيث يميز العبارة الصحيحة من الناقصة ، وأن يكون عارفاً بالكتاب والسنة. وبالإضافة إلى ذلك فالمجتهد يفهم مقصود الشرع ويعبر على ما قيل كونه خبيراً بالكتاب والسنة والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وشرط المتواتر والآحاد والصحيح والضعيف وحال المرويات وسير الصحابة<sup>٢٤</sup>. إن الحكم العام على كل مكلف في عباداته ومعاملاته أن يكون (مجتهداً أو مقلداً أو محتاطاً)<sup>٢٥</sup> ، وإن عمل العامي بلا تقليد ولا احتياط باطل<sup>٢٦</sup>.

<sup>٢١</sup> المصدر نفسه ، ص ٣٣ ، ٣٢.

<sup>٢٢</sup> المصدر نفسه ، ص ٣٣ ، ٣٢.

<sup>٢٣</sup> محسن الطباطبائي الحكيم ، مستمسك العروة الوثقى ، ج ١ ، مطبعة الآداب (النجف الأشرف ١٩٧١) ص ٤٠ - ٤١.

<sup>٢٤</sup> حيدر ، مصدر سبق ذكره ص ١٧٠.

<sup>٢٥</sup> الاحتياط : هو العمل الذي يتيقن معه ببرائة الذمة من الوقع المجهول

<sup>٢٦</sup> البزدي ، مصدر سبق ذكره ص ٣ شيخ يوسف الخراساني الحائري ، مدارك العروة الوثقى جزء ١ (النجف الأشرف - ١٣٨١ هجرية)

ومن هنا تتبين المساحة الواسعة من جمهور المؤمنين والتي ترتبط وتستند على المجتهد المقلد، والتي ستكون في الغالب متأثرة به وبنزعاته الفكرية.

والاجتهاد على قسمين، مطلق ومتجزأ. فالأول يعني القدرة على إستنباط جميع الأحكام الشرعية الفرعية في جميع الأبواب الفقهية من الطهارات والعبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات بواسطة الملكة التي يتمتع بها المجتهد.

أما الثاني فيطلق على من اقتدر من الاجتهاد في بعض الأحكام الشرعية واستنباط جزء منها، كالعبادات مثلاً. ولا يجوز للناس تقليد المجتهد المجتزئ لعدم احاطته باستنباط جميع الأحكام، واستخراج كل حكم فرعي من أصله، ويجوز له العمل فيما اجتهد واستنبط بما يعرف بالاحتياط، وعليه واجب التقليد فيما عجز عن الاجتهاد فيه.<sup>٢٧</sup>

ومن المفيد أن نذكر أن المرجعية الدينية للتقليد المطلق لا تمنح من قبل أية سلطة دينية إلا ما ندر حيث حدث أن شهدت المرجعية انتقالاً من محمد حسين النجفي المعروف بـ(صاحب الجواهر - لتأليفه كتاب جواهر الكلام) إلى الشيخ مرتضى الأنصاري.<sup>٢٨</sup> بالنص على أنه سيخلفه في المرجعية الدينية بعد وفاته، وتلك بادرة جديدة دشنها النجفي في تحديد مجتهد دون غيره ليكون المرجع الديني المطلق للتقليد. وإنما تكون المرجعية من خلال الإجماع (بطيء التحرك)، والتقدير العالي الذي يديه الناس لهذا العالم المجتهد دون غيره حسب معرفته الدينية ومؤهلاته القيادية الأخرى التي تؤهله لأن يحق هذه المكانة المهمة.<sup>٢٩</sup> ويعتمد المرجع الديني الأعلى للتقليد في إدارة مؤسسته الدينية على مصادر شعبية، أي من الناس المقلدين له، ولذلك فإن جميع المراجع في الفترات المتعاقبة يرفضون أية معونة أو عطية تقدمه إليهم الدولة. فالمرکز الديني للمرجع يكون غالباً

<sup>٢٧</sup> الشيخ مرتضى الأنصاري، المكاسب ج ١ تعليق وتحقيق سيد محمد كلانتر مطبعة الآداب النجف الاشرف ص ٨٢ - ٨٣

<sup>٢٨</sup> هو الشيخ مرتضى بن محمد امين بن مرتضى ينتهى نسبه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري ولد في ١٨ ذي الحجة ١٢١٤ هـ - ١٢٢٦ م) ومن أخيه علي توفي (١٢٦٦ هـ - ١٨٥٠ م) وقد تخرج على يديه عدد من المجتهدين منهم الميرزا محمد حسن الشيرازي وقد توفي سنة ١٢٨١ هـ، ١٨٦٤ ميلادية. مرتضى مدرسي، تاريخ روابط عراق و ايران، تهران ١٣٥١ ماه ص ٩٦٤ - ٩٦٥.

<sup>٢٩</sup> البزدي، مصدر سبق ذكره ص ٢٠١ كذلك انظر جي ايج جانس، الإسلام المقاتل، مركز البحوث والمعلومات

منفصلاً أو مستقلاً عن السلطة نتيجة الاستقلال المالي عن الحكومة والذي يرتبط بالدفع المنظم للزكاة والخمس وأثلاث الأموات وإيرادات الأوقاف وما إلى ذلك من موارد، نتيجة التزام هؤلاء المؤمنين بمعتقدهم بنظرية الولاية، والتي تأتي بعد الإيمان بالله سبحانه ورسوله ﷺ، وهي تعني الولاء والطاعة التامة للإمام المنتظر (عج)، والذي يعتبر المرجع الديني نائباً عنه<sup>٣٠</sup>

---

<sup>٣٠</sup> Hamid algr riligion and state in iran (1785 – 1906) – the role of ulama in the qajar period, university of californania press – 1969, P29.



# العقد الاجتماعي

الأسس النظرية

و

أبرز المنظرين

د. مكي عبد مجيد

## العقد الاجتماعي: الأسس النظرية وأبرز المنظرين

### المقدمة

وردت فكرة العقد الاجتماعي في كتابات كثير من المفكرين السوفسطائيين وأبيقورس ولوكر وعلماء القانون الروماني وكثير من فلاسفة القرن السادس عشر أمثال هاتن ولاتي وتوكس وبوكتان - والعقد الاجتماعي تتجلى فكرته في أن الناس كانوا يعيشون في البداية علي الطبيعة القائمة على النزاعات والحروب مما دعا الناس إلى التفكير في إنشاء تنظيمات اجتماعية تنظم علاقاتهم الاجتماعية من أجل الدفاع عن أنفسهم من الأخطار الخارجية كالطبيعة أو الأقوام الأخرى ، هذا يتم من خلال تنازل كل فرد عن قسم من أنانيته الفردية لكي يلتزم أمام الآخرين ببعض الواجبات من أجل تكوين تنظيم يساعدهم على البقاء ولكي يستمر تنظيم الأفراد الاجتماعي يجب أن يخضعوا إلى قادة أكفاء قادرين على توجيه حياتهم الاجتماعية توجيهاً يخدم حاجاتهم وحمايتهم ، كل هذه الظروف عملت على ظهور فكرة العقد الاجتماعي بشكل طوعي دون إلزام أو إكراه من قبل أفراد المجتمع . إن النقطة المركزية - التي ظلت تدور حولها نشاطات الإنسان لفترة طويلة هي العلاقة بين أفراد المجتمع بعضهم البعض من جهة وبين عناصر البيئة

المتنوعة التي تحيط بهم من جهة أخرى ، هذه تمثل مرحلة تاريخية تلتها مرحلة أخرى جاءت نتيجة تطور المجتمعات إلا وهي علاقة الحاكم بالمحكوم.

لكن لم يكن من السهل تحقيق هذه العلاقة ، فالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي يفرض قوته لذا كانت نزاعات الفلاسفة والمفكرين لا ينتهي إلا بنهايتين أما رضوخ الفكر لفعاليات السلطة وأما الوقوف بوجهها وتحمل عواقب موقفه منها. كانت آراء المفكرين والرواد الأوائل لفكرة العقد الاجتماعي تهدف إلى إيجاد معادلة موضوعية للعلاقة بين الحاكم والمحكوم لكن اختلاف التوجهات في الأهداف والنتائج فضلاً عن الاختلاف في الرؤية السياسية والاجتماعية للمفكرين أنفسهم حالت دون بلوغ هذا الهدف.

يتضمن هذا البحث أربعة فصول يتناول الفصل الأول التطور التاريخي لمفهوم الحق الطبيعي ، هذا السياق التاريخي أعتمده الباحث لبيان بعض المفردات التي من خلالها يمكن أن يتم التعامل في الفصول التي تتضمن آراء المفكرين والعلماء في هذه الدراسة التي تتضمن جانب مهم لا يقتصر على زمن محدد بل يستوعب كل الأزمان ما دام هناك مجتمع حي تسوده علاقات وما دام هناك حاكم ومحكوم وهذا ما جاء في كتابات المفكرين الذي خصص البحث لكل منهم فصلاً يتناول فيه حياة وجوانب متعددة من آراء المفكر في هذا الصدد ، فخصص الفصل الثاني للعالم (هوبز) ، في حين تناول الفصل الثالث العالم (لوك) سيرةً وأعمالاً وآراءً أما الفصل الرابع فكان للعالم (روسو) من ثم خاتمة البحث التي تتضمن خلاصة مختصرة لما جاء في ثنايا البحث.

## **الفصل الأول**

### **مفهوم الحق الطبيعي باعتباره أساساً للعقد الاجتماعي:-**

إن فكرة الحق الطبيعي أو القانون الطبيعي شغلت اهتمام المفكرين والفلاسفة منذ زمن طويل لازمت هذه الفكرة كفاح الإنسان من اجل التوصل إلى المجتمع القائم على الفضيلة والعدل. ظل الوصول إلى هذا المجتمع الحلم الذي لم ينفك المفكرون والمصلحون يحملون به إلى يومنا هذا ولقد أسهمت هذه الفكرة في دفع المجتمع البشري إلى الإمام والنهوض بالإنسانية وصولاً إلى المجتمع

المنظم وفق القواعد الثابتة التي يملئها العقل السليم ويستقر عليها الضمير البشري والكيان الاجتماعي.

إن مفهوم الحق الطبيعي المتميز عن الحق الوضعي هو قديم قدم الفلسفة حيث برز في العصور الإغريقية القديمة حتى أخذت المسيحية هذا المفهوم الذي يظهر القانون الطبيعي وكأنه التعبير عن الإرادة الإلهية

أن هذه الفكرة قد لازمت المسيرة البشرية وطموح الإنسان نحو تحقيق المجتمع القائم على العدل والإنصاف وعكست تاريخاً طويلاً لصراع عنيف بين الحاكمة المستغلة وبين المحكومين وإذا كان الإنسان قد خاض صراعاً عنيفاً مع الطبيعة في بدء الخليقة وفجر الإنسانية فإنه خاض صراعاً أعنف مع الحكام والملوك في ظل نشوء الدولة عبر العصور وقد تجلت وحشية الحكام الأقدمين في الأنظمة الجائرة التي كانت تصنف الناس إلى طبقات عليا وسفلى أحراراً وعبيداً مالكين ومملوكين كما تجلت فيما قرروا من عقوبات صارمة تصل إلى الإعدام بابشع الوسائل ولأتفه الأسباب فضلاً عن معانات الإنسان لمختلف وسائل التعذيب النفسي والغريب أن الحكام كانوا في الغالب يدعون إلى سلطتهم وسيادتهم غير المحدودة إنما هي مستمدة من الإرادة الإلهية<sup>(١)</sup>

إن المؤرخ أو الباحث في الجوانب الاجتماعية يقف حائزاً حيال هذه الأجواء الانسانية التي عاشها الإنسان رداً من الزمن تمثل بالصحراء الجرداء المشمسة إلا أنه لم يعدم فيها وجود واحات خضراء تمثل أمل البشرية في الإرتقاء والخلاص من الماسي والمظالم وما هذه الواحات إلا نفحة العدالة التي ظهرت باسم القانون الطبيعي. لقد ذهب المفكر الهولندي (غروسيوم ١٥٨٣ / ١٦٤٥) إلى القول: بأن القانون الطبيعي هو قرار عقل سليم ينز في أمر من الأمور فيحكم عليه بحسب مناسبته أو مخالفته للطبيعة العاقلة / هل هو فاسد أخلاقياً أم غير فاسد، وبالتالي هل هذا العمل هو واجب أم مخلوق من قبل الله خالق هذه الطبيعة؟

(١) ١ - د. معد أحمد شريف فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين / دار الرشيد بغداد ١٩٨٠. ٢ - نفس المصدر ص ٦



ولكن هناك من يرى إن هذا المفهوم لم يظهر لأول مرة في القرن السابع عشر ولا على يد غروسيوم. أما يعود ظهوره لعدة أسباب هي تقدم العلوم واكتشاف أراضي جديدة فالمعرفة الجديدة للطبيعة يجب أن تعترف ببعيد جديد للحقوق الطبيعية. فضلاً عن ذلك أن هذا التصور الجديد للطبيعة هو في جوهره علماني.<sup>٢</sup> هنا تكون الحقوق منفصلة عن الدين والسياسة ومن ثم دور العامل الأساسي لتطور الحقوق على هذا الشكل إلا وهو العامل الاقتصادي.

كانت الحقوق في تلك الحقبة غير متلائمة مع الرأسمالية التجارية كونها إقطاعية. وعليه فانه انطلاقاً من الرأسمالية قد ساعدت مدرسة الحق الطبيعي الذي قدم لها بالمقابل التبرير العقائدي حيث بدت قوانين التجارة وكأنها قوانين الطبيعة.<sup>٣</sup> كانت للمنظرين الجدد وجهة نظر حول الحق الطبيعي كونه يمثل المنفعة العامة وحقوق الأفراد والحالة الطبيعية وهكذا برروا الطموحات القومية وقدموا للملك الحجة في صراعهم ضد النبالة التي كانت تتمتع بامتيازاتها<sup>(٢)</sup>.

أما بوفندورف (١٦٣٢ - ١٦٩٤) مؤرخ الملكية السويدية فقد رأى الحق الطبيعي شرع ضروري لا يتغير، استمدته العقل من طبيعة الأشياء. وأن دور السلطة هو وضع القوانين التي تهدف إلى التقيد بالحق فضلاً عن ذلك اهتم بوفندورف بتحرير فلسفة القانون من الشيوعية وقال أن قوانين الطبيعة هي ذات صلاحية مطلقة لإجبار الناس حتى صادرة فضلاً عن ذلك كلمة الله الموحاة.

ان المتطلع في هذا الجانب من المعرفة العملية يلاحظ ويوضح أن الأرض الخصبة لنظرية القانون الطبيعي كانت إنكلترا لاعتبارات كثيرة اقتصادية واجتماعية سياسية. ولكن الواقعتين اللتين مهدتا الأرضية لهذا المفهوم لكي يبرز قبل سنة ١٦٤٩ هما الروابط بين الدين والسياسة أو بين الطهرية والنفعية ومن ثم غياب العقيدة الثورية. أي ظهور خليط في المجتمع من الإنتهازيين المحافظين يهاجم

(٢) المصادر..

أحمد، محمد شريف، مصدر سابق ص ٦.  
توشار، جان، تاريخ الفكر السياسي ترجمة د. علي مقلد الدار العالمية بيروت ١٩٨١ ص ٢٥٤.  
الحسن، احسان محمد، رواد الفكر الاجتماعي دار الحكمة للطباعة والنشر بغداد ص ٣٠٢.  
توشار، جان، مصدر سابق ص ٢٥٥.

ريتشارد هوكر في كتابه (السياسة الاكليريكية) الصادر سنة ١٥٩٤ الطهرين بوصفهم يرفضون الخضوع للكنيسة القائمة وبذلك يحطمون كل التزام سياسي كان هذا في زمن تصدت فيه المناقشات حول توضيح دور الكنيسة في الدولة الإنكليزية بعد قطع العلاقات مع أوروبا.<sup>(٣)</sup>

ظهر إلى الوجود نوع من الطهرية الرأسمالية التي تربط ربطاً محكماً بين واجب الثراء وواجب العمل من أجل خلاص الذات تزامن هذا مع ذروة الازدهار الاقتصادي لإنكلترا. في حين وقفت موقف الحذر من الثروة فإن الطهرية الإنكليزية استطاعت أن توقف وتقرن روح العمل والحياة الأخلاقية بين الكسب والفضل، بين الاستثمار والتكشف. وقالت إن الربح التجاري هو هبة من الله وإن الكسب هو الدلالة الزمنية على الفضل. والطهري (البيوريتاني) هو المتكشف عملياً الذي يحرز انتصاراته في ساحة الحرب وفي المكتب وفي السوق وليس في الدير.<sup>١</sup>

إن الثورة الطهرية (البيورتانية) هي نتيجة التقاء مؤقت بين نزاعات مختلفة ومجموعة ذات أهواء متعارضة أحياناً، الحقوقيون المدافعون عن الحريات التقليدية أو المتذرعون بذكرى العهد الأكبر. شهدت الفترة الواقعة ما بعد النصف الأول من هذا العصر الكثير من المجالات والمجاملات والمناظرات حول موضوع الملكية المطلقة التي أرادها الملك (جاك الأول) ورفضها خصومة. إلا إن التصورات الدستورية المبكرة تجلت في مؤلف (سيرتوماس سميث) ( \_ الجمهورية الإنكليزية) الذي صدر عام ١٥٨٣ حيث يشير فيه إلى دور البرلمان، الذي يلعب دور المحكمة العليا، مع بقاء الملك رأس النظام السياسي.

وكان (فرنسيس باكون) bacon من أنصار الإمتياز الملكي دون أن يكون من أنصار الحكم المطلق. بينما كان (السير أدوارد كوك) coke (١٥٤٩ - ١٦٣٤) هو الخصم الرئيسي لسياسة جاك الأول.<sup>٤</sup>

(٣) المصادر: ..

توشار (تاريخ الفكر السياسي) مصدر سابق ص ٢٥٧.  
نفس المصدر ص ٢٥٨.

(٤) المصادر: ..

Weber / max / sociology of religion \_ beacon press – boston

بالم تاريخ العالم الحديث ترجمة د. حسن علي ذنون، مكتبة دار المتنبي، بغداد ١٩٦٤ ص ٩٦.

من العرف والعادة الشائعة common law والتي تبدو له وكأنها القانون الأساسي للمملكة وتجسيده للعقل. فالعرف يتضمن البنية الأساسية للحكومة وللحقوق الأساسية للمواطنين – إن سلطات الملك تنطلق من العرف السائد وكذلك مهمة البرلمان وحقوق وامتيازات الأنكليز. وقال إن البرلمان بالذات لا يستطيع تغيير المبادئ المحددة في العرف السائد – وفي عشية سقوط شارل الأول لم يكن في إنكلترا يومئذ أية نظرية ثورية بالمعنى الصحيح. وفي هذه الفترة ظهر (هوبز) Hobbes والذي خصص له فصل كامل من هذا البحث.

كانت تلك هي الملامح الأولى لظهور ونضوج نظرية الحق والطبيعي. فلقد حاول بعض المفكرين استناداً إلى فكرة القانون الطبيعي إيجاد قانون دولي أو قانون شعوب لإدخال الأمن والنظام على الحكومات المحلية ذات السيادة، إلا كانت قد أخذت في النمو والتقدم في أوروبا منذ القرن السابع عشر. وهذا ما حاوله أشرنا غروسيوس وبوفندروف حيث يقرر كلاهما إن الحكومات ذات السيادة وإن لم تكن خاضعة لأي قانون وضعي أو أي سلطة عليا، يجب أن تعمل وفقاً لمصلحة المجموع. وإنه في حالة إنعدام السلطة الدولية العليا فإن الحكومات تبقى مع ذلك خاضعة للعقل الطبيعي والعدل ودل على ذلك ببعض المبادئ الثابتة كحرية البحار وحصانة السفراء.<sup>١</sup>

رغم كل الإيضاحات التي وردت فإن القانون الطبيعي من المفاهيم التي يتعذر تحديدها منطقياً أو رسم معالمها بوضوح ودقة. وليس من السهل أن نقول ممن تتألف فلسفة القانون الطبيعي بصورة أساسية فهي تقرر أن هناك بصورة من الصور في تركيبة هذا العالم، قانوناً يميز الخير من الشر أو الصواب من الخطأ – وتقرر إن الحق والصواب أمر طبيعي وليس من اختراع الإنسان وابتداعه. وإن هذا الحق والصواب لا يتحدد في أي قطر من صفة الإلزام في المحاكم إذ إن كل هذه قد تكون جائزة وغير عادلة.<sup>(٥)</sup>

ونحن إنما نكشف تناقضها مع العدالة بمقارنتها بالقانون الطبيعي كما نفهمه.

(٥) المصادر: ..

بالمر، تاريخ العالم الحديث مصدر سابق ص ٩٧.

وهكذا نستطيع القول إن سلطة أي فرد أو شعب لا تستطيع أن تجعل من القانون الذي تقرضه أو تشرعه قانوناً طبيعياً أو موافقاً لعين الحق والصواب.

فلا يستطيع أي ملك أن يجعل من الخطأ صواباً ولا يقدر أي شعب بإرادته كشعب، أن يجعل الظلم عدلاً فالحق والقانون بمعناهما النهائي كائنان خارج جميع الشعوب وفوقهما فهما عالميان ومتساويان بالنسبة للجميع ولا يستطيع أي شخص أن يكييفهما وفق هواه. مع ذلك، فإن من الممكن نتلمس في القانون الطبيعي بعض المفاهيم الثابتة.

١. يعتبر القانون الطبيعي ذريعة يلجأ إليها الجانب الضعيف من أطراف العلاقة الاجتماعية والسياسية لتبرير الثورة على واقعه المختلف ثقافياً أو حضارياً أو اقتصادياً أو سياسياً كما يعتبر ذريعة قانونية طالما لجأ إليها فقهاء الغرب قديماً وحديثاً عند التحسس بقصور تشريعهم الوضعي عن الوفاء بمتطلبات إصدار القرارات العادلة في القضايا التي طرحت أمامهم.

٢. يعتبر القانون الطبيعي المثل الأعلى للقانون الذي يسمو على القانون الوضعي المنطبق فعلاً والذي كثيراً ماذاقت منه البشرية الأمرين.

٣. تهدف فكرته إلى رسم النظام العالمي الذي يحكم الإنسان أولاً، وإلى تمجيد الحقوق الثابتة للأفراد والتي تدعى بالحقوق الطبيعية للإنسان والتي لا تقبل التجزئة أولاً والاغتصاب ثانياً.

إن فكرة القانون الطبيعي تعني وجود قواعد قانونية أسبق وأعلى من القانون الوضعي خالدة ثابتة تصح في الزمان والمكان وإن ما يميز القانون الطبيعي هو الموضوعية والثانية، فهو لا يدين بوجوده لإرادة المشرع، كما إنه قانون مستقل عن القانون الوضعي وهو أعلا منه.<sup>٦</sup>

ومهما يكن، فإنه إلى جانب الحكومات المستبدة المطلقة، كان يقف مذهب الحق المقدس للملوك وفي جانب الحكومات الدستورية كانت تقف الحجج التي تستند إلى الوراثة أو العرف والتي تؤكد في عهد ومراسم الأزمان السابقة وموثيقها وعلى القوى التاريخية للبرلمانات ولل مجالس المحلية. ولم تكن الحجة الخارقة للطبيعة في تبرير الحق المقدس ولا الحجة التاريخية التي تعتمد على

(٦) المصادر: ...

بالمز، تاريخ العالم الحديث مصدر سابق ص ٩٧.

حريات القرون الوسطى ، لم تكن كل منها مقبولة تماماً في الجو العلمي الذي شاع في القرن السابع عشر فقد قام توماس هوبز بتبرير فلسفة الحكم المطلق. وقام جون لوك بتبرير نظام الحكم الدستوري. وقام روسو بتبرير نظام حكم الشعب.<sup>٧</sup>

## الفصل الثاني

### توماس هوبز والعقد الاجتماعي

#### أولاً: - حياته/

ولد توماس هوبز في إنكلترا عام ١٥٨٨ ودخل أكسفورد وهو في الخامسة عشرة، ومكث بها خمس سنوات يتلقى المنطق المدرسي والطبيعات دون كبير اهتمام. ثم أخذ يطالع الآداب القديمة وبخاصة المؤرخون والشعراء.

وعمل في خدمة (بيكون) كاتباً لسره ومعاوناً له في نقل مؤلفاته إلى اللاتينية وفي سنة ١٦٢٩ نشر ترجمة لتاريخ (توكيديد) حيث تبدو الديمقراطية سخيقة أشد السخف على حد قوله. ولم يكتب شيئاً في الفلسفة حتى بلغ سن الأربعين.

سافر إلى فرنسا وأقام بها سنتين (١٦٢٩ - ١٦٣١) فعرف فيها مبادئ أفليدس. ولم يكن درس الرياضات من قبل. وأعجب بالمنهج القياسي وعول على إصطناعه. ثم عاد مرة أخرى إلى باريس فقبول بالأوساط العملية الباريسية باعتباره فيلسوفاً مذكوراً.<sup>(٨)</sup>

اتضحت معالم فلسفة هوبز عام ١٦٤٠ خلال نشره كتاب (مبادئ القانون الطبيعي السياسي)، بعدها بعشر سنوات نشر هوبز كتاب (لاوثيان) أو المجتمع الكنيسي والموئي مادته وصوره وسلطه. ولأوثيان هوالتين الهائل المذكور في سفر أيوب ويقصد به هوبز الحكم المطلق.

(٧) المصادر: ..

بالمر، تاريخ العالم الحديث، مصدر سابق ص ٩٧.

(٨) المصادر: ..

كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر ١٩٥٧ ص ٥٠.

تأثرت فلسفة هوبز بالثورة البرجوازية في القرن السابع عشر، فمن خلالها يرى البعض إن هوبز فيلسوفاً مادياً إنكليزياً. فضلاً عن ذلك كان هوبز معلماً للملك شارل الأول، وقد دافع في كتابه المشار اليه (لاوثيران) عن الحكم المطلق وكان يؤيد بذلك حكم آل ستيوارت في إنكلترا.<sup>١</sup>

### ثانياً: - آراءه في العقد الاجتماعي/

يرى هوبز في كتابه (لاوثيران - التنين) إن الناس بطبعهم أنانيون تماماً يلتمسون بقائهم وسلطاتهم والحصول على القوة. ولقد قال هوبز بحياة فطرية سابقة عن نشأة الجماعة، ولكنها حياة فوضى وصراع أظطر الأفراد معها على التعاقد لإنشاء الجماعة السياسية وهذا التعاقد تم فيما بينهم واختاروا بمقتضاه حاكماً لم يكن طرفاً في العقد ولم يرتبط لذلك تجاههم بشئ، وخصوصاً إن الأفراد تنازلوا بالعقد عن جميع حقوقهم الطبيعية. وترتب على ذلك أن السلطان الحاكم غير مقيد بشيء وهو الذي يضع القوانين ويعديلها حسب مشيئته وانتهى إلى تفضيل النظام الملكي على النظامين الأرستقراطي والشعبي.<sup>(٩)</sup>

يرى هوبز إن مسيرة الإنسان كلها قائمة على غريزة حب البقاء ويعتقد إن من الخطأ الاعتقاد بغريزة اجتماعية تحمل الإنسان على الإجماع والتعاون. وإنما الأصل أو (الحالة الطبيعية) إن الإنسان ذئب للإنسان وإن الكل في حرب ضد الكل.

فضلاً على ذلك، ويذهب إلى القول بأن الحاجة استشعار القوة يحملان الفرد على الاستئثار بأكثر ما يستطيع الظفر به من خيرات الأرض وإن أعوزته القوة لجأ إلى الحيلة، يشهد بذلك ما عمله عن أجدادنا البرابرة وعن المتوحشين وماتخذهم جميعاً من تدابير الحيلة وأساليب العدوان، وما نراه في علاقات الدول بعضها ببعض، ما تصنعه الحضارة تحجب العدوان بشعار (الأدب) وأن تستبدل العنف المادي بالنعمة والإفتراء، والانتقام والقانون.<sup>١</sup>

(٩) المصادر: ..

كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف مصر ١٩٥٧ ط ١ ص ٥٠  
ويجري، ألبان ج، التاريخ وكيف يفسرونه، ترجمة عبد العزيز توفيق، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ١٩٧٢ ص ٣٥.

كانت تجربة الحرب الأهلية الإنكليزية عام (١٦٤٠) قد جعلت هوبز يستنتج إن الناس لا يملكون القدرة على حكم أنفسهم أو الحكم الذاتي، وكان يرى أن الناس في حالتهم الطبيعية، أو كما تخيل وجودهم من غير حكومة، كانوا في حالة خصام وفوضى وهياج على الدوام في حروبهم بعضهم مع البعض الآخر ولقد عبر عن ذلك بقوله (إن الحياة في حالة الفطرة والطبيعة كانت مقفرة، كريهة، قصيرة).

لقد توصل الناس، تخلصاً من الخوف المستحوذ عليهم من بعضهم البعض، ورغبة منهم في الحصول على النظام والأمن والتمتع بمزايا القانون والحق، إن نوع من الإتفاق أو العقد تنازلوا بمقتضاه عن حريتهم في العمل وأكلوها إلى يد الحاكم. وكان من الضروري أن يملك هذا الحاكم سلطة مطلقة غير مقيدة إذ وحده يستطيع حفظ النظام<sup>(١٠)</sup>.

وهكذا كان هوبز يدافع عن الحكم المطلق، ولكن ليس باسم الحق الإلهي للملوك، بل باسم مصلحة الأفراد وبقاء السلم. انه يجعل الحكم دنيوياً ويدل على منفعته.

اعتبر هوبز من خلال مؤلفة (لوثيان - التنين) داعية الحكم العلماني المطلق وأحد أعلام أصحاب نظريات السلطة المطلقة للدولة. وكان أثره عظيماً على المفكرين اللاحقين إذ صار جميع المشتغلين بالنظريات السياسية وبعده يعدّون الحكومة نظاماً خلفته أغراض الإنسان ومصالحة.

ولم تعد الحكومة جزءاً من نفحة إلهية مقدسة إذا استثنينا عامة الناس المحترفين من علماء اللاهوت. وقد أثر هوبز تأثيراً سلبياً على من أعقبه من رجال الفكر بما ساقه من حجج تبرر السيادة المطلقة حيث أجبرهم على تنفيذ رؤية في السلطة المطلقة غير المحدودة<sup>١</sup>.

في هذه الفترة لا بد من التمييز بين عدة مراتب في تاريخ الحكم.

أولاً: - الحالة الطبيعية، وهي بالنسبة لهوبز حالة حرب وفوضى إن الناس هنا متساوون بالطبيعة. وعن المساواة ينبثق الحذر، وعن الحذر تنشأ الحرب بين الناس. الحياة عزلة فقيرة، حيوانية

(١٠) المصادر: ..

كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق ص ٤٥.  
بالمر، تاريخ أوروبا الحديث، مصدر سابق ص ٩٩.

وقصيرة ومفهوم العادل الجائر لا وجود له. وكذلك الملكية أيضاً. إن هوبز يقع في تناقض هنا إذ يعارض الحق الطبيعي.

ثانياً: - ومع كل هذا، يوجد حق طبيعي وقوانين طبيعية، ولكن هذه المفاهيم ليس لها عنده نفس المدلول الموجود عند منظري الحق الطبيعي يرى هوبز انه في حالة (الطبيعة) حيث يكون كل إنسان عدواً لكل إنسان، ليس هناك مكان للعمل الكادح، لأن ثمره ذلك غير محققة. (٢)

ونتيجة لهذا لن يكون هناك فلاحه للتربة ولا ملاحه ولا بناء مريح ولا معرفة ولا فنون ولا آداب.

ولكن الناس أحرزوا، بعد ذلك، ما في أيديهم من الخيرات بقبولهم فكرة هيمنة الحكومة بحيث أصبحوا يتقبلون تلك الحكومة ويواصلون العمل بها كأنما هناك عقد اجتماعي فيما بينهم، دون أن يكون موجوداً في الواقع<sup>١</sup>.

أما حق الطبيعة فانه يمت بصله إلى غريزة البقاء.. حرية الفرد في استعمال قدرته الذاتية كما يشاء من أجل حفظ طبيعته الذاتية أي حفظ حياته الخاصة.

أما القانون الطبيعي فهو حكمة أو قاعدة عامة مكتشفة من قبل العقل. ومن أجل تأمين السلم والأمن، ليس في يد الناس وسيلة أفضل من إقامة عقد فيما بينهم ثم تسليم الدولة بالاتفاق المتبادل الحقوق التي إذا احتفظ الأفراد بها أعاقه سلم البشرية.

على كل حال، كانت حجج هوبز، من بعض الوجوه غير كافية لدعم الملوك المستبدين، لقد كره هوبز الخصام وأعمال العنف وكان دفاعه عن الحكم المطلق قائماً على الحاجة إلى هذا النظام لتوفير السلام الداخلي وطمأنينة الأفراد وسيادة القانون. قرر كذلك أن السلطة المطلقة اعتمدت على اتفاق اختياري عقلي قبلها الشعب بمقتضاه وان الحكومة المطلقة التي تخرج عن شروط هذا



الاتفاق خروجاً صريحاً واضحاً يصعب تبريرها حتى وفقاً لتعاليم ومبادئ هوبز. ومن هنا يختلف هوبز عن أنصار الحكم المطلق في أيامنا هذه.<sup>١١</sup>

يرى هوبز أن المجتمع السياسي ليس واقعة طبيعية، إنه بالنسبة إليه الثمرة الاصطناعية لميثاق إرادي وحساب مصلحي. كما ويرى أن السيادة تقوم على عقد. ومع ذلك فليس أمر عقدين الملك ورعيته، بل بين الأفراد الذين قرروا أن يكون لهم ملك. وهو بدلاً من أن يحد السيادة يؤسسها على عقد. ثم إن العقد، في الأصل يخلق الرغبة في السلم وهذا بمثابة هم أساسي عند هوبز، في النهاية إن الواقع والهدف عند الذي يتخلى عن حقه أو يحوله ليس أمنه الشخصي في حياته وفي وسائل حفظ هذا الأمن.

هكذا تبدو الدولة كشخص (تعددية) تكون شخصاً واحداً عندما تتمثل بإنسان واحد أو بشخص واحد.

شرط أن يتم ذلك برضى كل فرد وبصورة خاصة يرضي كل الذين يتكون منهم هذا الشخص ويرى هوبز أن الدولة مجموعة المصالح الخاصة. وعليها أن تدافع عن المواطن وهذا المواطن لا يتخلى عن حقوقه للدولة إلا من أجل حمايته والدولة تفقد مبرر وجودها إذا لم تأمن الأمن وإذا لم تحترم الطاعة. إن أي سلطة روحية لا تستطيع أن تعارض الدولة وليس بمقدور أحد أن يخدم سيدين. والملك ليس فقط أداة الدولة بكل كنيته، إنه أيضاً يمسك باليد اليمنى (السيف) وباليدين اليسرى عصا الأسقفية وهكذا تثبت قدرة الدولة وأيضاً وحدتها ولا مكان للأجسام الوسيطة أو الأحزاب أو التكتلات. وحول هذه النقطة يسبق هوبز الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو.<sup>١٢</sup> ولا ينفك هوبز ينتقد فعل السلطات. وهو يدعم بقوة أطروحة السيادة المطلقة. ليس للملك أي قيد خارجي يحد من سلطته.

<sup>١١</sup> المصادر: -

ويدجيري، التاريخ وكيف يفسرونه، مصدر سابق ص ١٣٥.

<sup>١٢</sup> المصادر: -

توشار، تاريخ الفكر السياسي، مصدر سابق ص ٢٦٣.

المصدر نفسه ص ٢٦٤.

ان أخلاقية هوبز تقوم على اعتبارات منفعية. وهذه الأخلاقية ثابتة - وهي لا تدين بشيء للايمان المسيحي، ولا للولاء للملك، ولا بشيء للرغبة في حفظ المؤسسات أو المحافظة على المصالح المرتبطة بالملكية. يعتقد هوبز أنه في الدولة الأكثر تسلطاً يعرف الفرد أكمل تطوره. أنه يجد فيها مصلحته وسعادته ولذته ورفاهيته.<sup>١</sup>

كانت سياسة هوبز في أعماقها عقلانية. وكانت مرتكزة على ثقافة علمية وكانت تعتبر السياسة علماً يجب تركيزه على المفاهيم العادلة وعلى التعاريف الدقيقة. وكانت فلسفته وسياسته منوثة للأرسطية وهو يرفض الإيمان بالفكرات الفطرية الطبيعية وكان يؤكد على أهمية التعاريف والحدود والاشارات واللغة ((لو لا اللغة لما كان بين الناس دولة ومجتمع وعقد وسلم)).

كان هوبز يرفض اللجوء إلى ماهو فوق الطبيعي. وكل مؤلفاته هي محاربة ضد الأشباح وجهد للقضاء على القوى الخفية. ونهاية ((التنين)) هي في هذا الشأن ملفتة إلى أقصى حد. وربما يكمن هنا مفتاح العمل كله.

ينتقد هوبز في الفصل الأخير من كتابه هذا (لوثيان - التنين) والذي يقع تحت عنوان (مملكة الظلمات) علم الشياطين، والعزائم والرقيات والخوف من الشيطان، والأرباح التي يجنيها الكهنوت (رجال الدين) عن ذلك.

إن القلق البشري هو في أساس الدين ((إن الخشية من قوى خفية، سواء كانت وهما من الفكر أو تصوراً مأخوذاً عن العادات المقبولة عموماً)) هو الدين.<sup>١٣</sup>

ولكن الطبيعة الإنسانية تشتمل على العقل إلى جانب الهوى. والعقل المستقيم يحمل الناس على التماس وسائل لحفظ بقائهم أفضل من التي يتوسل إليها الفرد ويجاهد وحده. والناس يستكشفون أن البلية عامة وأنه يمكن تلافيها بوسائل عامة فتبنت أول وأهم قاعدة خلقية وهي طلب السلم، فإن لم نفلح في تحقيقه وجب التوسل للحرب. وشرط السلم أن يتنازل كل فرد عن

<sup>١٣</sup> المصادر: -

توشيار، تاريخ الفكر السياسي ص ٢٦٠  
المصدر نفسه ص ٢٦١

حقه المطلق في حال الطبيعة فيتنازل الأفراد عنه صراحة أو ضمناً إلى سلطة مركزية. وقد تكون فرداً أو هيئة تجمع بين يديها جميع الحقوق وتعمل الخير للشعب وتحمل الحياة السياسية محل حال الطبيعة.<sup>١٤</sup>

هذا التعاقد يلزم وجوب الصدق والأمانة وعرفان الجميل والتسامح والإنصاف والشراسة فيما يتعذر اقتسامه، وفض الخلافات بالتحكيم. وبالجملية تلزم قواعد تلخص في العبارة الماثورة ((لا تصنع بالغير ما لا تريد أن يصنع الغير بك)).

لذا كان القانون الخلقي الطبيعي إرادة الله الذي وهبنا العقل السليم وليس يكفي طاعة القواعد ظاهراً بل يجب طاعتها لذاتها والتشبع بها فإن القانون الخلقي يقيد الإنسان أمام ضميره وكل هذا معقول.

ولكن هوبز لا يصل إليه بالعدول عن الطبيعة الحسية إلى العقل السليم وليس العقل السليم مما يعترف به المذهب المادي كقوة خاصة لها قيمة خاصة.

ويجب أن تكون السلطة العامة مطلقة قوية إلى أبعد حد بحيث لا يعود الفرد بازائها شيئاً مذكوراً، ويكون واجب الخضوع المطلق، والا عدنا إلى الخصام والتناوب.<sup>١٥</sup>

في الواقع يمتنع حد السلطة السياسية. وهذا الحد يعني الاعتراف بالسلطة المطلقة للفرد أو الأفراد المخول إليهم حق مؤاخذه الحكومة أو خلعها. والملكية هي خير أشكال الحكومة. ومن مزاياها أن واحداً فقط قد يجاوز العدل ويسيء الحكم. وأنها تغني عن المنازعات الحزبية وتصور أسرار الدولة. أما الديمقراطية فما هي إلا أرستقراطية خطباء.

بعدها يرى هوبز دين الدولة واجب محتوم على كل مواطن. والدين بالإجمال ظاهرة طبيعية وهو ليس فلسفة ولكن شريعة لا تتحمل المناقشة بل تقضي الطاعة. وإلى هذا الحد من الإستبداد يذهب هوبز وكأنه أراد أن يدعم الحكم المطلق بأن يجعل منه حكم القانون الطبيعي.

<sup>١٤</sup> المصدر: -

كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق ص ٥١  
المصدر نفسه ص ٥٥

لقد أحال ماكان واقعاً في بلاده إلى نظرية فلسفية.

### الفصل الثالث

#### جون لوك والعقد الاجتماعي (١٦٣٢-١٧٠٤)

##### أولاً/ حياته

ولد جون لوك في إنكلترا عام ١٦٣٢ في منطقة بالقرب من بريستول. كان أبوه محامياً خاض غمار الحرب الأهلية دفاعاً عن البرلمان / فنشأ الابن على حب الحرية، وظل متعلقاً بها إلى آخر حياته دخل أول مرة في مدرسة ((وستمنستر)) ومكث بها ستة سنين تلقى اللغات ولما بلغ العشرين دخل أكسفورد وقضى بها ست سنين يتابع الدراسات المؤدية إلى الكهنوت.

لكنه لم يهتم بالفلسفة ألا حين قرأ ديكارت وجساندي. ودرس الطب ونشر رسالة في التشريح سنة ١٦٨٨ وانتخب عضواً في الجمعية الملكية. اضطره النزاع بين حزب البرلمان وتشارل الأول إلى مغادرة إنكلترا فقدم إلى فرنسا مرتين ١٦٧٢، ١٦٧٥ ثم ذهب إلى هولندا سنة ١٦٨٣ حتى نشوب ثورة ١٦٨٨ عاد إلى وطنه في السنة التالية فعرض عليه الملك الجديد السفارة لدى براند ينورغ فطلب إعفائه بسبب حالته الصحية. ثم اعتزل الخدمة وفي هذا الشطر من حياته ساهم في جميع الحركات الفكرية التي كان يظطرب بها عصره وصنف بها كتبها هي ((رسالة إلى الاكليروس)) و((خواطر في الجمهورية الرومانية)).

و((في التسامح)) و((الحكومة المدنية)) و((خواطر في التربية)).<sup>١</sup> وكانت شهرته قد ازدادت حتى عرفت أوروبا كلها أنه ينصر الحرية.

كان لوك فيلسوف وطبيباً ينتمي إلى عائلة طهرية (بيوريتانية) ذات منشأ متواضع.

##### ثانياً: - اراء في العقد الاجتماعي

ينطلق لوك من فكرة مفادها أن الإنسان يولد وعقله على الفطرة ثم تجيء خبرته فتصبح الفطرة مكونة بذلك مصدر معرفته أي أنه ينكر فطرية الأفكار في العقل الإنساني ومادام الناس يولدون بلا مورثات عقلية، فهم سواسية لا يفرق بينهم إلا نوع تربيتهم.

يعتبر لوكا أحد مؤسسي المذهب الحر الجديد. فهو يعارض هوبز في تصويره الإنسان قوة غاشمة، وتصوره حال الطبيعة حال توحشي يسود فيها قانون الأقوى - ويذهب إلى أن للإنسان حقوق مطلقة لا يخلقها المجتمع، وإن حال الطبيعة تقوم في الحرية، أي أن العلاقة الطبيعية بين الناس علاقة كائن بكائن حر تؤدي إلى المساواة. والعلاقة الطبيعية باقية بغض النظر عن العرف الاجتماعي، وهي تقيم بين الناس مجتمعاً طبيعياً سابقاً على المجتمع المدني وقانوناً طبيعياً سابقاً على القانون المدني.

وعلى ذلك ليس لأحد حق فيما يزعم هوبز، ولكن حقهم ينحصر في تنمية حريتهم والدفاع عنها وعن كل ما يلزم منها حقوق مثل حق الملكية وحق الحرية الشخصية وحق الدفاع عنهما. إن لوك بعكس هوبز يرى أن الملكية الخاصة موجودة في حال الطبيعة، وإنها سابقة للمجتمع المدني وهذه النظرية حول الملكية تحمل عند لوك مكانة كبيرة.

إن حق الملكية حق طبيعي يقوم على العمل ومقدار العمل لا على الحيازة أو القانون الوضعي وليس حق فيما يكسبه المرء بتعبه ومهارته ولا تصبح الحيازة حقاً إلا إذا استلزمت العمل. على أن حق الملكية خاضع لشرطين الأول أن المالك لا يدع ملكيته تتلف أو تهلك والثاني أن يدع للآخرين ما يكفيهم.

يرى لوك أن الإنسان ((الحاذق العاقل)) وليست الطبيعة، في أساس كل ماله قيمة تقريباً إذ أن الملكية الطبيعية (خيرة) ليست بالنسبة للمالك ولكن بالنسبة إلى كل البشرية. من يمتلك أرضاً بعمله لا ينقص بل يزيد بالموارد المشتركة للجنس البشري. إن أكبر سعادة تقوم لا على التمتع بالملذات الكبرى بل على تملك الأشياء التي تعطي أكبر السعادات، وهو بهذا يعرف ((المتعة الرأس مالية)) على حد تعبير ((ليوستروس)). ومن أجل ضمان الملكية يخرج الناس من الحالة الطبيعية ويكونون مجتمعاً مدنياً غايته الأساسية المحافظة على الملكية، ويقول ((لوك)) كل حكومة لا غاية لها غير الحفاظ على الملكية من خلال الإرادة والتشريع لا الحكم.<sup>١</sup>

إن القوانين والقضاة والشرطة هي التي يحتاج إليها الناس في حالة الطبيعة. وهذا ما تجلبه لهم الحكومة المدنية والحكم السياسي إذا هو نوع من الودعة سلمه مالكون إلى مالكين. والحكام إداريون في خدمة الجماعة ومهمتهم تقوم على تأمين الراحة والإزهار.

يتفق لوك مع هوبز بالقول إن الحكومة الصالحة هي إحدى ذرائع العقد البشري لا يختص بها إقليم مقدس أو تورث بالتقاليد والعادات القومية. إن الدولة قامت على أساس من عقد أو اتفاق واع بين الحاكم والمحكوم وقد التزم لوك على خلاف هوبز، جانب البرلمان ضد الملك في صراع في الأمور السياسية، وأيضاً على خلاف هوبز أن الناس في حالة الفطرة الطبيعية عقلاء حسنوا التصرف يرغبون في التعاون مع الآخرين على الرغم من أن فقدان السلطة خلق منهم القوي والضعيف. وللناس كذلك إحساس خلقي مستقل عن الحكومة ومنفصل عنها، وهم يملكون بحكم الطبيعة حقوقاً معينة لا علاقة لها بوجود الدولة مطلقاً، وهذه الحقوق هي حق الحياة والحرية والتملك<sup>١٥</sup>

في نظريته عن سلطة الدولة والقانون، يضع لوك فكرة الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية والأشكال المختلفة للحكومة. وعنده إن الغرض من الدولة هو الحفاظ على الحرية والملكية اللتين تكتسبان عن طريق العمل. ومن ثم فإن الحكومة لا يجوز أن تكون تعسفية. وهذا يقسمها إلى تشريعية وتنفيذية واتحادية. وقد كانت نظريته في الدولة محاولة لتكييف النظرية مع الشكل السياسي للحكومة اللذين اتخذتا في إنكلترا نتيجة الثورة البرجوازية. إن لوك يرى الناس في حالة طبيعية ليسوا كلهم قادرين على أن يحملوا الجميع على إحترام حقوقهم الطبيعية ولا يستطيع بمجهودهم الخاص حماية ما يعود إليهم أي حماية ملكيتهم لهذا إتفقوا في ما بينهم على إقامة حكومة تلزم الناس بالمحافظة على إحترام حقوق الجميع. وهكذا نشأت الحكومة بمقتضى عقد ولكنه ليس عقداً غير مشروط كما ذهب إلى ذلك هوبز.

وإنما يفرض التزامات متقابلة. فينبغي على الشعب أن يكون عاقلاً مدركاً.

فالمخلوقات العاقلة وحدها تستحق الحرية السياسية.

هذا العقد يفرض على الحكومة بعض الشروط والالتزامات.

<sup>١٥</sup> المصادر: -

عمر، معن خليل، علم اجتماع التنظيم، دار الحرية، بغداد ١٩٨٨ ص ٧٢

فإذا ما خرجت حكومة ما عن أحكام العقد وهددت الحقوق الطبيعية فإنه يكون من حق المحكوم في هذه الحالة أن يعيد النظر في ما أقدم عليه من خلق هذه الحكومة وله عند الضرورة القصوى أن يثور عليها.

يرى لوك إن للمحكومين أن يثوروا إذا ما سلبت السلطة الحقوق الطبيعية وخصوصاً الحرية والملكية الفردية لكن استعمال حق المقاومة في نظره لا يهدف إلى تحقيق الأمانى الشعبية بل إلى الدفاع عن النظام العام.

ونظرية لوك هنا مستمدة من مصادر محافظة.<sup>١٦</sup>

والاعتراف بحق المقاومة حر ووسيلة لحمل الأخير على التفكير تسمح بإبعاد خطر الثورة الشعبية ولا تشكل مطلقاً دعوة إلى العصيان.

إن معنى الحرية الشخصية عند لوك هو أنه ليس هناك سيادة طبيعية لأحد على الآخر. إن سلطة الأب أعطيت له لكي يربي الإبن ويجعل منه إنساناً أي كائناً حراً. فهي واجب طبيعي أكثر منه سلطة وهي مؤقتة ولا تشبه في شيء سلطة السيد على العبد، وتفقد بسوء الاستعمال والتقصير.

إن السلطة السياسية تراضي مشترك وعقد إداري، ذلك لأن أعضاء المجتمع متساوون عقلاً وحدية بخلاف الحال في علاقة الآباء والأبناء. فأساس المجتمع الحرية، والغرض من العقد الإجتماعي صيانة الحقوق الطبيعية لا محوها لمصلحة الحاكم كما يزعم هوبز، فلا يستطيع الأعضاء أن يتنازلوا إلا عما يتنافر في حقوقهم في حالة الاجتماع، ذلك هو حق الإختصاص. فالسلطة المدنية قضائية في جوهرها. لذلك لم تكن السلطة المطلقة الغاشمة مشروعة وإنما هي محض استعباد. والملك المستعبد خائن للعهد، والشعب في حل من ذلك.

إن فكرة السياسي عند لوك فكر علماني، وهو يفصل بين الزمن والروح، ويرى إن الآراء الدينية تتمتع بحق مطلق وشامل بالسماحة.

<sup>١٦</sup> المصادر: -

الموسوعة الفلسفية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط ١٩٨٨ ص ١٢٦٠

الواقع أن لوك لم يكن ثورياً رغم كونه منظراً لثورة. وكان يحذر من السيادة الشعبية كما يحذر من الملكية المطلقة، وكان همه الرئيسي النظام والأمن.

كانت فلسفة لوك بمثابة هجوم كبير على التقاليد والحكم التعسفي والسلطان الكنائسي بقدر ما كانت هذه الأشياء تدعم النظام القديم، ذلك النظام الذي هزم للمرة الأولى في عام ١٦٤٠ كما هزم من جديد في عام ١٦٨٨.<sup>١٧</sup>

كانت فلسفته فلسفة الطبقة الوسطى النامية التي اصطدمت اصطداماً مريباً بأسرة ستيورت المالكة بالمجتمع الإرسطراطي وبرجال الدين كانت فلسفته تكافح من أجل الحصول على قدر من الحريات السياسية والاقتصادية من أجل حكومة دستورية، من أجل التسامح الديني.

كان ماعمله لوك هو تحويل إحدى الحوادث الهامة في التاريخ الانكليزي إلى حادثة ذات مغزى عالمي عام واستطاع بعض كبار اللوردات في إنكلترا عام ١٦٨٨، بعد أن نالوا مؤازرة الكنيسة الرسمية والأعيان والتجار، أن يزيحوا ملكاً ((جيمس الثاني)) وقيموا مكانه ملكاً آخر وفرضوا على الملك الجديد بعض الالتزامات التي نصت عليها (وثيقة اعلان الحقوق) والتي تتصل كلها بالتفسير القانوني أو الفني للدستور.

وضع لوك، بإقامته الحجة على أن البرلمان تصرف تصرفاً صائباً عند طرد جيمس الثاني، المسألة على أساس من العقل الطبيعي والفطرة الانسانية.<sup>١٨</sup>

<sup>١٧</sup> المصادر: -

بالمر، تاريخ أوروبا الحديث، مصدر سابق ص ١٤٦  
جون لويس، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك، دار الحقيقة بيروت، ط ١ ١٩٧٣.

<sup>١٨</sup> المصادر: -

بالمر، تاريخ أوروبا الحديث، مصدر سابق ص ١٠٣  
الموسوعة الفلسفية، المجلد الثاني، معهد الإنماء العربي، ط ١، ١٩٨٨، ص ١١٥٦



## الفصل الرابع

### جان جاك روسو والعقد الاجتماعي (١٧١٢-١٧٧٨)

#### حياته:

ولد جان جاك روسو Jean - Jacques rousso في جنيف من أسرة فرنسية ، احترف في أول حياته مختلف الحرف ، لكنه عرف بعض الاستقرار في مدينة سافوي فاستطاع أن يتعلم الموسيقى واللاتينية والفلسفة ، ثم ذهب الى مدينة البندقية حيث أصبح كاتباً لسفير فرنسا فيها وعاد إلى باريس وهو في الثالثة والثلاثين. في باريس اتصل (بريد رو) المفكر الفرنسي وكتب في موسوعته الجزء الخاص بالموسيقى.

في صيف ١٧٤٩ قرأ إحدى الصحف إن أكاديمية ديجون تعرض للمسابقة هذه المسألة ، هل تعاونت الفنون والعلوم على تصفية الأخلاق؟ فشرع يكتب على الفور في هذا الموضوع وقدم للأكاديمية ما كتب وأحرز الجائزة.

كان هذا هو أول الطريق الى شهرته العالمية. ثم أعلنت الأكاديمية إنها تضع للمسابقة هذا الموضوع (ما منبع تفاوت المراتب بين الناس)؟ وهل يقره القانون الطبيعي؟ فعقد العزم على الكتابة وأخرج كتابه الثاني (مقال في أصل التفاوت بين الناس)؟ وهل يقره القانون الطبيعي؟ فعقد العزم على الكتابة وأخرج كتابه الثاني (مقال في أصل التفاوت بين الناس) ولكنه لم يحصل على الجائزة ونشر الكتاب عام ١٥٧٤ ، وبعد ثمان سنوات (١٧٦٢) أخرج كتابين (العقد الاجتماعي) (في التربية) فأنكره السلطات الباريسية الكتاب الثاني وهمت بإعتقاله ففر إلى سويسرا ثم لجأ إلى النكلترا وسمع له أخيراً بالعودة على فرنسا حيث عاد وقضى بقية أيامه بحالة مضطربة.

#### آراءه في العقد الاجتماعي:-

يرى روسو إن الانسان طبيعي لا هو بالخير ولا هو بالشرير ، وإن المساواة بين الناس قد زالت بظهور الزراعة والصناعة والملكية. إن القوانين قد شرعت لتثبيت قوة الظالم على المظلوم ، والناس

يستطيعون تحقيق شيء من الحرية المدنية بدخولهم في تعاقد اجتماعي يجعل السيادة للمجتمع بأسره بحيث لا يجوز النزول عنها لأحد.

يفترض روسو إن الإنسان كان متوحداً في الغالب لا يعرف أهله ولعله لم يكن يعرف أولاده ولا لغة له ولا صناعة ولا فضيلة ولا رذيلة من حيث أنه لم يكن له مع أفراد نوعه أي علاقة يمكن أن تكون علاقة خلقية كان حاصلها بسهولة على وسائل ارضاء حاجاته الطبيعية ولم يصاب الا بالقليل من الأمراض قلما كان يحتاج إلى الأدوية لأن الصحة إنما تعتل بالإسراف في المعيشة وبالميلو المصطنعة وما ينتج عنها من اجهاد جسمي وعقلي.<sup>١</sup> يرى روسو ان الحرية هي التي تميز الإنسان أكثر من الفهم (الموجود في الحيوان إلى حد ما) ويقول ان الحيوان يتقاد لدافع الطبيعة ولكن الإنسان يرى نفسه حراً في الانقياد له أو مقاومته. ويعتقد روسو أن هوبز قد أخطأ في قوله أن حالة الطبيعة تتميز بالطمع والكبرياء، فإن هاتين العاطفتين لا تنشآن إلا في حالة الاجتماع، فالإنسان المتوحد كان كاملاً سعيداً لأن حاجاته قليلة.

ييدر هذا التساؤل عن كيفية خروج الإنسان من هذه الحالة؟ خرج الإنسان منها اتفاقاً بأن عرضت له أولاً اسباب طبيعة كالجدب والبرد والقيظ اضطرته إلى التعاون مع غيره من أبناء نوعه... تعاوناً<sup>١٩</sup> مؤقتاً كان الغرض منه صيد الحيوان... ثم اضطررتهم الفيضانات والزلازل إلى الاجتماع بصفة مستديمة فاخترعت اللغة فتغير السلوك وبرز الحسد.

ان هذا الاجتماع بنوعيه، المؤقت والمستديم، يمثل في رأي روسو، حالة التوحش الخالية من القوانين وليس فيها ردع سوى خوف الإنتقام ولكن تطور حياة الإنسان واتساع ضروراتها أدى إلى نشوء حالة مدنية منظمة بالقوانين تثبت الملكية ويتوطد التفاوت بين الناس. وهكذا يتحول الإنسان الطيب بالطبع إلى شرير بالاجتماع.

إن الاجتماع قد أضحي ضروريا ومن العبث فضه والعودة إلى حالة الطبيعة.<sup>١</sup>

<sup>١٩</sup> المصادر: -

كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق ص ١٩٤

وكل ما تستطيع صنعه هو أن تصلح مفاصله بأن تقيم الحكومة الصالحة وتهيئ لها بتربية المواطنين الصالحين. فمن الوجهة الأولى تعود المسألة إلى إيجاد ضرب من الإتحاد يحمي بقوة المجتمع شخص كل عضو وحقوقه ويسمح لكل وهو متحد بالكل بأن لا يخضع إلا لنفسه وبأن تبقى له الحرية التي كان يتمتع بها من قبل. لم تكن ملكية الأرض مضمونة بما فيه الكفاية. وكان لابد من تدبر وسائل جديدة لحمايتها. وقد لجأ الأغنياء إلى الحيلة للإيقاع بالفقراء وقد ابتكروا كما يقول روسو، أذكي خطة عندما قالوا للفقراء نتحد لكي نحمي الضعفاء من الظلم والجور، ونضع قوانين العدل والسلم وبدلاً من أن نستنفذ قوانيننا في الاقتتال نوحّد أنفسنا في سلطة عليا وفق الشرائع الحكيمة... وهكذا قاد تأسيس الملكية الأرضية البشر إلى الميثاق الاجتماعي.<sup>٢٠</sup>

هذه المسألة التي يعالجها روسو في كتابه (العقد الاجتماعي) يذهب إلى أن هذا الفرض (الحرية والحقوق) ممكن التحقيق عندما تجمع الكثرة المفككة على أن تؤلف شعباً واحداً، وأن تحل القانون محل الإدارة الفردية وينزل عن نفسه وعن حقوقه للمجتمع بأكمله وهذا هو البند الوحيد للعقد الاجتماعي إذ بمقتضاه يصبح الكل متساوين في ظل القانون، والقانون إرادة الكل تقرر الكلي أي المنفعة العامة وأن الشعب لا يريد إلا المنفعة العامة. فالإرادة الكلية مستقيمة دائماً ومن يأب الخضوع لها يرغمه المجتمع بأكمله.

كانت القوانين في البداية، على حد قول روسو، تفتقر إلى بعض الضوابط والمعايير الملزمة للأفراد وكان المجتمع بأسره يضمن احترامها والتقيّد بها. لكن سرعان ما أوحى ضعف شكل الحكم هذا فكرة (توكيل أفراد معينين على الوديعة الخطيرة، السلطة العامة)

هكذا ظهر الولاة المنتخبون، بما أن الشعب وحد إرادته جمعاء في مشيئة واحدة، فيما يتصل بالعلاقات الاجتماعية، فإن كل ما وضع موضوعاً لهذه المشيئة صار للحال قانوناً أساسياً ملزماً لجميع أعضاء الدولة دونما استثناء. وهكذا نجد أن العقد الاجتماعي لا يتمخض، من منظور روسو

<sup>٢٠</sup> المصادر: -

كرم، يوسف تاريخ الفلسفة الحديثة، مصدر سابق ص ١٩٥  
فولفين فلسفة النوار، ترجمة هنري عبودي، دار الطباعة، بيروت، ط ١، ١٩٨١ ص ٢٠٣

عن تكوين المجتمع كتنظيم سياسي فحسب، وإنما يحدد أيضاً العلاقات المتبادلة بين الشعب وبين الذين انتخبهم كيما يحكموه.

لقد كان العقد أداة إرادية يتنازل به الأفراد عن حريتهم الطبيعية إلى كل فرد آخر، وأذابوا إرادتهم الفردية في إرادة عامة مشتركة واتفقوا على قبول أحكام هذه (الإرادة العامة) كأحكام نهائية قاطعة، وكانت هذه الإرادة العامة هي السلطة صاحبة السيادة، وإذا ما فهمت هذه السلطة فهما صادقا فإنها سلطة (مطلقة) و(مقدسة) ولا يمكن الخروج عليها. أما الحكومة فهي أمر ثانوي عرضي، فالملك والموظفون أو الممثلون المنتخبون ممثلون عن الشعب الذي يملك السلطة والسيادة.<sup>٢١</sup>

إن العقد الاجتماعي عند روسو ليس عقداً بين أفراد (كما عند هوبز) ولا عقداً بين الأفراد والسلطات (كما عند لوك) فبموجب هذا العقد، كما يرى روسو، فإن كل واحد يتحد مع الكل فالعقد هو بين المجموعة بحيث يضع كل واحد شخصه وقدرته في الشراكة تحت سلطات الإرادة العامة، وسيكون كل شريك متحداً مع الكل ولا يتحد مع أي شخص بشكل خاص.<sup>١</sup>

إن العقد الاجتماعي هو الشرط الضروري والملازم لكل سلطة شرعية ولكل إبرام هذا العقد يمثل في الوقت نفسه من منظور روسو مرحلة محددة من التطور التاريخي يشير إلى الانتقال من الحالة الطبيعية إلى المجتمع المدني، وإن ما يخسره الإنسان من جراء العقد هو حريته الطبيعية والحق اللا محدود في كل ما يقربه وكل ما يستطيع أن يبلغه ويطوله وما يربحه بالمقابل هو الحرية المدنية وهو تملكه لكل ما ملكته يده.

يتلخص جوهر العقد الاجتماعي على النحو الآتي، يضع كل واحد منا شخصه وكامل حقوقه تحت الأمرة العليا للمشيئة العامة وإن غاية العقد الاجتماعي الحفاظ، ولا ريب على حياة المتعاقدين.

<sup>٢١</sup> المصادر: -

فوفين، فلسفة الأنوار سابق، ص ٢٠٣  
بلمر، تاريخ أوربا الحديث، مصدر سابق، ص ٣٣٥

ولكن من يرغب بالحفاظ على حياته بمعونة الآخرين ملزم بالتضحية بها في سبيلهم عندما يقتضي الأمر ذلك إن الفرد إن يمنح نفسه للمجتمع ، يستودعه أمواله أيضاً.

فروسو يدعّن أن الميثاق الاجتماعي يجعل من الدولة مالكة أموال رعاياها كافة. غير أن الدولة التي تتقبل أموال رعاياها وممتلكاتهم لا تجردهم منها وإنما تضمن لهم تملكهم المشروع فالدولة وحدها قادرة على تحويل الإغتصاب إلى حق للتمتع على ملكية<sup>٢٢</sup>

ثم يأتي روسو على أهم جانب من جوانب نظرية وهو الجانب الذي يميزه عن النظريات الأخرى ، فليس من المعقول في نظر روسو أن تتخيل عقداً يتعهد أحد الطرفين بموجه أن يأمر ، والثاني أن ينصاع ، ان العقد الوحيد هو الذي يتولد عنه الحسم السياسي .

وكل عقد يحد من سلطة الشعب السائدة المطلقة يقوّض أساس الميثاق الاجتماعي ، ليس ممثلوا السلطة التنفيذية إذا كانوا قادة الشعب أو رؤساء ، إنما هم موظفون عنده وهو من يعينهم أو يسرّحهم ، ولا تقوم وظيفتهم على أساس بنود عقد محدد وإنما على أساس انصياعهم للواجب الذي تفرضه الدولة.

إن أشكال الحكم في نظر روسو ليست أكثر من أشكال تنظيمية للسلطة التنفيذية ومهما اختلفت أشكال الحكم ، تبقى السلطة السيادية على الدوام. من حق الشعب ، ولكن قد يعهد هذا الأخير بالسلطة التنفيذية أما إلى الجزء الأكبر من الشعب ، وأما إلى عدد محدود صغير من الأشخاص ، وأما إلى شخص واحد ، ويطلق على الشكل الأول من أشكال الحكم اسم الديمقراطية وعلى الثاني الأرستقراطية ، وعلى الثالث اسم الملكية<sup>١</sup>.

اختار روسو الديمقراطية في حقبة لم تتواجد فيها الديمقراطية لا في الواقع ولا في الأفكار ، وبما أن الشروط التاريخية للديمقراطية لم تكن متوفرة ، وجد روسو نفسه مضطراً أما لقبول أيديولوجية

<sup>٢٢</sup> المصادر : -

توشيار ، تاريخ الفكر السياسي ، مصدر سابق ص ٣٣٥

فولفين ، فلسفة الأنوار ، مصدر سابق ٢١٧

البرالية البرجوازية التي كانت يومئذ الإيديولوجية السائدة (حرية ، مساواة ، ملكية) وأما بناء مدينة طوبائية لكنها في نفس الوقت عقلانية.<sup>٢٣</sup>

حاول روسو في (العقد الاجتماعي) أن يثبت إنه يستحيل في المجتمع الحر أن يحكم أي إنسان من قبل أي إنسان آخر ، وكيف إن كل فرد هو في آن معاً رعية ومواطنين ، وإن السلطة الشرعية لا بد أن تنبثق عن موافقة المحكومين ، وإن السيادة تكمن في الإرادة العامة في اجتماع الأمة ، وإن الذين يشغلون منصباً عاماً لا يؤدون مهامهم بمقتضى حقهم الخاص ، أو حق موروث ، وإنما بمقتضى سلطة أو كلفتها إليهم ، سلطة تمنح وتحسب.<sup>٢٤</sup>

### الخاتمة

هكذا نأتي الى نهاية بحثنا هذا عن العقد الاجتماعي وأبرز المنظرين فيه ، بما في ذلك طرح نظرياتهم في هذا المجال ، التي ظهرت خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر في أوروبا الغربية لاسيما في كل من إنكلترا وفرنسا .

فضلاً عن ذلك التركيز على الجهود التي بذلها أصحاب هذه النظريات التي كانت قياساً إلى العصر الذي عاشه كل منهم جهوداً جبارة حملت معها مخاطر شديدة . فعلاً إن هذه النظريات والأفكار لم تكن تروق لأصحاب النفوذ والسلطة المطلقة الذين رأوا فيها اختزالاً لأدوارهم وشخصياتهم وتأثيراتهم . إن هذه النظريات كانت محفزاً وملهماً لكثير من الأفكار والنظريات الفلسفية والسياسية التي ظهرت بعد انتشارها . فقد كانت مصدر إلهام للثورتين الأمريكية سنة ١٧٧٦ والفرنسية ١٧٨٩ مثلما كانت مصدر إلهام للأحزاب التي ظهرت بعد أحداث الثورة الفرنسية وكانت مؤشراً على بداية النهاية لحكومات المطلقة التي ظلت تهيمن على مقاليد الأمور في أوروبا . طيلة قرون أما بإسناد من الكنيسة أو بقوة طغيانها المدني وحده .

<sup>٢٣</sup> المصادر : -

بالمر ، الثورة الفرنسية وامتدادها ، ترجمة هنري عبودي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٠ ص ٦٢ .

<sup>٢٤</sup> المصادر : -

بالمر ، الثورة الفرنسية وامتداداتها ، مصدر سابق ص ٦٣

إن العالم الحديث وحركات التحرر مدينة بصورة مباشرة وغير مباشرة لنظريات العقد الاجتماعي التي نهت الشعوب إلى أن لها دوراً في حياة أفرادها والكلمة الفاصلة يجب أن تقولها الشعوب لا الحكومات. ناقشت هذه النظريات لأول مرة الحق الإلهي الذي استند إليه الملوك والأباطرة في حكمهم شعوب العالم. ولأول مرة تجرأت هذه النظريات بالقول (لا أحد يملك الحق الإلهي على حياة الآخرين وإن الله لم يفوظ أحداً لكي يتحكم بمصائر ملايين البشر ويسوقهم وفق رغباته وأهوائه).

كان العقد الاجتماعي بداية اختبار فكرة الدساتير الحديثة التي قامت على أساس تمثيل الإرادة الشعبية العامة.

لكل هذه الأسباب يجدر بنا دراسة هذا الجانب.

## **المصادر العربية**

### **أولاً الكتب:**

١. أحمد د. محمد شريف، فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين، دراسة مقارنة، دار الرشيد، العراق، ط ١، ١٩٨٠.
٢. بالمر، روبرت، تاريخ العالم الحديث، ج ٢، ترجمة حسن علي دنون، مكتبة دار المتنبي بغداد ١٩٦٤.
٣. توشبار، جان، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة د. علي مقلد، الدار العالمية، بيروت ط ١، ١٩٨١.
٤. البكري، عبد الباقي، نظريات القانون، مطبعة الزهراء بغداد ١٩٦٩ س.
٥. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، ط ١، ١٩٥٧.
٦. ديدجري، البان، ج، التاريخ وكيف يفسرونه، ترجمة عبد العزيز توفيق، الهيئة المصرية للكتاب، مصر ١٩٧٢.
٧. لويس، جون، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة أنور عبد الملك، دار الحقيقة بيروت، ط ٢، ١٩٧٣.

٨. فولفين، ف، فلسفة الأنوار، ترجمت هنرييت عبودي، دار الطليعة بيروت، ط ١، ١٩٨١.
٩. بالمر، روبرت، الثورة الفرنسية وامتداداتها، ترجمة هنرييت عبودي، دار الطليعة بيروت، ط ١، ١٩٨٢.
١٠. الحسن، احسان محمد، رواد الفكر الاجتماعي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد ١٩٩١.

#### الموسوعات:-

١. الموسوعة الفلسفية، ترجمة سميري كرم، دار الطليعة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠.
٢. الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين، القاهرة، ١٩٦٥.
٣. الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الأثماء العربي، ط ١، ١٩٨٨.

#### المصادر الأجنبية:-

Wiber - max - sociology - of-religion- beacon – press – boston 1963 – p



# العقود المستثناة من التفاضل الربوي في الشريعة الإسلامية

د. فرات شاكر وتوت

١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م

## العقود المستثناة من التفاضل الربوي في الشريعة الإسلامية

### المقدمة

يعد الربا من أكثر الموضوعات الاقتصادية والدينية أهمية فهناك مسائل كثيرة تتعلق بموضوع الربا في الإسلام تحتاج إلى دراسة معمقة.

ومن المعاملات التجارية والعقود المالية قديما وحديثا الخاضعة للتفاضل الربوي التي ان بدأ العمل بها فستؤدي إلى تسلط الإنسان القوي أو الغني على أخيه الضعيف أو الفقير، والتي ستؤدي إلى دوافع فردية انانية لدى المرابي يحاول بها ابتزاز جهد المعوزين.

وعليه نرى أن الإسلام وبناءً على منع استغلال الإنسان لأخيه الإنسان حرم التعامل بالربا بنصوص قرآنية صريحة وكذلك أحاديث السنة النبوية الواضحة حفظاً للتوازن الاقتصادي والاجتماعي في دولة الإسلام وعمل على تواصل الناس وتعاطفهم بروح الأخوة الإنسانية والعمل بما شرعه الاسلام في وجوب رفع مستوى الفقراء ومحاربة الفقر سواء بالإعانات أو القروض في صندوق، أو معطيات الزكاة والصدقات وما يشابهها.

إن الأصل في الشريعة الإسلامية ان تكون العقود والتصرفات غير المتعارضة معها مباحة لتيسير حاجات الإنسان ومصالحهم بعيدة عن استغلال المنتجين. وهي ايضا قد سمحت بانواع من العقود التي لها وجه في الشبه بالتفاضل الربوي وذلك لوجود الحاجة اليها لدى العاقدين ولكنها حددتها بشروط وضوابط تحافظ على مصلحة الطرفين ومن هذه العقود:

❖ عقد بيع الوفاء وعقد الاستصناع وعقد التسلم (السلف).

إن البحث في الموضوع يتطلب من الباحث تناول مفهوم التعامل الربوي بأنواعه من حيث حكمة تحريمه وكذلك البحث في العقود المشتبه بها ثم خاتمة للبحث.

و ذلك لان فريقا من الناس يرى ان انتشار الربا قد يكون مسوغا للتسامح به ولانه صار من عادة النظم الاقتصادية المعاصرة ومنها نظم دول إسلامية وتعمل بنهج الشريعة الإسلامية تتعامل بالربا وذلك لاعتقادها في تحقيق المصالح الصحيحة للبشرية وتعجز عن ادراك مقاصد الشريعة الإسلامية في حفظ اقتصاد الدول أو أموال الأفراد قد أوقع هذه النظم أو هؤلاء الأفراد الذين استطاعوا جني أموال طائلة من النقود، إلا أنهم لم يستطيعوا تحقيق الاخوة الإنسانية وكان من نتيجته التهالك على المال عن طريق الربا وتسلطهم على الضعفاء والعمال.

وهو العداة والكراهية بين طبقات المجتمع، وان الشريعة السمحة حيث حرمت الربا فإنها كانت تهدف الى بناء رابطة الاخوة الإنسانية والعدالة بين الناس وتقسيم الأرباح بين العمل والإنتاج والضرب بشدة على أطماع المرابين المستغلين لحاجة الضعفاء.

## **المبحث الأول التفاضل الربوي**

### **المطلب الاول: التعريف بعقد الربا<sup>١</sup>**

هو عقد يتفق عليه طرفاه على تقديم المدين للدائن زيادة مالية على الدين او الثمن عند التسديد وبصرف النظر عن مقدار هذه الزيادة.

و يقسم الى قسمين :

---

<sup>١</sup> الربا من الفعل (ربا) بمعنى زاد ومنه قوله تعالى (و ترى الارض هامة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت و ربت. سورة الحج /٥).

## الاول ربا النسيئة<sup>٢</sup>:

هو زيادة مالية على مبلغ القرض من اجل تأجيل وفاء الدين لوقت معلوم. وكذلك يسمى (ربا القرض) أي اخذ الفائدة على القرض.

و هذا الربا المشهور قديما وحديثا وهو ان يقرض احد طرفي العقد الآخر مبلغا من المال لسد حاجته الضرورية او لاستخدامه في الاستثمار والعمل او لأي غرض آخر ويشترط عليه، رد المال مع زيادة يتفقان عليها أو يقرضها المقرض (الدائن) على الدين استغلالاً منه لحاجة المقرض. وهذا التعامل قد يقع بين شخصين او بين مؤسسة وشخص او بين مؤسسة ومؤسسة اخرى كالمصارف والمؤسسات المالية.

و قد كان الناس قبل الإسلام يتبايعون بالربا إلى اجل فإذا حل الأجل قال الدائن للمدين (أتقضى أم تربي؟) ويعني بذلك أن تفي بالدين أم تزيدني على مالي بذمتك واصبر عليك اجلا آخر؟<sup>٣</sup> و حرم الله تعالى هذا الربا حرمة صريحة بقوله تعالى :

﴿و احل الله البيع وحرم الربا﴾ سورة البقرة/ص ٢٧.

كما حرمتها السنة النبوية بقول النبي ﷺ : اجتنبوا السبع الموبقات)  
 قيل : يا رسول الله وما هي؟ قال ﷺ : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات. كما وروي عن النبي ﷺ انه : لعن أكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه<sup>٤</sup>.

## الثاني: ربا الفضل

و هو الزيادة المشروطة بين الامول العينية المتجانسة سواء أكانت تقاس بمقياس الوزن أو الكيل وهذه الزيادة في احد العوضين مقابل الآخر الذي هو من نفس جنسه محرمة في الشرع، ولو كان

<sup>٢</sup> النسيئة من الفعل (نسا) بمعنى أخر وأجل (المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٩٢٣).

<sup>٣</sup> محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي - احكام القرآن - القسم الأول ص ٢٤١.

<sup>٤</sup> عبد الله بن احمد بن محمد بن قداحة (٦٣٠). المغني، ج ٤، ص ٣، مطبعة الامام بالقلعة بمصر / تحقيق الدكتور محمد خليل هراس.

العوضان مختلفين في الجودة أو الشكل أو الصناعة<sup>٥</sup>. ويسمى أيضا ربا المعاملة (أو الربا المعاملي) وهو ما يقع في عقد من العقود التجارية كالبيع مثلا كبيع عشرة أطنان من الحنطة بأحد عشر طنا من الحنطة فالزيادة هنا محرمة<sup>٦</sup>.

و هذا النوع من الربا هو موضوع بحثنا هذا.

### المطلب الثاني: دليل تحريم ربا التفاضل وعلته

جاءت احاديث الرسول ﷺ وافرة في تحريم ربا التفاضل ومنها:

١. حديث أبي سعيد الخدري - قال رسول الله ﷺ: لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل ولا تشقوا<sup>٧</sup> بعضها على بعض ولا تبيعوا الورق بالورق (الفضة) ا منها غائبا بناجز متفق عليه<sup>٨</sup>.

٢. قال رسول الله ﷺ: (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا يدا فإذا اختلفت هذا الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا يدا). رواه مسلم<sup>٩</sup>.

٣. قال رسول الله ﷺ: (الذهب بالذهب وزن بوزن مثلا والفضة بالفضة وزن بوزن مثلا بمثل، فمن زاد واستزاد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء) رواه مسلم<sup>١٠</sup>.  
كما جاء في احاديث اخرى:

<sup>٥</sup> نفس المصدر السابق.

<sup>٦</sup> السيد محمد تقي المدرسي، احكام المعاملات، ص ١٤٦.

<sup>٧</sup> تشقوا: تزيدوا عليها أي ترجوا.

<sup>٨</sup> ابن حجر العسقلاني، بلوغ المرام من ادلة الاحكام، ص ١٧٠، رقم الحديث ٨٢٥، مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة.

<sup>٩</sup> ابن حجر العسقلاني: بلوغ المرام من ادله الاحكام \_ ص ١٧٠ رقم ٨٥٢ مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة.

<sup>١٠</sup> المرجع السابق نفس الصفحة \_ رقم الحديث (٨٥٢) وينظر صحيح الامام مسلم، ج ٥، ص ٤٢-٤٥.

روى هشام بن الحكم انه سأل أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن علة تحريم الربا فقال :  
(لو كان الربا حلالا لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه فحرم الله الربا لتفر الناس  
من الحرام إلى الحلال وإلى التجارات من البيع والشراء...)<sup>١١</sup>.

### علة تحريم ربا المفاضلة:

اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن التعامل الربوي وبشكل عام يتعارض مع القواعد الثابتة  
للدين الإسلامي، من حيث عقيدته وقيمه الخلقية ونظامه الاقتصادي الذي لا يهدر حق الفرد ولا  
حق المجتمع، وذلك لكونه نظاما عمليا سار في إطار ثابت من القانون والأخلاق ينظر إلى مصلحة  
المجتمع مفضلا إياها على المصلحة الشخصية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في الترغيب في  
ثواب الله عز وجل في الآخرة عن الأعمال الصالحة، والترهيب من عقوبة اليوم الآخر، وازدراء  
المجتمع لمن يخرج عن هذه القواعد.

أما علة تحريم ربا المفاضلة فإن الشريعة الإسلامية السمحة قد حددت حقوق الإنسان وأمرت  
بالحفاظ عليها. بأن حددت طرق اكتساب المال واشترطت ان لا يكون هذا الكسب والمنفعة على  
حساب خسارة الغير عندها تكون هذه المنفعة غير المشروعة في الاسلام حرام وممنوع بقوله تعالى :  
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم، ولا  
تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا﴾ سورة  
النساء/٢٩-٣٠

و من هذه الآية الكريمة نرى أن الإسلام قد اشترط لمشروعية التجارة شرطين هما :

- ١- ان تكون هذه التجارة منفعة عن تراض بين المتعاقدين.
- ٢- ان لا تكون منفعة طرف على خسارة الطرف الثاني.

<sup>١١</sup> تختلف الشيعة في احكام الشريعة - للفقهاء حسن يوسف مطر - العلامة الحلي ج ٢١٢ ابواب احكام العقود ، الباب  
الثامن ص ٤٢٤.

كما ان الاسلام قد شبه التاجر الذي يستسيغ أكل أموال غيره بقاتل نفسه ، كما يستدل من هذه الآية على ان التحريم قد تعلق بالتجارة من مبيعات المطعومات او الثمينات من الذهب والفضة. فالجنس إذا بيع بمثله سواء كان من الموزونات او من المكيلات فانه محرم ويعد ربا التفاضل. ولقد جاء لابن قدامة في المغني بان الفقهاء اتفقوا على ان ربا الفضل لا يجري إلا في الجنس الواحد، وإن المطعومات المتقاربة في الانتفاع والغذاء إذا اختلفت في الجنس فانه يجوز بيع بعضها بالآخر بالتفاضل كالتمر بالزبيب، والذرة بالدخن، واستندوا في ذلك إلى قول الرسول ﷺ: بيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يدا بيد وبيعوا البر بالتمر كيف شئتم<sup>١٢</sup>.

ومن هذا فان المماثلة تجب في المعيار وهو الكيل والوزن عند اتحاد الجنس في العوضين وهذا يشمل كل مفهوم في مثله ولا يجوز التفاضل فيه، ولا فرق بين المتجانسات عندما تتباين في الصنعة أو الجودة ولا يجوز فيها التفاضل وتخصيص الصلة في المثليات بالجنس والمقدار (الكيل والوزن) يسهل وضع الضوابط المعتمدة وللحذر من الوقوع في ربا التفاضل بالزيادة المحرمة لمثل هذه البيوع التي يقدم عليها الطامعون لغرض الحصول على الزيادة الفاحشة، وبهذا أيضا اخذ الفقه الجعفري في منع التفاضل بين الجنس الواحد في المطعومات<sup>١٣</sup>. والمقصود بوحدة الجنس وحدة الأصل، فالحنطة ودقيقها يعدان جنسا واحداً، والتمر ودبسه كذلك، واللبن والزبدة وكل المشتقات اللبنية يعد جنسا واحداً، وهكذا بالنسبة للعنب وخله والتفاح وعصيره وماشاكل ذلك<sup>١٤</sup>. وعند التطبيق في النماذج المتقدمة نرى أن الشارع قد حرم بيع الجيد بالرديء متفاضلاً أو بيع الحنطة بالدقيق بالتفاضل لان المجانسة والمعيار أي الوزن بين الدقيق والحنطة أو الكيل بين الجيد والرديء بالوزن باقيا فيهما<sup>١٥</sup>.

<sup>١٢</sup> ابن قدامة، المغني، ج٤، وصحيح مسلم، ج٥، ص٤٣.

<sup>١٣</sup> جعفر بن الحسن المعروف بالحقوقي الحلي، شرائع الاسلام، المجلد الأول، القسم الثاني، ص١٧٩، دار مكتبة الحياة في بيروت عام ١٩٧٨.

<sup>١٤</sup> السيد محمد تقي المدرسي، احكام المعاملات، ص ١٨٥.

<sup>١٥</sup> علي المرغيناني، الهداية، ج٣، ص٤٦-٤٧.

كما حرم الشارع استبدال الحنطة بجنسها ومن نوع غير نوعها ، لأجل تحسين الزراعة بالتفاضل أو عند رغبة المستفيد منها للأكل باستبدالها بغير الدقيق كمشتقات غذائية متنوعة تختص بها الحنطة الخشنة عن الناعمة ، ففي هذه الحالة حرم الشارع التفاضل بينهما ويجب مساواتهما لاتحادهما في الجنس .

كما ان هذه الأمتعة حين تباع بجنسها فإنما يفسر هذا يقصد حصول البائع من هذه الأشياء على النوع الأفضل والأجود من جنسها وكأنه يريد استبدالها بخير منها . ولهذا فان الشريعة السمحاء تمنع هذا التصرف لما فيه من تغرير وتضليل لذا فان تطلب من الراغبين بيع هذا الجنس من المطعومات ان يبيعها بثمن ثم يشتري به النوع الذي يرغب به من المطعوم الذي باعه وبهذا يتجنب الربا ولا يقع في تغرير الغير او تضليله .

فالصلة في هذا التحريم (ربا المفاضلة) هو وجود الجنس والمعيار بين البدلين لذلك أوجب الشرع التماثل بين البدلين وأوجب التقايض بينهما في مجلس العقد كما حرم التأجيل في البذل فكانت هذه الشروط الثلاثة قيودا على مقاصد هذا التعامل ومانعا في الضرر الربوي .

و كذلك لرفع الغبن الكبير الذي فيه وان من العدل في المعاملات هو مقاربة التساوي لذا يفترض وضع نسبة لها تقارب او تشابه قيمة احد الشئيين الى جنسه في مقابلة نسبة قيمة الشيء الآخر إلى جنسه ومثال ذلك :

إذا باع احدهم كبشا بحنطة في هذه الحالة يجب ان تعكس نسبة ثمن الكبش الى بقية الخراف هي نفس نسبة قيمة كمية هذه الحنطة الى سعر الحنطة في السوق ومن هذا فإذا كان سعر الكبش مثلاً عشرون فيجب ان يكون ثمن كمية الحنطة المستبدلة أيضاً عشرون وهذا هو التعامل العادل الصحيح لذا فان منع التفاضل في هذه الأشياء يرجع إلى علتين :

١- وجود العدل منها والحرص على منع التفاضل بين الجنس الواحد .

٢- منع المعاملة في بعضها بقدر الامكان لانها تشبه المعاملة المصرفية .

و مما تقدم فان علة الربا في هذه الأصناف الكيل او الوزن لكونها من المطعومات والأقوات والتي تشبه أن تكون حفظ العين فيما هو قوتا وطعاما ولكونهما من ضروريات حياة الناس ، ولهذا



كان من حكمة الشرع ان يحفظها من الاستغلال الربوي بالقيود المانعة في التفاضل فيما بينهما عند تماثلهما في الجنس والمعار<sup>١٦</sup>.

### المطلب الثالث: شروط تحقق ربا المفاضلة

ربا المفاضلة او المعارضة: هو بيع شيء بشيء مثله لكن بزيادة.

مثل بيع الشخص الف لتر من اللبن بالف ومائة لتر من اللبن فلأن العوضين من جنس واحد فيكون الالف ازاء الالف اما المائة لتر الزائدة فليس إزاءها شيء فتكون ربا أي اكلا للمال بالباطل التي ينهي عنها القرآن الكريم صراحة. وفي السنة النبوية الشريفة وهذه الزيادة في البذل التي تحقق الفائدة تكون على أقسام:

١- أن تكون زيادة عينية كبيع طن من الحنطة بطن ونصف من الحنطة ايضا فنصف الطن من الحنطة هنا يقع دون شيء يقابله في المعاملة فتكون زيادة عينية.

٢- وقد تتحقق الفائدة من خلال التفاوت الزمني كبيع طن من الرز حالا لقاء طن من الرز مؤجل الى بعد سنة من حين توقيع العقد فالتفاوت الزمني هنا يكون بمثابة الربا، اذ للزمن قسط من الثمن. فلا يجوز بيع شيء بأخر من جنسه بالنسيئة ولو كانت من دون زيادة. اذ ان وجود التأجيل الزمني في احد العوضين المتجانسين يجعل المعاملة ربوية<sup>١٧</sup>.

٣- وقد تكون الفائدة بتقديم خدمة اضافية معينة تضم الى عقد البيع. كبيع طن من التمر لقاء طن من التمر وحرث دونم من الارض. فبالرغم من ان التعاقد قد وقع على شيئين من جنس واحد من دون زيادة ولا أجل. الا ان إضافة العمل (وهو حرث دونم من الارض) الى احد العوضين جعل العقد ربويا<sup>١٨</sup>.

فيما تقدم نرى ان ربا المعارضة لا يتحقق الا بتوفير شرطين في الصفقة التجارية:

<sup>١٦</sup> ابن رشد بداية المجتهد، ج ٢، ص ١٣١-١٣٢.

<sup>١٧</sup> السيد محمد تقى المدرسي، احكام المعاملات، ص ١٨٥.

<sup>١٨</sup> نفس المصدر السابق، ص ١٨٥.

**الشرط الاول:** ان يكون العوضان من المكيل او الموزون فما يباع بالعدد كالبيض او بالمسح كالاقمشة او بالمشاهدة كالسمك فلا يقع فيه الربا بل يجوز بيع بعضهما ببعض بالتفاضل فيصح بيع عشرين بيضة بخمسة وعشرين بيضة. او بيع عشرة امتار من القماش باثني عشر مترا منه.

**الشرط الثاني:** ان يكون العوضان من جنس واحد كبيع الحنطة بالحنطة والمقصود بوحدة الجنس وحدة الاصل فالحنطة ودقيقها يعدان جنس واحد والتمر ودبسه كذلك واللبن والزبدة، وكل المشتقات اللبنية تعد جنسا واحدا ايضا.

بما ان تفاوت افراد الجنس الواحد في المواصفات الفرعية او في النوعية والجودة لا يخرجها عن وحدة الجنس. فالحنطة الممتازة والحنطة الرديئة يعدان جنسا واحدا وان اختلفت قيمتهما السوقية والرز العنبر والرز البسمتي يعدان من جنس واحد ايضا كذلك الأمر بالنسبة الى انواع التمور.

كما ان وحدة الجنس في اللحوم تعود الى وحدة الحيوان المتخذ منه اللحم فانواع لحوم الغنم هي جنس واحد بينما لحم الغنم ولحم البقر جنسان فلا يجوز الزيادة في الاول وتجوز الزيادة في الثاني. كما ان العنوان العام لا يحقق وحدة الجنس، فالرز والحنطة لا يعدان جنسا احدا وان أطلق عليهما عنوان الحبوب. والتفاح والبرتقال. لا يعدان جنسا واحدا وان كانا يدخلان تحت صنف الفواكه وهكذا ولكن الحنطة والشعير يعدان جنس واحد في الحكم الفقهي وذلك لورود النص به فلا يجوز بيع الشعير بالحنطة او العكس تفاضلا<sup>١٩</sup>.

<sup>١٩</sup> نفس المصدر السابق، ص ١٨٦.

## المبحث الثاني العقود المستثناة من التفاضل الربوي

### المطلب الأول: عقد السلم أو السلف<sup>٢٠</sup>

السَّلْمُ أو السَّلْفُ: عقد بيع أجل بعاجل. والعاجل هو: رأس المال أي الثمن على أن تسلم البضاعة فيما بعد (كبيع السيارة بثمن معين يدفعه المشتري حالا على أن يتسلم السيارة بعد فترة زمنية محددة).

وقد شرع هذا النوع من العقود استثناءً للحاجة إليه من المزارعين في إنتاجهم من حنطة وشعير وقطن وغيرها، واصحاب الأنعام في حياتهم الاقتصادية من إنتاج الصوف والشعر والدهن واللبن وغيرها من البضائع الخاضعة للكيل والوزن.

#### مشروعيته:

يتفق الفقهاء على مشروعية هذا العقد في الشريعة الإسلامية نظرا لحاجة الإنسان إلى التعامل به، لذلك استثنى الفقهاء هذه العقود من التحريم برأى المفاضلة ليشمل التعامل بمثل هذا العقد، فمثلا كان اهل المدينة حين قدم النبي ﷺ إليهم يسلفون من ثمار النخيل بأعيانهم فنهاهم عن ذلك لما فيه من الضرر لو اصاب هذه الأشجار عاهة فلا تثمر شيئا ولكنه ﷺ أباح لهم التسليف بالثمار دون تخصيص الشجر بعينه واشترط في التمر النوع والوزن والوصف ثم. جاءت إحكام القرآن في اباحة عقد السلم للتعويض عما كان يتعامل الناس به من الربا. وأوضحت للمرابين سوء العاقبة عليهم وعلى من سايرهم. فأنذرتهم الايات بما يترتب على التعامل الربوي من القطيعة بين الناس وتحجر قلب المتعاملين به كما أوضحت الايات لهم حقهم برؤوس اموالهم النقية من الربا وحصتهم على التعامل بلا استثمار النافع لهم ومردود ذلك التعامل في تنشيط الحالة الاقتصادية في الزراعة وتربية الحيوان لخير المجتمع بقوله تعالى: (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا

<sup>٢٠</sup> السَّلْمُ يفتح السين واللام و سل فيما نقل عن المازدي، ان السلف لغة اهل العراق و ان السلم لغة اهل الحجاز و هو السلف القديم راس المال و تسليمه في المجلس، فالسلف اعم (نيل الاوطار للشوكاني، ج ٥، ص ٢٢٦) المطبعة العثمانية المصرية، ط ١، ١٣٥٧ هـ. وفي اللغة: السلف ما قدم من الثمن على المبيع وفي المعاملات: القرض الذي لا منفعة للقرض فيه. ويفيد ايضا بيع السلم. السلم: فهو بيع شيء موصوف في الذمة بثمن عاجل (المعجل الوسيط، ج ١، ص ٤٤٦ - ٤٤٨، مجمع اللغة العربية. (١٣٨٠ - ١٩٦٠)

ان كنتم مؤمنين فأن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون). سورة البقرة ٢٧٨\_ ٢٧٩.

ثم بعد ذلك وجه القران الكريم المؤمنين إلى التعاون والتعاطف وخطاب الدائنين للتيسير والتسهيل مع المدينين المعسرين ورغبتهم بعتاء الله لهم بقوله تعالى: (وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة، وأن تصدقوا خيرا لكم ان كنتم تعلمون. واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم، توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)<sup>٢١</sup>.

وهذه الآيات المحرمة للربا هي خير تمهيد لتشريع عقد السلم الذي أوضحها الله تعالى في آية قرآنية بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى اجل مسمى فاكتبوه)<sup>٢٢</sup>.

ومن المفسرين من جعل المراد بالمداينة في عقد السلم، فالله تعالى عندما منع الربا في الآيات المتقدمة أذن في عقد السلم طريقاً حلالاً وسبيلاً مشروعاً لتحصيل المنافع المطلوبة منه، فالمقصود هو بيع العين بالنقد (الدين) وهو ما بيع بثمن مؤجل أو العكس من ذلك هو بيع الدين بالعين، وهو ما سمي بالسلم وكلاهما دخلا تحت مفهوم هذه الآية<sup>٢٣</sup>.

كما قال صاحب تفسير المنار: (إنَّ المداينة تشمل الدين والقرض) أما جمهور الفقهاء فقالوا (إن الدين عام يشمل القرض والسلم وبيع الأعيان إلى اجل وهو الصواب)<sup>٢٤</sup>.

### مشروعيته في السنة النبوية:

فقد جاءت أحاديث عدة في مشروعية عقد السلف وكذلك بعضها يبين شروطه الضابطة لما علمه:

قال رسول الله ﷺ: (من اسلف في شيء فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى اجل معلوم)<sup>٢٥</sup>.

<sup>٢١</sup> سورة البقرة، الآية ٢٨٠-٢٨١.

<sup>٢٢</sup> سورة البقرة، الآية ٢٨٣.

<sup>٢٣</sup> الفرخ الرازي، التفسير الكبير، ج٧، ص ١١٦-١١٥.

<sup>٢٤</sup> السيد محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٣، ص ١٢٠.

واجتمع الفقهاء على أن الاجتماع قد انعقد على مشروعية عقد السلف، حيث نقل ابن المنذر في دليله الأصول فقال: اجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن السلم جائز لأن الثمن في البيع احد عوضي العقد، فجاز أن يثبت في الذمة كالثمن، ولأن بالناس حاجة إليه، لأن أربابا للزروع والثمار والتجارات يحتاجون إلى النفقة على انفسهم وعليها لتكتمل وقد تعوزهم النفقة فجوز لهم ليرتفقوا ويرتفق المسلم بالاسترخاص<sup>٢٦</sup>.

ناقش الفقهاء مشروعية عقد السلم من حيث توفر اركان العقد بشكل عام، وخصوصاً محل العقد، إلا أنهم جوزوه في الشريعة بناء على نصوص السنة النبوية، أو ما جاء في آية المداينة بقولهم (إن الترخيص في السلم مخالف للقياس الظاهر أي عدم توفيرة ركن المحل ولما كان السلم معدوم المحل وقت العقد، فأن ظاهره لا يقاس على سائر العقود). وأجاب على ذلك صاحب الهداية (بأن الحديث الشريف الذي نهى فيه الرسول ﷺ عن بيع ما ليس عند الإنسان ورخص في السلم وقال (والقياس وان كان يأباه) ويعني بقوله هذا القياس يرفض هذا العقد لتخلف ركن مهم من أركان العقد وهو محل العقد ولكنه يقول بعد ذلك (ولكننا تركناه بما رويناه)<sup>٢٧</sup>.

### شروطه:

يشترط في بيع السلف عدة شروط وهي:

- ١- ضبط البضاعة بالأوصاف والمميزات التي تختلف القيمة والرغبة بسببهما ولا تجب المبالغة في ذلك بل يكفي الضبط بالمقدار الذي يعتبره العرف كافيا لجعل البضاعة معلومة ولرفع الجهالة. و يختلف المقدار اللازم للتوصيف باختلاف الأشياء والأسواق والأعراف فقد يكون ضروريا في بضاعة ما ذكر سنة الصنع كالسيارة مثلا إذ يؤثر ذلك في القيمة والرغبة أو المواد الغذائية حيث من المهم معرفة تاريخ إنتاجها وتاريخ انتهاء استخدامها. وقد لا يكون ذلك ضروريا في بضاعة أخرى

<sup>٢٥</sup> نبيل الاوطار، ج ٥، ص ٢٢٦.

<sup>٢٦</sup> علي المرغيناني، الهداية - ج ٣، ص ٥٣٠٢.

<sup>٢٧</sup> نفس المصدر السابق، ص ٥٣.

كالأدوات والآلات وفي كثير من الأجهزة التي لا يؤثر تاريخ صنعها في زيادة أو نقصان الرغبة أو في القيمة.

أما البضاعة التي لا يمكن ضبط أوصافها ومميزاتها بالتوصيف كبضعة أنواع من الجلود واللحوم والسجاد اليدوي وبعض الصناعات اليدوية الأخرى فإن البيع السلفي باطل فيها. أما إذا كانت بأوصاف دون المتفق عليها فيحق للمشتري الرفض أو عدم القبول. أما إذا كانت المواصفات بأجود من المتفق عليه فعلى المشتري القبول بالبضاعة إلا إذا كانت لديه حاجة خاصة بالبضاعة ذات المواصفات الأقل جودة.

٢- دفع الثمن كله للبضائع في مجلس البيع وقبل الافتراق، أما إذا تفرق المتعاقدان قبل استلام راس المال من قبل المسلم إليه. انفسخ العقد وكان باطلا عند أبي حنيفة والشافعي والحنابلة. أما مالك فقد أجاز تأخير إلى ثلاثة أيام. أما السيد محمد تقي المدرسي فأضاف: إذا كان دفع المشتري بعض الثمن في مجلس البيع صح البيع بمقدار الثمن المدفوع وبطل البيع بالنسبة إلى الباقي ولكن لا يجبر البائع على القبول به. إذ يبقى له الخيار في فسخ عقد البيع.<sup>٢٨</sup>

٣- ضبط مقدار البضاعة بما يعد فيها من الكيل أو الوزن أو العدد أو المسح أو الزمن كعمر الحيوان والأشجار ومقدار القوة الكهربائية.

٤- ضبط المدة المقررة لتسليم البضاعة بالأيام والشهور والسنين بل وبالساعات في بعض الحالات. فلو كانت المدة مجهولة بحيث تنتهي إلى الجهالة في السلعة أو تدخل في إطار البيع الضروري المنهي عنه كان العقد باطلا.<sup>٢٩</sup>

٥- إمكانية وجود البضاعة عند حلول الأجل، وإن لم يكن موجودا بالفعل حيث العقد، أي أن يكون البائع قادرا على تسليم البضاعة من حيث توفرها في تلك الفترة فلو باع مادة زراعية على أن

<sup>٢٨</sup> السيد محمد تقي المدرسي، أحكام المعاملات، ص ١٧٩.

<sup>٢٩</sup> نفس المصدر السابق.

يسلمها في الشتاء بينما هذه المادة لا يمكن وجودها في ذلك الفصل لم يصح البيع أي ان يكون جنس المسلم فيه موجودا عند حلول اجل التسليم<sup>٣٠</sup>.

٦- يعين مكان تسليم البضاعة إن كانت الأعراف التجارية تختلف باختلاف الأمكنة وكان عدم التيقن سببا للضرر المنهي عنه شرعا. إلا إذا كان مكان التسليم محددًا لدى الصرف بحيث لا يحتاج إلى ذكره في العقود كمل لو كان عرف السوق يقضي بسليم البضاعة في ميناء بلد المشتري مثلا.

٧- لا يجوز السلم بالعقار لعدم انضباطه بالوصف<sup>٣١</sup>.

٨- يجب ان يكون العقد ناجزا ولا يدخله خيار الشرط<sup>٣٢</sup>.

### الحكمة من استثناء السلم

من الواضح لدينا ان تعاطي الربا من المعاصي الكبيرة وعلى الإنسان أن يتوب إلى الله تعالى من ذلك، ولكي تقبل توبته عليه رد كل الزيادات الربوية التي أخذها ولهذا شرع عقد السلم استثناء من العقود وضمان تحقيق شرعية التعامل به ولضمان حقوق العاقدين وهي:

١- تشجيع القادرين على الإنتاج الزراعي والحيواني وحتى الصناعي من استثمار طاقاتهم ومواردهم المنتظر إنتاجها قبل موسم نضجها ليوافروا حاجاتهم الضرورية سواء لعوائلهم أم لإنتاجهم في فترة انتظار توفر الإنتاج.

٢- تحقيق الشرعية الإسلامية لهذا العقد الذي جاء بنقصه ركن من أركانه ألا وهو محل العقد وذلك لرفع الحرج والتيسير على المعسر من توفير النقد لئلا يضطر إلى الربا المحرم لا بل سوف لا يفكر بقرض الربا المحرم بعد أن وجد الطريق الحلال الذي يستبد به المرابي فيستغل حاجته في فترة انتظار محصوله. كما أن تعاقدته على السلم سيسهر بأنه صاحب صفقة تجارية تدر عليه النقد العاجل فتيسر عسره وتقضى حاجته عندها لا يشعر بمحنة أحد أو تفضل منه وإنما هو قد ضمن بيع محصوله مقدما مما سيساعده على بذل الهمة والنشاط في العمل لتوفير المبيع في موعده.

<sup>٣٠</sup> الشوكاني، نيل الاوطار، ص ٢٢٦، ٢٢٥.

<sup>٣١</sup> محمد عايش، فتح الجليل، على مختصر العلامة خليل، ج ٣، ص ٣٨.

<sup>٣٢</sup> تقي الدين الدمشقي، كفاية الاخيار، ج ١، ص ١٤٢.

٣- يحقق عقد السلف المصلحة لطرفي العقد فهو بالإضافة إلى توفير النقد إلى بائع المنتج كما انه من جهة اخرى يضمن لأصحاب الحرف ما يحتاجون إليه في صنعتهن سواء من غلال أم انتاج الحيوان أو في تجارته التي سبق أن تعاقد عليها. فهو قد ضمن إيفاءه بالتزامه بعد أن تم عقد السلم. كما ان الشريعة في تحليلها لهذا العقد فقد فتحت منفذا معقولا أمام المصالح الحقيقية للعاقدين وللمنفعة العامة في عقد السلم. ولو ان فيه تنازلا من صاحب البيع ببعض الفرق من ثمنه لو كان يبعه في موسمه إلا أن عدم لجوئه إلى الربا وتخلصه من الاستغلال يكون بديلا لهذه الخسارة.

### المطلب الثاني عقد الاستصناع

هو عقد يتضمن بيع يستحق في الذمة فيطلب المشتري عمله من الصانع الذي يصنعه أي ان المبيع ينحصر في شراء منفعة صناعية يختص بها صاحب الحرفة فيبيع خبرته في تصنيع الشيء الذي يطلبه المشتري حسب حاجته ومثالها خياطة القماش وصناعة الحديد والنحاس وصناعة الخشب والسراجة وغيرها من الصناعات.

و يعد عقد الاستصناع عقد سلم من حيث عدم وجود ركن المحل في عقد البيع هذا. ولهذا فان الاستدلال عليه يكون بنفس النص القرآني في آية المداينة وإلى نفس الحديث الشريف بقوله ﷺ : من اسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى اجل معلوم<sup>٣٣</sup>. كما أن فيه مصلحة لحاجة الناس إليه كذلك ادخلوه ضمن صور الاستحسان المعتمد على النص وتم استثنائه من القاعدة الربوية<sup>٣٤</sup>.

### شروط عقد الاستصناع

١- من مقتضيات عقد الاستصناع ان يكون مؤجلا ولكن ليس الأجل الملزم وذلك لان التأجيل المتعارف عليه في عقد الاستصناع موضوع الإمهال وتأجيل المطالبة وليس للإلزام كالأجل المشروط في عقد السلم الذي يكون الأجل شرطا فيه.

<sup>٣٣</sup> محمد بن علي الشوكاني، نيل الاوطار، ج ٥، ص ٢٢٦، ط ١، ١٣٥٧، المطبعة العثمانية المصرية.

<sup>٣٤</sup> د. عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه، ص ٢٢١، ط ١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م مطبعة دار النذير بغداد.



٢- توضيح المصنوع توضيحا تاما نافيا للجهالة التي تدعو إلى النزاع بين العاقلين أو إلى الضرر، كذكر جنسه ونوعه ومقداره وأوصافه المميزة وتختلف هذه الصفات باختلاف المصنوع. أن يكون بما جرى العرف بالتعامل به استصناعا كالملابس والأواني والأخشاب والمعادن. أما إذا حصل بما لم يتعارف ويتعامل به الناس فيكون سلما ويجب أن توفر فيه شروط عقد السلم. ومما تقدم يتضح بأن الأصل في عقد الاستصناع أن الأجل فيه غير لازم وأنه مطلوب لغرض إنجاز الصناعة، فمثلا إذا قال طالب الصناعة للصانع أريد أن تفرغ من هذا التصنيع غدا أو بعد أسبوع أو بعد شهر على الأكثر، فإن هذا القول مشروع وموافق للعقد اتفاقا وأن هذا الوقت لا يمنع حث الصانع على إنجاز العمل الصناعي المطلوب كما لا يمنع الصانع أن ينهي العمل المطلوب منه قبل هذه الفترة لأن ذكر المدة هو للتعجيل وليس للزوم فإن الأجل مقبول ولا يصير العقد سلما<sup>٣٥</sup>. كما أنه لما كان محل العقد لم يتعين إلا إذا رضي المستصنع له بعد رؤيته فله إذن أخذه جبرا عن الصانع إذا رضي له ولا يحق للصانع بيعه لغير المستصنع له كما لا يحق له فسخ العقد. وبهذا التوجيه يتضح لنا أن الفقهاء أرادوا إبعاد عقد الاستصناع عن فرض الوقت على الصانع أو إلزامه بشكل واجب وذلك حذرا من مداخله التأجيل المحدد بالزمن بدل الاستصناع الذي يعد شبة داخلية في ربا النسيئة. أما عند وضع الوقت موضع اللزوم الحتمي فإنهم فيه انتقالا إلى عقد السلم الذي يجب فيه التزامه بشروطه الخاصة به.

### **المطلب الثالث عقد بيع الوفاء**

إن عقد البيع يكون باتا إلا أن الشريعة والقانون قد يمنحان المتعاقدين أو أحدهما حق الاختيار. والمعتاد أن يكون خيار الشرط للمشتري أكثر منه للبائع فقد يشترط لنفسه ثلاثة أيام يمكنه منها رد المبيع. إذا شاء ويسترد الثمن وفقا للحديث الشريف (إذا بايعت فقل لأخلا به ولي الخيار ثلاثة أيام).

<sup>٣٥</sup> الفتاوى الهندية المسماة بالفتاوى المالكية، ج ٣، ص ٢٠٨-٢٠٧. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٠.

و يكون خيار الشرط في عقد بيع الوفاء يكون للبائع وليس للمشتري وهو أيضا لا يحدد بزمن ، وبهذا يشترط فيه البائع انه متى رد ثمن المبيع إلى المشتري فله الحق في استرداد المبيع .  
و من الواضح إن العاقدین في هذا النوع من العقود يحتمل انهما قصدا تحقيق هدف معين الا وهو الاحتيال والتهرب من الربا المحرم ، وذلك لان البائع المحتاج الى الاستدانة عند عدم وجود من يقرضه المال بغير الزيادة الربوية فيلجأ الى بيع الوفاء حيث يتقدم إلى بيع ماله إلى المشتري مقابل الثمن المتفق عليه بينهما ويشترط البائع استعادة المبيع منه إذا عاد إليه الثمن ويكون بذلك البائع قد قضى حاجته بثمن المبيع ، كما ان المشتري قد انتفع بالسلعة المباعة وهو مطمئن بان البائع سيسترد المبيع بخيار الشرط الذي اشترطه لصالحه كما انه سيسترد ماله الذي دفعه ثمنا للسلعة هذا وقد اختلف الفقهاء في صحة عقد بيع الوفاء الذي لم يتقيد بوقت محدد للشرط .

#### ذهب جمهور الفقهاء

ان العقد غير صحيح وان المنعقد عليه إذا ما أعقبه تسليم المبيع فهو عقد رهن . وله جميع أحكام الرهن . ومنها عدم تصرف المشتري بالمبيع إلا بإذن مالكة لأنه لا يملك المبيع .

#### الفقه الحنفي :

إن الخيار للبائع ولم يحدده بوقت وكأنه يريد أن يثبت حق البائع في خيار الشرط مثل حق المشتري ، ثم علق هذا الحق بالخيار بعدم تمام السبب وهو العقد عند وجود الشرط وجعل هذا التحويل قياسا على الحق الذي دعا إليه الشرع<sup>٣٦</sup> .

#### الفقه الشافعي :

اعطى الخيار للعاقدین أو احدهما ولكنه يوجب في الحالتين تعيين مدة خيار الشرط بثلاثة أيام ، كما يوجب شرط القبض في المجلس<sup>٣٧</sup> .

<sup>٣٦</sup> علي المرغيباني ، الهداية ، ج ٣ ، ص ٢٢ .

<sup>٣٧</sup> النووي في المنهاج في معنى المحتاج للشربيني الخطيب ، ج ٢ ، ص ٤٦٤٧ .

ثم نقل عن الشافعي قوله ((بجواز تصرف البائع في المبيع إذا كان قد جعل لنفسه الخيار ببيعه أو هبته واستدل لقوله هذا بأن البائع يتصرف في ملكه فهو يملك العقد لان العقد كان معلقا بخياره ، وما يكون للمشتري وهو لا يملك إلا غير انتظار فسخ العقد)).

#### الفقه الحنبلي :

أجاز خيار الشرط للبائع وقالوا ((ولا فرق بين كون الخيار لهما أو لاحدهما ولكنهم رأوا تصرف المشتري بالمبيع يسقط حق البائع في الخيار أو استرجاع المبيع ثم انهم يرجحون الرأي القائل بأن بيع الوفاء غير صحيح لان فيه شرط رد المبيع إلى البائع فيقولون (والصحيح انه لا يصح شيء من هذه التصرفات لان المبيع يتعلق به حق البائع تعلقا يمنع جواز التصرف فمنع صحته كالرهن))<sup>٣٨</sup>.

#### الفقه المالكي :

ذهب مالك إلى جواز خيار الشرط من البائع أيضا ، وإن المبيع لا يعد باتا إلا بمحض الخيار ولكنه لم يحدد مدة الخيار<sup>٣٩</sup>.

#### الفقه الجعفري :

خيار الشرط : وهو يثبت باشتراط المتعاقدين أو احدهما أي حق الفسخ لهما معا أو لاحدهما خلال مدة معينة يتفقان عليها وخلال مدة الشرط يحق لصاحب الخيار فسخ المعاملة والرد حتى من غير سبب ، والرواية النقية توضح لنا هذا الخيار :

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن رجل مسلم احتاج إلى بيع داره فجاء إلى أخيه فقال : أبيعك داري هذه تكون لك احب إلي من أن تكون لغيرك ، على أن تشترط لي إن أنا جئتك بثلثيها إلى سنة أن تعيدها علي. فقال الإمام عليه السلام : لا بأس بهذا أو جاء بثلثيها إلى سنة ردها عليه). ويجري خيار الشرط في كل العقود باستثناء عقد النكاح<sup>٤٠</sup>.

<sup>٣٨</sup> ابن قدامة، المغني، ج ٥، ص ٥١٤.

<sup>٣٩</sup> الإمام مالك، الموطأ في شرحه تنوير الحوالك للسيوطي، ج ٢، ص ٩، مطبعة المصطفى محمد.

<sup>٤٠</sup> يختلف الشيعة في احكام الشريعة، ج ١٢، كتاب التجارة ابواب الخيار، ص ٣٥٥، الباب ٨، ج ١، للعلامة الحلي.

ومما تقدم نرى أن المحور الذي يدور عليه هو الفرق بين عقد الوفاء وعقد الرهن وهو ما يتعلق بحق تصرف المشتري بالمبيع ومن هذا نرى أن جمهور الفقهاء قد مالوا إلى اعتباره عقد رهن وليس بيعاً، بل أن فريقاً من الفقهاء اعتبروه تحايلاً ومراوغة للتهرب من الربا. ولو أنه قد جاء بصيغة البيع في إيجاب وقبول وهما ركنا عقد البيع الموجب للملكية. وذلك لأن انتفاع البائع بالثمن وارتفاع المشتري بالسلعة يعد صورة قريبة من القرض الذي يجز منفعة وأنه قريب من الزيادة الربوية المحرمة، حيث أن المتعارف عليه هو أن خيار الشرط الممنوح للبائع للمشورة والاستفسار وليس لاستعادة المبيع الحتمية لهذا لا يفسر هذا التصرف من البائع إلا بالتحايل إلى الربا<sup>٤١</sup>.

ومن هذا كان هذا البيع من البيوع التي تحمل شبهة الربا ولكنها في كلياتها يمكن اعتبارها استثناء من الربا وذلك بجعل البائع فيه خيار الشرط الاعتيادي بيده واحتبس البذل عند المشتري دون تصرف فيه. ولما كانت القاعدة الفقهية الشرعية تقول: (العبرة في العقود للمقاصد والمعاني وليس للالفاظ والمباني) وحيث أن مقصد المتعاقدين هو عقد بيع الوفاء لذلك عدّه الفقهاء عقد بيع الوفاء واستثنوه من ربا المفاضلة.

### الخلاصة

إن الشريعة الإسلامية نظام يعتمد على الوحي الإلهي من خالق الإنسان وهو العليم بما يصلح ويسعد البشرية لهذا منعت التعامل بالتفاضل الربوي بين الهيئات والأفراد، وذلك لمنع الاستغلال الذي دائماً يكون ضحيته الفئات الضعيفة في المجتمع.

وهذا الاتجاه أكدّه القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وأوضحها الأئمة الأطهار وفقهاء المسلمين حيث أنهم أكدوا أن الثروات والأموال أن تكون في خدمة جميع الناس وأن ملكيتها لله تعالى وما هي إلا ودائع بيد البشر لتتفق في أوجه الخير والنفع العام، ولهذا حرم الله تعالى الربا لمنع تسلط القوي الغني على الضعيف الفقير. وبخاصة في مجاملات المعاملات المالية التي لا يستغني عنها الناس تطبيقاً للمبدأ الاقتصادي لأنه لا يجوز للأموال أن تربح بنفسها وبخاصة الذهب والفضة لأنها

<sup>٤١</sup> علي قراطة، دروس المعاملات الشرعية، ص ١٩٦، مطبعة الفتوح، مصر.

أثان وأقيام وموازين ويجب أن تريح مع العمل والجهد والانتفاع ، كما أكدت على مبدأ ثان وهو ان الشريعة السمحة لا تسمح بان تكون منفعة فريق من الناس على حساب خسارة فريق آخر. وإنما الأموال يجب أن تنفق في مجالات المصالح والمنافع الحقيقية ويكون مردودها للمجتمع وليس للفرد فقط. ولكن مع هذا رأينا الشريعة السمحة ومع نصوص التحريم قد أقرت استثناء بعض العقود من التفاضل الربوي عندما وجدت الحاجة إليها في المعاملات التي يعتمد عليها الضعفاء لتعود عليهم بالمنافع وتيسير حاجاتهم ومصالحهم بما يحقق المصلحة للفرد والمجتمع.

ولهذا أرى أن ننظر إلى بعض حالات الربا الضرورية نظرة واقعية تلائم معطيات العصر الذي نعيشه الآن آخذين بنظر الاعتبار العرف والعادات والقوانين المعمول بها في أراضى الشريعة الإسلامية وأراضى العمورة الباقية. لأن الربا يعد الآن من أكثر الموضوعات. الاقتصادية والدينية أهمية، لوجود مسائل كثيرة تتعلق به يحتاج بحثها إلى تعمق دراسة الأبحاث العملية التي أجراها علماء الاجتماع والقانون ومقارنتها بالنصوص التي وردت بشأن مسألة تحريم الربا لكي تنجلي على ضوء ذلك جميع الاتهامات المتعلقة بالربا أو أكثرها.

ان هناك من المسائل الواقعية الكثيرة التي تتطلب الحل.

الموقف من امرأة أو قاصر يقتصد في مصاريفه ويفكر بعاقبة أمره فيوفر مبلغا ليكون له عوناً في المستقبل أمام مشكلة المحافظة على هذا المبلغ فهو يخشى أن تمتد عليه يد أئمة فتسرقه منه أو أن جعله تحت تصرف شخص آخر فقد يتبدد ولا يستطيع الحصول عليه وقت حاجته وان تركه في إحدى المؤسسات الحكومية أو الأهلية (المصارف) ستشوبه شبهة الربا المحرمة.

كما ان الأعمال الصناعية والزراعية والأعمال المتعلقة بالنقل والتجارة في عصرنا هذا لا يمكنها أن تتعش بدون رؤوس الأموال الكبيرة التي تتطلب تأمين القسم الأعظم منها عن طريق القروض المصرفية.

إضافة إلى أن كثير ما يقع العامل أو الصانع أو الزارع في ضائقة مالية لا يحلها إلا قرض يسير من المصرف يكون نعمة كبيرة له مع كونه ذا فائدة (ربا) ولكن تحريم الفائدة يغلق الطريق أمام مثل هذه الحلول مما يؤدي إلى حرمان عائلة كاملة في أكثر الأحيان. أليس قرض بناء المساكن والقروض المعطاة لفتح مجالات العمل تعتبر (مع كونها مصحوبة بالفائدة) وسيلة لرفاه الطبقات المحرومة؟

وهذا معناه حرمان هذه الطبقات من هذه الوسيلة وستظل تحت وطأة الفقر والحرمان إذن علينا أن نأخذ برأي آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي في أحكام المعاملات، ص ١٤٥ الذي جاء اجتهدا وقياسا لما نصت عليه الشريعة الإسلامية السمحة التي جاءت رحمة للعالمين:

((اخذ الربا حرام وكذلك دفعه والشهادة عليه وكتابتة والحرمة ثابتة، بلى إلا الاضطرار قد يجوز المحذور كحالة استثنائية ضرورية ولكنه لا يتحول حكم الحرمة إلى حكم الحلية بصورة كلية لذلك فان الضرورة تقدر بقدرها)) وتعني هذه الحرمة القاعدة إن الضرورة إذا أباحت القيام بعمل محذور شرعا يجب أن يكون الخرق في حدود ارتفاع تلك الضرورة فقط وليس بشكل مطلق. فان كان الجوع مثلا يهدد حياة الإنسان ولم يكن ما ينقذه غير أكل الميتة، فان أجازت الشريعة له ذلك فلا يعني تناوله الميتة إلى حد الشبع والامتلاء بل يجوز له الأكل منها بقدر ارتفاع خطر الموت فقط، وليس أكثر من ذلك قيل (في مثل آخر) بجواز الاقتراض من المصارف الربوية في حالة الاضطرار في هذه الخطوة يجب أن تقتصر على حدود الضرورة فعلا. فإذا كانت الضرورة هي الاقتراض لمعالجة مرض عضال (مثلا) فان الاقتراض ينبغي أن يتحدد في المبلغ الذي يحتاجه لواجب المعالجة وملاساتها الضرورية فقط، أما اقتراض مبلغ اكبر للقيام بأمور أخرى غير ضرورية في البين فلا وهكذا.

آمل أن يكون بحثي هذا (إن شاء الله) بادرة خير للمشرعين في تشريعاتهم المستقبلية في معالجة موضوع الربا لتحقيق الأمن والمنافع للعباد والبلاد.

## المصادر

- ١- المنهاج، يحيى بن شرف النووي في مغني المحتاج، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٩٥٨.
- ٢- منهج الجليل على مختصر العلامة خليل، طبع في الأوفسيت.
- ٣- الموطأ، الامام مالك في الشرح المسمى بتنوير الحوالك، للسيوطي، مطبعة مصطفى محمد.
- ٤- نيل الاوطار، محمد بن علي الشوكاني، المطبعة العثمانية المصرية، ١٣٥٧.
- ٦- الوجيز في أصول الفقه، عبد علي زيدان، ط١، دار النذير، بغداد، ١٩٦٢.

٧- الهداية في شرح بداية المبتدئ، علي المرشداني المرعنتاني، مطبعة محمد علي صبيح، مصر.

# أهمية وكالات الأنباء كمصدر من مصادر الإعلام

د. صالح شاکر وتوت

٢٠٠٤ / ١٤٢٥ م



## أهمية وكالات الأنباء كمصدر من مصادر الإعلام

### المقدمة

تمثل وكالات الأنباء مصدرا مهما رئيسيا للأخبار ضمن مسار العملية الإعلامية لقد تبوأَت هذه المؤسسات مركز الصدارة في التعامل مع الأحداث ومتابعتها وتغطيتها مجرياتها للجمهور عبر شبكاتها ومراسليها في مختلف البلدان والمناطق الساخنة من العالم. وقد استحوذت هذه الوكالات وخاصة الكبيرة منها ذات الصفة العالمية حيزا واسعا ومؤثر في هذا الميدان، وبالتالي هيمنتها على مجرى تدفق الأخبار.

يحاول هذا البحث متابعة هذا الموضوع والوقوف على مفاصله المهمة في ضوء التجربة الميدانية للعمل في إحدى الوكالات المحلية.

تضمن البحث ثلاث مباحث رئيسية.. تناول المبحث الأول منها (دور وكالات الأنباء وأهميتها في العملية الإعلامية).. فيما يخص المبحث الثاني (وكالات الأنباء العربية والعالمية).. أما المبحث الثالث فقد كرس نحو (ظاهرة تدفق الاخبار باتجاه واحد)

### مشكلة البحث /

العملية غير المتوازنة في بث الأخبار بين الوكالات العالمية الكبرى في البلدان المتقدمة والوكالات الأخرى في البلدان النامية وكيفية إعادة التوازن والتداول الحر للأخبار ضمن نظام إعلامي دولي جديد.

## هدف البحث /

التعريف بهذه الوكالات وأنشطتها الفاعلة وسط عالم ساخن الأحداث وتطور تكنولوجيا كبير في تقنية الإعلام ، والدور الذي تلعبه الوكالات المحلية في الدول النامية في خضم هذه التحولات.

## منهجية البحث /

اعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي في تناوله الموضوع وصولاً للنتائج.

## المبحث الأول:

### دور وكالات الانباء وأهميتها في العملية الإعلامية

تعتبر وكالات الانباء من ابرز وسائل الاعلام تأثيراً على الصعيدين الداخلي والخارجي.. وهذا التأثير ناتج عن سببين اساسيين هو ان وكالة الانباء لا يقتصر عملها على المحيط الداخلي وانما يشمل نطاق عملها المحيط الخارجي فهي قادرة على الوصول الى مناطق ويقع جغرافية تعجز وسائل الاعلام الاخرى عن الوصول اليها بسبب الاجهزة المستخدمة في نقل الخبر وبثه<sup>١</sup>.

وتعرف وكالات الانباء بانها المؤسسة التي تمتلك امكانيات واسعة تمكنها من استقبال الاخبار ونقلها وتستخدم شبكة من المراسلين لجمع الاخبار في عدد كبير من دول العالم.. كما تستخدم العديد من المحررين في مركزها الرئيسي يتولون تحرير المواد الاخبارية عالمية كانت ام محلية وارسالها باسرع وقت الى مكاتب الوكالة في الخارج للتوزيع المحلي على الصحف ومحطات الاذاعة والى وكالات الانباء المتعاقد معها والصحف ومحطات الاذاعة والتلفزيون خارج المناطق المشتركة فيها مباشرة<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> طه البصري - وكالات الانباء والنظام الاعلامي الجديد بغداد ١٩٨٢ ص٣.

<sup>٢</sup> عبد العزيز الغنام - مدخل في عالم الصحافة - دار النجاح - بيروت ١٩٧٢ ص٧٧.

وتعد وكالات الانباء ايضا بانها وسيلة من وسائل الاعلام غير المباشرة تصل الى الجمهور من خلال وسائل الاعلام الجماهيرية المعروفة كالصحافة المكتوبة والصحافة المسموعة والصحافة المسموعة المرئية.

وهي المصدر الرئيسي الذي تعتمد عليه وسائل الاعلام وتقتبس منه الاخبار والمعلومات والممون الرئيسي لهذه الوسائل بالمادة الاخبارية على اختلاف انواعها واشكالها<sup>٣</sup> وتقوم بدور عالمي هام في نقل وتبادل الانباء عبر القارات ويؤهلها للقيام بهذا الدور قدراتها التكنولوجية وكوادرها البشرية المدربة التي تستعين بها في جمع الانباء وتوزيعها بلغات عديدة في مختلف انحاء العالم، فضلا عن قدراتها المادية التي تجعلها قادرة على نقل اخبار العالم وتشكيل التصورات عن الاشخاص والشعوب والثقافات والوصول الى كل انسان على سطح الكرة الارضية<sup>٤</sup>.

كما ان وكالات الانباء هي مصنع الاخبار في العالم تستخدمها الدول كافة، فهي مؤسسات كاملة واحتكارات دولية لا يستهان بها تستخدمها الدول الكبرى في تنفيذ سياستها نشرًا وهجومًا ودفاعًا ودسائس فهي السلاح الرابع مع اسلحة البر والجو والبحر<sup>٥</sup>.

لهذا فان الصحيفة والاذاعة قادرتان على تغطية مناطق جغرافية في الغالب تكون قريبة الى مناطق البث الا اذا استخدمت وسائل تقوية في الغالب تكون قريبة الى مناطق جغرافية متعددة وهي عملية قد تكون صعبة في كثير من الحالات<sup>٦</sup>.

---

<sup>٣</sup> تبسيرا بوجرحه - الاعلام العربي تحديات الحاضر والمستقبل - عمان - دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ١٩٩٦ ص ١٧.

<sup>٤</sup> رفيق سكري - دراسة في الرأي العام والاعلام والدعاية - لبنان.

<sup>٥</sup> جامعة الدول العربية - الامانة العامة - توصيات اللجنة الدائمة للاعلام العربي دورة (٥٥) القاهرة ١٩٩٥ ص ١٧٧.

<sup>٦</sup> فريد ايار - التداول الحر المتوازن للمعلومات ضمن نظام اعلامي دولي جديد بيروت ١٩٨٢.

## المبحث الثاني:

### وكالات الانباء العربية والعالمية

إن وكالات الانباء لديها القدرة على ان تصل الى بقع جغرافية متعددة ويمكن لووكالة انباء واحدة ان تغطي كل العالم بمجرد استخدام مرسلات ذات طاقة محددة وتوجيه البث نحو منطقة جغرافية محددة.. فهذه الامكانية في الاجهزة المستخدمة والخاصة بوكالات الانباء تعطيها ميزة اقوى واكثر في التأثير من باقي وسائل الاعلام لان الطاقة والمرسلة التي تحتاجها الكلمة المطبوعة للبث هي اقل بكثير من الطاقة التي تحتاجها الكلمة الصحفية او التي يحتاجها الصوت او الصورة في النقل الى اماكن بعيدة ولذلك فمن السهل جدا استخدام مرسلات بطاقة محددة من اجل ايصال الكلمة المطبوعة الى اي مكان في العالم<sup>٧</sup>.

هذا سبب يجعل وكالات الانباء أكثر قابلية وقدرة على التأثير وسبب آخر هو ان لووكالات الانباء بموجب طبيعة عملها وتعاملها مع الاحداث اليومية السريعة فهي اوسع انتشارا من بقية وسائل الاعلام الاخرى، أي الصحف التي يكون لها مراسل في بلد او عدة بلدان او اكثر - اما وكالات الانباء فلها مراسلون في مناطق متعددة من العالم فسعه الانتشار هذه ايضا توفر لها معلومات اضافية ومواد تجعل الاقبال عليها اكثر وبذلك يزداد تأثيرها في الوسطين الداخلي والخارجي على اعتبار انها يمكن ان تزود القاريء او المستمع او مشاهد التلفزيون بتفاصيل اكثر من اي مؤسسه اخرى وبذلك تستطيع الوكالة ان تؤثر بشكل فاعل في ذهنه المواطن في الداخل والخارج لانها توفر له كامل الاهتمامات التي يمكن ان توفرها له وسائل الاعلام الاخرى.

وبهذا تساهم هذه الوكالات اولا في تنوير المواطن وتعريفه بسياسة بلده الداخلية والخارجية وتجعله مواكبا للتطور الذي يحصل في بلده في النواحي التنموية او السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية او الثقافية وكذلك فيما يحصل من تطور في هذه البلدان وليس بالضرورة ان تكون المادة مباشرة من وكالة الانباء وانما هي معكوسة من خلال الصحيفة او الراديو او التلفزيون.

<sup>٧</sup> طه البصري - وكالات الانباء والنظام الاعلامي الجديد بغداد ١٩٨٢ مصدر سابق.

وتنقسم وكالات الانباء الى ثلاث مجموعات :

١- وكالات وطنية.. وتقوم هذه الوكالات بجمع المعلومات من البلد الذي تعمل فيه ثم تعالجها وارسالها الى الخارج.. اما الاخبار التي تصلها من الخارج فتنتشرها فقط في بلدها وبصرف النظر عن كونها تمتلك مكاتب للمراسلين في دول اخرى فهي بجوهرها وكالات وطنية.

٢- وكالات اقليمية.. وهي وكالات وطنية تحولت الى مراكز لتبادل الاخبار بين عدة دول تقع في منطقة واحدة او بين دول متجاورة.

٣- وكالات عالمية.

فهي تجمع وتعالج وتخزن وترسل الاخبار من العالم كله والى العالم وساعد ظهورها على تطور الصحافة مما جعل ظاهرة الاتصال تأخذ بعدا جديداً فمن ناحية المكان صار العالم اكثر قربا ومن ناحية الزمان اصبحت المعلومات اكثر حدائه من ذي قبل<sup>٨</sup>.. وتقدم هذه الوكالات خدمات معقدة ومتنوعة فمنها الخدمات العامة التي تغطي كامل الاحداث الكبيرة والشؤون المتعددة الى الخدمات المتخصصة المختلفة مالية - رياضية - علمية - طبية<sup>٩</sup> كذلك فهي تعد اهم المنابع الخيرية من حيث جمع الاخبار ونشرها فور ورودها<sup>١٠</sup>.

وبشكل عام يمكن ايجاز ابرز الوكالات العالمية والتي تشكل مصدرا رئيسيا لاجلار ومعلومات دول العالم وخاصة دول العالم النامي وهي.

### ١- وكالة اسيو شيتد برس AP

ترجع اصولها الى عام ١٨٤٨ حيث قدمت نفسها لاوربا كمؤسسة غير عادية باسم الجمعية التعاونية لاصحاب الصحف.. واكتسبت بالتدرج صفتها العمومية لكل البلاد والتي احتكرت فيما بعد العمل الاعلامي والاجلاري في كل الولايات المتحدة الامريكية.

<sup>٨</sup> ياس خضير البياتي - الاعلام الدولي والعربي - بغداد - جامعة بغداد - مديرية دار الكتب والنشر ١٩٩٣ ص ١٩٣.

<sup>٩</sup> بيار البير - الصحافة - ترجمة محمد برجاي ط بيروت منشورات عديدات ١٩٧٠ ص ٣١.

<sup>١٠</sup> عبد العزيز الغنام - مدخل في علم الصحافة ج - الصحافة اليومية - بيروت دار النجاح ١٩٧٢ ص ٧٥.

ومنذ عام ١٩٣١ فتحت هذه الوكالة فروعها في لندن وباريس وبرلين ثم تغلغت في السوق الأوروبية للأخبار وتقوم حاليا بتقديم خدماتها الى اكثر من (١٥) ألف جريدة والى محطات الاذاعة والتلفزيون في اكثر من (١١٥) بلد او لديها اكثر من (١١٠٠) مكتب داخل الولايات المتحدة و(٧٠) مكتب خارج الولايات المتحدة وعدد موظفيها يزيد على (٥) الاف موظف ومعدل حجم الاخبار المغطاة اربع وعشرين ساعة يعادل (٢٠) مليون كلمة<sup>١١</sup>.

### ٢- وكالة اليوناييتد برس انترناشنال UP1

وجدت هذه الوكالة عام ١٩٥٨ نتيجة دمج وكالة اليوناييتد برس (UP) مع وكالة الانباء الدولية (NS).. وتعد هذه الوكالة من اهم الوكالات في امريكا ولها (١٠٠) مكتب داخل الولايات المتحدة و(٥٢٨) مكتب في دول العالم ومعدل البث اليومي لها (١٤) مليون كلمة وتبث اخبارها بخمسين لغة وتعمل لمدة (٢٤) ساعة يوميا.

### ٣- رويترز

تعد وكالة رويترز البريطانية من اكبر الوكالات العالمية في مجال الاخبار والمعلومات اسسها يوليوس رويتر عام (١٨٥١) في لندن وتشرف على ادارتها اربع جمعيات للاتحادات الصحفية وهي جمعيتا، مالكي الصحف البريطانية ووكالة الصحافة المتحدة الاسترالية ووكالة الصحافة النيو زيلاندية ووكالة برس اسوشيشن.

وتزود وكالة رويترز بالمواد الصحفية اكثر من (١٢٠) بلدا وتشن اخبارها بشكل منتظم ولديها (٤١٠٠) مشترك وعدد مكاتبها (١٦٣) مكتب موزعه في العديد من دول العالم فيما يبلغ بثها اليومي (٥) ملايين كلمة.

<sup>١١</sup> نشرة تعدها اليونسكو تتضمن معلومات عن الوكالات العربية والعالمية ١٩٨٤.

## ٤. وكالة الصحافة الفرنسية AFP

تعد هذه الوكالة امتداد لوكالة هافاس التي تأسست عام ١٨٣٥ واستمرت حتى الحرب العالمية الثانية.. وقد عاودت نشاطها بعد ان تحررت فرنسا من سيطرة المانيا عام ١٩٤٤ وكانت مدعومة من قبل الحكومة الفرنسية الا انها استقلت كليا عام ١٩٥٧ واخذ يشرف على ادارتها مجلس يمثل الصحف والاذاعة والشعب اضافة الى ممثل عن الوكالة نفسها.. وتقدم هذه الوكالة خدماتها بخمس لغات هي الفرنسية والالمانية والعربية والاسبانية والانكليزية ولها ١٢,٥٠٠ الف مشترك و١٨٧ مكتب منتشرة في العديد من دول العالم ويبلغ معدل بثها اليومي (٢) مليوني كلمة.

وتعد وكالات الانباء الاربع وهي الاسوشيتد برس واليونايتد برس -الامريكتان - ورويترز - البريطانية - ووكالة الصحافة الفرنسية مصدرا رئيسيا للانباء للكثير من وسائل الاعلام في دول العالم وخاصة العالم الثالث بحيث اصبحت هذه الوكالات تحتكر معظم الانباء الدولية وتهيمن على النشاط الاعلامي لكثير من الدول وهو ما يدل على ان الحاجة تزداد الى هذه الوكالات العالمية بسبب سعة امكانياتها وقدراتها وانتشارها وهي المصدر الاساسي وصاحبة الفضل في الحصول على الخبر من مصادره الاصلية او تقوم بنقل الاخبار عن طريق الوسائل الاعلامية وعلى جهود الوكالات المحلية وصحافتها في كثير من البلدان.

ومع تطور تكنولوجيا الاتصال التي أصبحت احد سمات العصر، فان الوكالات العالمية للانباء لم تتأثر اطلاقا كما يعتقد بعض المعنيين بان اتساع مجالات الاعلام والاتصال المختلفة قد اضعفت اهمية وكالات الانباء بل على العكس من ذلك تعد اليوم من اكثر المؤسسات الاعلامية استفادة من هذا العصر اذ لم يقتصر بثها على الكلمات فحسب بل ان هناك مئات الصور والرسوم والبيانات وكل ما يساعد على الاحاطة بكل ما يجري في العالم وبجميع الاهتمامات، توزعها على الوسائل الإعلامية المشتركة في خدماتها.

وإذا ما أخذنا بالحسبان فان فكرة تاسيس وكالات الانباء العالمية قد وضعت على اساس تزويد المشتركين فيها من افراد وشركات ورجال الاعمال بانباء التجارة والمال واسعار البضائع وحالة السوق.

الى ان تطورت لتشمل فيما بعد الاخبار بانواعها والتي كانت في بدايتها

مشروعات تجارية فحسب<sup>١٢</sup> فقد أصبحت الاخبار الاقتصادية والمالية ارضية للمنافسة الدائمة بين الوكالات الاربع.

ولكن تنوع الخدمات الاعلامية لهذه الوكالات الاربع الكبرى والانتقال من سوق المعلومات العامة الى سوق المعلومات المتخصصة الذي يحقق ربحا وايرادا اكثر من السوق الأول يتطلب امتلاك هذه الوكالات التقنيات الخاصة بنشر هذه المعلومات ومستلزماتها والاستفادة من المتخصصين بالمجالات التقنية فضلا عن القائمين بالاتصال الذين اصبحوا متخصصين بمجالات تقديم المحتوى.. لذا فان توظيف مثل هذه الطاقات الانتاجية التكنولوجية والبشرية اصبح يتطلب استثمارا ضخما باتجاهات الانتاج او البث ودراسة الجدوى في اطار البناء المؤسسي ومن ثم فان المعلومات التي تبث اصبحت تعمل وفقا لبناء ضخم بآلياته<sup>١٣</sup> ومن اجل تلافي المنافسة بين هذه الوكالات العالمية والمخاطر المالية والحفاظ على مستوياتها تجاه المنافسة فقد اتبعت خطوات يمكن تلخيصها بالاتي :

أ. احتكار التقنيات الخاصة بنشر المعلومات.

ب - ب. تحقيق النزعة الربحية من خلال توظيف هذه التقنيات لخدمة السوق العالمية في تقديم المعلومات المتخصصة والعامة التي تنتج وتوزع على كل قارات العالم.

ومن هذين المنطلقين تستعر شدة المنافسة بين الوكالات الاربع فيقول (فيليب كيغر) في سنة ١٩٨٥ ويفضل ترخيص خاص اتسم بخرقه لكل مظاهر المودة غدت AFP وكالة الصحافة الفرنسية اول وكالة تتمكن من استخدام البرق البصري ولم تتمكن منافساتها من الحصول على ترخيص باستخدامه الا بعد خمس سنوات لاحقا.

<sup>١٢</sup> امال كمال قلنجي - وكالة انباء رويترز وصناعه الاخبار اطروحه دكتوراه غير منشوره مقدمة الى كلية الاداب - جامعة بغداد ١٩٩٥

ص ١٨.

<sup>١٣</sup> محمد عبد الحميد - نظريات الاعلام واتجاهات التأثير ط ١ القاهرة عالم الكتب ١٩٩٧.



ولما كانت وكالات الانباء مصدرا كبيرا للانباء وبعد ان استعرضنا الوكالات الاربع العالمية فلا بد من الحديث ولو بصورة موجزة عن التطور العام لوكالات الانباء العربية.. فالاقطار العربية حتى منتصف الخمسينات من القرن الماضي كانت تفتقر الى وكالات انباء محلية لذا كانت وسائل الاعلام تعتمد في الحصول على الاخبار العربية والعالمية على وكالات الانباء العالمية والاذاعات العربية والاجنبية وبعد ذلك التاريخ اقدمت بعض المؤسسات الخاصة في بعض الاقطار العربية على تأسيس وكالات للانباء وكان ذلك في مصر والمغرب، فقد اقامت الصحف المصرية عام ١٩٥٦ وكالة انباء الشرق الاوسط كشركة خاصة عام ١٩٥٩ غير ان هذه التجربة لم تتجاوز هذين القطرين اذ عمدت بقية الاقطار العربية الى اقامة وكالات انباء رسمية خاصة بها.

وقد تحولت وكالة انباء الشرق الاوسط الى القطاع العام عام ١٩٦١ كما تحولت الوكالة المغربية الى مؤسسة رسمية تعبر عن رأي وفكر السلطة السياسية وتعرف باختياراتها المركزية وتساندها مساندة مطلقة لذلك فان الحكومات العربية هي التي تمول ميزانيات وكالات الانباء.

وتشكل الوكالات المصدر الاساسي للاخبار المتدفقة وطنيا والتي تستغلها بنسبة كبيرة باقي وسائل الاعلام كالصحافة والاذاعة والتلفزيون وهذا ما يجعل وسائل الاعلام في البلد الواحد متشابهة تماما ومعتمدة اساسا على ما تبثه وكالات الانباء الرسمية وخصوصا فيما يتعلق بمختلف نشاطات السلطة والهيئات الرسمية التابعة لها، وعموما فان حجم الميزانيات المخصصة لوكالات الانباء ضعيف الى حد ما ولا يسمح في اغلب الاحيان بتطوير شبكه الوكالات على الاقل وطنيا.

فالمكاتب المحلية لهذه الوكالات هزيلة العدد وفي بعض الحالات غير موجودة اطلاقا كما ان العنصر البشري لا يسمح عادة بتطوير شبكة المكاتب المحلية لهذه الوكالات.. وقد ادى هذا الوضع الى سيطرة وكالات الانباء العالمية على سير تدفق الاخبار محليا ودوليا ذلك لان ضعف وكالات الانباء العربية يجعلها تعتمد على الوكالات العالمية ولوكالات الانباء العربية وظيفتان رئيسيتان هما:

- ١- جميع وتوزيع الانباء المحلية.
- ٢- ضبط توزيع واستخدام الاخبار المتدفقة من المصادر المختلفة سواء

محلية او عربية او عالمية بحيث تراعي وجهه النظر الرسمية وتتفاوت الامكانيات البشرية والمادية والفنية بين وكالات الانباء العربية فبعضها كبير والاخر صغير بل ان بعض هذه الوكالات لا تمتلك اجهزة البث الاخباري التليبرنتر فتعتمد الى توزيع نشرات مطبوعة مثل وكالة الانباء في اليمن وموريتانيا.

وتعاني معظم الوكالات العربية من عدم توفر المرسلات الكافية لايصال نشراتها الى مناطق اخرى خارج حدودها.. ولما كانت هذه الوكالات تركز على اوربا في توزيع اخبارها فعمدت الى افتتاح مكاتب لها في الدول الاوربية في وقت تغطي وكالات الانباء العربية ٩٥٪ من استقبال وبث الاخبار داخل الحدود العربية.

وقد ظهرت دعوات على مستوى المؤسسات العربية والافراد الى ضرورة اقامة وكالة انباء عربية قومية ودولية لانهاء السيطرة الدولية للوكالات الكبرى الا ان هذه الدعوات لم تلق استجابة من الدول العربية لانشاء هذه الوكالة لاسباب تتعلق بالمشاكل الكثيرة التي تواجهها الوكالات العربية في عملها منها.

#### ١- مشاكل داخلية ومن هذه المشاكل

- أ- السعي الى تحقيق الربح عن طريق تفضيل الكمية على النوعية.
- ب - تقديم اخبار ناقصة بهدف كسب اكبر عدد من المشتركين.
- ج - السرعة على حساب الدقة.
- د - قيام الوكالات بسرقة الاخبار الموثقة من الوكالات الاخرى واعطاء مصدر الوكالة السارقة.

هـ - عدم تفهم بعض المسؤولين وتصورهم بان الاعلام اداة لخدمة الاشخاص.

و - نقص الكادر الفني المتخصص في عمل الوكالات.

#### ٢ - اما المشاكل الخارجية فهي :

أ - الفهم الخاطئ لكثير من الدول والمسؤولين حول تبعيه الوكالة.

ب - الخدمات العربية تؤثر على عمل الوكالات والمراسلين.

ج - توفر فرص مراسلي الوكالات المعتمدين.

ومن المفيد ذكر اسماء عدد من الوكالات العربية ورموزها المستخدمة في البث.

١ - وكالة انباء الشرق الاوسط (أ. ش. أ).

٢ - وكالة الانباء العراقية (واع) توقف بثها بعد حل وزارة الاعلام.

٣ - وكالة الانباء السورية (سانا).

٤ - وكالة الانباء الجزائرية (داج).

٥ - وكالة الانباء اليمنية (سبأ).

٦ - وكالة الانباء الاردنية (بترا).

٧ - وكالة الانباء الفلسطينية (وفا).

٨ - وكالة انباء المغرب العربي (حاب).

٩ - وكالة تونس افريقيا (وات).

١٠ - وكالة انباء السودانية (سونا).

١١ - وكالة انباء الامارات (وام).

١٢ - وكالة الانباء القطرية (قنا).

١٣ - وكالة الانباء الكويتية (كونا).

١٤ - وكالة الانباء الليبية (واقع).

١٥ - وكالة الانباء السعودية (واس).

١٦ - وكالة الانباء الصومالية (صونا).

١٧ - وكالة انباء عمان (العمانية).

١٨ - وكالة انباء الخليج (و. أ. خ).

١٩ - وكالة الانباء الموريتانية (وحص).

٢٠ - اتحاد وكالات الانباء العربية (فانا).

### المبحث الثالث:

#### ظاهرة تدفق الأخبار باتجاه واحد.

مما تقدم يتضح لنا ان ظاهرة تدفق الاخبار في اتجاه واحد تمثل ابرز الظواهر في الحياة الدولية الراهنة حيث نجد ان هذا التدفق يوجه معظمه من الدول الكبرى الى الدول الصغرى من الدول التي لديها القوة ووسائل التكنولوجيا تجاه الدول الاقل تقدما مما خلق مشكلات كبيرة في عدم توازن التدفق الاعلامي وأوجد هيمنة واضحة للأنباء على حساب وكالات الانباء المحلية.

وكان الجدل حول هذا الاختلال قد ازدادت حدته بشأن مسألة التدفق الدولي للانباء وسيطرة وكالات الانباء الكبرى على جمع الانباء ونشرها وذلك لان عملياتها الواسعة على نطاق العالم شبيها بالاحتكار في مجال نشر الانباء على الصعيد الدولي اذ تهيمن هذه الوكالات على نشر ما يقارب ٨٠٪ من انباء العالم ويذهب بعض الكتاب الى ان هذه الوكالات هي السبب الاساسي في الاختلال القائم في تدفق المعلومات على النطاق الدولي<sup>١٤</sup>.

ويأتي هذا الاتهام لامتلاك تلك الوكالات شبكة واسعة من المراسلين المنتشرين في شتى انحاء العالم اضافة الى استخدامها لحدث تقنيات الاتصال الى جانب خبرتها الطويلة في جمع الانباء ومعالجتها وتوزيعها بلغات عديدة في انحاء العالم ولكل وكالة اكثر من مائة مكتب منتشرة في دول العالم وتستخدم الاف الموظفين والمراسلين للقيام بجمع مئات الالاف من الكلمات كل يوم وتوزيع ملايين الكلمات على النطاقين المحلي والعالمي.. وكل منها يصدر انباءه على مدار ٢٤ ساعة في اليوم الى الالاف من الوكالات الوطنية والصحف المشتركة ومحطات الاذاعة والتلفزيون في اكثر من مائة دولة وجميعها يقوم بخدمة منظمة بالانكليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية والروسية والبرتغالية والعربية وبلغات اخرى اقل اهمية<sup>١٥</sup>.

<sup>١٤</sup> تيسيراو عرجه - الاعلام العربي - مصدر سابق ٢ ص ١٧١.

<sup>١٥</sup> ماكبرايد واخرون - مصدر سابق - ص ١٣٧.

في حين ان اماكن كثيرة من العالم النامي لا تملك وكالات انبائها الوطنية والصحف والاذاعة مراسلون خاصون اضافة الى ان هناك ثلاثين بلدا ليس فيها وكالات للانباء ، ويفتقر ثلثا وكالات الانباء الموجودة الى المعدات اللازمة لارسال المعلومات الى البلدان الاخرى لذلك فهي تعتمد اعتمادا كاملا على وكالات الانباء العالمية للحصول على الانباء الخارجية.. وعلى الرغم من كثرة عدد وكالات الانباء في الدول النامية فان عدد غير قليل من هذه الوكالات دون المستوى المطلوب لكونها مجرد مكاتب لجمع وتوزيع الاخبار وهذا يعني ان انشائها جاء رغبة من الحكومة لفرض سيطرتها وتحكمها في الاخبار والمعلومات التي ستروج في الداخل.

وبما ان الجميع بحاجة الى المعلومات السياسية والاقتصادية وغيرها من المعلومات لذا لم يكن هناك وسيلة اخرى لتبادل المعلومات والاخبار ورغبة من الجميع في معرفة ما يجري في العالم مما ادى الى هيمنة وكالات الانباء العالمية الكبرى على تدفق الاخبار والمعلومات ومهما تكن نوايا هذه الوكالات فانها لا بد ان تخضع خلال مسيرتها لعدد من الضغوط المالية والايديولوجية والتقنية<sup>١٦</sup>. وهناك ظاهرة اخرى تتعلق بنوع التغطية الاخبارية للاحداث الدولية حيث اوضحت الدراسات العديدة في هذا المجال.

ان الاحداث التي تقع في الدول الغربية المتقدمة هي المستهدف الاول في التغطية الاخبارية في صحف الدول النامية وذلك عكس ما يحدث في الاعلام العربي اذ ان التغطية الاعلامية كما يدور في العالم النامي تتركز على الانقلابات والازمات والطرائف وكل ما يعطي صورة مشوهة للحقائق فضلا عن ضآلتها من الناحية الكمية<sup>١٧</sup>.

وتجاهلها لعمليات التنمية وسائر المشروعات الايجابية في معظم دول العالم الثالث وهذا ما اكدته لجنة ماكيراي للاعلام بمنظمة اليونسكو اذ ان هذه الحقيقة ادت الى مزيد من السيطرة من جانب الاعلام الغربي ومزيد من التبعية من جانب الاعلام النامي.

<sup>١٦</sup> التقرير النهائي للجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال اليونكو باريس ١٩٨٩.

<sup>١٧</sup> احمد عبد الملك - قضايا اعلامية - عمان - دار مجدلاوي للنشر ١٩٩٩ ص ١٠٣.

ان وكالات الانباء العالمية تنقل للدول النامية اخبار الدول النامية الاخرى واخبار الدول الشمالية.. ولاتبت الأخبار الجديرة بالتقديم.. وبهذا تفرض على الدول النامية رؤيتها هي للعالم وليس كما تراه شعوب دول عالم الجنوب فهذه الوكالات لا تركز لانباء البلاد النامية الا نسبة ٢٠٪ او ٣٠٪ من تغطيتها الاعلامية على الرغم من ان البلاد النامية تشكل ما يقرب من ثلاثة ارباع البشرية<sup>١٨</sup>.

فعلى سبيل المثال ان وكالة انباء يونيتد برس انترناشنال تركز ٧٠٪ من اخبارها للاحداث الجارية في شمال العالم وان ٣,٢٪ لأمريكا اللاتينية و ١,٨٪ لأفريقيا و ١,٥٪ لأوروبا ودول الاتحاد السوفيتي سابقا مع نسبة لا تتجاوز ٢١ - ٣٠٪ عن بلدان العالم الثالث<sup>١٩</sup>.

واكدت دراسة اجريت في عام ١٩٧٩ وتناولت (١٤) صحيفة من كبريات صحف امريكا اللاتينية ان ٩٠,٧٪ من اخبارها العالمية مصدرها وكالات الانباء العالمية وهذا ما ينطبق بالضرورة على دول العالم الثالث ومنها الدول العربية<sup>٢٠</sup>.

لذا فان الصحف في هذه البلدان تغدو وكأنها مجرد سوق لتوزيع اخبار هذه الوكالات مما يؤثر في قوة وشخصية تلك الصحف<sup>٢١</sup>.

وذكرت اليونسكو في وثيقة دولية ان ثمة مشكلات وعوامل تعرقل العمل الاعلامي الى الدول النامية ومنها: <sup>٢٢</sup>.

- ١- ندرة الموارد المالية التي تعاني منها الدول النامية بصفة عامة ومرافقها الاتصالية بصفة خاصة.
- ٢- نقص الكوادر الفنية المؤهلة في مجال الاتصال والاعلام العديدة.
- ٣- المنافسة الشديدة بين موردي المعدات الفنية ووسائل الاتصال الحديثة.

<sup>١٨</sup> مصطفى المصمودي - النظام الاعلامي الجديد - مصدر سابق ص ٤.

<sup>١٩</sup> صابر فلحوط ومحمد البخاري - التبادل الاعلامي دمشق العدد ٤.

<sup>٢٠</sup> محمد السماك - اشكالية الاعلام في لبنان واثرها في عملية السلام - مجلة دراسات عربية - بيروت - دار الطلبة العدد ١٩٩٩

ص ١٦.

<sup>٢١</sup> د. ابراهيم امام - مصدر سابق ص ٥٣.

<sup>٢٢</sup> وثيقة منظمة اليونسكو رقم ١١ ص ١١ - ١٠

- ٤- انخفاض القدرة الانتاجية للدول النامية في مجال انتاج معدات واجهزة اتصال.
- ٥- نقص المعلومات التي يمكن الاعتماد عليها والمناسبة للمستهلكين والمتمركزة في الدول المتقدمة.
- ٦- استعداد غير كاف من قبل الدول المتقدمة لمساعدة الدول النامية في تطوير بنائها الاساسية في مجال الاتصال حيث لم يحظ هذا المجال بالاولوية المناسبة في مجال التعاون الدولي.
- ويفسر هستر عملية التغطية الاخبارية في الدولة النامية فيلاحظ ان تدفق مثل هذه الانباء ودراسات حارس البوابة<sup>٢٣</sup>.
- تصبح ذات اهمية قصوى عندما تتناول تدفق الانباء الى الدول النامية ومنها ويقول ان حجم الرسائل الاخبارية التي تنقل الى الدول النامية ومنها يقل كثيرا عن الاخبار المتداولة بين القوى الصناعية والغربية الكبرى وهكذا فان عملية الاختبار التي تحدد ما يتدفق من خلال البوابات قد تحجب التدفق الاخباري تماما اذا كان حجم الرسائل الاخبارية قليل).
- ويضيف د. هستر ان العاملين في وسائل الاعلام بالدول النامية سواء كان منهم من يعمل في مؤسسات حكومية او من ينتمي منهم للقطاعات المستنيرة من المواطنين يعلمون ان الانباء التي تخرج من بلادهم والتي تمر من البوابات العالمية للانباء لا تتجاوز القطرات عندما تصل الى بقية دول العالم<sup>٢٤</sup> وقد فرضت وكالات الانباء الدولية نفسها على اعلام الدول النامية مستفيدة من تطور التقنيات والامكانيات الفنية العالمية ومن منهج وطريقة ادائها التي تمثل في شمولية التغطية للاحداث في العالم وكتابة النص بصيغة توحى بالموضوعية والتجرد وسرعة توصيل الخبر وتأمين التسهيلات التقنية لتلقي الخبر<sup>٢٥</sup>.

<sup>٢٣</sup> حارس البوابة هو المسؤول الاخبارية الذي يقرر ما هي الانباء التي تبثها الوكالة وما هي تلك التي لا تبث راجع نظرية حارس البوابة الاعلامية د. جيهان احمد رشتي - الاسس العلمية لنظريات الاعلام - القاهرة - مترجم ص ٢٧٨.

<sup>٢٤</sup> مجد الهاشمي - الاعلام الدولي والصحافة عبر الاقمار الصناعية - عمان - دار المناهج للنشر والتوزيع ٢٠٠١ ص ٩٤.

<sup>٢٥</sup> خير ميلاد ابو بكر - التدفق الاعلامي من جانب واحد: ملامح الصورة والمخاطر السياسية والاجنبية على الوطن العربي - مجلة البحثو الاعلامية طرابلس - مركز البحوث والتوثيق الاعلامي والثقافي التعبوي العدد ١٧ ١٩٩٩ ص ٣٥.

وتشير الدراسات الى ان وكالات الانباء العالمية تضع الاجندة لدول العالم الثالث بل وللعالم كله تقريبا فما تعتبره تلك الوكالات هاما يصبح هاما للدول الاخرى.

وبما ان هذه الوكالات مرتبطة اساسا بالدول الصناعية المتقدمة فانها لا تستطيع الخروج عن الخط المرسوم لها، لذلك فان عملية تشويهها للاخبار المنقولة عن بلدان العالم الثالث تتعدى حدود نشر معلومات كاذبة لياخذ اشكالا اخرى منها: أ - المغالاة في التاكيد على احداث ليس لها اهمية، ب - وضع الحقائق التي لا ترتبط ببعضها في قالب واحد وعرضها بشكل يوحي بانها متصلة وتكون حالة واحدة. ج - عرض الحقائق بطريقة ضمنية تعكس حالة رضا مما يقدمه النظام المهيمن. د - التشويه القائم على خلق حالة مزاجية وعقلية مسبقة نحو الاحداث وذلك عن طريق تقديم الاحداث ذات الابعاد المعروفة بأسلوب خلق حالة خوف او شك لا اساس لها من الصحة. هـ - التشويه من خلال التعتيم او عدم نشر اي معلومات متصلة بالحدث او الموقف الذي لا يخدم مصالح الدول التي لا تنتمي اليها وكالات الانباء العالمية<sup>٢٦</sup>.

كما ان الاخبار والمعلومات التي تروجها هذه الوكالات لا تتلائم في واقع الحال مع بلدان العالم الثالث وحاجاته لانها جمعت ونشرت عن طريق مصادر واجهزة الوكالات الغربية اضافة الى ان المحتكر هو الذي يحدد اي المواضيع تقدم وأيها يمنع وهم يعلمون انهم يتحكمون بذلك التدفق اذ يحصلون على المعلومات التي يريدونها وبالشكل الذي يروونه مناسبا وفي الوقت الذي يرغبون فيه ايضا<sup>٢٧</sup>، فضلا عن ذلك تعمل على خدمة مصالح الدول التي تنتمي اليها فهي في تغطيتها الاخبارية لمختلف احداث المعالم لا تغفل هذا الامر وانما هو في صميم عملها في هذا الاتجاه على رغم ما تدعيه من موضوعية او حياد في نقل الاخبار (فهذه الوكالات تلجأ الى تلوين الاخبار طبقا لمصالحها ومصالح النظم السياسية والاقتصادية التي

<sup>٢٦</sup> د. ياس خضير البياتي - الاستراتيجية الامريكية للغزو الاعلامي مجلة شؤون سياسية العدد ٢ ١٩٩٤ ص ٥٤.

<sup>٢٧</sup> راكيل ساليانس باسكير - وكالات الانباء والنظام الاعلامي الجديد بيورت، اتحاد وكالات الانباء العربية ١٩٨٩ ص ١٢٨.



تتبعها)<sup>٢٨</sup> والامر نفسه بالنسبة للعالم العربي الذي يشكل جزء من دول الجنوب اذ يوجد ما يزيد عن ٢٢ وكالة انباء عربية الا ان بعض هذه الوكالات اقرب الى مكاتب اعلامية تابعة لوزارات الاعلام مباشرة وانتاجها ضعيف قياسا الى السيل الكثيف الذي تنتجه وكالات الانباء العالمية الكبرى مما يدفع وكالات الانباء العربية الى اللجوء الى الوكالات الدولية خصوصا فيما يتعلق بانباء العالم الخارجي وحتى فيما يتعلق بالانباء المحلية ذاتها فليس من الغريب مثلا ان تنقل بعض الوكالات العربية عن الوكالات الاجنبية احداثا تجري في محيطها الجغرافي والثقافي والوطني ، ويفسر هذا الوضع ضعف هياكل وكالات الانباء التابعة لها يضاف الى ذلك ان وجود مكاتب خارجية تابعة لبعض هذه الوكالات لا يعني في حد ذاته ضمان تدفق مرضٍ للأنباء إذ أن هذه المكاتب غالبا ما تكون مصالح حكومية ملحقة بالسفارات والهيئات الدبلوماسية العربية في الخارج<sup>٢٩</sup>.

وعلى الرغم من التطور الذي حصل في عمل وكالات الانباء العربية وسعي وسائل الاعلام العربية لتنوع مصادر انبائها الخارجية فان وكالات الانباء الغربية ما زالت هي المصدر الرئيسي للاخبار الخارجية وهي اي الوكالات الغربية هي التي تحدد حجم ونوعية اهتمامات وسائل الاعلام العربية وللأسباب التالية.

١ - طغيان النموذج الغربي لمضمون الاخبار الخارجية على وسائل الاعلام العربية من حيث التركيز على انباء الصراع والعلاقات الدولية والتطورات الداخلية في الدول الاخرى بخاصة تلك الاخبار المثيرة او غير المألوفة مع قلة الاهتمام او تجاهل الانباء التي تمس التطورات الايجابية في الدول النامية وخاصة الاخبار المتعلقة بالتنمية بالاضافة الى العاصفة الاخبارية التي وضعت عالم الجنوب بما فيه الوطن العربي على كرسي الاتهام بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١.

٢ - التركيز على انباء العالم الاول وبخاصة الولايات المتحدة وغربي اوربا وتقديمه في كم الاخبار ومضمونها على انه محور الاحداث الصالحة للبت عبر العالم ومركز ادارة النظام الدولي كله وخاصة في العلاقات الدولية وادارة الصراع الدولي.

<sup>٢٨</sup> د. محمد نجيب الصرايره مصدر سابق ص ١٣٩.

<sup>٢٩</sup> مصطفى المصمودي - النظام الاعلامي الجديد - مصدر سابق ص ٢٢٦.

٣ - التعقيم الاخباري المتعمد وتحريف اخبار العالم الثالث ويأتي ذلك من خلال نشر كم من الاخبار لا تتناسب اطلاقاً مع وزنه في المجتمع الدولي اما تحريف الانباء بالمعنى الدقيق للعبارة يحدث عندما تحل الاخطاء او الاكاذيب محل الحقائق الثابتة او عندما يضاف تفسير محرف الى الخبر عن طريق استخدام صفات التحقير او القوالب الجامدة مثلاً فهناك طرقاً متعددة يتم بها تحريف الصورة الكاملة للاحداث والمواقف وهذا يحدث عندما تعطي احداث لا تنطوي على اهمية حقيقية موضعاً بارزاً وعندما تخرج امور سطحية او لاصله لها بالموضوع مع حقائق ذات اهمية فعلية او صنع الاخبار من حقائق عشوائية وتقديمها كحقيقة متكاملة او عندما تجمع الحقائق الجزئية لكي تعطي انطباعاً بانها الحقيقة الكاملة او عرض الحقائق بطريقة تثير شكوكاً ومخاوف لا اساس لها من الصحة او مبالغاً فيها يهدف التحكم في رد الفعل من جانب الافراد او حتى جماعة باكملها او حكومات او التزام الصمت ازاء حقائق واحداث يفترض انها تهم الجمهور.

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا ان حركة الاخبار تمثل قلة في الانسياب من الجنوب الى الشمال اي من الدول النامية الى الدول التي تعتبر متقدمة (كما ونوعاً) ولهذا فقد خطت الدول النامية خطوات منها تأسيس مجمع لوكالات انباء عدم الانحياز وبدأ نشاطه في كانون الثاني ١٩٧٥ في بلغراد بيوغسلافيا.. كما تم في نيسان عام ١٩٧٤ في بغداد عقد مؤتمر لوكالات الانباء العربية تم فيه تعديل نظام اتحاد وكالات الانباء العربية بما يضمن التنسيق بينها لايجاد السبل لزيادة تدفق المعلومات العربية الى اوربا وافريقيا وامريكا اللاتينية بذلك عمل هذا الاتحاد على عقد ندوات بين وكالات الانباء العربية من جهة ووكالات انباء افريقيا واوربا وامريكا اللاتينية من جهة اخرى.

وان كانت هذه الخطوات قد مثلت البداية في العمل على اعادة التوازن في انسياب المعلومات والاخبار بين دول العالم فان الضرورة تقضي بتوفير شروط كثيرة امام وكالات الانباء التي تعمل في الدول التي تسير نحو النمو لتقترب من الوكالات الكبرى تكنولوجياً وفنياً واعلامياً وهذه الشروط هي :

- ١- توفير قدر كامل من اجهزة الاتصالات واجهزة نقل المعلومات الصورية.
- ٢- توفير قدر كامل من المشتركين في اوربا وامريكا والدول الاخرى تستلم المعلومات من خلال عقد اتفاقيات تعاون معها.

٣. مساهمة اليونسكو مع المنظمات الاقليمية القائمة للمساهمة في تدريب العاملين وتطوير قدراتهم سواء من الناحية الفنية او الاعلامية.
٥. اعداد كادر متخصص قادر على تميز المعلومات التي تثير اهتمام شعوب اوربا وامريكا والدول الاخرى.

## **المصادر**

- ١ - احمد عبد الملك - قضايا إعلامية - عمان - دار مجدلاوي للنشر ١٩٩٩ ص ١٠٣
- ٢ - التقرير النهائي للجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال - اليونسكو - باريس ١٩٨٩ ..
- ٣ - آمال كمال قلنجي - وكالة أنباء رويترز وصناعة الأخبار أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٩٥ ص ١٨.
- ٤ - بيار البير - الصحافة - ترجمة محمد برجايوي ط ١ بيروت - منشورات تحديدات ١٩٧٠ ص ٣١.
- ٥ - تيسير ابو عرجه - الإعلام العربي تحديات الحاضر والمستقبل - عمان دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ١٩٩٦ ص ١٧.
- ٦ - تيسير ابو عرجه - الإعلام العربي - مصدر سابق ط ٢ ص ١٧١.
- ٧ - جامعة الدول العربية - الامانة العامة - توصيات اللجنة الدائمة للاعلام العربي - دورة (٥٥٩) القاهرة ١٩٩٥ ص ١٧٧.
- ٨ - خبر ميلادي ابو بكر - التدفق الإعلامي من جانب واحد: ملامح الصورة والمخاطر السياسية والأمنية على الوطن العربي - مجلة البحوث الإعلامية - طرابلس - مركز البحوث والتوثيق الإعلامي والثقافي التعبوي العدد ١٧ ١٩٩٩ ص ٣٥.
- ٩ - د. إبراهيم إمام - تدفق الأخبار - القاهرة ١٩٨٩ ص ٥٣.

- ١٠ - د. ياس خضير البياتي - الاعلام الدولي والعربي - بغداد - جامعة بغداد -  
مديرية دار الكتب والنشر ١٩٨٣ ص ١٩٣.
- ١١ - د. ياس خضير البياتي الاستراتيجية الأمريكية للغزو الإعلامي - مجلة شؤون سياسية  
العدد ٢ ١٩٩٤ ص ٥٤
- ١٢ - رايكل ساليانس باسكير - وكالات الانباء النظام الإعلامي الجديد - بيروت -  
اتحاد وكالات الانباء العربية ١٩٨٩ ص ١٢٨.
- ١٣ - رفيق سكري - دراسة في الراي العام والاعلام والدعاية - لبنان
- ١٤ - صابر فلهوط ومحمد البخاري - التبادل الإعلامي - دمشق - العدد ٤ ١٩٩٩  
ص ١٦.
- ١٥ - طه البصري - وكالات الانباء والنظام الإعلامي الجديد ١٩٨٢
- ١٦ - عبد العزيز الغنام - مدخل في عالم الصحافة ح ١ الصحافة اليومية -  
بيروت - دار النجاح ١٩٧٢ ص ٧٥.
- ١٧ - عبد العزيز الغنام - مدخل في عالم الصحافة - دار النجاح - بيروت ١٩٧٢  
ص ٧٧
- ١٨ - عواطف عبد الرحمن - قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث - الكويت  
- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - سلسلة عالم المعرفة ١٩٨٤ ص ٨١.
- ١٩ - فريد أيار - التداول الحر المتوازن للمعلومات ضمن نظام اعلامي دولي  
جديد - بيروت ١٩٨٢.
- ٢٠ - ماكبرايد واخرون - مصدر سابق - ص ١٣٧.
- ٢١ - محمد السماك - إشكالية الإعلام في لبنان - مجلة دراسات عربية.
- ٢٢ - محمد عبد الحميد - نظريات الاعلام واتجاهات التأثير ط ١ القاهرة - عالم الكتب  
١٩٩٧.

- ٢٣ - محمد الهاشمي - الإعلام الدولي والصحافة عبر الأقمار الصناعية - عمان - دار المناهج للنشر والتوزيع ٢٠٠١ ص.٩٤
- ٢٤ - مصطفى المصمودي - النظام الإعلامي الجديد - القاهرة ١٩٩٠ ص.٤
- ٢٥ - منظمة اليونسكو رقم ١١ ص.١١
- ٢٦ - نشرة تعدها اليونسكو تتضمن معلومات عن الوكالات العربية والعالمية ١٩٨٤.

# الخبر الصحفي

## عنصر اساسي من عناصر العملية الاعلامية

د. صالح شاكرو توت

١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م

## الخبر الصحفي

### عنصر أساسي من عناصر العملية الإعلامية

#### المقدمة

تمثل الأخبار جانبا مهما في عالم الإعلام في عالمنا المعاصر، وتبقى على الدوام السبيل الفاعل في متابعة الأحداث وتطوراتها في خضم ذلك الكم الهائل منها الذي تتجاذبه وسائل الاتصال بمختلف أشكالها.

يمثل (الخبر) عنصرا أساسيا في تلك العملية الإعلامية، سواء في مجال الصحافة أو الإذاعة أو قنوات التلفزة وشبكات البث الفضائي.

إن صناعة الأخبار وأساليب إعدادها وإخراجها قد شهدت تطورا كبيرا في سنوات العقد الأخير من القرن الماضي، وقد امتد هذا التطور ليشمل لغة الخبر وطريقة صياغته وتحريره وقوابله والشكل الذي يصل به إلى المتلقي. لذلك فقد أولى الباحثون، ومازالوا، هذا الموضوع أهمية خاصة انسجاما مع تلك التطورات الكبيرة التي تشهدها الصحافة في نظرتنا إليها كعلم وفن وصناعة.

ويأتي هذا البحث مساهمة جادة لولوج هذا المعترك بأطر علمية تواكب مستجداته.

تضمن البحث خمسة بحوث فرعية.. تناول البحث الأول (تعريف الخبر وبيان عناصره) فيما جاء البحث الثاني موضحا (نماذج الأخبار).. أما البحث الثالث فقد تناول (مصادر الخبر

الصحفي).. أما المبحث الرابع فقد كُرس لعملية (تحرير الخبر) فيما اهتم المبحث الخامس والأخير بـ(الخبر الالكتروني) .

### مشكلة البحث

إن التطور الهائل الذي شهدته الصحافة في توزيعها الواسع بالملايين وتنوع جمهورها ، وما رافق ذلك من تحول وتغيير في الذوق العام ، وتعدد الوسائل الإخبارية ، فقد امتد ليشمل العملية الكتابية ذاتها ، وليجعل مفهوم (الخبر) موضع جدل حاد ونقاش حاسم تناولته مدارس مختلفة. كل ذلك دفعني للخوض في هذا الموضوع ومحاولة تحديد الأطر الناجعة في تحديده.

### هدف البحث

إشاعة المفاهيم العلمية الحديثة في موضوعه (الخبر) وخاصة بين الجيل الجديد من الصحفيين لتكون معالم نشاطهم وفق معايير تأخذ بنظر الاعتبار ما تقدم.

### منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج التحليلي في تناوله مفردات الموضوع وصولاً إلى النتائج المتوخاة.

### المبحث الأول: تعريف الخبر وعناصره

#### تعريف الخبر

لم يعد الخبر الصحفي مجرد وصف اعتيادي لحدث معين يحظى بالاهتمام بل أصبح صناعه مميزه لها سماتها الخاصة ، وهذه الصناعة الصحفية دخلت وتفاعلت فيها عوامل عدة أسهمت في تطور أساليبها ووسائلها وطرائق إيصالها إلى الجمهور.



إن عملية جمع الأخبار وإعدادها وتوزيعها دخلت مرحلة مهمة من التطور الذي رافق ثورة الاتصال والمعلوماتية وهكذا نجد العملية الإخبارية قد تعقدت تبعاً لعالم ملئ بالصراعات المختلفة من إيديولوجية وثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية تركت أثرها واضحاً في العملية الإخبارية. وقد شهد النصف الثاني من القرن الماضي ظهور أنماط جديدة من أساليب تحرير وكتابه الأخبار وتغيرت النظرة إلى الخبر تعريفاً ومفهوماً وأصبحت عملية إعداده صناعة متقنة ومعقدة تجاوزت الوصف الاعتيادي للأحداث الجارية لتصبح عملية دقيقة لها وسائل وأساليبها وفلسفتها الخاصة. وكثيراً ما كنا نقرأ في كتب الصحافة تعريفات للخبر تكاد تلتقي في مفهوم عام وهو أن الخبر وصف لحدث اني يحظى بالاهتمام.

ومضت عقود طويلة ظل فيها هذا المفهوم العام راسخاً في أذهان كتاب الخبر والمحررين والمراسلين الذين وجدوا إن مهمتهم الصحفية تقوم على اطلاع القراء وتنويرهم بما يجري من أحداث.. فقد عرف فور تكليف الخبر ونشره عام ١٨٦٥ بأنه الإثارة والخروج عن المألوف.. فعندما يعرض الكلب رجلاً فهذا ليس بخبر ولكن عندما يعرض الرجل كلباً فهذا هو الخبر<sup>١</sup> ويرى نيل ماكينيل الذي عمل مساعداً لرئيس التحرير للشؤون الخارجية في صحيفة نيويورك تايمز أن الخبر هو جمع الحقائق عن الأحداث الجارية التي تثير اهتمام القراء لكي تطبعها الصحيفة<sup>٢</sup> وعرف جيرالد جونسون الخبر بأنه وصف أو تقرير لحدث مهم بالنسبة للجمهور كما هو مهم بالنسبة للمخبر الصحفي نفسه فقيمة الحدث بالنسبة للمخبر يتحدد بمدى قابلية هذا الحدث للنشر<sup>٣</sup>. ويرى فرايزر بوند إن الخبر هو تقرير وقتي عن أي شيء مثير بالنسبة للإنسان والخبر الجيد هو الخبر الذي يثير اهتمام أكبر عدد من القراء<sup>٤</sup> يعتبر خبراً مهماً<sup>٥</sup>.

<sup>١</sup> هوف جورج - الاوراق الصحفي - شركة هفتن ملفن بوسطن ١٩٧٣ ص ٢

<sup>٢</sup> ماكينيل - تعليم الصحافة ط ٤ شركة ماكميلان نيويورك ١٩٥٥ ص ١١٢

<sup>٣</sup> هوف جورج - الاوراق الصحفي. مصدر سابق

<sup>٤</sup> بوند. فرايزر مقدمة للصحافة شركة ماكميلان - نيويورك ١٩٦١ ص ٧٨

<sup>٥</sup> نفس المصدر السابق.

أما عبد اللطيف حمزه فقد عرف الخبر بأنه الجديد الذي يتلهف القراء على معرفته والوقوف عليه بمجرد صدور الجريدة وعرف د. عبد الستار جواد الخبر بأنه شيء لا نعرفه من قبل ، شيء نسيته أو انك لم تفهمه<sup>٦</sup>.

ومن خلال التعاريف الكثيرة للخبر والتي أوردنا قسما منها نستطيع ان نعرف الخبر بالاستناد الى خبرتنا العملية بأنه تقرير عن حدث لم يكن معروفا عند الناس من قبل جمع بدقة من مصادر موثوقة بصحتها على أن يقوم بكتابته محررون متخصصون في العمل الصحفي.

وعرفه ماكد وجل بأنه / تقرير عن حادث معين ترى الصحيفة في نشره وسيلة للريح المادي<sup>٧</sup>. كما عرفه فارنس فاليز بأنه / ذلك النوع الصحفي الذي يقوم بنقل معلومات معينة بشكل ملتزم حول وقائع ملموسة أو بعكس أحداث معينة بأسلوب مكثف وبأسرع طريقة ممكنة وينبغي أن يكون واقعيًا وملتزمًا ومقنعًا<sup>٨</sup>.

وعرفه جلال الدين الحمامصي بأنه / كل خبر يرى بأنه جدير بان يجمع ويطلع وينشر على الناس<sup>٩</sup>.

ويرى أديب خضور ان الخبر هو نوع صحف مستقل يقدم وقائع دقيقة ومتوازنة وجديده عن حدث يهم المجتمع<sup>١٠</sup>.

## اجزاء الخبر

يتكون الخبر من ثلاثة أجزاء رئيسية هي :

### ١-المقدمة

ويتم تحريرها باختيار أهم جزء من تفاصيل الخبر الذي يمثل مركز الثقل وصياغته في فقرة لا يتجاوز عدد كلماتها الثلاثين تتضمن ملخصا للموضوع وتكشف عن هوية الأشخاص والأماكن

<sup>٦</sup> د. عبد الستار جواد - فن كتابة الاخبار - عمان ٢٠٠٢ ص ٤٣

<sup>٧</sup> قيس الياسري - الخبر الصحفي - دراسة نظرية وتطبيقات - بغداد - دار الحكمة للنشر والتوزيع ١٩٨٧ ص ١٢.

<sup>٨</sup> اديب خضور - الخبر الصحفي - دمشق - مطابع دار البعث - ١٩٨٢ ص ١٥.

<sup>٩</sup> جلال الدين الحمامصي - المندوب الصحفي - القاهرة - دار المعارف ١٩٩٣ ص ٢٣.

<sup>١٠</sup> تيسير ابو عرجه - الصحافة المعاصرة - الامارات المتحدة - دار الكتب الجامعي ١٩٩٩ ص ١٢.

من ذوي العلاقة وتبرز الطابع المميز للخبر وتعطي آخر التفاصيل عن الحدث وتثير اهتمام القارئ لمتابعة قراءه الخبر.

## **٢-تفاصيل أحداث الخبر**

وتتكون من أجزاء كل منها تشكل شريحة من الخبر تتناول جزء من أحداثه في وحدة متكاملة يتم ترتيبها في تسلسل وفق الأهمية التنازلية لكل منها.. اي نبدأ من الأهم ثم الأقل أهمية وهكذا.

## **٣-خلفيات الخبر**

وهي الأصول الرئيسية التي تسببت بوقوع الحدث أو تطوراته السابقة ويمكن تجزئه أوليات الحدث إلى فقرات تتضمن كل منها جزء من تلك الأوليات أو الأصول في وحدة متكاملة ويتم ترتيبها وفق الأهمية التنازلية لكل منها.

ومن خلال خبرتنا العملية والنظرية في تحرير الخبر.. فالخبر الكامل هو الذي يعطي الإجابات الوافية والكاملة على الأسئلة الستة التالية :

- ١ -من.. من الذي لعب الدور الأول في وقوع الحدث
  - ٢ -متى.. زمن وقوع الحدث.
  - ٣ -أين.. مكان وقوع الحدث.
  - ٤ -ماذا.. ماذا حدث.
  - ٥ -كيف.. تفاصيل الحدث.
  - ٦ -لماذا.. أوليات أو خلفيات الحدث.
- وليس بالضرورة ان تتوفر في الخبر الإجابة على الأسئلة الستة ولكن المحرر الصحفي يسعى دائما ليضمن خبره الإجابات على ما يستطيع من هذه الأسئلة.
- كما ليس بالضرورة أن تكون لكل الأخبار خلفيات فهناك أخبار ليست لها أوليات سابقة وان ذكرت هذه الأوليات وكانت معروفة لدى القراء فإنها تصبح ليست ضرورية.

## **عناصر الخبر**

في كثير من الكتب المنهجية التي تدرس في المعاهد والجامعات في العالم تباينت عناصر او شروط الخبر فقد ذكر الألماني كاسبر ستيلر في عام ١٦٩٥ العناصر التالية.

١- الجدل والطرافة

٢- قرب المكان

٣- التأثير

٤- الأهمية

٥- السلبية

ومن أكثر الدراسات التي تناولت عناصر الخبر جدلاً هو ما ذهب إليه كالتونك وماري روج في الدراسة التي نشرت في كتاب (صناعة الأخبار) لمؤلفيه كوهين وبونك.. وهذا الباحثان النرويجيان يريان ان هناك احتمالاً أكبر لنشر الأحداث إذا كانت تلبي أياً أو بعض أو عدة معايير من المعايير الآتية:

١- **نسبة الحدث:** وهي تتعلق بالوقت الذي يستغرقه وقوع الحدث بشكل يتناسب مع وقت الوسيلة الإخبارية فحادث اغتيال مثلاً أكثر جدارة صحفية من تقدم بطئاً لأحد بلدان العالم الثالث.

٢- **الضخامة:** كلما كان الحدث أكبر كان أفضل وكلما كان دارماتيكياً كلما زادت قوة تأثيره وتحقيقه لما يسمى باندفاع الجمهور.

٣- **الوضوح:** كلما كانت الأحداث واضحة ومحددة كلما سهل على الجمهور ملاحظتها وسهل على المراسلين التعامل معها.

٤- **الآله:** وهذه الخاصية الخبرية تتعلق بالجماعة وبالقرب الثقافي وبما يتناغم مع الجمهور المتلقي فالأشياء القريبة منا تعيننا أكثر من سواها.

٥- **التمائل:** هذا يعني درجة التقاء الأحداث مع توقعات الجمهور وتنبؤاته.

٦- **الدهشة المفاجئة:** لا بد ان يكون الحدث مفاجئاً وغير متوقع أو نادر ليكون الخبر جيداً.

٧- **الاستمرارية:** وهذه الخاصية تفترض ان يكون الخبر جديداً ليقع في عناوين الصحف ونشرات الأنباء وان تستمر جدارته الصحفية حتى عندما تتضاءل ضخامته.

٨- **التشكيل / التركيب:** ان الحاجة في تحقيق التوازن في نشر الأخبار تجعل المحرر أو الناشر بطرح بعض العناصر المتناقضة، مثل نشره بعض الأخبار المحلية إذا كانت غالبية الأخبار المنشورة في

الصحيفة هي أخبار خارجية أو أن ينشر بعض الأخبار الحقيقة والمشوقة إذا كانت نسبة الأخبار التي تبعث على التشاؤم عالية<sup>١١</sup>.

وفي كتابة المشهور الرأي العام الذي صدر عام ١٩٢٢ ذكر وولتر ليمان العناصر التالية<sup>١٢</sup>:

أ - وضوح الحدث

ب - الغرابة والدهشة

ج - القرب الجغرافي

د - التأثير الشخصي

هـ - الصراع

وقد سرد الباحثين العناصر الأساسية المعتمدة في صحافة العالم الثالث والتي تؤكد على التنمية الاقتصادية والثقافة الوطنية وإبراز صورة مشرقة عن العالم الثالث وهي<sup>١٣</sup>:

١- التنمية

٢- المسؤولية الاجتماعية

٣- التكامل الوطني

٤- التقيف

٥- قرب المكان

٦- الاهتمام الشخصي

وتتجلى هذه العناصر في طريقة عرض الأخبار في صحافة العالم الثالث حيث يتم إبراز الأخبار الايجابية وإنشاء المشاريع والمصانع وحملات التطعيم ضد الأوبئة ومحو الأمية ونشاطات زعماء هذه الدول.. كما يتم حجب أخبار العنف والجريمة والفساد والفضائح والسياسات الخاطئة.

<sup>١١</sup> عبد الستار جواد فن كتابة الاخبار. مصدر سابق

<sup>١٢</sup> نفس المصدر السابق.

<sup>١٣</sup> دليل الصحفي في العالم الثالث - ترجمة كمال عبد الرؤوف القاهرة الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٨٨ ص ٥٧

ومن الناحية العملية فهناك عناصر أساسية تدخل في تشكيل بنية الخبر وتتكامل داخل هيكله العام بشكل متجانس يعطين خبرا وهي :

#### ١- أن يكون الخبر حقيقيا اي وقع فعلا.

وبهذا يجب ان تكون المعلومات والوقائع والأسماء والأمكنة والتواريخ والأشخاص أو المؤسسات التي يتناولها الخبر دقيقة بأقصى ما يمكن وان اي خلل في إيراد الواقعة الإخبارية من حيث دقتها يزلزل الخبر أساسا وينسف الثقة لدى الشخص المتلقي بالجهة التي أوردت الخبر.

#### ٢- أن يكون مثيرا أو يهم اكبر عدد ممكن من الناس.

وهذا يعني إن الخبر لا يعطي الوقائع أو الحقائق جامدة أو بلغه روتينيه بل انه يهتم بالملاح المشوقة بخصوص الوقائع التي ينطوي عليها.. ولكي تهم الأخبار اكبر عدد ممكن من الناس يفترض أن تعبر بالدرجة الأولى عن مصالحهم أو أفكارهم أو عواطفهم وعليه يجب أن تكون الأخبار واقعية تتضمن حقائق ملموسة صلبة قاطعة لكي تكسب اهتمام الناس.

#### ٣- ان تكون لغته بسيطة وموجزه لكنها متينة البناء

ان هذه الميزة ضرورية للأخبار بما يجعلها قريبة إلى مدارك الناس وعقولهم وعلى العموم فان الصحفيين يكتبون بلغه يفهمها خريج الدراسة المتوسطة كمعدل.

#### ٤- الجده أو الحداثة

ان عنصر الجده أساسي للغاية في الأخبار فهي / أي الأخبار / تفقد ثقلها وأهميتها في الأغلب عندما تكون قديمة وتمثل الجده في الأخبار عنصر استقطاب اهتمام الشخص المتلقي (قارئ، مستمع، مشاهد).

وفي جو تنافسي بين الصحافة في الداخل او مع الصحافة العربية والأجنبية يكون عنصر الجده ذا أهمية قصوى لكسب التنافس فالشخص المتلقي يهمل طبعا الصحيفة أو الإذاعة التي تقدم له أخبارا وارده ومعروفة.

## المبحث الثاني: نماذج الأخبار

### نماذج الأخبار

بالنظر لتعدد العملية الإخبارية وتعدد وجهات النظر إلى مفهوم الخبر في ضوء المعطيات العصرية الجديدة وما أفرزته صناعة الأخبار التي تمر بمرحلة حاسمة من التطور، فقد تدارس علماء الصحافة وكتاب الأخبار والباحثون الإعلاميون واقع الخبر في ظل المنافسة الصحفية والتحول الثقافي والاقتصادي والسياسي الذي يشهده العالم اليوم.

قد عقدت عدة حلقات دراسية وندوات علمية في الولايات المتحدة وأوروبا وبعض دول العالم الثالث قدمت فيها دراسات ألفت شيئا من الضوء الجديد على مفهوم الخبر وصناعته.

وقد خلص الباحثون إلى طرح أربعة نماذج للأخبار ذات ملامح وخصائص مميزة وتجسد نظرة حرفية متطورة للعملية الإخبارية وطرائق إعداد الأخبار لتكون صالحة للاستعمال من قبل وسائل الإعلام الإخبارية المختلفة.. وكل أنموذج من هذه النماذج يكشف عن القوى المؤثرة في صناعة الخبر ولكل واحد من هذه النماذج تأثيره ووقعه الخاص في غرف الأخبار لا بل حتى عند جمهورها.

### ١- أنموذج المرأة

يذهب أنصار هذا الأنموذج إلى أن الخبر يعكس كمرآة واقعا معينا بل عليه أن يؤدي هذه المهمة. فالصحفيون والمراسلون يراقبون ويتأملون من العالم الذي حولهم ويروون ما يشاهدونه بدقة وموضعية قدر الامكان مثلما تكون المرأة صادقة في عكس الصورة التي تقف أمامها.

أنصار هذا الأنموذج يدافعون عن وجهة نظرهم بالقول نحن لا نصنع الخبر بل ننقله فقط<sup>١٤</sup> ومعنى هذا إن القائمين بالأخبار ما هم إلا قناة معلوماتية ينتجها غيرهم وهم يعكسون إي شيء يقع عليه نظرهم وليس لهم ان يقوموا بصياغة باي شكل من الأشكال<sup>١٥</sup>

<sup>١٤</sup> دوريس. اي. كتاب: الاعلام والسياسة الامريكية. واشنطن / نشرة الكونغرس الربعية ١٩٨٤ ص ٧

<sup>١٥</sup> اتجاهات الاعلام الغربي.. دراسة في الاعلام الاثكلو امريكي بغداد - دار الحرية ١٩٩٥ ص ١٦.

والواقع إن هذه الأنموذج للخبر تتميز بها وسائل الإعلام السكسونية أو الناطقة بالإنكليزية التي تعتمد الموضوعية في التغطيات الإخبارية ونقول بان الصحفي يصف الحدث ولا يفسره ولا يشارك فيه .

## ٢- الأنموذج الحرفي

أصحاب هذا الاتجاه من دارسي الأخبار ينظرون إلى صناعة الأخبار على إنها محاولة يقوم بها محترفون ماهرون يقومون بتوليف الأخبار التي يتم اختيارها حسب أهميتها واجتذابها لجمهور وسائل الإعلام ولأسباب اقتصادية، فان التوجه نحو الجمهور له الاعتبار الأول.. وهذا ما يجعل الجمهور الفيصل الأول في اختيار الموضوع أو الموضوعات التي تحظى بالنشر وهذا معناه إن جمهور وسائل الإعلام هم حراس البوابه فما يقبلونه يرى النور وما يرفضونه يهمل أو يموت.

ومن المعروف إن الصحفيين المحترفين تمرسوا في كيفية مخاطبة الجمهور وتلبية طلباته واجتذاب اهتمامه.. والصحفي المحترف يقاوم الكثير من الضغوط الداخلية والخارجية التي تسعى إلى إخراج الخبر أو الموضوع بالشكل الذي يزيده خدمة لمصالحها وأهدافها ولكن ذلك يجافي الأعراف الصحفية والتقاليد الراسخة في غرف الأخبار.. الصحفي المحترف يرى الخبر بضاعة متطورة خاضعة للمنافسة فضلا عن كونه خدمة اجتماعية المستفيد الأول منها هو الجمهور.

إن أخلاقيات المهنة وتقاليد الصحافة العالية ومبادئ الاحتراف تعمل عملها في ذهن كاتب الخبر المحترف وهو يحول الأحداث إلى أخبار لها بناؤها وصياغتها ولها جمهورها الذي يتلفه لتلقيها.

## ٣- الأنموذج المؤسستي

يقوم هذا الأنموذج على نظرية المؤسسة وتقاليدها وتعليماتها وطرائق تعاملها مع الأحداث والأخبار.. ويرى أنصار هو الأنموذج الإخباري إن اختيار الموضوع يبرز من خلال الضغوط التي تخضع لها العمليات المؤسستية وأهدافها، الإخبارية لها أهميتها الخاصة مثلما مهمة كذلك الضغوط النابعة من العمليات الفنية لإنتاج الأخبار واعتبارات الكلفة وربح الاتجاه نحو تحقيق الربح



وتطبيق الأنظمة القانونية وبرز الأثر المؤسساتي في الخبر من خلال الدليل الأسلوبي الذي تعتمد عليه كل مؤسسه إخبارية أو صحفية واسعة الانتشار ويتضمن هذا الدليل الذي يسمى أحيانا كتاب اليد تعليمات لغوية وأسلوبية وطرائق معتمدة في التعامل مع الأحداث على اختلاف أنواعها وتقاليد الوسيلة الإخبارية في إعداد الأخبار وتوزيعها.

هناك بعض الصحف التي تعتمد الدليل الأسلوبي لوكالة أنباء اسوشيتد برس AP والذي ترك أثرا واضحا في أسلوب كتابه الخبر، وقد توالى طبعته منذ الستينات وانتشر استخدامه في وسائل الإعلام المختلفة.

ان شيوع استخدام الدليل الأسلوبي إنما يدل على حرص المؤسسة الإخبارية والصحيفة على التمييز وإتقان صنعتها الإخبارية ومراعاة قواعد الكتابة والمعايير الأسلوبية وهذا المسعى في حد ذاته مؤشر على ان كتابة الأخبار أصبحت صناعة متقنة ودقيقة ولها خصائصها المميزة.

#### **٤.الأنموذج السياسي**

يرى أتباع هذا الأنموذج من الأخبار إن الخبر في أي مكان هو نتاج الميول الايديولوجية للقائم بالأخبار فضلا عن ضغوط البيئة السياسية التي تعمل في ظلها المؤسسة الإخبارية. فحين يكون المحيط السياسي ديمقراطية رأسمالية ذات توجهات تتعلق بالرعاية الاجتماعية فان هذه القاعدة الايديولوجية تلقي بظلالها على النظرة إلى العالم بشكل منساب في تضاعف كل موضوع فعلي او متخيل.. فأنصار النظام القائم مثلا يصورون على أنهم أشخاص أخبار أما خصومه فهم سيئون وتقوم وسائل الإعلام بمتابعة الشخصيات ذات الشأن وكذلك المؤسسات الكبرى.

أما الخارجون عن النظام أو ذوو المواقع الدنيا فيتم إهمالهم عموما. ويتضح هذا الأنموذج في الأخبار التي تنشرها وسائل الإعلام في الدول الاشتراكية حيث يكون هدف الخبر هو تشكيل الرأي العام وفق مبادئ الاشتراكية، وفي هذه الدول تكون مهمة الصحفي مساعدة الدولة أو الحزب الحاكم في تنفيذ السياسات التي تخدم الاشتراكية وتساعد في تنفيذ الثورة.

ففي الصين مثلاً ينظر للخبر على أنه معلومات تفيد الحكومة ومثل هذا يقال عن بقية بلدان العالم التي تتباين أنظمتها السياسية وثقافتها العامة ولذلك يصح القول بأن الخبر هو نتاج البيئة والتقاليد والأيدولوجيات السائدة.

والواقع إن النماذج الإخبارية الأربعة تجسد في نظرتها المختلفة تعقد العملية الإخبارية وتشابك العوامل المؤثرة في إعداد الخبر وتوزيعه في صيغته النهائية.. كما تصور كذلك النظرات المتباينة للخبر كبضاعة معروضة في السوق وكنوع من الخدمة الاجتماعية تقوم بها وسائل الإعلام وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن فن كتابة الخبر على درجة عالية من الدقة والمسؤولية وتتقضي مهارات وخبرات كبيرة قادرة على استيعاب أبعاد العملية الإخبارية والعوامل المؤثرة فيها<sup>١٦</sup>

### المبحث الثالث: مصادر الخبر الصحفي

يقصد بمصدر الخبر الصحفي الإشارة إلى الأداة التي تحصل من خلالها الوكالة أو الصحيفة على الخبر الصحفي.. وهذا المصدر قد يكون شخصاً مثل كبار الشخصيات الرسمية أو الشعبية والاجتماعية أو كبار الشخصيات الأجنبية التي تزور البلاد وغير ذلك من المصادر الحية وقد يكون هذا المصدر جهة مثل وكالات الأنباء والإذاعات المحلية والأجنبية والصحف المحلية والأجنبية والإعلانات والنشرات الرسمية والشعبية والوزارات والهيئات والمؤسسات العامة والخاصة وغير ذلك من المصادر<sup>١٧</sup>

لهذا فيمكن إجمال مصادر الأخبار الصحفية في المصادر التالية :

### أولاً: المندوب الصحفي

يعتبر المندوب الصحفي من أهم المصادر الإخبارية التي تميز وكالة أو صحيفة بما يحقق لها من النجاح والسبق الصحفي ويتوقف على جهوده وقدرته على العمل ما يحققه في هذا المجال.

<sup>١٦</sup> بالنسبة للنماذج الإخبارية: اخذنا الكثير من كتاب د. عبد الستار جواد فن كتابة الاخبار. مصدر سابق

<sup>١٧</sup> فاروق ابو زيد - فن الخبر الصحفي - دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة - القاهرة. ١٩٨٥

فعند تميز وكالة ما عن وكالة أخرى يعتمد في ذلك على جهود وثقافة وذكاء وإمكانية مندوبيها ومحرريها وكذلك بالنسبة لأية جريدة عندما تميزها عن جريدة أخرى فيها نفس المادة الصحفية ونفس المعلومات لكن تتميز بطريقة عمل مندوبيها ومحرريها وصياغتهم للخبر والأخبار الفريدة التي استطاع أن يحصل عليها وينفرد بها في جريدته.

وقوة النفوذ يرجع إلى نشاط المندوب الصحفي ومهارته في اكتساب صداقة الناس وهنا تدخل العلاقات وأهميتها في تحديد علاقات المندوب إضافة إلى ذكائه ومقدرته على تحمل مشاق العمل الصحفي يتوقف حصوله على الأخبار وعلى ما لديه من حاسه صحفية ورؤية صحيحة للأحداث المهمة.

ومن هنا نجد إن نجاح صحيفة دون غيرها إنما يتوقف على فاعليه مندوبيها في مناطق عملهم. ولهذا فإننا نرى إن وكالات الأنباء والصحف والمجلات تضع العديد من الشروط عند اختيار المندوب الصحفي منها.

- ١- النظر والسمع الجيد
- ٢- تدوين الملاحظات
- ٣- إيجاد المعلومات
- ٤- إثارة الأسئلة
- ٥- تدقيق المعلومات وتحديثها
- ٦- تحليل وتفسير المعلومات
- ٧ - أن يكون سريع الحركة قادرا على أن ينتقل إلى أماكن الأحداث في وقت وقوعها في أسرع وقت.
- ٨ - إن يكون قوي الملاحظة سريع البديهة يلتقط بإذنه وعينه ما لا يستطيع الإنسان العادي أن يلاحظه.

٩ - أن يكون لديه موهبة الأسلوب<sup>١٨</sup>

---

<sup>١٨</sup> نفس المصدر السابق.

### ثانيا: وكالات الأنباء

تعمل وكالات الأنباء من خلال شبكة واسعة من المندوبين والمراسلين المنتشرين في جميع أنحاء العالم وهي بذلك توفر للصحف كمية كبيرة من الأخبار العالمية ما كانت تستطيع أي صحيفة الحصول عليها بوسائلها الذاتية<sup>١٩</sup> لأنه لا توجد صحيفة في العالم مهما بلغت قوة إمكانياتها تستطيع أن تغطي جميع مناطق العالم بالمراسلين.

ومن أشهر وكالات الأنباء العالمية اليونيتد برس واسيوشيتد برس الأمريكتين ووكالة الصحافة الفرنسية ورويترز. وقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية العديد من وكالات الأنباء الوطنية بحيث يكاد يكون لكل دولة وكالة أنباء وطنية.

### ثالثا: الإذاعات المحلية والأجنبية

تعتبر الإذاعات المحلية والأجنبية مصدرا هاما من مصادر الأنباء وخاصة في تلك الدول التي تخضع فيها الإذاعة لإشراف الحكومة وسيطرتها حيث تعبر الإذاعة عن الاتجاهات الرسمية للدولة. ولأهمية الإذاعات الأجنبية كمصدر للأخبار قامت الوكالات والصحف الكبرى بإنشاء قسم للاستماع يضم أجهزة استقبال إذاعية وأجهزة تسجيل دقيقة جدا وعن طريقها يتم استقبال وتسجيل ما تذيعه جميع محطات الإذاعة في العالم.

### رابعا: الصحف المحلية والأجنبية

في أحيان كثيرة تنفرد بعض الصحف أو المجلات المحلية أو الأجنبية بنشر خبر هام أو وثيقة خطيرة قد تنقلها الصحف الأخرى أو تتوسع فيها وتضيف إليها من مصادرها الخاصة أو انفرادها بإجراء عدد من الأحاديث الصحفية مع الزعماء المحليين أو الأجانب وقد يحوي الحديث تصريحات هامة ترى بعض الصحف الأخرى نقلها عنها.

<sup>١٩</sup> دنيس مور: كل الأنباء الملائمة. لندن ١٩٨٣ ص ٣٢

### **خامسا: النشرات**

للعديد من الوزارات والمصالح الحكومية والشعبية والهيئات الدولية والسفارات والمكاتب الثقافية والصحفية والمحلية والأجنبية نشرات خاصة تصدر دورية أو بشكل غير منتظم تضمنها أخبار الجهة التي تصدر عنها.. هذه النشرات قد تكون في بعض الحالات مصدراً للعديد من الاخبار الصحفية الهامة.

### **سادسا: المؤتمر الصحفي**

المؤتمر الصحفي مصدر للأخبار التي تدلي بها إحدى الشخصيات في حضور أكثر من صحفي لشرح سياسة جديدة أو قوانين أو مناقشة قضية تهم الرأي العام. والمؤتمرات الصحفية يعقدها كبار المسؤولين أو الوزراء أو الرؤساء أو الزعماء حين تكون هناك حاجة عاجلة لشرح سياسة معينة أمام اكبر عدد من الصحفيين لكي تصل حقائق الموضوع إلى نسبة كبيرة من الرأي العام الذي تخاطبه الصحف التي يمثلونها.. كذلك فان الحاجة إلى عقد المؤتمر الصحفي تكون في حالة صعوبة قيام المسؤول بمقابلة كل صحفي على حده وهذا يحدث كثيرا أثناء زيارات الملوك أو الرؤساء أو كبار الشخصيات السياسية لبعض البلاد والأجنبية حيث لا تمكنهم فترة الزيارة القصيرة من مقابلة كل الصحفيين الذين يطلبون تحديد مواعيد لإجراء أحاديث صحفية لجرائدهم عندئذ يكون المؤتمر الصحفي هو الحل البديل.

### **سابعا: الوزارات والهيئات الرسمية والشعبية**

هناك العديد من الأخبار التي تحصل عليها الصحف تأتي من الوزارات والهيئات الرسمية والشعبية ومن الشركات والمؤسسات العامة والخاصة ومن أقسام الشرطة والمحاكم والنقابات العمالية والمهنية والمستشفيات واستديوهات الإذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والفنادق والملاهي والمطارات ووسائل النقل.

### ثامناً: مصادر أخرى

إن المصادر التي سبق ذكرها هي ليست وحدها المصادر الإخبارية فهناك مصادر للأخبار تختلف وتتنوع حسب طبيعة كل صحيفة وتخصصها ولونها السياسي وسياستها التحريرية ومن هذه المصادر.

- أ - أصدقاء وزملاء ومعاونو الشخصيات البارزة في المجتمع.
- ب - الحفلات والمهرجانات واللجان الرسمية والشعبية.
- ج - المجلات المتخصصة.
- د - الإعلانات.
- هـ - رسائل القراء.
- و - الإشاعات والأخبار غير المؤكدة.
- ز - الصدفه فان كثيرا من الأخبار الهامة قد يقع عليها الصحفي في حياته اليومية دون أن يكون قد خطط للحصول عليها.

### المبحث الرابع: تحرير الخبر

#### تحرير الخبر:

تحرير الخبر يعد عنصراً أساسياً في صناعته ما دامت وسائل الإعلام المختلفة تتعامل مع السيل المتدفق من الأخبار حسب فلسفتها وطبيعة جمهورها ومواعيد صدورها.

فالخبر الذي يصل القارئ والمستمع والمُشاهد يشبه أية بضاعة أخرى وصلت إلى السوق أو أيدي الزبائن بعد أن مرت بمراحل تصنيع مختلفة.. فبعد أن يصل الخبر إلى مكاتب التحرير وأقسام الأخبار يخضع إلى عملية مراجعة دقيقة وتتجاذبه أقلام مختلفة بالتشذيب والصقل وإعادة الصياغة.

إن التنافس بين وسائل الإعلام الإخبارية لتقديم أفضل الخدمات لزبائنهم قد جعلها تتسابق في ابتداع الأساليب الحديثة التي تجذب اهتمام الجمهور بمادتها الشفافة.. وكانت عملية التحرير هي الميدان الرئيسي الذي يجري فيه التنافس وهكذا فقد أخذت كل صحيفة أو إذاعة أو شبكة إخبارية تتبنى أسلوباً أو صياغة مميزة لأخبارها وقد أدى هذا إلى وجود قوالب صحفية جديدة ولغة إخبارية

لها خصائصها المميزة التي تقتضي من محرر الأخبار مهارة لغوية عالية لالتقاط الألفاظ والعبارات المناسبة للغة المقصودة.

ولما كان العمل الصحفي ككل فن يعتمد على الذوق السليم المبدع والموهبة الفطرية مقرونا بالثقافة الواسعة يشكل تزاوجها مع بعضها القدرة المتمكنة ضمن الإطار العام مع الالتزام بالقواعد والأسس الآلية.

١- يتحتم على المحرر الصحفي أن يستوعب الموضوع استيعابا كاملا بكل دقائقه قبل الشروع بالكتابة.

٢- أن يعطي الموضوع حجمه الطبيعي دون تهويل أو إنقاص وتجنب السرد الدرامي العنيف والمفتعل بل تناول الموضوعي الهادئ.

٣- أن يتم إعطاء المفردات اللغوية اللازمة والمناسبة للتعبير عن الموضوع بوضوح كامل وبأقل عدد من الكلمات التي تستطيع أن تترجم الأحاسيس والحقائق المراد التعبير عنها وفق مبدأ (خير الكلام ما قل ودل).

٤- في التعامل مع أخبار الشخصيات يتوجب أن تكون هناك حدود معينة تميز المستويات الوظيفية والمواقع القيادية لهذه الشخصيات.. فمثلا الصيغة التي نتناول فيها خبرا يتعلق برؤساء الوزارات هي غير الصيغة في تناول خبر يتعلق بأحد المسؤولين الآخرين وما دونهم من مواقع.

٥- العمل الصحفي يقبل التحرك المرن الواسع في نطاق غير محدود وهذه الميزة توفر حرية العمل للمحرر الصحفي في إبداع متناه دون تقييد سوى المبادئ والأسس العامة السالفة الذكر.

ولا بد من الإشارة إلى أن تحرير الأخبار في الصحافة الكبرى والمتقدمة يتم على أيدي ثلاثة أنواع من المحررين.

أ- المحرر معيد الكتابة.. وتتلخص مهمته في إعادة الأخبار وفق الهياكل الضرورية وتخليصها من الأخطاء اللغوية والسياسية والصحفية وإعدادها لتكون جاهزة أمام المحرر.

ب - ب - المحرر.. المحرر هو الذي يضع الأخبار بصيغتها شبه النهائية لتكون جاهزة للبحث أو النشر فهو معروف بكفاءاته الصحفية ومقدرته على بناء الخبر بناء محكما.

ج - المحرر الذواق .. ان هذا النوع النادر من المحررين متميز فعلا ومهمته تنحصر في مراجعة الأخبار والتقارير الإخبارية ليحذف منها أو يستبدل الكلمات والتعابير غير اللائقة أو تمس المشاعر العامة والذوق العام.

ان الصحافة المتزمة أو الجادة تبتعد عن عنصر الإثارة كأسلوب سهل ورخيص في كسب المتلقي بما ينطوي عليه من مداعبه الاحساسيس والنوازع التي تتصف بالحيوانية أو التفاهة لكن هذا الابتعاد ينبغي ان لا يشمل الأحاسيس والنوازع الإنسانية المشرقة والمتقدمة.

فالأخبار التي تثير المشاعر الإنسانية تبعد صناعة الأخبار عن الجمود واللغة والاصطناع .. كما أنها تنمي شخصية المتلقي وتترك آفاق الحياة مفتوحة أمامه.

وعملها فان الأخبار الموجزه والقصيرة مقروءة أكثر من الأخبار والتقارير الإخبارية المطولة لان قراءتها سهلة مما يجعلها في مقدمة المواد الصحفية التي يشغف القاريء بمتابعتها ولما كانت الصحافة شأنها شأن الفنون الأخرى فهي من أكثر الفنون تطورا بحكم طبيعتها القائمة على رصد حركة الشارع ومسيرة الأحداث ومواكبة التطورات في مجالات الحياة كافة .. ان هذه الطبيعة الخاصة للصحافة جعلتها مرآة جليلة تجسد الواقع المتغير وترصد ملامحه المميزه بدقة وموضوعية فعكست لنا التحولات الكبرى التي شهدتها المجتمع بأساليب متنوعة تتناسب مع هذا التحول وطرائق التعبير عنه .. وقد أكد الكتاب والمحررون منذ البداية إن الصحافة حرفه مادتها الكتابة ولذلك كانت العناية بالمفردة الدقيقة المنتقاة وبالعبارة المجسدة للمعنى وبالבלاغة الواضحة التي تجعل الجملة الصحفية تؤدي مهمتها في إيصال المعلومة إلى القاريء بوضوح.

إن ضرورة التنوع والتجدد هذه دفعت كتاب الأخبار والمراسلين والمحررين إلى التفتيش عن أفضل الوسائل والأساليب في صياغة الأخبار بشكل يواكب التحول في الذوق العام للقراء وفي فنون الصحافة ذاتها .. ومن هذا المنطلق تعرضت الأساليب القديمة إلى هزة قوية نفضت عنها الغبار ووضعتها وجها لوجه أمام مسيرة التطور والتجدد والتنوع فظهرت أنماط وأساليب وقواعد جديدة منها ما هو مبتدع جديد ومنها ما هو شكل متطور عن شكل قديم.

فالقوالب الصحفية الجديدة لم تنسف القوالب القديمة مرة واحدة بل أضافت لها طرائق مستحدثة تناسب اهتمام القاريء المعاصر .. كذلك ابقى هذا التجديد على القوالب التي ما زالت



هناك حاجة لاستخدامها مثل قالب الهرم المعكوس وقالب التابع الزمني إلا أن مجالات استخدام هذه القوالب أصبحت أكثر تحديداً.. ومن أجل رسم صورة واضحة عن تطور كتابة الأخبار وتنوع أساليب عرضها في الصحافة العالمية سنلقي الضوء على قوالب الخبر ووصف ملامحها وخصائصها.

### ١- قالب الهرم المعكوس

إن هيكل الهرم المعكوس الذي يمثل قاعدة الأهمية المتناقصة هو الأكثر أهمية أو الأكثر توظيفاً في كتابة الأخبار وهو هيكل حيوي للغاية لذا فإن بناء الخبر وفق الأهمية المتناقصة وضمن هيكل الهرم المعكوس يوفر للمتلقي عناء إرهاب ذهنه للوصول إلى الأمور الجوهرية في الأخبار ونحن نسهل له هذه المهمة في مقدمة إخبارية مركزة ونترك له حرية المتابعة أو إهمال الخبر.

وبلا شك فإن بناء الأخبار وفق الأهمية المتناقصة يتطلب جدارة عالية في تحرير الأخبار ويتوجب على المحرر السيطرة على سيل المعلومات الإخبارية وإعادة ترتيبها.. ولديه القدرة على اختصار ما هو أقل أهمية وبث روح التشويق في أخباره.

إن هيكل الهرم المعكوس هو في نظرنا الهيكل الأكثر أهمية في التعبير وفي التأثير وهو كذلك الهيكل السائد في أخبار الصحف ووكالات الأنباء ويرجع شيوع هذا القالب لسببين:

١- أنه أقدر الوسائل على نقل المعلومات، فالناس عادة لا ينفقون الكثير من الوقت لقراءة الأخبار بل يكتفون في كثير من الأحيان بقراءة الجمل الأولى من الخبر أو المقال قبل أن يقرروا الاستمرار في قراءة الفقرات اللاحقة.. وقد تعلم كتاب الأخبار ومحرروها هذه الطريقة خدمة لقرائهم وأدرك القراء إن أهم المعلومات توضع في البداية والأقل أهمية في نهايات الموضوعات.

٢- إن المساحة المخصصة للخبر أو المقال تشكل دائماً مشكلة بالنسبة للصحيفة فإذا كانت الأخبار قد صيغت ضمن هذا القالب أصبح من السهل اختصارها تدريجياً من أسفل الهرم وحسب الأهمية والاهتمام وطبيعة المطبوع وهكذا يستطيع المحرر اختزال خبر معين من الأسفل دون الإضرار بجوهر الموضوع.

ويرى هاو بان قالب الهرم المعكوس هو من ابسط اساليب تنظيم الاخبار القصيرة وغير المعقدة<sup>٢٠</sup>

## ٢- قالب التتابع الزمني

يعد هذا القالب من أقدم الاشكال الصحفية التي استخدمتها الصحافة في تغطية الأحداث بالشكل الذي وقعت فيه.. وقد استعارت الصحافة الاخبارية هذا القالب من المجالات حيث المقالات فيها تتسم بالطابع السردى الذي يمكن كاتب الخبر البارع من حكاية قصة خبرية جيدة. وغالبا ما يستخدم اسلوب التتابع الزمني في المقالات خاصة تلك التي تسجل تجارب المتحدث او ما يسرده المتكلم الذي يسجل مغامراته وتجاربه.. كما انه يوفر لكاتب الخبر فرصة فريدة حين يراد توضيح فعل معين إضافة إلى انه قالب سهل الفهم ومن الممكن ان يكون موجزا او تفصيليا وهذا راجع الى إن بعض الأخبار تكون ممتعة جدا بحيث تستدعي كتابتها سعة من الوقت حيث تعرض المعلومات ويتم سرد الحدث.

## ٣- القالب التشويقي

يعتبر هذا القالب على نقيض قالب الهرم المعكوس لان أهم عنصر في الخبر يأتي في النهاية وليس البداية ويتم الاحتفاظ بعنصر مهم يتم طرحه في نهاية الموضوع. وفي بعض الأحيان تأتي القصة الخبرية التي تكتب بالأسلوب التشويقي وفق القالب الترتيبي تقريبا لانه من اكثر الاساليب تشويقا في رواية الخبر.

## ٤- قالب السرد المباشر

دخل هذا القالب الصحفي الجريدة اليومية قادما من عالم المجلة واسلوبها المميز وعلى القاريء أن يتابع الموضوع من البداية حتى النهاية لكي يعرف ما يتحدث عنه الكاتب.

<sup>٢٠</sup> جورج. اي. هوفس. كتابة الاخبار بوسطن ١٩٩٥ ص ٤٥

وقالب السرد المباشر الذي يروي الموضوع من بدايته المنطقية إلى نهاية المنطقية لم يستخدم في الصحافة إلا نادراً.

### **٥- القالب التجميعي**

ان القالب التجميعي يستخدم لجمع موضوعات او اخبار الحوادث والجريمة سوية في موضوع واحد ويكتب بمقدمة قصيرة وبقية تفاصيل الخبر على شكل فقرات متساوية الأهمية.

### **٦- قالب الدورق**

وهذا القالب متفرع عن قالب الهرم حيث يتم وضع المادة الصحفية معكوسة على قمة قالب سردي أو تسجيلي بحيث يأخذ الموضوع شكل دورق الشراب. ويستخدم هذه القالب في أخبار الحوادث غير الاعتيادية حيث هناك حاجة الى تفصيلات عديدة تحتاج الى نسج دقيق وعلى الكاتب أن يستطلع قدراته على ذلك وان يتأكد من أن هذا القالب هو الفريد لمثل هذه الاحداث.

### **٧- بيضة الازوه**

ان بيضة الازوه هو قالب قصصي كلاسيكي يظهر المشهد ثم تكشف الاحداث ويجري ايضاح المقدمة وفق المغزى الذي نجده في النهاية.

ويحتم هذا القالب على الكاتب وضع معلومات مهمة في قصته وخلفيات للاحداث وايضاحات مشرقة تجعل من الموضوع وحدة سرديه ذات نهاية مشوقة وبداية جذابة.. اما عرض التفاصيل فيمكن ان يبدأ بداية نقطة يراها الكاتب مناسبة لانطلاقته القصصية.

### **٨- القالب الماسي**

يتميز هذا القالب بوجود مقدمة سردية وغالبا ما تكون نادرة او صورة شخصية تؤدي الى الفقرة الجوهرية وهي الفقرة التي تبرز عندها النقطة الاساسية في الموضوع يليها الفقرة المهمة التي يطلق عليها (فقرة الاهمية) التي تضع النقطة الجوهرية ضمن سياقها العام.

ان الفقرة الجوهرية والفقرة المهمة تؤديان الى شكل الهرم المعكوس حيث تناقش القضايا ذات الصلة وخلفية الموضوع بتسلسل وحسب اهميتها وقد انتشر هذا القالب في الصحافة الاوربية لا سيما الاسبوعية التي تعد اخبارها في سعة من الوقت وتنشر لكتاب عرفوا باساليهم المشوقة وسعة اطلاعهم وقدراتهم على استخدام النوار في نسيج الاخبار.

### ٩.قالب الاحداث المتوقعة.

ذكر جورج هاو<sup>٢١</sup> ان هذا القالب متطور عن الهرم المعكوس بوجود مقدمة تلخيصيه ثم التفاصيل التي ترتب بشكل منتظم ويؤكد على عنصري المكان والزمان اكثر من التأكيد على الموضوعات التي تعالج أحداثا سابقة وتكون على شكل أخبارا قصيرة. ويستخدم هذا القالب في الأحداث المتوقعة من قبيل

١- الإعلانات الروتينية

٢- الأحداث المبرمجة

٣- البرامج

٤- الاجتماعات

## المبحث الخامس : الخبر الالكتروني

### الخبر الالكتروني

إن التكنولوجيا الحديثة قد خلقت وسائل جديدة وأوجدت أعمالا إضافية للصحفي بحيث أصبحت الكتابة الاخبارية للوسائل الالكترونية حقلا كبيرا يوفر المزيد من فرص العمل لمن يريد ان يؤسس محطة او نظام بث كابل.

فالجريدة والمجلة ظلتا تتحكما بشكل الاخبار التي تصل الى الجمهور قرابة قرنين من الزمن ولكن الثورة الالكترونية في مجال الاتصالات اخذت تستقل تدريجيا وتؤسس لها تقاليد وقوالب

<sup>٢١</sup> جورج هوفس. كتابة الاخبار ص ١١٧. مصدر سابق

خاصة تنسجم مع طبيعة الوسيلة الالكترونية الجديدة وخصائصها المميزة حتى اصبح لدينا اليوم خبرا اذاعيا واخر تلفزيوني يتميز عنه ببعض الخصائص التي تستدعيها وسيلة التلفزيون.

ان الاذاعة منذ نشوئها والتلفزيون ظلنا نستخدمان اساليب الجريدة في معالجة الاخبار لان كتابها ومحريها جاءوا اليها من الصحافة اصلا ونقلوا معهم الارث الاخباري القديم الى ان بدأت الاخبار الاذاعية والتلفزيونية تقترب من جمهورها وتسعى لتلبية حاجاته ومواجهة خصوصياته.

ان ما يكتب للجريدة يخاطب القارئ وليس المستمع وهذا مالا ينسجم تمام الانسجام مع فن الكتابة للأذن الذي استحوذ على طرائق إعداد الخبر الالكتروني وتأسيس بخصائصه ومميزاته التي تضع المستمع والمشاهد في اولى الاعتبار.

وحين ظهر الراديو في العشرينات والتلفزيون في الثلاثينات كانت اخبارهما تكتب من قبل أناس تلقوا تدريبهم في تراث الصحافة ولكن أصبح من الواضح بالتدريج ان خبر الإذاعة ليس من الواجب ان يكون احد موضوعات الجريدة التي تتلى تلاوة.. فالمستمع لا يستطيع ان يقلب ويختار من بين موضوعات الإذاعة ففي الإذاعة والتلفزيون الاختصار من الأسفل كما في قالب الهرم المعكوس يعني إلغاء الموضوع كليا.

وهذا يعني ان خبر الإذاعة لكي يجتذب المستمع يجب ان يكتب بطريقة جادة تناسب جمهور المستمعين ومستوياتهم المختلفة فمن الأسهل على الاطفال وغير المتعلمين وفاقد البصر ان يحصلوا على المعرفة عن طريق آذانهم وهناك كثيرون يجدون ان الأذن هي السبيل الافضل لتلقي المعلومات فالحاجة الى مخاطبة الاذن في الخبر الإذاعي لم تخلق من هذا الخبر جنسا غريبا بل ان هذه الحاجة اكدت على خصائص معينة فرضتها طبيعة الوسيلة الإعلامية الجديدة ومستلزمات ادائها كما ان كاتب الأخبار الإذاعية أو التلفزيونية يستحسن ان يكون قد أتقن اصول كتابة وتحرير اخبار الجريدة اليومية لان هذه الأصول تفرض حضورها في كل نشرة اخبار إذاعية وتلفزيونية وهناك تشابه وثيق بين الراديو والجريدة بحيث ان كاتب التعليق الإذاعي يسمى في ادبيات الاذاعة والتلفزيون كاتب الافتتاحية على الاثير ويعرف التلفزيون احيانا بانه جريدة الهواء المصورة.. ورغم التشابه الكبير الا ان هناك فروقا اساسية بين الاسلوب الصحفي والاسلوب الإذاعي والتلفزيوني واهم هذه الفروق :

- ١- في أخبار الإذاعة والتلفزيون يتم تجنب البنية المعكوسة للجملة.
- ٢- تكون الجملة قصيرة جدا في الاسلوب الالكتروني.
- ٣- في الخبر الالكتروني يكون الفعل قريبا من فاعلة قدر الامكان.
- ٤- التعريف بالأشخاص القائمين بذكر الأسماء والوظائف والأعمار يأتي قبل الاسم في الأخبار الالكترونية.

### قواعد كتابة الخبر الالكتروني:

هناك تشابه كبير بين الخبر الإذاعي والخبر التلفزيوني ذلك ان الإذاعة قد سبقت الشاشة الصغيرة في تقديم الاخبار بحوالي عقدين من الزمن واستطاعت ان تؤسس تقاليدها وممارساتها الصحفية وتطور لها اسلوبا مميزا عن اسلوب الجريدة.. وحين ظهر التلفزيون أفاد كثيرا من الفن الإذاعي الذي يشترك معه في مخاطبة الأذن.. وهنا تستطيع القول ان الخبر التلفزيوني يعتمد كثيرا على قواعد كتابه الاخبار الإذاعية مع الاخذ بنظر الحسبان وظيفة الصورة ومكانتها العظيمة في النشرة الإخبارية وابرز قواعد كتابة الأخبار الإذاعية هي :

- ١- الجمل قصيرة وبسيطة
- ٢- يذكر الفاعل مع فعله سوية إذا أمكن
- ٣- عدم استخدام الجمل المعقدة والكلمات النادرة
- ٤- في الخبر الإذاعي الكلمات كتبت لكي تقرأ ولذلك لا بد ان تكون سهلة النطق
- ٥- استخدام اقل ما يمكن من الضمائر
- ٦- حداثة الخبر الإذاعي
- ٧- في الخبر الإذاعي تستخدم عبارة وصيغة قبل الاسم
- ٨- لا تبدأ الجملة بمقتبس في الاخبار الإذاعية ولا يترك اسم المصدر في نهاية المقتبس.
- ٩- لا تبدأ الجملة بالإحصاءات وكثرة الأرقام
- ١٠ -استخدام المبني للمعلوم
- ١١ -الحذر من تغطية أخبار الجريمة

أما الخبر التلفزيوني فشأنه شأن خبر الراديو لم يكتب لكي يمكن اختزاله من النهاية او من أية نقطة أخرى بل انه وحدة متماسكة وبناء معلوم متجانس الاجزاء له مقدمة و متن وخاتمة وإذا حذف أي جزء منه يصبح لا معنى له تماما مثلما لو حذف الفصل الاخير من مسرحية متقنة الصياغة.. ووجود الصورة الى جانب الكلام الموجز الذي يرافقها قد جعل كاتب الخبر التلفزيوني يتوخى الإيجاز بأقصى درجاته ولكن هذا الإيجاز يجب ان يكون وافيا وهذا يعني ان على كاتب الخبر التلفزيوني أن يدع الصورة تصف الحدث لجمهور المشاهدين.. وهذا يعني ان خصائص الخبر الإذاعي هي ذاتها خصائص الخبر التلفزيوني الذي كتب للمشاهدين وليس للمستمعين فقط حيث تؤدي الصورة مهمة كبيرة في إيضاح الفكرة الأساسية للموضوع.

ومن أهم النقاط الأساسية التي لا بد أن يقف ويتأمل فيها كاتب الخبر التلفزيوني اكثر من غيره هي:

- ١- الإيجاز
- ٢- خلفية الخبر
- ٣- التعبير المجازي
- ٤- لباقة الحديث
- ٥- التطابق بين الصورة والكلمة
- ٦- أكثر الكلمات للمذيع واقلها للصورة
- ٧- مشاهدة تربط الفيديو قبل كتابة الخبر
- ٨- الإفادة من الصوت الطبيعي
- ٩- توافق النص مع منطق الصورة

### **تحرير الخبر الالكتروني**

يوجه (فانك) نصيحة لمحرري الخبر الاذاعي والتلفزيوني فيقول: اذا لم تكن هناك حاجة لكلمة معينة احذفها.. وإذا لم تضيف الجملة في توصيل المعلومة شيئاً احذفها.. الحشو ما هو إلا إعادة

للتفكير لا تحاول أن تكتب كل شيء متوفر عن شخص أو حدث أو فكرة انك لا تستطيع ذلك، وإذا استطعت فمن يرغب في سماع ذلك.<sup>٢٢</sup>

بهذه الكلمات تلخص فانك القاعدة الأساسية في التحرير وهي الإيجاز وحسن الاختيار ومراعاة رغبة الجمهور وطبيعته.

فالمحرر الناجح هو الذي يهذب ويشذب النص الإخباري ليبقى على ما هو ممتع ومهم فتحرير الخبر الإلكتروني يبدأ باختصار المعلومات ثم الكلمات والعبارات وهذه عملية اسلوبية تحتاج من المحرر الى مهارة لغوية عالية وذوق فني وحس صحفي بطباع جمهور الاخبار. ويمكن اجمال مهمة محرر الخبر الإلكتروني بالنقاط الأساسية الآتية:

١- التحقق من المعلومات

٢- معرفة القانون

٣- التحرير من اجل المستمع والمشاهد

٤- التأكد من عدم الانحياز

٥- إدراك دور المذيع ومتطلباته

٦- فهم المراثيات

ان هذه النقاط مجتمعة تعمل على خلق صورة لهيكل الخبر الإلكتروني في ذهن المحرر الذي يمتلك بجدارة ادوات صنعتها وتحسس بمشكلات المذيع ومخرج الاخبار الإلكترونية وتمثل في ذاكرته هذه الحالة يكمل ابعادها.

وفي الختام لابد من الإشارة الى ان الخبر الذي يصل القاريء والمستمع والمشاهد يشبه اية بضاعة اخرى وصلت الى السوق او أيدي الزبائن بعد ان مرت بمراحل تصنيع مختلفة.

هذا هو شأن الخبر فبعد ان يصل الى مكاتب التحرير واقسام الاخبار يخضع الى عملية مراجعة دقيقة وتتجاذبه اقلام مختلفة بالتشذيب والصلقل واعادة الصياغة.. وعملية التحرير الدقيقة التي يخضع لها الخبر تشبه العملية الجراحية التي تستأصل الاورام وترمم الجرح حتى يستقيم الجسم

<sup>٢٢</sup> ارفلك إي هانك - اخبار التلفزيون والراديو - امريكا ١٩٨٠ ص ٢٤.



سليما قادرا على الفعل ، وهذه العملية التحريرية ضرورية بسبب عامل السرعة الحاسم الذي تتسم به التغطية الاخبارية التي تحكمها المفاجأة وتحديد الوقت والتنافس على السبق الصحفي .

### **المصادر**

- ١ - ارفنك أي هانك اخبار التلفزيون والراديو ١٩٨٠ نيويورك ص.٢٩
- ٢ - اتجاهات الاعلام الغربي - دراسة في الاعلام الانكلوا امريكي بغداد - دار الحرية ١٩٩٥ ص.١٦
- ٣ - بوند - ف - فرازر - مقدمة للصحافة - شركة ماكميلان ١٩٧٣ ص.٧٨
- ٤ - بالنسبة للنماذج الاخبارية اخذنا الكثير من كتاب د. عبد الستار جواد - فن كتابة الاخبار - عمان ٢٠٠٢.
- ٥ - جورج .. اي .. هوف - كتابة الاخبار ص.٤٥.
- ٦ - جورج هوفس - كتابة الاخبار ص.١١٧
- ٧ - دليل الصحفي في العالم الثالث - ترجمة كمال عبد الرؤوف القاهرة الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٨٨ ص ٧٥.
- ٨ - د. عبد الستار جواد - فن كتابة الاخبار - عمان ٢٠٠٢.
- ٩ - دنيس مور - كل الانباء ملائمة ص.٣٢.
- ١٠ - دوريس .. اي .. كنابر - الاعلام والسياسة الامريكية واشنطن ١٩٨٤ ص.٧٠
- ١١ - فاروق ابوزيد - فن الخبر الصحفي - دراسة مقارنة - دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة القاهرة.
- ١٢ - ماكثيل - تعليم الصحافة ط٤ - شركة ماكميلان - نيويورك ١٩٥٥ ص.١١٢.
- ١٣ - هوف جورج - الابراق الصحفي - شركة هفتن ملفن بوسطن ١٩٧٣ ص.٢
- ١٤ - هوف جورج - الاوراق الصحفي - نفس المصدر السابق.

**أبو البركات البغدادي**  
**(الأنباري)**  
**أثر عصره عليه وآراؤه**  
**النحوية**

أ. مجيد حميد البديري

## أبو البركات البغدادي (الأنباري) أثر عصره عليه وآراءه النحوية

### مقدمة

حمداً لك اللهم، وصلاةً وسلاماً على سيد المرسلين محمد عبدك ورسولك الذي آتيتك الحكمة وفصل الخطاب وعصمتك من الخطأ وألهمته الصواب، ومننت عليه بفضيلة البيان، وجعلته قدوة للأنام، وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن والاهم إلى يوم الدين وبعد:

لا يخفى على كل باحث في مجال علم النحو ما لأبي البركات البغدادي أو الأنباري من أثر جليّ في مساره، لما تميز به من ثقافة وسعة إدراك، ووضوح منهج، وحرص على إثبات مواقف مشاهير النحاة من المسائل النحوية، فكانت مؤلفاته النحوية كالمصب العظيم الذي تلتقي فيه شتى الروافد لما تشمل عليه من آراء وأفكار تمثل مختلف الاتجاهات والمدارس النحوية التي سادت عصره، ومذ تتبعنا حياة البغدادي وجدنا صلته بالتطور الذي حصل في مجالات العلم كالفقه والتفسير والمنطق والعربية على يد سلاطين القرن السادس الهجري، وبروز المدرسة النظامية البغدادية، واحتضانها تلامذة العلم، مما ولد أثراً في تكوينه الذاتي والفكري، فبنى ثقافته واستمدّها، وحدد مساره العلمي من خلال تتبعه ومتابعة المسار العام الذي نشأ وبان في عصره ونحن نعلم أن الأديب أو

العالم ابن بيته يتغذى منها ويغذيها، فصاحبنا البغدادي أُمُوذَجاً لهذا الازدهار الثقافي التعليمي الذي ترعرع في مدينة العلم بغداد. وقد نسبته الى بغداد خلافاً لما اعتاد عليه الباحثون لسببين رئيسين هما:

**الأول:** إن بغداد كانت وما زالت قاعدة رصينة للعلم والعلماء، تهفو لها أفئدة العلماء والمسلمين فالانتساب الى هذه المدينة العريقة يعدّ مفخرة لهم.

**الثاني:** إن أكثر العلماء نسبوه الى بغداد كالقفطي وابن قاضي شهبة والياضي والسيوطي والقلة القليلة نسبوه الى الأنبار، فنسبته الى بغداد - على الأرجح - أقرب للحقيقة والله أعلم.

وفي هذا البحث حاولت تقديم صورة حقيقية واضحة عن عصره وازدهاره العلمي وتجربته ومذهبه النحوي ولا أعد هذا العمل تاماً لكنني حاولت إظهار الحقيقة فإن وفقت كان ما أردت وإن قصرت فلي عذر من الرسول الكريم صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين: (من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فإخطأ فله أجر واحد) اللهم تقبل عملنا ولا تحرمنا أجره وما توفيقنا إلا بك.

أ. مجيد البديري

## البحث الأول

### عصر البغدادي وتطوره الثقافي والعلمي

أبو البركات البغدادي (الأنباري) نتاج عصره، تأثر وأثر فيه، غذى وتغذى ونهل مما أحاط به فلا بد من التعرض إلى معرفة سمات هذا العصر - بصورة مختصرة - وما تميز به لنكون على بينة من هذا العصر من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية، لأنها ستساعد على تبين الوقائع والأحداث وأثرها في حياة وميول ومسار البغدادي الفكري والثقافي، ثم اتجاهه النحوي.

**فالحياة السياسية** التي عاشها صاحبنا عند دخول السلاجقة بغداد في القرن السادس الهجري لم تكن هادئة بل اتسمت بالاضطراب والنزاعات المذهبية والتمزق الداخلي، والخليفة لا يتمتع بالقوة والسلطان كما كان عليه سابقاً، بل كان مستضعفاً مضطهداً لا يملك من أمره شيئاً

فإمبراطوريته في وضعها الخارجي ممزقة ما بين الأمويين في أسبانيا، والفاطميين في مصر وشمال أفريقيا، وبعض رؤساء العرب في وادي النهرين وشمال سوريا، أما داخلياً، فكان النزاع الطائفي محتدماً مما دفع ببعضهم إلى تمهيد الطريق للسلاجقة مقتاً لغيرهم مما سهل للسلاجقة دورهم في الحياة العامة للبلاد. فأبدى السلاجقة في بادئ الأمر اهتمامهم واحترامهم للخليفة العباسي، إلا أنهم تنكروا للعهود والمواثيق التي قطعوها بعد أن مكّنوا قبضتهم على البلاد ورسخوا جذورهم، فأذاقوا خلفاء بني العباس أصناف الذلّ والعذاب.

أما سياسة السلاجقة الخارجية فكانت مبنية على العنف واستخدام القوة، وإخضاع وتطوير من كان يدين للخليفة، وبذلك استطاع السلاجقة أن يسيطروا سلطانهم ويوحدوا الإمبراطورية العباسية بعد أن أصابها الضعف، فلمّا شعّثوا وجمعوا ما تنافر منها، وقد حظي السلاجقة في أول الأمر بتأييد بعض المسلمين على أساس احترام مبادئ الدين الإسلامي<sup>١</sup>

إلا أن التزاوج سرعان ما انفرط عقده وانقلب إلى نقمة وتمرد نتيجة لطغيان السلاجقة، مما حدا بـ "نظام الملك"<sup>(\*)</sup> ٢ - أحد سلاطين السلاجقة - أن ينتهج أسلوباً جديداً يحقق لدولة السلاجقة الاستمرار والبقاء وذلك بفتح المدارس التي تخرج علماء ومثقفين من شأنهم أن يحملوا بحماسة واعتداد قضية الدولة السلجوقية ويدافعوا عنها ويحموها من كل خطر تتعرض له.

### أما الحياة الاجتماعية، فقد كان سكان العراق خليطاً من:

١ العرب الذي بدأ نجمهم يخبو، ومكانتهم تضعف نتيجة قيام الدولة العباسية التي جاءت رداً على العصية التي بلغت ذروتها في عهد الأمويين، فكان كلما أهمل العنصر العربي ازداد غير العربي نفوذاً وتسلطاً، إلا أن هذا لا يعني أن العربي كان خائفاً ذليلاً فقد بقي متشبهاً بنزعة القومية، رافضاً حيناً ومتمرداً حيناً آخر على حالات التعسف والاستبداد.

<sup>١</sup> (١) ينظر: الكامل - ابن الأثير، ٩/ ٦٢٦ - ٦٢٨.

<sup>٢</sup> هو أبو علي الحسن بن اسحق بن العباس وزير السلطان ألب أرسلان وولده السلطان ملكشاه، قتل سنة ٤٨٥ هـ وهو منشيء المدرسة النظامية - الذائعة الصيت - في بغداد. ينظر: وفيات الأعيان، ص.

- ٢- الديلمة الذين سكنوا جنوب شرق بحر قزوين
  - ٣- الأتراك وهم من العناصر المتنفة الذين لعبوا دوراً كبيراً وخطيراً في الحياة السياسية وتوجيه الأحداث وفقاً لأهوائهم ومصالحهم وكانوا يتميزون بالفوضى وعدم وضوح الخط السياسي، فمواقفهم مبنية على مصالحهم.
  - ٤- أقليات آرامية وكردية ضعيفة الشأن لا أثر لها في الحياة العامة للمجتمع.<sup>٣</sup>
  - ٥- الفرس الذين سكنوا العراق، كونوا مركز ثقل سياسي لما تميزوا به من سعة في السياسة والثقافة مما جعل (نظام الملك) يفرض الحضارة الإيرانية العالية على السلاجقة.<sup>٤</sup>
- أما من الناحية الدينية،** فقد كان سكان العصر الذي عاش فيه البغدادي وأقصد به عصر الدولة السلجوقية منقسماً على طوائف عديدة منهم:
- أولاً: المسلمون وكانوا الأكثرية في المجتمع، ومنهم الخليفة، ولهم المراكز الحساسة في الدولة، وكانوا منقسمين على عدة فرق ومذاهب ولكل مذهب أنصاره
- لذلك نجد أن جميع الحركات الروحية في مملكة الإسلام كانت تتلاطم أمواجها في بغداد. فالمذهب الجعفري والخنفي والشافعي والحنبلي هو بنية المجتمع البغدادي الديني وكثيراً ما كان يحصل بين هذه المذاهب احتكاكات واختلافات وفتن ينتج عنها ارتباك في الحياة العامة واختلال في أمن البلاد. وأن معظم الخلفاء وجلّ العامة من الناس كانوا يتمتعون بنوع من الحس الديني العميق مما جعل الاهتمام ببناء المساجد وعقد الندوات الدينية واهتمام العلماء والشيوخ بالوعظ، هو الجو الديني السائد في الحياة البغدادية.
- ومن الظواهر المهمة في هذه الفترة انتشار التصوف، إما نتيجة لردّ الفعل للتناقضات التي كانت تحكم عصر السلاجقة والتي تمثلت في الغنى الفاحش عند الخاصة، والفقر القاتل عند العامة أو لحالة اليأس التي أصابت عامة الناس بعدم وجود أمل للخلاص واللجوء إلى العزلة تعبدًا ورهبانية، أو لعل السلاجقة هم الذين شجعوا هذه النزعة نكاية بالمذهب الجعفري فشيّدوا

<sup>٣</sup> ينظر: تاريخ العراق في عصر السلاجقة - حسين أمين، ص ١٦.

<sup>٤</sup> ينظر: تاريخ العراق في عصر السلاجقة - حسين أمين، ص ١٦.

وخصصوا الأماكن ليقيم فيها المتصوفون وليزاولوا عباداتهم، هذه الحالة المتناقضة خلقت لونا من التفاعل المثمر بينها وبين الحركة الثقافية فكلاهما ترفد الأخرى وتصب فيها.

ثانياً: النصارى واليهود والمجوس، وهم الأقلية، وكانوا يعيشون تحت حماية الدولة مقابل الطاعة والولاء والجزية لذلك سمو بأهل الذمة<sup>٥</sup>

**أما الأخلاق:** فكانت متردية وانتهازية ومصاحية بسبب التفاوت والتناقض في الحياة العامة، أضف إلى أن قوة سلاطين السلاجقة وضعف الخلافة دفعهم إلى تسخير الدين لمصالحهم وأغراضهم وتوطيد حكمهم لكن هذا لا يعني أن العصر السلجوقي قد خلا من القيم الفاضلة والخصال الطيبة، وحسبنا أن نذكر الشيخ إسحاق الشيرازي والبغدادي، لكن الصفة العامة السائدة التي كانت تتحكم بالحياة هي التردّي، وهبوط المستويات العامة بجوانبها المختلفة، حيث انكفأ الناس ولزموا بيوتهم وابتعدوا عن مواجهة هذا الانحلال والتردّي، والراجع أن هذا ناتج عن ضعف الإيمان لأن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره...) فإذا انكفأ العلماء والمثقفون واعتزلوا الحياة وتركوا ضعاف النفوس يسيرون البلاد حسب مصالحهم وأهوائهم وانحرافاتهم، فمن الذي يتحمل مسؤولية النهضة والتغيير ورفع هذا المستوى المتدني؟ لذا نجد رجلاً فذاً واجه المشكلة بصلافة وإرادة وعزم ورباطة جأش واتساع أفق وفكر، هو (نظام الملك) الذي وضع يده على الداء وشخص بأن الجهل هو جذر المشكلة، فلا بد من محاربته بالتعليم والوعظ والإرشاد وقد نجحت حملته إلى حد ما وبذر بذرتة الصالحة وعمقها في النفوس، "فكان يرشح كل أحد لمنصب يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل<sup>٦</sup>، بغض النظر عما كان يبغيه ويقصده من وراء هذه الحملة، لكن تبقى علة العلل (الفقر) هي الأصل في منبع كل تدن في المستوى الأخلاقي وتبقى الأخلاق مرهونة بها.

**أما الناحية الفكرية،** فمن الصعب تحديد مساراتها نتيجة الاضطرابات السياسية والدينية والاقتصادية التي رافقت العصر السلجوقي، وعلى العموم فإن تعدد الإمارات كان في صالح

<sup>٥</sup> تاريخ العراق في عصر السلاجقة - حسين امين، ص ١٨.

<sup>٦</sup> ينظر، تاريخ آل سلجوق - البغدادي، ص ٥٤.

الحركة الفكرية " لأنه فتح مجال التنافس بين العلماء والأدباء وعمل على جعل سوق الأدب رائجة ونتج عن ذلك حصيلة فكرية جيدة <sup>٧</sup>، فالحركة التعليمية قد ازدهرت ونشطت من خلال مؤلفات هذا العصر، على الرغم من أنها وضعت من أجل المدرسة النظامية فكانت "اختصاراً للكتب السابقة أو جمعاً أو تصنيفاً أو شرحاً أو تفسيراً" <sup>٨</sup> وعموماً أن الجهد الذي بذله (نظام الملك) دفع بعجلة الحركة الفكرية إلى الأمام فكان صاحب فضل في كل جهد ثقافي ظهر في هذا العصر، أضف أن البيئة التي بذر فيها بذور العلم كانت صالحة ومهيأة، فلقد كانت بغداد أو قل كان العراق ولا يزال مهداً للحضارات والمآثر الفكرية الشاخنة. وأرضه خصبة لاحتضان بذور العلم والمعرفة، فكثرت المفكرين والعلماء الذين ساهموا في بناء الصرح الشامخ للعلم من خلال المدرسة النظامية الذائعة الصيت لوجود كبار العلماء فيها أمثال، التبريزي والشيرازي وابن الشجري والبغدادى أضف إلى ذلك مساهمة دور العلم (المكتبات) بما احتوتها من كتب ومخطوطات نفيسة في نشر الثقافة العربية الإسلامية <sup>٩</sup>.

### المبحث الثاني: حياة أبي البركات البغدادي وآثاره

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد، المكنى بأبي البركات، الملقب بالكمال أو كمال الدين <sup>١٠</sup> وينسب إلى الأنبار أو إلى بغداد فيقال كمال الدين أبو البركات الأنباري أو البغدادي <sup>١١</sup>. ولد سنة ٥١٣هـ / ١١١٩ م، وقيل: إن ولادته كانت في شهر ربيع الآخر من تلك السنة <sup>١٢</sup>. واختلفوا في مكان ولادته فمنهم من قال أنه ولد في الأنبار التي ينسب إليها، ومنهم من

<sup>٧</sup> أدب العرب - مارون عبود، ص ٢٧٨. ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى - عبد المنعم ماجد، ص ١٥١.

<sup>٨</sup> ينظر، المنتظم - ابن الجوزي، ص ٦٤.

<sup>٩</sup> لأدب العربي - المستشرق هـ. أ. ترجمة كاظم سعد الدين، ص ١١٥.

<sup>١٠</sup> أنباء الرواة على أنباء النحاة - أبو الحسن القفطي ١٦٥/٢.

<sup>١١</sup> هدية العارفين - إسماعيل البغدادي، ص ٥١٩.

<sup>١٢</sup> أنباء الرواة على أنباء النحاة - أبو الحسن القفطي ١٦٥/٢.



قال أنه ولد في بغداد، فالقفطي ذكر أن أبا البركات الأنباري "سكن بغداد من صباه إلى أن توفي" <sup>١٣</sup>، وابن قاضي شهبة أورد أنه نزل بغداد وأنه قدم بغداد في صباه <sup>١٤</sup>. أما اليافعي فيؤكد أنه "ولد في بغداد" <sup>١٥</sup> والسيوطي يذكر أنه "سمع ببغداد عن عبد الوهاب الأنماطي" <sup>١٦</sup> وهذا الاختلاف شيء طبيعي في الحياة البشرية وخاصة تلك الفترة لضعف الاهتمام بولادة الوليد، ولانشغالهم في معترك الحياة العامة ولأن وفاة العالم أشهر من ولادته فهو عند الولادة مجهول مغمور لكنه عند وفاته معروف مشهور.

### شخصيته وأخلاقه:

تمتع أبو البركات البغدادي بشخصية محبة إلى مجالسيه فريدة جمعت تحت أكنافها الخصال الحميدة كلها من رقة ولطف وحزم وجد وصلابة وثبات ومعرفة وقدرة على الرد السريع وبراعة في الحوار وسيطرة على نوازع النفس وخوالجها، متأثراً بأستاذه ابن الشجري الذي يقول فيه: "إنه كان وقوراً في مجلسه ذا سمت حسن، لا يكاد يتكلم في مجلسه بكلمة إلا وتتضمن أدب النفس أو أدب درس" <sup>١٧</sup>.

ولعل هذه الصفات التي رسمها لأستاذه ابن الشجري تمثله أصدق تمثيل، وما ذكره المؤرخون يغني عن عد صفاته الحميدة وأخلاقه الرشيدة.

فالقفطي ذكر إنه "كان فاضلاً عالماً زاهداً" <sup>١٨</sup>، وابن كثير يصفه "بالفقيه العابد الزاهد" <sup>١٩</sup>. وابن قاضي يقول فيه "كان زاهداً عابداً مخلصاً تاركاً الدنيا" <sup>٢٠</sup>. فسيرة البغدادي جملة من الورع

<sup>١٣</sup> المصدر نفسه ١٦٦/٢.

<sup>١٤</sup> ينظر، طبقات النحاة واللغويين - ابن قاضي شهبة، ص ٣٦٢.

<sup>١٥</sup> مرآة الجنان - اليافعي ٤٠٨/٣.

<sup>١٦</sup> بغية الوعاة - السيوطي ٨٦/٢.

<sup>١٧</sup> بغية الوعاة - السيوطي ٨٦/٢.

<sup>١٨</sup> أنباه الرواة - القفطي، ج ٢/ ص ١٦٩.

<sup>١٩</sup> (٢) البداية والنهاية - ابن كثير، ٣٣١/١٢.

والمجاهدة والمجادلة وعلى الرغم من قدره وعلو مكانته عند الخلفاء، قنع صاحبنا وزهد في دنياه، فكان أقرب إلى مسالك الصوفية، أو قل إنه حُب لنفسه الطريقة الصوفية إلا أنه لم يعتنقها مذهباً جاء في نزهة الألباء في حديثه عن أستاذه أبي منصور الجواليقي قوله: وحضرت حلقتة يوماً وهو يقرأ عليه كتاب الجمهرة لابن دريد. وقد حكى عن بعض النحويين أنه قال: "أصل (ليس) (لا أيس) فقلت: هذا الكلام كأنه من كلام الصوفية، فكأن الشيخ أنكر عليّ ذلك" <sup>٢٠</sup>

هذه الواقعة تعطينا الدليل على أن صاحبنا لم تكن نفسه تستهوي الصوفية مذهباً بل استهوتها مسلكاً، فراه يجالس الصوفية ويشاركهم ويسلك مسلكهم في مواجهة أمور الحياة. إضافة إلى ذلك كان البغدادي يتسم بالجد والسيطرة على خوالج نفسه، ويظهر هذا الحد من خلال عبارة قالها تعليقاً على مداعبة جرت بين الميداني والزنجشيري "هذه فكاهة لا تليق بالمشايخ" <sup>٢١</sup> وكأنه بتصرفه هذا قد أخذ بنصيحة أستاذه ابن الشجري حين قال:

لا تمزحَنَّ فإنَّ مزحتَ فلا يكنْ      مزحاً تضاف به إلى سوء الأدب  
واحذرْ ممازحةً تعود عداوةً      إنَّ المزاح على مُقدِّمة الغضب

### مذهبه الفقهي:

من خلال مطالعتي للعصر السلجوقي، وجدت أن (نظام الملك) كان وراء الإزهار الثقافي والعلمي، فهو الذي أنشأ المدرسة النظامية ووضع أسسها وطريقة قبول الطلاب فيها، ولما كان (نظام الملك) شافعي المذهب فلا بد لكل طالب دخل النظامية أن يسير على منهج الشافعية ويخلص له. فأبو البركات البغدادي دخل النظامية طالباً وتخرج منها، ليعود إليها مدرساً، فلا بد له من السير في ركابها والتفقه على مذهب الشافعية، فألف تصانيفه في المذهب الشافعي "هداية الذاهب في معرفة المذاهب" <sup>٢٢</sup> "بداية الهداية" <sup>٢٣</sup>. والراجح أن البغدادي لم يعتنق المذهب الشافعي

<sup>٢٠</sup> الطبقات - ابن القاضي شهبة، ص ٣٦٤.

<sup>٢١</sup> نزهة الألباء - ابن الأنباري، ص ٢٢١

<sup>٢٢</sup> نزهة الألباء - ابن الأنباري، ص ٢٢١

<sup>٢٣</sup> نزهة الالباء - ابن الانباري، ص ١٠.

إلا طمعاً في المكسب أو رغبة في ملازمة النظامية بوصفها المنهل الوحيد للعلم آنذاك ولإحتوائها على جلة العلماء الأفاضل، ولأنه في بداية حياته العملية كان لا بد له من ركوب المركب، فتظاهر بالشافعية وأخفى ما في نفسه من معتقد، وإلا كيف نفسر أن أبا البركات البغدادي قد تأثر تأثيراً كبيراً بأستاذه ابن الشجري علمياً وأخلاقياً وسلوكياً وسار على خطاه حتى أنه قد أثر في منهجه الفقهي فحول صاحبنا وجهه عن العلوم الدينية إلى العلوم اللغوية والنحوية التي اشتهر بها في حياته وبعد مماته.

### ثاقفه:

عقد الخوانساري موازنة قصيرة بين أبي البركات البغدادي أو الأنباري وأبي بكر الأنباري، قال: " والفرق بينه وبين ابن الأنباري الأول اللغوي المشهور... أنه كان منحصر البراعة في فنون اللغة والعربية بخلاف هذا فإنه الإمام البارع والسيد المبرز في فنون شتى"<sup>٢٥</sup>.

يتجلى لنا أن ثقافة صاحبنا نشأت دينية وانتهت نحوية إلا أن هذا لم يمنعه من ممارسة الفقه والبحث عن صور الخلاف بين المذاهب. وإذا ما علمنا بأن علوم الفقه متداخلة مع العلوم العربية، والعكس صحيح، فإن هذا التداخل تأثر به أبو البركات البغدادي، لذا نجد في كتابه (الأنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) مترسماً خطى علماء الفقه في أساليب العرض والمعالجة، فثقافته الدينية أثرت فيه تأثيراً كبيراً لأنه نشأ وترعرع عليها، وتلقفها في صباه، فسعة مداركه وفطنته من جهة، والظروف التي أحاطت به وملازمته لمشايخ العربية من جهة أخرى، هي التي دفعت به إلى الإحاطة والبراعة في النحو، فأعطى فيه أكثر مما أعطى في سواء حتى قيل فيه " وكان قد تفرد بعلم العربية وشدت إليه الرحال"<sup>٢٦</sup>

<sup>٢٤</sup> كشف الظنون - حاجي خليفة، ص ٢٢٨. ينظر: البغية - السيوطي، ٨٧ / ٣. ينظر: طبقات الشافعية - الأسنوي، ص ٥٥.

<sup>٢٥</sup> الخوانساري - روضات الجنات - ٤٠٩ / ١.

<sup>٢٦</sup> الطبقات - ابن قاضي شعبة، ص ٣٦٤.

## آثاره:

عندما نتحدث عن آثار البغدادي، لابد من الوقوف لحظات مع أخلص أصدقائه (الكتاب)، فقد كان مصاحباً له في عزلته، وأنيسه في وحدته، وعزاءه في حزنه. لقد قضى معه أجمل فترات عمره طالباً وأستاذاً، دارساً ومؤلفاً، لم يتركه إلا بعد لقاء وجه ربه. وفي هذه الفترة جادت قريحته بعدد كبير من المؤلفات، نالت استحسان أهل العلم جميعاً، فأثنوا على مجهوداته ومصنفاته لما اشتملت عليه من مميزات.

فهذا ابن الأثير يقول: "وله تصنيفات حسنة في النحو"<sup>٢٧</sup>، وشهد له ابن خلكان حيث قال: "وكتبه كلها نافعة"<sup>٢٨</sup>، وعبر القرطبي عنه "واشتهرت تصانيفه وظهرت مؤلفاته"<sup>٢٩</sup>. أما عدد هذه المصنفات فقد ذكر الذهبي أنها "مئة وثلاثون مصنفاً في الفقه والأصول والزهد وأكثرها في فنون العربية"<sup>٣٠</sup>. وأيده في ذلك ابن قاضي<sup>٣١</sup> وابن العماد<sup>٣٢</sup>.

ومن مميزات البغدادي في مصنفاته، أنه إلتزم المنهجية والتخصص، فكل كتاب اتصف بموضوع خاص، وقلما يطفر من مسألة إلى أخرى، كما كان يفعل القدامى كالبرد في كامله، والجاحظ في بيانه وتمتاز هذه المصنفات بالوضوح وسلامة العبارة وجمال العرض والتصنيف، قال عنه سعيد الأفغاني: "الأنباري يقال أدب النحو وأضفى على أسلوب عرضه المائية وقال: إنني إذا أردت التعبير عن أسلوب الأنباري بكلمة جامعة لم أجد أصدق من قولي: أسلوب رياضي جميل"<sup>٣٣</sup> سواء أكان في نثره أم شعره. سأعرض نموذجاً واحداً من نثره، وآخر من شعره - على قلته - للتدليل على أسلوب أبي البركات البغدادي ودقته وحسن تنظيمه وتمكنه في استعمال

<sup>٢٧</sup> الكامل - ابن الأثير، ٤٧٧/١.

<sup>٢٨</sup> وفيات الأعيان - ابن خلكان، ١٣٩/٣.

<sup>٢٩</sup> أنباء الرواة - القفطي، ١٧٠/٢.

<sup>٣٠</sup> العبر في خبر من غبر - الذهبي، ٢٣٠/١.

<sup>٣١</sup> طبقات النحويين واللغويين - ابن قاضي شهبة، ص ٣٦٣.

<sup>٣٢</sup> شذرات الذهب - ابن العماد، ٢٥٨/٤.

<sup>٣٣</sup> مقدمة الاغراب في جدل الاعراب - ابن الأنباري، ص ٢٢.

المنطق، والاستعانة بالحجج العقلية لإثبات رأي وتفنيد آخر، قال أبو البركات البغدادي في معرض ردّه على الكوفيين في قولهم أن (السين) مقتطعة من سوف: "وأما قولهم إنّ السين تدل على الاستقبال كما إنّ سوف تدل على الاستقبال، قلنا هذا باطل، لأنه لو كان الأمر كما زعمتم لكان ينبغي أن يستويا في الدلالة على الاستقبال على حدّ واحد. ولا شك أن سوف أشد تراخيا في الإقبال من السين. فلمّا اختلف في الدلالة على أن كل واحد منهما حرف مستقل بنفسه غير مأخوذ من صاحبه والله أعلم"<sup>٣٤</sup>

أما شعره، ففي إحدى مقطوعاته يقول<sup>٣٥</sup>: هذه المقطوعة من البحر الكامل (متفاعلن) وهذا البحر يتميز بالهدوء:

### العلم أوفى حلية ولباس والعقل أوفى جنة الأكياس

كن طالباً للعلم تحي فإنما	جهلُ الفتى كالموت في الأرماس
وصنّ العلوم عن المطامع كلّها	لترى بأنّ العزَّ عزُّ الباس
والعلم ثوب والعفاف طرازه	ومطامع الإنسان كالأدناس
والعلم نور يهتدى بضياءه	وبه يسود الناس فوق الناس

### مؤلفات أبي البركات البغدادي:

أما مؤلفاته فهي على ثلاثة أنواع:

- ١ - آثاره المفقودة: وعددها ثمانية وستون، ذكر السيوطي في بغية الوعاة خمسين مؤلفاً منها، أما ابن قاضي شعبة في الطبقات فقد ذكر ستة منها، وحاجي خليفة في كشف الظنون ذكر ستة منها<sup>٣٦</sup>. وصاحب هدية العارفين ذكر ثلاثة منها، وثلاثة أخرى، اثنان منها في البيان وواحد في نزهة الألباء.

<sup>٣٤</sup> الإنصاف في مسائل الخلاف - ابن الأنباري، ٦٤٧/٢.

<sup>٣٥</sup> فوات الوفيات - الكتبي، المجلد الثاني، ص ٢٦٢، ٢٩٢.

<sup>٣٦</sup> كشف الظنون - حاجي خليفة ص ٢٢٠، ١١٨.

آثاره المخطوطة : وعددها ثمانية كتب ، ذكرها السيوطي في بغية الوعاة •  
٣ - آثاره المطبوعة : وتشمل على :

#### أ - الآثار اللغوية : وعددها خمسة كتب وهي :

- ١ - البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث . وهو مليء بالشواهد الشعرية والآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية .
- ٢ - حلية العقود في المقصور والممدود •
- ٤ - الموجز في علم القوافي .
- ٥ - زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء •

#### بد كتب التراجم :

وتعنى بأخبار الأدياء والنحاة وآثارهم وتنحصر في كتاب واحد (نزهة الألباء) وله صلة بالنحو وتاريخه • طبع عدة طبعات ، وهدفه خدمة طلبه العلم والنحو ، وفعلاً أغنى طلابه عن كثير من المراجع والموسوعات الأدبية .

#### ج - الآثار النحوية :

- ١ - أسرار العربية ، حققه الأستاذ محمد بهجت البيطار ، طبع عدة طبعات ، ويدور حول العلة النحوية ، فهو لا يترك حكماً من الأحكام دون تعليل ، بل يجعل لكل حكم علة ولكل ظاهرة سبباً ويتميز هذا الكتاب من أنه وضع لكل طريقة سؤال وجواب ، وأنه يذكر الحكم مقروناً بأسبابه والظاهرة مشفوعة بعلتها ، وأنه يتسم بكثرة الفوائد . والنماذج الآتية توضح ما ذهبنا إليه :

قال أبو البركات البغدادي حول باب (علم ما الكلم) :

"إن قال قائل : ما الكلم ؟ قيل : الكلم اسم جنس ، واحده ، كلمة ، كقولك : نبقة ونبق ، ولبنة ولبن ، وثفنة وثفن ، وما أشبه ذلك ، فإن قيل : ما الكلام ؟ قيل : ما كان من الحروف دالا بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه ، فإن قيل : ما الفرق بين الكلم والكلام ؟ قيل : الفرق بينهما ، أن الكلم ينطلق على المفيد وعلى غير المفيد ، وأما الكلام فلا ينطلق إلا على المفيد

خاصة، فإن قيل: فلم قلت: إن أقسام الكلام ثلاثة لا رابع لها؟ قيل: لأننا وجدنا هذه الأقسام الثلاثة يعبر بها عن جميع ما يخطر بالبال ويتوهم في الخيال ولو كان هنها قسم رابع لبقى في النفس شيء لا يمكن التعبير عنه، ألا ترى أنه لو سقط آخر هذه الأقسام الثلاثة لبقى في النفس شيء لا يمكن التعبير عنه بإزاء ما سقط فلما عبر بهذه الأقسام عن جميع الأشياء دل على أنه ليس إلا هذه الأقسام الثلاثة...<sup>٣٧</sup>.

قال أبو البركات البغدادي في كتابه (أسرار العربية) حول خبر المبتدأ: "إن قال قائل: على كم ضرباً ينقسم خبر المبتدأ؟ قيل: على ضربين، مفرد وجملة، فإن قيل: على كم ضرباً ينقسم المفرد؟ قيل: على ضربين، أحدهما: أن يكون اسماً غير صفة، والآخر: أن يكون صفة، أما الاسم غير الصفة فنحو، زيد أخوك وعمرو غلامك، فزيد مبتدأ وأخوك خبره، وكذلك عمرو مبتدأ وغلامك خبره وليس في شيء من هذا النحو ضمير يرجع إلى المبتدأ عند البصريين، وذهب الكوفيون إلى أن فيه ضميراً يرجع إلى المبتدأ، وبه قال علي بن عيسى الرمانى من البصريين. قال أبو البركات: والأول هو الصحيح...<sup>٣٨</sup>.

٢ - الأغراب في جدل الأعراب، حققه الأستاذ سعيد الأفغاني وطبع عدة طبعات، ويدور حول الجدل الإعرابي، ويتميز الكتاب بالنزعة الفقهية والجدل العقلي، وأنه يعالج الموضوعات النحوية بقدر ما يعالج الأشكال التي توضع فيها هذه الموضوعات في الجدل الإعرابي.

٣ - الإنصاف في مسائل الخلاف، بين النحويين البصريين والكوفيين، طبع بعناية الأستاذ محيي الدين عبد الحميد. ويدور حول العلاقة بين النحو والفقه، ويعدّ الأنصاف أكثر شمولية وإحاطة بمسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين من المؤلفات الأخرى، ويمتاز بخصائص عديدة منها، أنه جعل علم النحو علماً عقلياً كالفلسفة والمنطق، ذا أسلوب فريد من نوعه، سلساً في عرضه المسائل النحوية. والكتاب يدل على سعة ثقافة مؤلفه وخاصة عند الإحتجاج والمجادلة العقلية مما يؤكد عند متابعة مسأله تعلقه بعلم الكلام والمنطق.

<sup>٣٧</sup> أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، ٢٨ / ١

<sup>٣٨</sup> المصدر نفسه، ٨٣ / ١

البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد، فيه إيضاح مجمل آراء صاحبنا النظرية في مختلف علوم اللغة وأطراف من علوم القرآن، أراد منه إشباع نزعة الدينية والتعبدية تقريباً لله جلّ ثناؤه، وإفادة طلبته.

لمع الأدلة في وجوه النحو، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني، طبع عدة طبعات، ويدور حول رغبته في مواصلة الابتكار والإبداع، وتلبية مطالب أهل الفضل بالكتابة في أصول النحو.

### وفاته:

بعد عمر زاخر بالنتاج العلمي والفكري، لقي أبو البركات البغدادي وجه ربه راضياً "يا أيّتها النفس ارجعي إلى ربك راضية مرضية"<sup>٣٩</sup> لما قدمه من خدمة جليّة للعلم وطلابه، فكانت وفاته ليلة الجمعة تاسع شعبان من سنة ٥٧٧هـ / ١١٨١م ببغداد<sup>٤٠</sup> عن أربع وستين سنة ودفن يوم الجمعة بباب أبرز بترية الشيخ أبي إسحاق الشيرازي (رحمه الله وتغمده بفسيح جناته)<sup>٤١</sup>

### المبحث الثالث: منهج البغدادي وآراءه النحوية

من الثوابت التي لا ينازعها الشك أن كل نحوي لا بد أن يتبنى منهجاً خاصاً به يضيف عليه تكوينه وشخصيته وهذا ما فعله صاحبنا عند تأليفه، فمؤلفاته تعبر تعبيراً صادقاً عن ملامحه الشخصية ومداركه العلمية والثقافية وطريقة أسلوبه في العرض. والنحوي لا يكون نحوياً بحق حتى تكون له آراؤه الخاصة ومواقفه المتميزة، فأبو البركات البغدادي يعدّ من القلائل الذين أبدعوا وجددوا وساهموا في بناء البنية الأساسية للأنموذج العلمي، فأصبح بحق من رؤساء المذاهب ورواد الفكر والمناهج المستقلة على مدى التاريخ النحوي، ولو أخذنا طريقته وأسلوبه في التأليف لوجدناه التزم المنهج الفلسفي والمنطقي الفقهي في الترتيب والتقسيم، فأراد بذلك أن يخضع علوم العربية لعلوم الفقه في الترتيب والتنسيق. وإذا أردنا معرفة مذهبه النحوي لابد لنا من الوقوف عند

<sup>٣٩</sup> سورة الفجر، آية ٣٠ - ٣١.

<sup>٤٠</sup> طبقات الشافعية - الأسنوي ٦٧/١. ينظر: فوات الوفيات - الكتبي، ص ٢٩٢.

<sup>٤١</sup> أنباء الرواة - الففطي، ٢ / ١٧١.



شخصيته لمعرفة خصائصها وسماته. وهذا يتأتى من إلقاء الضوء على بعض القضايا النحوية التي تعبر أساسا عن هذا الاتجاه باعتبار أن للشخصية دورا مؤثرا وكبيرا عند التأليف.

### موقفه من النحاة:

لأبي البركات البغدادي موقف خاص به من النحاة، يتصف بالعدل والإنصاف عند عرضه آراءهم. سواء أكانوا بصريين أم كوفيين، مشهورين أم مغمورين، فموقفه يتميز بعدم التفريق بين العلماء لاسيما عند عرضه للمسائل النحوية، فمرة نراه يعرض الآراء دون التعليق عليها كقوله حول زيادة الواو العاطفة "اختلفوا في جواز زيادة الواو العاطفة لغير معنى فجوزه الكوفيون احتجاجا بقوله تعالى: " وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين"<sup>٤٢</sup>، وقوله سبحانه: " فلما أسلما وتله للجبين وناديناه "<sup>٤٣</sup>، وجعلوا منه قوله تعالى: " حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها "<sup>٤٤</sup>، وقول الشاعر المتقدم أول الكتاب: وقلبتم ظهر المجن لنا... بعد قوله:

حتى إذا قملت بطونكم      ورأيتم أبناءكم شبوا  
فتقديره قلبتم والواو زائدة. وذهب البصريون إلى أنها ليست زائدة في شيء من ذلك ولا تجوز،  
وقول الآخر:

جمعت وفحشا غيبة ونميمة      ثلاث خلال لست عنها مرعوي  
وقول ذي الرمة:  
كأنا على أولاد أحقب لاحها      ورمي السفا أنفاسها بسهام  
جنوب ذوت عنها التناهي فأنزلت      بها يوم ذباب السيب صيام

<sup>٤٢</sup> سورة الأنعام، آية ٧٥.

<sup>٤٣</sup> سورة الصافات، آية ١٠٣.

<sup>٤٤</sup> سورة الزمر، آية ٧١.

يريد ، لاحها جنوب ورمي السفا ، وقوله أيضا زيادتها لأن الحروف وضعت للمعاني فذكرها بدون معناها يقتضي مخالفة الوضع ويورث اللبس ، وأيضا فإن الحروف وضعت للاختصار نائبة عن الجمل كالهزمة فإنها نائبة عن أستفهم وزيادتها ينقض هذا المعنى . وتلك المواضع ، الواو فيها عاطفة على محذوف مقدر يتم به الكلام تقديره : لنبصره أو لنرشده ونحو ذلك ، ثم عطف عليه (وليكون من الموقعين) وكذلك في الآية الأخرى تقديره : عرفنا صبره وانقياده وناديانه أن يا إبراهيم وكذلك قيل في قوله تعالى : (وفتحت أبوابها) تقديره : عرفوا صحة ما وعدوا به وفتحت أبوابها ، والأقوى أن تكون الواو حالية كما تقدم وسيأتي ذلك وبيان فائدته إن شاء الله تعالى . وأما البيت فتقديره : عرف غدركم وقلبتهم ظهر المحن ، وحذف الجواب كثير . وفي التهذيب للبعوي من أئمة أصحابنا أنه إذا قال : إن دخلت الدار وأنت طالق ، إن قال : أردت التعليق فأقمت الواو مقام الفاء قبل قوله وإن قال أردت التنجيز ينجز الطلاق يعني وتكون الواو زائدة . وزاد غيره انه إذا قال : لم أقصد شيئا يقضي بوقوع الطلاق في الحال ويلغى حرف الواو كما لو قال : ابتداء وأنت طالق حكاه الرافعي عن إسماعيل البوشنجي مقرر له واعترض عليه النووي واختار أنه عند الاطلاق يكون تعليقا بدخول الدار إن كان قائلها لا يعرف العربية وإن عرفها فلا يكون تعليقا ولا غيره إلا لأنه عنده غير مفيد ، وهذا الذي قاله النووي رحمه الله جار على القاعدة والله سبحانه أعلم<sup>٤٥</sup> .

وقال أبو البركات حول (الكلام على واو رب) : " كما في قول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

أي : رب ليل كموج البحر ، وقول رؤبة بن العجاج :

وقاتم الأعماق خاوي المخترق مشته الأعلام لماع الخفق

والقاتم : المظلم ، والأعماق : جمع عمق وهو ما يستدل به على المواضع والطرق من جبل وبناء وغيرهما واشتباهاها التباس بعضها ببعض ، والخفق : ما تحفق فيه من التراب عند هبوب الرياح ، ومثله أيضا قول الأعرابية :

<sup>٤٥</sup> الانصاف في مسائل الخلاف ، ابو البركات الانباري ١٤٦/١ .

وذي حاجة قلنا له لا تبج بها فليس إليها ما حييت سبيل  
وهو كثير في النظم والنثر. والذي ذهب إليه جمهور البصريين ومن بعدهم أن الجر في هذه  
المواضع ب(ربّ) مضمرة بعد الواو لا بالواو نفسها بل هي عاطفة ولذلك لم يعدها سيبويه في  
حروف الجر، وذهب المبرد والكوفيون إلى أن الواو هي الجارة لكونها عوضا عن (ربّ) كما في واو  
القسم ولأنها واردة في أول الكلام وليس قبله شيء يعطف الواو عليه، وظاهر كلام ابن الحاجب  
اختيار هذا القول لأنه عدّها من جملة الحروف الجارة. واحتج البصريون بوجوه:  
أحدها: أنها لو كانت هي الجارة لدخلت واو العطف عليها كما في واو القسم وقد تقدم مثله.  
وثانيها: أن ذلك لو كان بطريق العوض عن (ربّ) لما جاز أن تضمّر (ربّ) معها كما أنه لما كانت  
واو القسم بدلا عن بائه لم يجز الجمع بينهما وهنا يجوز ذلك بالاتفاق فيقال: وربّ رجل عالم  
لقيته .

وثالثها: أن (ربّ) قد أضمرت بعد الفاء وبل، كقول امرئ القيس:  
فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع  
وقول الآخر:

فإن أهلك فذي حنق لظاه  
علي يكاد يلتهب التهاب  
وقول الآخر:  
وإما تعرضن أميم عني  
وتنزعك الوشاة أولو النباط  
وقول الآخر:

بل بلد ملء الفجاج قتمة لا يشتري كتانه وجهرمه  
والجر في هذه المواضع بإضمار (ربّ) بالاتفاق فكذلك في الواو لأن كلها من حروف العطف  
وأما كون ذلك صدر الكلام فالعطف فيه على شيء مقدر في الضمير فكأنه قال في نفسه: ربّ شيء  
كان مني وربّ قائم الأعماق ونحو ذلك وكذلك البواقي ولقائل أن يجيب عن الوجه الأول بأن  
امتناع دخول الواو العاطفة إنما كان لعدم ما تعطف عليه وأيضا فلما في اجتماع الواو من الاستئصال  
وإنما جاز في القسم الاستئصال لكثرة دورانه في الكلام وأما الجمع بين الواو وربّ فلمانع أن يمنع أن  
هذه الواو هي تلك تكون عند عدمها بل عند ظهور ربّ هي عاطفة ليس إلا وليست التي يعوض

بها عن ربّ فيجوز حينئذ الجمع ولا يكون فيه دليل ، وأما الفاء وبل فلا شك أن ذلك قليل نادر جدا بخلاف الواو فإن الجر بعدها كثير شائع في كلامهم وكل من القولين محتمل وإن كان الأظهر قول البصريين فإذا عرف ذلك فعلى قول البصريين ليست قسما مغايرا لما تقدم لأنها العاطفة عندهم وعلى القول الآخر المغايرة ظاهرة فيكون ذلك نوعا على ما تقدم ويحيىء على البحث المتقدم أن الواو مشتركة لفظا بين مطلق الجمع والقسم وهذه التي بمعنى ربّ ثم هي بالنسبة إلى الأنواع الأربعة المتقدمة متواطئة والله تعالى أعلم<sup>٤٦</sup>

ومرة أخرى يعرضها مقرونة بالموافقة الضمنية أو اختيار أحدهما ، قال أبو البركات حول تسمية الاسم اسما: " اختلف النحويون في ذلك ، فذهب البصريون إلى أنه سمي (اسما) لوجهين : أحدهما ، أنه سمي على مسماه وعلا على ما تحته من معناه فسمي اسما لذلك ، والوجه الثاني ، أن هذه الأقسام الثلاثة لها ثلاث مراتب فمنها ما يخبر به ويخبر عنه وهو الاسم نحو: زيد قائم ، ومنها ما يخبر به ولا يخبر عنه وهو الفعل نحو: قام زيد ، ومنها ما لا يخبر به ولا يخبر عنه وهو الحرف ، نحو: هل وبل وما أشبه ذلك ، فلما كان الاسم يخبر به ويخبر عنه ، والفعل يخبر به ولا يخبر عنه ، والحرف لا يخبر به ولا خبر عنه ، فقد سما الاسم على الفعل والحرف ، أي : ارتفع ، والأصل فيه (سمو) إلا أنهم حذفوا الواو من آخره وعوضوا همزة في أوله فصار (اسما) ووزنه (إفع) لأنه قد حذف منه لامه التي هي الواو في سمو. وذهب الكوفيون إلى أنه سمي (اسما) لأنه سمة على المسمى يعرف بها والسمة العلامة والأصل فيه (وسم) إلا أنهم حذفوا الواو من أوله وعوضوا مكانها همزة فصار (اسما) ووزنه ، (إعل) لأنه قد حذف منه لامه التي هي الواو في وسم

قال أبو البركات : والصحيح ما ذهب إليه البصريون وما ذهب إليه الكوفيون وإن كان صحيحا من جهة المعنى إلا أنه فاسد من جهة التصريف<sup>٤٧</sup>.

<sup>٤٦</sup> الانصاف في مسائل الخلاف، ابو البركات الانباري ٢٤٥/١.

<sup>٤٧</sup> اسرار العربية - ابو البركات الانباري ٢٨/١.

قال أبو البركات البغدادي في باب المفعول معه: "إن قال قائل: ما العامل النصب في المفعول معه؟ قيل: اختلف النحويون في ذلك، فذهب البصريون إلى أن العامل فيه هو الفعل وذهب الكوفيون إلى أن المفعول معه منصوب على. وذهب أبو اسحق الزجاج إلى أنه منصوب بعامل مقدر والصحيح هو الأول"<sup>٤٨</sup>.

وقال أبو البركات البغدادي حول (التمييز): "إن قال قائل: ما التمييز؟ قيل: هو النكرة المفسرة للمبهم، فإن قيل: فما العامل فيه النصب؟ قيل: فعل وغير فعل فأما ما كان العامل فيه فعلاً فنحو: تصبب زيد عرقاً وتفقأ الكبش شحماً ف (عرقاً وشحماً) كل واحد منهما منصوب بالفعل الذي قبله، فإن قيل: هل يجوز تقديم هذا النوع على العامل فيه؟ قيل: اختلف النحويون في ذلك، فذهب سيبويه إلى أنه لا يجوز تقديم هذا النوع على عامله وذلك لأن المنصوب ههنا هو الفاعل في المعنى... وذهب أبو عثمان المازني وأبو العباس المبرد ومن وافقهما إلى أنه يجوز تقديمه على العامل فيه واستدلوا على ذلك بقول الشاعر من الطويل:

أتتهجر سلمى للفراق حبيها وما كان نفساً بالفراق تطيب

ولأن هذا العامل فعل متصرف فجاز تقديم معموله عليه كما جاز تقديم الحال على العامل فيها، نحو: راكبا جاء زيد، لأنه فعل متصرف فكذلك ههنا، والصحيح ما ذهب إليه سيبويه"<sup>٤٩</sup>.  
وقال أبو البركات حول (الاستثناء): "إن قال قائل: ما الاستثناء؟ قيل: إخراج بعض من كل بمعنى إلا، نحو: جاءني القوم إلا زيدا، فإن قيل: فما العامل في المستثنى النصب من الموجب؟ قيل: اختلف النحويون في ذلك، فذهب البصريون، إلى أن العامل هو الفعل بتوسط إلا وذلك لأن هذا الفعل وإن كان لازماً في الأصل إلا أنه قوي ب (إلا) فتعدى إلى المستثنى كما تعدى الفعل بالحروف المعدية ونظيره نصبهم الاسم في باب المفعول معه، نحو: استوى الماء والخشبة، فإن الاسم منصوب بالفعل المتقدم بتقوية الواو، فكذلك ههنا. وذهب بعض النحويين إلى أن العامل هو (إلا) بمعنى: استثنى، وهو قول الزجاج من البصريين، وذهب الفراء من الكوفيين إلى أن (إلا) مركبة من

<sup>٤٨</sup> المصدر نفسه ١/ ١٧٠.

<sup>٤٩</sup> المصدر نفسه ١/ ١٨١.

(أن ولا) ثم خفت (أن) وأدغمت في (لا) فهي تنصب في الإيجاب اعتباراً ب (إن) وترفع في النفي اعتباراً ب (لا) والصحيح قول البصريين<sup>٥٠</sup>.

ومرة يتفرد برأيه المتميز المخالف لآراء الآخرين، وهذه نماذج حول تفردته ومخالفته لآراء النحاة، قال البغدادي حول العامل في خبر المبتدأ: "اختلف النحويون في ذلك، فذهب الكوفيون إلى أن عامله المبتدأ، وذهب البصريون إلى أن الابتداء وحده هو العامل في الخبر، وذهب قوم إلى أن الابتداء عمل في المبتدأ، والمبتدأ عمل في الخبر، وذهب سيبويه وجماعة معه إلى أن العامل في الخبر هو الابتداء والمبتدأ جميعاً، لأن الابتداء لا ينفك عن المبتدأ، ولا يصح للخبر إلا بها فدلّ على أنهما العاملان فيه"<sup>٥١</sup>.

قال أبو البركات البغدادي: "والتحقيق فيه عندي أن نقول: إن الابتداء أعمل الخبر بواسطة المبتدأ لأن المبتدأ مشارك له في العمل"<sup>٥٢</sup>

وقال أبو البركات البغدادي في موضع آخر حول رافع المبتدأ ورافع الخبر: "ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ فهما يترافعان وذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء، وأما الخبر فاختلّفوا فيه فذهب قوم إلى أنه يرتفع بالابتداء وحده، وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالابتداء والمبتدأ معاً، وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالمبتدأ والمبتدأ يرتفع بالابتداء. أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إن المبتدأ يرتفع بالخبر والخبر يرتفع بالمبتدأ لأننا وجدنا المبتدأ لا بد له من خبر والخبر لا بد له من مبتدأ ولا ينفك أحدهما من صاحبه ولا يتم الكلام إلا بهما ألا ترى أنك إذا قلت زيد أخوك لا يكون أحدهما كلاماً إلا بانضمام الآخر إليه... أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إن العامل هو الابتداء وإن كان الابتداء هو التعري من العوامل اللفظية لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقطع للسياف وإنما هي أمارات ودلالات وإذا كانت العوامل في محل الإجماع إنما هي أمارات

<sup>٥٠</sup> أسرار العربية - أبو البركات الأنباري ١٨٦/١.

<sup>٥١</sup> المصدر نفسه ٨٥/١.

<sup>٥٢</sup> الانصاف في مسائل الخلاف - ابن النباري، ١ / ٤٦.

ودلالات فالأمانة والدلالة تكون بعدم شيء كما تكون بوجود شيء ألا ترى أنه لو كان معك ثوبان وأردت أن تميز أحدهما في الآخر فصبغت أحدهما وتركت صبغ الآخر لكان ترك صبغ أحدهما في التمييز بمنزلة صبغ الآخر فكذلك هاهنا... أما من ذهب إلى أن الابتداء والمبتدأ جميعاً يعملان في الخبر فقالوا: لأننا وجدنا الخبر لا يقع إلا بعد الابتداء والمبتدأ فوجب أن يكونا هما العاملين فيه... قال أبو البركات: والتحقيق فيه عندي أن يقال: إن الابتداء هو العامل في الخبر بواسطة المبتدأ لأنه لا ينفك عنه ورتبته أن لا يقع إلا بعده فالابتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ لا به كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والحطب فالتسخين إنما حصل عند وجودهما لا بهما لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها فكذلك هاهنا<sup>٥٣</sup>

أما القول في تقديم خبر ليس عليها، قال أبو البركات البغدادي: "ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها... وذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم خبر ليس عليها كما يجوز تقديم خبر كان عليها، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إنه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها وذلك لأن ليس فعل غير متصرف فلا يجري مجرى الفعل المتصرف كما أجريت كان مجراه لأنها متصرفة ألا ترى أنك تقول: كان يكون فهو كائن وكن كما تقول: ضرب يضرب فهو ضارب ومضروب واضرب ولا يكون ذلك في ليس وإذا كان كذلك فوجب أن لا يجري مجرى ما كان فعلاً متصرفاً أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على جواز تقديم خبرها عليها قوله تعالى: "ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم"<sup>٥٤</sup>، وجه الدليل من هذه الآية أنه قدم معمول خبر ليس على ليس فإن قوله (يوم يأتيهم) يتعلق بمصروف وقد قدمه على ليس ولو لم يجز تقديم خبر ليس على ليس وإلا لما جاز تقديم معمول خبرها عليها لأن المعمول لا يقع إلا حيث يقع العامل... قال أبو البركات البغدادي: والصحيح عندي ما ذهب إليه الكوفيون. وأما الجواب عن كلمات البصريين في قوله تعالى: "ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً"

<sup>٥٣</sup> أسرار العربية - ابن الأنباري، ١ / ٤٤ .

<sup>٥٤</sup> سورة هود، آية ٨ .

عنهم " ، فلا حجة لهم فيه لأننا لا نسلم أن (يوم) متعلق بمصروف ولا أنه منصوب وإنما هو مرفوع بالابتداء وإنما بنى على الفتح لإضافته إلى الفعل ، كما قرأ نافع والأعرج قوله تعالى : " هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم " ٥٥ فإن (يوم) في موضع رفع وبنى على الفتح لإضافته إلى الفعل فكذلك ها هنا ٥٦ .

وقال أبو البركات البغدادي حول عامل الجزم في جواب الشرط : " ذهب الكوفيون إلى أن جواب الشرط مجزوم على الجوار . واختلف البصريون ، فذهب الأكثرون إلى أن العامل فيهما حرف الشرط ، وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان فيه ، وذهب آخرون إلى أن حرف الشرط يعمل في فعل الشرط وفعل الشرط يعمل في جواب الشرط ، وذهب أبو عثمان المازني إلى أنه مبنى على الوقف . أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا : إنه مجزوم على الجوار لأن جواب الشرط مجاور لفعل الشرط لازم له لا يكاد ينفك عنه فلما كان منه بهذه المنزلة في الجوار حمل عليه في الجزم فكان مجزوماً على الجوار والحمل على الجوار كثير . قال الله تعالى : " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين " ٥٧ ، وجه الدليل ، أنه قال ( والمشركين ) بالخفض على الجوار وإن كان معطوفاً على الذين فهو مرفوع لأنه اسم يكن ... أما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا : إن العامل هو حرف الشرط وذلك لأن حرف الشرط يقتضي جواب الشرط كما يقتضي فعل الشرط وكما وجب أن يعمل في فعل الشرط فكذلك يجب أن يعمل في جواب الشرط . وأما من ذهب إلى أن حرف الشرط وفعل الشرط يعملان في جواب الشرط فقال : إنما قلنا : ذلك لأن حرف الشرط وفعل الشرط يقتضيان جواب الشرط فلا ينفك أحدهما عن صاحبه فلما اقتضياه معا

٥٥ سورة المائدة ، آية ١١٩ .

٥٦ الانصاف في مسائل الخلاف ١ / ١٦٤ .

٥٧ سورة البينة ، آية ١



وجب أن يعمل فيه معا كما قلنا في الابتداء والمبتدأ إنها يعملان في الخبر فكذلك هاهنا... قال أبو البركات البغدادي: والتحقيق فيه عندي أن يقال: إن، هو العامل في جواب الشرط بواسطة فعل الشرط لأن لا ينفك عنه فحرف الشرط يعمل في جواب الشرط عند وجود فعل الشرط لا به كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والخطب فالتسخين إنما حصل عند وجودهما لا بهما لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها فكذلك هاهنا<sup>٥٨</sup>.

### موقفه من السماع:

للبغدادي موقف متميز من السماع والقياس فهو على الرغم من اعتماده على القياس إلا أنه في عدد من المسائل النحوية أو قل في جل ما يعترضه من مسائل نحوية، يأخذ عن السماع بالنقل والاستعمال، فصاحبنا يكره القياس على النادر والشاذ، يقول: "إذ لو طردنا القياس في كل ما جاء شاذًا مخالفًا للأصول والقياس وجعلناه أصلًا لكان ذلك يؤدي إلى أن تختلط الأصول بغيرها وأن يجعل ما ليس بأصل أصلًا وذلك يفسر الصناعة بأسرها"<sup>٥٩</sup> لذا نجده يكثر من قول: "وهي رواية شاذة"<sup>٦٠</sup>، ويقول في موضع (أفعل التعجب): "من الشاذ الذي لا يعرج عليه، فهو في الشذوذ"<sup>٦١</sup>، ويقول في موضع آخر من أن الكوفيين في أدلتهم في باب (أصول الاشتقاق، الفعل أو المصدر): "فستذكر فاسدة"<sup>٦٢</sup> أو عبارة "هذا باطل"<sup>٦٣</sup> إلى غيره من العبارات التي تعطينا الدليل بأن صاحبنا لا يعتد بالقليل ولا يبنّي عليه رأيه ولا يتخذ منها قاعدة، أو قل: إنه يعتد بالسماع الشائع ولا يجيز القياس على الشاذ والنادر. وهذه نماذج مما ذهب إليه:

<sup>٥٨</sup> الانصاف في مسائل الخلاف - ابن الأنباري، ٢ / ٦٠٨ .

<sup>٥٩</sup> المصدر نفسه ٢ / ٤٠٥

<sup>٦٠</sup> المصدر نفسه ١ / ١٢١

<sup>٦١</sup> المصدر نفسه ١ / ١٣١

<sup>٦٢</sup> المصدر نفسه ١ / ٢٣٩

<sup>٦٣</sup> المصدر نفسه ١ / ٢٤٩

قال أبو البركات: "إن قال قائل: هل نعم وبئس اسمان أو فعلان؟ قيل: اختلف النحويون في ذلك، فذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان واستدلوا على ذلك... وذهب الكوفيون إلى أنهما اسمان واستدلوا على ذلك. قال أبو البركات: والصحيح ما ذهب إليه البصريون وأما ما استدل به الكوفيون ففاسد"<sup>٦٤</sup>.

وقال أبو البركات حول باب عسى: "إن قال قائل: ما عسى من الكلم؟ قيل: فعل ماض من أفعال المقاربة لا يتصرف وقد حكى عن ابن السراج أنه حرف، وهو قول شاذ لا يعرج عليه، والصحيح أنه فعل..."<sup>٦٥</sup>.

وقال أبو البركات حول الاختلاف في أصل اشتقاق الإسم: "ذهب الكوفيون إلى أن الأسم مشتق من الوسم وهو العلامة وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إنه مشتق من الوسم لأن الوسم في اللغة هو العلامة والإسم وسم على المسمى وعلامة له يعرف به... وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إنه مشتق من السمو لأن السمو في اللغة هو العلو، يقال: سما يسمو سموا إذا علا ومنه سميت السماء سماء لعلوها والإسم يعلو على المسمى ويدل على ما تحته من المعنى ولذلك قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الإسم ما دل على مسمى تحته وهذا القول كاف في الإشتقاق لا في التحديد فلما سما الإسم على مسماه وعلا على ما تحته من معناه دل على أنه مشتق من السمو لا من الوسم... قال أبو البركات البغدادي: أما الجواب عن كلمات الكوفيين قولهم إنما قلنا إنه مشتق من الوسم لأن الوسم في اللغة العلامة والأسم وسم على المسمى وعلامة

<sup>٦٤</sup> أسرار العربية - أبو البركات الأنباري ١٠٢/١.

<sup>٦٥</sup> المصدر نفسه ١ / ١٢٥.

عليه يعرف به ، قلنا : هذا وإن كان صحيحا من جهة المعنى إلا أنه فاسد من جهة اللفظ وهذه الصناعة لفظية فلا بد فيها من مراعاة اللفظ...<sup>٦٦</sup>.

وخير الكلام عند البغدادي ما اطرء في الاستعمال والقياس أضعفه ما لم يرد في النقل (السماع) ولم يصح بالقياس.

### مصادره العلمية :

حرص البغدادي على إثبات نسبه العلمي اعتزازا وتقديرا ، فقال في نزهة الألباء في معرض حديثه عن أستاذه (ابن الشجري) : " وعنه أخذت علم العربية"<sup>٦٧</sup> ، أي أن البغدادي استمد ثقافته النحوية من أصولها ، لا سيما أن شيوخه هم أركان المدرسة البصرية النحوية ، أمثال : ابن طباطبا العلوي والجواليقي وابن الشجري وغيرهم من علماء عصره.

وهذا يدل على أن أبا البركات الأنباري أو البغدادي أخذ علم النحو من منابعه البصرية ، فتأثر بها وسار على نهجها ، إلا أن فطنته وتمكنه قاده إلى التفرد في معالجة المسائل النحوية والاتساع في القياس (إن انكسار القياس في النحو لا يتحقق لان النحو كله قياس)<sup>٦٨</sup>.

أضف إلى كثرة تعلقه بالمنطق في استنباط القواعد وتعليل الأحكام والموازنة بين الآراء ، هذه الخصائص والسمات التي تميز بها البغدادي ، اكتسبها من خلال انتمائه إلى المدرسة البصرية النحوية.

### أثر المدرسة البصرية في منهجه النحوي:

يتبين مما عرضت أن البغدادي ، ابتداء من موقفه وتشدده في شروط السماع وتوسعه في القياس ، وانتهاء بشيوخه إنه بصري النزعة ، فكراً وثقافة ومقاييس علمية ، وإن مخالفته حيناً لآراء

<sup>٦٦</sup> الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٦ .

<sup>٦٧</sup> نزهة الألباء - ابن الأنباري ، ص ٤٠٦ .

<sup>٦٨</sup> لمعة الأدلة - ابن الأنباري ، ص ٤٤ .

البصريين لا يدل على انتمائه لغير هذه المدرسة التي تتلمذ فيها واخذ نظرياته في السماع والقياس والعلة والتعليل والعامل.

هذه المخالفة من دلائل قدرته في اتخاذ الرأي المستقل والقوة في الشخصية ولا يخرج به عن مدرسته البصرية، إضافة إلى أنها ظاهرة طبيعية ليست مقصورة على أبي البركات، فقد خالف سيبويه أستاذه الحليل، وخالف المبرد أستاذه سيبويه<sup>٦٩</sup>. وإذا تتبعنا أثر المدرسة البصرية للمسنا أن صلته وثيقة بها من خلال:

- ١ - تعليقه على مصنفات أبي علي الفارسي وتدرسه لتلاميذه في المدرسة النظامية<sup>٧٠</sup>.
- ٢ - إعجابه وتأثره بنحو وأركان المدرسة البصرية، والتي اتسمت فيما بعد بخصائص مميزة في التفرعات والتفصيلات في الأصول، على يد ابن السراج وأبي علي الفارسي والتي سماها المحدثون (المدرسة القياسية)، فقد وصف صاحبنا أبا علي الفارسي بأنه "من أكابر أئمة النحو... وابن جني بأنه حذاق النحاة... وابن السراج بأنه أحد أئمة النحو المشهورين وبأنه كان ثقة"<sup>٧١</sup>.
- ٣ - تأثره بسمات المدرسة القياسية وهذا ما نجده عند البغدادي من خلال:
  - أ - الإستقلال الفكري، ويتجلى في رغبته بالتجديد والحرص الشديد في الإبتكار والإبداع وبهذا الدافع صنف كتبه المعروفة في الأصول والاختلاف.
  - ب - التفرد في معالجة المسائل النحوية واتخاذ الموقف المتميز.
  - ج - الجدة في العرض والمعالجة وأساليب التصنيف (الترتيب والتبويب).
  - د - اتساعه في القياس حتى جعله دأبه، قال: "إن انكسار القياس في النحو لا يتحقق لأن النحو كله قياس"<sup>٧٢</sup>.

<sup>٦٩</sup> ينظر: البحث النحوي عند العرب - أحمد مختار عمر، ص ١٥١.

<sup>٧٠</sup> المدارس النحوية - شوقي ضيف، ص ٢٧٨.

<sup>٧١</sup> نزهة الالباء - ابن الانباري، ص ٣١٥.

<sup>٧٢</sup> لمع الأدلة - ابن الانباري، ص ٤٤.

هـ - الإستعانة بالمنطق في طرح المسائل واستخلاص القواعد والموازنة بين الآراء ، قال : " الإبتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ لا به ، كما أن النار تسخن الماء بواسطة القدر والخطب بالتسخين إنما حصل عند وجودهما لا بهما لأن التسخين إنما حصل بالنار وحدها فكذلك ها هنا الإبتداء وحده هو العامل في الخبر عند وجود المبتدأ إلا أنه عامل معه لأنه اسم والأصل في الأسماء ألا تعمل "٧٣.

يتبين مما عرضت أن البغدادي اتبع في دراسته النحوية منهجاً مستقلاً ، فهو ينظر ويعتمد الأقيسة المنطقية . والأدلة العقلية في عرضه للمسائل النحوية مقتبساً خصائص المدرسة البصرية مستفيداً من أدائها وخلافاتها مع الكوفيين ، مستعيناً بالمنهج الفقهي في التصنيف والتقسيم ، واكتفي بدليلين على تأثر أبي البركات البغدادي أو الانباري بالآراء البصرية :

الأول : ما قاله الدكتور فاضل السامرائي : " ولهذا لا أستطيع أن أتصور ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن الأنباري صاحب (الأنصاف) كان بغدادياً وهو الذي ألف كتابه المذكور آنفاً لتأييد البصريين ووافقهم في عامة المسائل النحوية الخلافية ولم يخالفهم إلا في تسع مسائل من مجموع (١٢١) مسألة ، ولا أدري كيف يمكن أن يعدّ مثل هذا الرجل بغدادياً وآراؤه البصرية واضحة بيّنة "٧٤.

الثاني : استشهاد سيبويه بقول عقيبة بن هبيرة الأسدي :

معاوي اننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد

على جواز الإجراء على الموضع ، فإن قوله (الحديدا) معطوف على محل المرور قبله في قوله (بالجبال) لأن الباء زائدة . وقد خطأه ابن قتيبة في أواخر مقدمة الشعر والشعراء حيث قال : " إن الصواب الجرّ كبقية القصيدة "٧٥ ، لكن العلماء المنتصرين لسيبويه وفي مقدمتهم البغدادي في كتابه

٧٣ الانصاف في مسائل الخلاف - ابن الانباري ، ٤٧/١ .

٧٤ ابن جني النحوي - د. فاضل السامرائي ، ص ٢٥٥ .

٧٥ الشعر والشعراء - ابن قتيبة ، ص .

الإنصاف قالوا: إن البيت روي مع أبيات منصوبة ومع أبيات مجرورة، واستشهد سيبويه منوط بالرواية الأولى فصح الاعتماد عليه، ولهذا استشهد به الرضي على الكافية<sup>٧٦</sup>.

### المصادر والمراجع

- القرآن الكريم - رواية حفص عن عاصم، وزارة الأوقاف، العراق ١٩٧٩.
- ١ - ، الأدب العربي - المستشرق هـ. أ. جب ، ترجمة كاظم سعد الدين، القاهرة (د.ت).
  - ٢- ، أسرار العربية - ابن الأنباري ، تحقيق محمد بهجت البيطار مجمع اللغة العربية، ط ١، دمشق ، ١٩٥٧م.
  - ٣ - ، ابن جني النحوي - د. فاضل السامرائي ، دار النذير للطباعة والنشر - بغداد ، ١٩٦٩ م.
  - ٤ - ، أنباء الرواة على أنباء النحاة - أبو الحسن القفطي (ت ٦٤٦ هـ) ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠
  - ٥ - ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين - ابن الأنباري ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر، بيروت.
  - ٦ - ، إيران ماضيها وحاضرها - دونالد ولبر ، تحقيق عبد المنعم محمد حسين ، مكتبة مصر، القاهرة ، ١٩٥٨م.
  - ٧ - ، البحث النحوي عند العرب - أحمد مختار عمر ، بيروت ، ١٩٧٢م.
  - ٨ - ، البداية والنهاية - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ) ، دار الفكر ، (د.ت).
  - ٩ - ، بغية الوعاة - السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ، مطبعة عيسى الحلبي ، ط ٢ ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٧٢م.
  - ١٠ - ، تاريخ العراق في عصر السلاجقة - حسين أمين، المكتبة الأهلية، ١٩٦٥.

<sup>٧٦</sup> خزانة الادب ، شاهد ١١٧ .

- ١١ - ، خزانة الأدب - البغدادي (ت ١٠٩٧هـ)، تحقيق عبد السلام هرون، دار الكتاب العربي، القاهرة. ١٩٦٨
- ١٢ - ، روضات الجنات في أصول العلماء والسادات - الخوانساري ، مؤسسة إسماعيليان ، طهران ، ٣٩١ هـ.
- ١٣ - ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب - أبو الفرج عبد الحي ابن العماد الحنبلي (١٠٨٩) ، دار المسيرة، بيروت ، ١٩٧٩ م.
- ١٤ - ، الشعر والشعراء - ابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد شاکر، دار المعارف (د. ت).
- ١٥ - ، طبقات الشافعية - جمال الدين أبو محمد الأسنوي (٧٧٢ هـ) مطبعة رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد ١٩٧٠.
- ١٦ - ، طبقات النحويين واللغويين - ابن قاضي شهبة (٨٥١ هـ).
- ١٧ - ، العبر في خبر من غبر- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، مكتبة دار الكتب العلمية ، بلاط ، بيروت (د. ت).
- ١٨ - ، فوات الوفيات - محمد بن شاکر الكتبي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر، ١٩٥١ م.
- ١٩ - ، الكامل في التاريخ - ابن الاثير، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩ م.
- ٢٠ - ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - حاجي خليفة ، طهران ، ١٩٥٧ م.
- ٢١ - ، لمع الأدلة في وجوه النحو - ابن الأنباري ، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ، ١٩٥٧ م.
- ٢٢ - ، المدارس النحوية - شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ م.
- ٢٣ - ، مرآة الجنان وعبدية اليقضان - عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي (٧٦٨ هـ) ، حيدر آباد ، (د. ت).

- ٢٤ - ، مقدمة الاغراب في جدل الاعراب - ابن الانباري ، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧١م.
- ٢٥ - ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - لأبي عبد الرحمن بن علي الجوزي (٥٩٧هـ) ، الدار الوطنية ، بغداد ، ١٩٩٠م.
- ٢٦ - ، نزهة الألباء - أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر ، ١٩٦٧م.
- ٢٧ - ، هدية العارفين - إسماعيل باشا البغدادي ذيل كشف الظنون ، ط ٣ ، ١٩٥٥م.
- ٢٨ - ، وفيات الاعيان - ابن خلكان أحمد البرمكي ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠م.





This number is the first steps educationally to bring about the spirit of science , originality of Islamic thoughts , the Qwar'nic language and the right system of free and objective information in this beloved country of civilisation and culture.

Translation from  
Arabic Original  
By  
Sadiq al – Husaini al  
Isterabadi

## opinion Editing form

Iraq has witnessed , design the last three decades , deliberative and educational emptiness which thoughtful became , knowingly , isolated from the world inputs and the information explosion that drove them away from deliberation upon crucial rules which caused its shift and disappearance for the sake of the same governings. The government isolated and diminished deliberation , put pressure upon writers and authors by the means of a policy that broke inside and outside communications. It put pressure on just voice and the right word.

That era has gone , and a new one has occurred. We need to follow new deliberation upon which meet the hope for the era and make the future brighter and active. This needs co-operation towards justice and equity by fixing a living model which brings about certainly a nice results.

We the staff of the university of al-Bayt (all praises and peace be upon them) have taken in consideration to publish a high level seasonal journal. Our objective is of excellence in research , scholarship and education , open discussion meetings for exchanging thoughts and experience to deepen studying programmes and developing the qualifications of the staff.

The university , today , through its journal staff , put in hands its first number covering researches and human studies in literature , legal system the (Shari'a) and law.



In the name of god

No:1

# Ahlulhait